

المكتبة

تاريخ الدعوة إلى الحسامة وأثارها في مصر

تأليف

الدكتور نفوسه كرايسعيد

مدرسة بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

غيب قابل للاعارة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة



الطبعة الأولى

١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

الجامعة الاسكندرية - فترة

مكتبة الوراثة

الرقم العام

الرقم الخاص

تاريخ الورود

٥٤٢٧

٤١٠,٩

1 DEC 1982

الناشر

دار نشر الثقافة بالاسكندرية

٧٤١٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الدعوة إلى اتخاذ العامة أداة للتعبير الأدبي وإحلالها محل العربية الفصحى من أخطر الدعوات التي تعرض فيها التعبير العربي لأعنف أزمة عرفها خلال تاريخه الطويل ، وتعرضت فيها الأمم العربية لأعنف انقلاب ثقافي بعد الإسلام . وقد ظلت هذه الدعوة تتردد بيننا ، تظهر حيناً وتختفي حيناً آخر ، ونحن إزاءها بين مؤيدين ومعارضين ، لانكاد نصل إلى رأى قاطع يبت في أمرها . وفي سنة ١٩٥٦ عندما بدأت أفكر في اختيار موضوع لرسالة الدكتوراه ظهرت الدعوة من جديد ، فوجدتني أهتم بها ، ولم أشأ أن أقطع فيها برأى إلا بعد دراسة وبحث ، لأن هذه الدعوة على الرغم من خطورتها ، وعلى الرغم مما أحدثته من ضجة في مختلف البلاد العربية ، لم تحظ بدراسة علمية منظمة تكشف عن بواطنها وتبين أهدافها والنتائج التي ترتبت عليها ، ولذلك اتخذتها موضوعاً لرسالة الدكتوراه ، ووضعتها تحت هذا العنوان « تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر » .

والموضوع كما يبدو من عنوانه يتناول ناحيتين :

الأولى : دراسة تاريخ الدعوة : متى ظهرت ، ومن أى مصدر نبعت ، وفي أى ظروف نمت ، وكيف تطورت .

والثانية : دراسة الآثار التي خلفتها الدعوة في مصر ، أول بلد عربي ابتلي بمواجهتها . وهذه الآثار لم تقتصر على الجدل الذي احتدم بين أنصارها

حول تأييد الدعوة ومعارضتها ، بل إنها تغفلت في انتاجهم اللغوى والأدبى حتى إن معظم المشاكل التى دارت فى هذين الميدانين لم يكن مردها فى حقيقة الأمر إلا إليها .

وقد أتاحت لى دراسة الموضوع على هذا الوضع ، الإمام بأطراف الدعوة والوقوف على كثير من الحقائق المتعلقة بها ، والتى مكنتنى فى نهاية الأمر من تقرير مصيرها .

ولم يكن الوصول إلى هذه النتيجة سهلاً ميسوراً . فقد واجهتنى صعوبات كثيرة أثناء جولاتى الطويلة الشاقة التى تطلبها البحث فى ميدان اللغة (الفصحى والعامية) ، وفى ميدان الأدب (الفصحى والعامى) . أذكر من هذه الصعوبات على سبيل المثال ، تشعب مواد البحث الأولية فى عدد كبير من المراجع لم يكن العثور عليها متيسراً . بعضها كتب لمستشرقين وشرقيين ، منها المخطوط ، ومنها المطبوع الذى لم يبق منه سوى نسخ وحيدة فى مكتبات مصر أو فى دار الكتب وحدها . وبعضها مقالات ونصوص كانت موزعة فى طبعات قديمة أو مبعثرة فى الصحف والمجلات . ولم تكن الصعوبة قاصرة على العثور على هذه المراجع وجمعها ، بل على ما تطلبته دراستها من حذر شديد ، لمعرفة نوايا أصحابها وأهدافهم من دراسة الفصحى وأدبها ، ومن دراسة العامية وأدبها ، لأن هذه النوايا والأهداف لم تكن كلها بريئة تقصد العلم لوجه العلم ، أو الفن من أجل الفن . وقد وضحت هذه الحقيقة خلال هذا البحث الذى اتبعت فيه المنهج التالى :

بدأت البحث بتمهيد عرفت فيه بالفصحى والعامية . وأشارت إلى وجودها فى اللغات الأوروبية ، مستشهدة على ذلك بأبحاث علمائنا الذين درسوا العامية فى اللغات الأوروبية ، وأبحاث العلماء الأوروبيين الذين درسوا العامية فى

لغاتهم . ثم أخذت أتتبع نشأة العامية في اللغة العربية ، وهي نشأة قديمة
تتصل بتاريخ اللغة العربية منذ أقدم عصورها ، وذكرت الأسباب التي أدت
إلى اتساع الخلاف بين الفصحى والعامية مما دفع علماء العربية القدامى إلى
الاهتمام بدراسة العامية والتأليف فيها ، وبيّنت أن اهتمامهم بدراسة العامية لم
يكن من أجل تدوينها بل من أجل تصحيحها ، ولذلك كانت دراستهم للعامية
فرعاً من دراستهم للفصحى ، ثم بيّنت كيف عاشت العامية بجانب الفصحى على
ما بينهما من اختلاف دون أن يحدث بينهما تنافس في الميدان الأدبي الذي
اختصت به الفصحى ، إلى أن بدأت العامية تزاخم الفصحى في ميدانها عقب
الدعوة إلى اتخاذها أداة للتعبير الأدبي في أواخر القرن التاسع عشر .

ثم قسمت البحث بعد ذلك إلى خمسة أبواب ، وقسمت كل باب إلى عدة
فصول :

في الباب الأول الذي وضعته تحت عنوان « الدعوة إلى العامية في
أصولها الأولى من مصادرها الأجنبية » ، وقسمته إلى ثلاثة فصول . كشفت
عن منبع الدعوة ، وعرفت بأوائل دعائها ، وذكرت الحجج التي أقاموا
عليها دعوتهم ، وبيّنت الجهود التي بذلوها في تدعيمها .

أما منبع الدعوة فقد كشفت عنه وتبّعته في الفصل الأول « المؤلفات
الأجنبية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية » حيث استطعت بعد بحث في
كتب القدماء والمحدثين من عرب ومستشرقين ممن درسوا العامية في اللغة
العربية ، وبعد بحث في الصحف التي سجلت أدوار الصراع بين الفصحى
والعامية أن أقف على المصدر الذي نبعت منه الدعوة إلى العامية ، وجدته
في أول مؤلف أجنبي خصص لدراسة العامية المصرية ، وهو « قواعد العربية

العامية في مصر ، الذي ظهر سنة ١٨٨٠ للدكتور ولهم سبباً . وعندئذ لم أذكر
وسعاً في تتبع المؤلفات الأجنبية التي تناوأت دراسة العامية المصرية ، والتي
قدمت إلينا في أثواب علمية انطوت جميعها على أهداف مغرضة لا تمت إلى
العلم بنسب .

تكلمت أولاً عن اهتمام الأوربيين بدراسة اللهجات العربية المحلية في
النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فبينت كيف أدخلوا دراستها في مدارسهم
وجامعاتهم ، وكيف اهتموا بالتأليف فيها ، وكيف استعانوا بأبناء العربية
الدين يعملون في بلادهم سواء في تدريسها أم في التأليف فيها ، إلى أن
توافرت لهم الوسائل فأخذوا يؤلفون في كل لهجة من اللهجات العربية المحلية
اللهجة المصرية ، والعراقية ، والسورية ، والتونسية ، والراكشية . ومؤلفاتهم
في اللهجة المصرية هي التي وضحت فيها أهدافهم الحقيقية من دراسة اللهجات
العربية المحلية . درست عدداً منها لمؤلفين من الألمان والإنجليز ممن عاشوا
في مصر مدة طويلة وتولوا فيها مناصب عالية وخاصة إبان عهد الاحتلال
البريطاني . ولقد وجدت هؤلاء المؤلفين على اختلاف الموضوعات التي عالجوها
في دراستهم للهجة المصرية ، من بحث في قواعدها ، إلى بحث في خصائصها
وميزاتها ، إلى بحث في أصلها ، قد اتحدوا في هدف واحد ، هو السعي لاقتضاء
العربية الفصحى عن الميدان الأدبي واحلال العامية محلها . ولذلك عنيبت في
دراستي لمؤلفاتهم بإبراز النصوص التي تضمنت دعوة كل واحد منهم إلى
العامية ، وبيان الوسائل التي اقترحها لترويج دعوته ، والمزاعم التي ساقها
لوجوب التخلص من الفصحى .

ثم واصلت البحث في الكشف عن الجهود التي بذلها الأوربيون لتدعيم
دعوتهم إلى العامية . كان أهم ما يعوز العامية في رأيهم أن يكون لها أدب
مدون ، وأن تستخدم في معالجة الموضوعات العلمية والأدبية الرفيعة ، فحاولوا

أن يملأوا هذه الثغرة التي تحول بين العامة وبين الظهور والرواج في الميدان الأدبي . فتبعت هذه المحاولات في الفصلين الثاني والثالث من هذا الباب .

تكلمت في الفصل الثاني « الآثار العامية التي قام الأجانب بتسجيلها ونشرها » عن الأدب العامي الذي قام الأجانب بتسجيله ونشره ، من أرجال ومواويل وقصص ، كان أغلبه مما التقطوه من أفواه العامة . ذكرت أمثلة من كتبهم التي تضمنت هذا الأدب ، وعرضت نماذج من محتوياتها . وعلى الرغم من أني قصرت عنايتي في هذا البحث على دراسة الأدب العامي الذي قصد أصحابه تدوينه ، فإنني وجدت في الاستشهاد بهذه النماذج التي جمع أغلبها من أفواه العامة ، ما يساعدنا على معرفة تطور العامية في وقتنا الحاضر .

وتكلمت في الفصل الثالث « المحاولات التي قام بها الأجانب لادخال العامية في نماذج أدبية رفيعة وعلمية » عن التجارب العملية التي قام بها وليم ويلكوكس أحد رجال الاستعمال البريطاني في مصر لتأيد دعوته إلى العامية . فدرست ما نقله إلى العامية من الروائع الأدبية ، وهي : قطع من روايات شكسبير ترجمها إلى العامية سنة ١٨٩٢ ، والانجيل الذي ترجمه إلى العامية سنة ١٩٢٥ . ودرست كتابه « الأكل والايان » الذي ألفه بالعامية سنة ١٩٢٦ وعالج فيه موضوعات علمية صبغها بتعاليم الدين المسيحي . ثم بينت ما كشفت عنه دراسة هذه الآثار المترجمة إلى العامية والمؤلفة بالعامية ، من إظهار عجز العامية عن معالجة الموضوعات الرفيعة ، وما أحدثته فيها من تشويه أفقدها سماتها الأدبية والعلمية .

وفي الباب الثاني الذي وضعته تحت عنوان « الدعوة إلى العامية في مرحلتها الثانية على ألسن العرب في مصر » ، وقسمته إلى ثلاثة فصول . أخذت أؤرخ نشأة الصراع بين الفصحى والعامية في مصر ، ذلك الصراع الذي دلن البحث على أنه لم يكن له وجود قبل الدعوة إلى العامية التي نادى بها الأوربيون في

دراساتهم للهجة المصرية . فأخذت أتبع سير دعوتهم في مصر ، وأبين التطورات التي مرت بها .

تكلمت في الفصل الأول « العامة بعيدا عن الدعوة » عن المصريين الذين فكروا في ضبط العامة واستخدامها في الكتابة ، والذين كتبوا بها فعلا قبل الدعوة الأجنبية وفي بدء ظهورها ، وبينت اختلاف وجهة نظرهم عن وجهة نظر الأوربيين الذين قاموا بضبط العامة ودعوا إلى الكتابة بها . فهو لا كانوا يهدفون في صراحة إلى القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامة محلها ، أما أولئك المصريون فكانوا يهدفون - كما اتضح لي من دراسة أفكارهم إزاء العامة ومن دراسة آثارهم المدونة بالعامة - إلى تثقيف العامة والترفيه عنهم على أن تظل للفصحى مكانتها في الميدان الأدبي .

فشرحت فكرة رفاة رافع الطهطاوى في ضبط العامة واستخدامها في الكتابة ، وبينت أهداف ثلاثة من الكتاب الذين كتبوا بالعامة وهم : يعقوب صنوع صاحب مجلة « أبو نظارة » ، وجورجي زنايرى صاحب مجلة « الخوالة » ، ومحمد النجار صاحب مجلة « الأرغول » .

وبينت في الفصل الثاني « صدى الدعوة الأجنبية في صحف مصر » كيف بدأت الدعوة الأجنبية تشق طريقها في مصر ، وما ترتب عليها من انشقاق في صفوف أبناء العربية لا في مصر وحدها بل في مختلف البلاد العربية ، وما استتبع ذلك من قيام معارك عنيفة بين مؤيدي الدعوة ومعارضيهما ، كان للصحف المصرية فضل كبير في تسجيلها . وبتتبعي لهذه الصحف تبين لي أن المعارك التي دارت بين أبناء العربية حول لغة الكتابة ، كانت تقوم عادة في أعقاب الدعوات الأجنبية المنادية باتخاذ العامة أداة للتعبير الأدبي . فأخذت

أبين موقف هذه الصحف من أول معركة قامت عقب دعوة «وولهم سبيتا» (١٨٨٠)، وما تبعها بعد ذلك من معارك كان لرجال الاستعمار البريطانى أثر كبير فى إثارتها .

وتكلمت فى الفصل الثالث «اقتران الدعوة بحركات التجديد والاصلاح» عن تطور الدعوة فى مصر بعد أن يؤس دعائها من الأوربيين ومن ناصرهم من أبناء العربية من نجاحها . فأشرت إلى الطرق المتنوية التى لجأ إليها بعض من استجابوا للدعوة فى مصر، لافساح المجال أمام العامية فى ميدان الكتابة عن طريق إيهامنا بخدمة العربية الفصحى . فبينت كيف اقترنت الدعوة بحركة تمصير اللغة العربية، وكيف اقترنت بحركة تبسير نحو العربية وحروف كتابتها ومادتها، وكيف اقترنت بحركة تجديد الأدب العربى . وقد حاولت فى تتبعى لهذه الحركات أن أكشف عما انطوت عليه من مؤازرة للعامية، مستشهدة على ذلك بآراء أشهر القائمين بها، مثل أحمد لطفى السيد فى اقتراحه لتمصير اللغة العربية، وعبد العزيز فهمى فى اقتراحه لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وسلامة موسى فى رأيه عن لغة الأدب الجديد.

وانتقلت بعد ذلك إلى البحث عن الآثار التى خلفتها الدعوة فى اللغة وفى الأدب . فنخصصت الباب الثالث «أثر الدعوة فى الدراسات اللغوية» الذى قسمته إلى فصلين، لبيان أثر الدعوة فى ميدان البحث اللغوى، حيث أصبحت العامية والفصحى على حد سواء موضع اهتمام الباحثين .

بينت فى الفصل الأول «أثر الدعوة فى الدراسات التى تناولت العامية» كيف أثارت الدعوة إلى العامية اهتمام الباحثين بدراسة العامية، التى جعل منها دعائها منافسا قويا للفصحى بما أضفوه عليها من مميزات، فقاموا ينقبون عن تلك المميزات، تحثهم قوى أجنبية حينما ورغبة فى المعرفة حينما آخر . فتكلمت عن

المؤلفات التي تناولت دراسة العامية استجابة لرغبة أجنبية ، وتكلمت عن المؤلفات التي تناولت دراسة العامية بدافع من الرغبة في الوقوف على حقيقة العامية وجمع خصائصها ، أو من أجل تصحيحها والاستعانة بها في تطوير الفصحى . ثم بينت حقيقة العامية كما كشفت عنها دراسة هذه المؤلفات .

وبينت في الفصل الثاني « أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العربية الفصحى » كيف أثارت الدعوة إلى العامية اهتمام الباحثين بدراسة العربية الفصحى التي وجه إليها أعداؤها مختلف الاتهامات . اتهموها بالجمود ، واتهموها بالصعوبة ، وأرجعوا هذه الصعوبة إلى نحوها وحروف كتابتها ومادتها ، مما دفع الباحثين إلى الاتجاه إلى الفصحى يحاولون تذليل هذه الصعوبات . اتجه بعضهم إلى تيسير نحو العربية ، واتجه بعضهم إلى تيسير كتابتها ، واتجه البعض الآخر إلى تيسير مادتها . ذكرت نماذج من محاولاتهم في معالجة كل موضوع من هذه الموضوعات على اختلاف الوسائل التي لجأوا إليها في الإصلاح والتيسير . ثم بينت حقيقة الفصحى على ضوء دراسة هذه المحاولات .

وفي الباب الرابع « أثر الدعوة في انتشار المؤلفات المدونة بالعامية » الذي قسمته إلى أربعة فصول . بينت الآثار التي خلفتها الدعوة في الميدان الأدبي ، الذي لم يكن للعامية فيه إلا نصيب ضئيل قبل الدعوة ، باعتراف دعاة العامية من الأجانب ، والذي صار بعد الدعوة عامراً بالمؤلفات المدونة بالعامية ، من مسرحيات وقصص ودواوين زجلية ومجالات ، بلغت أوج رواجها في الثلث الأول من القرن العشرين أي وقت احتدام المعركة بين الفصحى والعامية ، عقب الدعوة إلى العامية والدعوة إلى تمصير العربية ، ثم أخذت تقل تدريجياً حتى كاد الميدان يقفر منها من جديد في الوقت الحاضر بعد أن زالت دواعي الكتابة بالعامية وهي : الاستعمار . الأمة . الحركات القومية الانفصالية .

تدبعت مؤلفاتنا المدونة بالعامية قبل الدعوة وبعدها ، لأبين ما أصابته من رواج وما بلغته من اتساع وانتشار . ولم تكن مهمتى في هذا الباب قاصرة على مجرد إحصاء هذه المؤلفات ، ولكننى عنيت فيها بدراسة العامية نفسها ، لمعرفة طبيعتها ، وخصائصها ، وتطورها ، وألوان الموضوعات التى طرقتها ، ومدى قدرتها على معالجة هذه الموضوعات .

درست فى الفصل الأول « العامية فى كتب المفاكية والمسامرة » كتابين من بواكير كتبنا المدونة بالعامية ، وهما : كتاب « هز القحوف فى شرح قصيدة أبى شادوف » ، وكتاب « ترويح النفوس ومضحك العيوس » . ظهرا فى النصف الأخير من القرن الماضى ، ولم يكن ظهورهما نتيجة للدعوة إلى العامية . عرفت بكل كتاب ، وذكرت نماذج من محتوياته ، وبينت الأسباب التى دفعت مؤلفة إلى الكتابة بالعامية .

و درست فى الفصل الثانى « العامية فى المسرحية » عدداً من المسرحيات لثلاثة من رواد كتاب المسرح الذين استخدموا العامية فى كتابة المسرحية ، وهم : يعقوب صنوع مؤسس المسرح العربى فى مصر وأول من كتب مسرحيات بالعامية ، ومحمد عثمان جلال رائد حركة تمصير الأدب فى أواخر القرن الماضى ، ومحمد تيمور الذى تزعم حركة تمصير المسرح فى بداية هذا القرن ، وبينت الأسباب التى دفعت كل واحد من هؤلاء الكتاب إلى الكتابة بالعامية ، وأشرت فى ختام هذا الفصل إلى الكتاب الذين نهجوا نهج محمد تيمور فى تأليف مسرحيات محلية وكتابتها بالعامية ، وقد كان للدعوة إلى العامية والدعوة إلى تمصير العربية أثر كبير فى ازدياد عددهم وغزارة انتاجهم . ووقفت وقفة قصيرة عند كتاب المسرحيات الهزلية الذين اتخذوا من العامية عنصراً من عناصر الاضحاك .

وتكلمت في الفصل الثالث : العامية في القصة ، عن القصص التي كتبت بالعامية عقب الدعوة ، وكان للعمامة نصيب كبير في تأليفها . وهي كثيرة متنوعة : مذكرات ، وأحاديث ، وأقاصيص . ذكرت أمثلة منها ، واكتفيت بدراسة قصتين للوقوف على طابع العامية في طائفتين من العامة ، وهما : « مذكرات فتوة » ليوسف أبو حجاج و « مذكرات عرجي » لحنفى أبو محمود ، وقد شككت في صحة نسبة هاتين القصتين إلى مؤلفيهما .

ودرست في الفصل الرابع « العامية في الزجل » وزناً شعبياً كان للدعوة إلى العامية والدعوة إلى تمصير العربية أثر كبير في تطوره ، وهو الزجل . تتبعته في المراحل المختلفة التي مر بها قبل الدعوة وبعدها . فبينت كيف كان يسير مع الشعر العربي جنباً إلى جنب في بداية القرن التاسع عشر ، يطرق مواضعه ويصاغ بلغته ، وكيف أخذت لغته تقترب حيناً من الفصحى وحيناً من العامية في أواخر القرن التاسع عشر تبعاً لاختلاف الموضوعات التي كان يطرقها الزجالون والأهداف التي كانوا يرمون إليها ، ثم بينت بعد ذلك التطورات التي طرأت على الزجل بعد الدعوة ، من رواج يتمثل في كثرة دواوينه وانتشارها ، واتساع يبدو في تعدد موضوعاته وتنوعها ، وتدهور يبدو في لغته . ثم أشرت إلى دخول الزجالين في معركة الفصحى والعامية نادى فريق منهم بأن تكون لغة الزجل العامية صرفاً ، ونادى فريق آخر بوجوب ترقية لغة الزجل وسائر الأوزان الشعبية حتى تقترب من الفصحى . عرفت بكل فريق ودرست آثاره ، ثم أشرت إلى العوامل التي ماعدت على رقي لغة الزجل في نهاية الثالث الأول من القرن العشرين .

هذه الدراسات التي قمت بها خلال هذا الباب ، لهذا الانتاج العامي الغزير ، الذي لم يكن أغلبه إلا صدى للدعوة إلى العامية والدعوة إلى تمصير العربية ، قد مكنتني من الوقوف على حقائق كثيرة عن العامية ، فأكملت

بذلك المعلومات التي خرجت بها من دراسة المؤلفات اللغوية التي تناولت دراسة العامية .

وفي الباب الخامس والأخير « التجربة ترد للفصحى اعتبارها » الذي قسمته إلى أربعة فصول . تكلمت عن تجارب رواد أدبنا الحديث الذين مارسوا الكتابة بالفصحى والعامية ، وخرجوا من طول المراس بنتائج هي الدليل القاطع الذي يحسم النزاع بين الفصحى والعامية .

فأخذت أتبع هذه التجارب في فنين من فنوننا الأدبية ، لأنني وجدت أن الدعوة إلى العامية قد لقيت في أحدهما مقاومة شديدة وهو فن الشعر ، وصادفت في الآخر رواجاً كبيراً وهو فن القصة بأنواعها : القصة ، والأقصوصة والمسرحية . وكان لذلك أسباب اتضحت لي من دراسة انتاجنا الشعري والقصصي في هذا القرن .

بينت في الفصل الأول « في الشعر » موقف الشعر من قضية الفصحى والعامية ، ذلك الموقف الذي لم تتسن لي معرفته إلا بعد دراسة للمراحل المختلفة التي مر بها الشعر منذ بداية نهضتنا الحديثة حتى ذلك الوقت . وقد قسمتها إلى ثلاثة مراحل : ١ — المرحلة التي مر بها الشعر قبل البارودي . ٢ — المرحلة التي وجه فيها البارودي الشعر . ٣ — المرحلة التي سار فيها الشعر بعد البارودي .

وقد عنيت في دراسة كل مرحلة بالتعرف على ظواهر العامية في الشعر ، ورد كل ظاهرة إلى سببها ، لأنها لم تكن جميعاً نتيجة للدعوة إلى العامية . كما عنيت أيضاً بالتعرف على جهود الشعراء في تطويع الفصحى للتعبير عن المعاني العصرية ، ومعالجة الفنون المستحدثة التي لم يعرفها الشعر العربي القديم ،

وبالتعرف على آرائهم في لغة الشعر ، وموقفهم من الدعوة إلى العامية . وقد أتاحت لي هذه الدراسة معرفة أسباب عدم رواج العامية في الشعر .

وتكلمت في الفصل الثاني « في القصة » عن تجربتين في القصة استخدمت فيها العامية، وهما من أوائل تجاربنا الجادة في تأليف القصة . الأولى لمحمد حسين هيكل في قصة «زينب» ، والثانية لتوفيق الحكيم في قصة «عودة الروح» . عرفت بكل قصة ، وذكرت الأسباب التي دفعت مؤلفها إلى استخدام العامية ، كما بينت طريقته في استخدامها سواء في السرد أم في الحوار ، والنتيجة التي كشفت عنها تجربته في استخدام العامية .

وتكلمت في الفصل الثالث « في الأقصوصة » عن اثنين من كبار كتاب الأقصوصة، وهما: محمود تيمور، والمازني، لأن لهما موقفين مختلفين من العامية . استخدمها الأول في بدء تكوينه الأدبي ، واستخدمها الثاني بعد تمام نضجه وتكوينه . عرفت بأقاصيص كل منهما التي استخدمت فيها العامية ، وبينت الأسباب التي دفعت به إلى استخدام العامية ، وطريقته في استخدامها ، والنتيجة التي كشفت عنها تجاربه في هذا الميدان .

وتكلمت في الفصل الرابع « في المسرحية » عن التجارب التي أجريت في ميدان المسرحية المحلية ، لأنني وجدت بعد دراسة لانتاجنا المسرحي الذي استخدمت فيه الفصحى والعامية، أن المسرحية المحلية هي التي احتضنت العامية وآثرتها ، ولذلك كثرت الخلاف حول لغتها . ذكرت سبب هذا الخلاف وما ترتب عليه ، ثم تكلمت عن المحاولات التي بذلت لتطوير الفصحى في كتابة المسرحية المحلية : محاولة فرح أنطون في مسرحيته « مصر الجديدة ومصر القديمة » ، ومحاولة علي أحمد

باكثر فى مسرحيته « مسمار جحا » ، ومحاولة توفيق الحكيم فى مسرحيته « الصنفقة » .

وقد أتاحت لى دراسة التجارب التى عرضتها خلال هذه الفصول الثلاثة : فى القصة . فى الأقصوصة . فى المسرحية ، معرفة الأسباب التى أدت إلى رواج العامية فى الفن القصصى ، والتى لم يكن مرجعها إلى عجز الفصحى عن معالجة هذا الفن .

وأخيرا ذكرت فى الخاتمة النتائج التى حققها البحث ، وقررت على ضوءها مصير الدعوة إلى العامية . وأرجو أن أكون قد وفقت فى اظهار حقيقة هذه الدعوة الاستعمارية المغرضة التى استنفدت الكثير من جهدنا ووقتنا .

الاسكندرية فى : شوال ١٣٨٣
نفسه زكريا سعيد مارس ١٩٦٤

تمهيد

لغة لأدب أو الفصحى هي اللغة التي تستخدم في تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكرى عامة ، أما لغة الحديث أو العامية هي اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية ويجرى بها الحديث اليومى . ولأولى تخصص القوانين تضبطها وتحكم عبارتها، وإذنية لا تخضع لمثل هذه القوانين لأنها ذاتية متغيرة تتغير تبعاً لتغير الأحوال وتغير الظروف المحيطة بهم . ووجود العامية بجانب الفصحى على ما بينهما من اختلاف ، ظاهرة طبيعية في كل اللغات . وقد أثبت لنا وجود هذه الظاهرة في اللغات الأجنبية بعض علماء المشغولين بالدراسات اللغوية مثل الدكتور على عبد الواحد وافي^(١) والأستاذ جبر ضومط^(٢) . كما أثبتها في الفرنسية وأفرد لها كتاباً بأسماء « هنرى بوش » Bauche Henri^(٣) .

فليس وجود هذه الظاهرة إذن في اللغة العربية بالأمر الشاذ، ونحن لو تتبعنا تاريخ للغة العربية لوجدنا أن هذه الظاهرة تلازمها منذ أقدم عصورها . فاللغة

١ - أنظر كتاب فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي . طبع القاهرة الطبعة الرابعة سنة ١٩٥٦ وذلك في شرحه لظاهرة الازدواج اللغوى اص ١٤٧ - ص ١٥٥ .

٢ - أنظر مقال الأستاذ جبر ضومط في مجلة السيدات والرجال (٦ : ٤٤٩) عن العامية والفصحى في لغات أوروبا .

٣ - أنظر :

le langage Populaire Par Henri Bauche : Paris 1951.

وموضوع الكتاب هو دراسة اللغة العامية الفرنسية وبيان مدى اختلافها عن اللغة الفرنسية الأدبية . وينقسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين . الأول - يختص بالقواعد والتراكيب وطريقة النطق . والثاني - عبارة عن قاموس للغة العامية وما يقابلها في لغة الأدبية . يحتوى على عدد من الصفحات تبلغ ٦٦ صفحة وكل صفحة في عمودين

العربية التي انقسم المتكلمون بها منذ أقدم عصورهم إلى قبائل متعددة اختصت كل منها بلهجة متميزة عن الأخرى في بعض مظاهرها، كانت لهم لغة أدبية، ووحدة ذلك أن لهجة من لهجاتهم وهي اللهجة القرشية استطاعت أن تغلب على لهجات القبائل المتعددة بفضل ما كان لأهلها من سلطان ديني واقتصادي وسياسي، وبفضل ما كان لها من تفوق على سائر لهجات العربية من حيث غزارة المادة ورقة الأسلوب والقدرة على التعبير في مخزف فنون القول. وقد ترتب على تغلبها على بقية اللهجات العربية أن أصبحت لغة لأدب عند جميع القبائل العربية، وأصبح العربي أياً كانت قبيلته يؤلف شعره، خطابه ونثره بلغة قریش. وقد تمت له هذه السيادة الأدبية قبل نزول القرآن.

فما نزل القرآن بلغة قریش سر سيادتها وثبت دعائمها وقوى سلطانها، فبفضله زادت ضبطاً وإحكاماً وعزماً وسمت أغراضها وارتقت معانيها وأخيلاتها وأصاليبها. وبفضله ظلت لغة الأدب والكتابة حتى يومنا هذا وصار القرآن هو الحفظ لها من الضياع. معجزة لم تتفق غيرها من اللغات وستظل باقية على سيادتها ما بقي القرآن. « قرآن باق لقوله تعالى « أنا نحن نزلنا الذكر وإله خافنون » ».

هذه اللغة التي وصلت إلينا في عنفوان اكتمالها وعظمتها في أقدم ما وصل إلينا من آثارها وهو الأدب الجاهلي، هي اللغة التي يتحدث بها الناس كما أنها لم تكن بعيدة عنها بعد عمتنا عن عصرنا. كما يتضح فيما ورد في كتب النحو والأدب من شواهد عن اختلاف لهجات الحداثة العربية، تلك اللهجات التي غلبت على الرجز الذي انقطعت صلتنا بأهله وسأبيه لأنه كان صورة من لغة الحديث التي خضعت للتطور والتغيير^(١).

١ - أنظر خصائص الرجز والمظاهر التي تدل على شيمته في تعليق الدكتور محمد حسين =

فلما انتشر الإسلام وامتدت فتوحاته ازداد اختلاف لهجات المحادثة بسبب اختلاط العرب بالأعاجم وانتقال العربية إلى الأمصار واختلاف القبائل العربية انمازلة بتلك الأمصار واختلاف الشعوب بالأعجمية المجاورة لها . وكان من أول مظاهر ابتعادها عن الفصحى اللحن وهو أول أدواء العامية . قيل إنه ظهر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى أن رجلا لحن بحضرته فقتل : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » كما رويت أخبار كثيرة عن شيوع اللحن منذ القرن الأول في عصر الدولة الأموية واستهجان خلفائها وولاتها وأدبائها له .

فقد روى أن عبد الملك كان يحذر أبناءه من اللحن لأنه كان يرى أن اللحن في منطق الشريف أقبح من آثار الجدري في الوجه وأفح من أشق في ثوب نفيس . وروى أيضا أنه لم يكن يستعمل صيفا ملحونة حتى في المزاح وأنه كان يقدر الدقة في اللغة حق قدرها .

وروى أن ابنه مسلمة كان يحقت السائلين الذين يلحنون في لغتهم ، هذا ما روى عن خلفاء الدولة الأموية . أما وولاتها فقد كان منهم من يقيم وزنا كبيرا للعربية خاصة ، مثل الحجاج الذي روى أنه لم يكن يحرص على أن ينطق عربية فصحة فحسب ، بل كان يلزم بها المتصلين به ، ويزعم بعضهم أن كثير بن أبي كثير البصري الذي أراد الحجاج إكراهه على عمل يتولاه تخلص منه بأن أساء إلى أذنه بلحن فظيع في القواعد .

ولم يقل عن الحجاج في تعظيم العربية أيضا عمر بن هبيرة الذي كان واليا على العراق . فكان يرى أن من يحسن العربية أعلى من غيره مقاما في الجنة .

= على القصيدة رقم ٤٣ ص ٢٦٤ من ديوان الأعشى الكبير . نشر وتحقيق الدكتور محمد حسين طبع القاهرة سنة ١٩٥٠ .

ومن الشعراء الذين اتخذوا العربية الخاصة مقياساً للمفاخلة بين الناس رؤبة
(١٤٠ هـ) فقد قل في مدحه لبلال بن أبي بردة قاضي البصرة « فزت بقدي
مهرب لم يلحن » . وعلى النقيض من ذلك يحقر يحيى بن نوفل الحميري خالد بن
عبد الله القسري وإلى العراق في قوله :

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب^(١)

— فلما ازدادت لأدواء التي طرأت على اللسان العربي من أثر اللحن
والتحريف والدخيل اتجه علماء اللغة إلى كلام العامة محاولين إصلاحه لا تدوينه،
وألّفوا في ذلك عشرات الكتب منبّهين إلى لحن العوام والخواص الذين تطرق
الفساد إلى ألسنتهم . نذكر منها .

١ - ما تلحن به العوام . للكسائي (١٨٩ هـ) .

٢ - ما تلحن فيه العامة : لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب
الأصمعي (٣٢١ هـ) .

٣ - البهلاء فيما تلحن فيه العامة : ليحيى بن زياد الديلمي المعروف بالفراء
(٢٠٧ هـ) .

٤ - ما تلحن فيه العامة : لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١ هـ) .

٥ - لحن العامة : لأبي عبيدة (٢٠٩ هـ) .

٦ - لحن العامة لأبي عثمان بكر بن محمد المازني (٢٤٨ هـ)

٧ - لحن العامة : لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ)

٨ - لحن العامة : لأبي حنيفة أحمد بن داود الديفوري (٢٩٠ هـ)

(١) نظر هذه الأمثلة وشواهد كثيرة غيرها في كتاب المريمية . تأليف يوهان فوك
Johann Fuk ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار طبع القاهرة سنة ١٩٥١ . ص ٢٧ - ٣٠ .

٩ - لحن الخاصة : لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري (٣٩٥ هـ) .

١٠ - درة الغواص في أوهام الخواص : للإمام أبي القاسم الحريري (٥١٦ هـ)^(١) .

لم تكن هذه المؤلفات تهدف إلى دراسة العامية لذاتها كما فعل المستشرقون ومن هذا حذوهم في عصرنا بل كانت تهدف إلى خدمة الفصحى عن طريق تقويم السنة العامة وتصحيح أخطائهم . لأن العلماء كانوا في ذلك الوقت يعتبرون العامية تحريفا للعربية الفصحى لا لغة جديدة تختلف عن الفصحى اختلافا جوهريا ولذلك كانت مؤلفاتهم فرع من دراساتهم للفصحى ومن خدمتهم لها . وحق فظاتهم عليها سادة من التحريف واللعن والادخيل . ولم يشذ عن منهجهم إلا ابن خلدون حيث نظر إلى العامية في مقدمته نظرة قريبة من نظرة المستشرقين في عصرنا .

وعاشت العربية الفصحى بجانب العامية في ذلك الوقت دون أن يحدث بينهما تنافس أو مزاحمة . إذ اقتصرت كل منهما بميدان . احتلت العامية ميدان التعامل في الحياة والتعبير عن الحاجات المادية والوقفية ولم تطمع قط في أن تكون لغة للأدب الرفيع إلا فيما يكون من أغاني العامة وقصصهم وحتى هذه لم تكن بعيدة عن الفصحى . واحتلت الفصحى ميدان الأدب لا يزاحمها فيه مزاحم إلا ما يكون من خطأ الكتاب والشعراء عن غير عمد منهم إلى إدخال العامية في كتاباتهم أو شعرهم ، أو ما يكون من رغبتهم في النظر في المداعبة ، أو ما يكون بسبب ضعف في الثقافة العربية وخاصة في عصور انحطاط اللغة العربية التي بدأت

(١) أنظر مجموعة مؤلفات القدماء في اللهجة العامية العربية أو الدخيلة والمعربة في مقالين للأستاذ عيسى أسكندر المعلوف عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الأولى في مجلة مجمع اللغة العربية ج ١ - ١٩٣٤ ص ٣٥٢ طبع القاهرة سنة ١٩٣٥
والثانية في مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ - ١٩٣٦ ص ٣٤٩ طبع القاهرة سنة ١٩٣٧

بإكتساح السيل المغولي لخلافة بغداد سنة ٦٥٦ هـ وامتدت إلى آخر القرن التاسع عشر .

من هذه المعجزة السريعة يتضح لنا أن العامية ظاهرة في كل اللغات . وأنها لازمت العربية منذ أقدم عصورها دون أن تزحزحها عن ميدانها الأدبي . وأن إهتمام العلماء القدامى بدراساتها كان جزءاً من إهتمامهم بالفصحى .

لكن هذه الظاهرة أرى وجود الفصحى والعامية في اللغة العربية اعتبرت في عصرنا مشكلة أرجع إليها أسباب تأخر أبناء العربية واقترح حلها إتخاذ العامية لغة للأدب والكتابة حتى تكون لغة واحدة للحديث والكتابة . قد تبدو هذه الدعوة غريبة في ذلك العصر الذي نعتبره عصر أحياء اللغة العربية والذي نرى فيه القومية العربية تزدد تماسكاً ورتباطاً . ولكن هذه الغرابة لا تلبث أن تزول عندما نعرف أن مصدر هذه الدعوة أجنبي كما اتضح لي من دراسة الكتب الأجنبية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية بخاصة ما كان منها في أوائل عهد الاحتلال البريطاني في مصر .

الباب الأول

الدعوة الى العامية فى اصوامها الأولى

من مصادرها الاجنبية

الفصل الاول المؤلفات الاجنبية التى تناولت دراسة لهجة المصرية

الفصل الثانى الأثر العامية لى قام الأجانب بتسجيلها ونشرها

الفصل الثالث المحاولات التى قام بها الأجانب لادخال العامية فى نماذج أدبية رفيعة
وعلمية



الفصل الأول

المؤلفات الأجنبية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية

اهتم الأجانب بدراسة اللهجات العربية العامية منذ القرن التاسع عشر وكان لهذا الاهتمام مظهره :

١ - إندخلهم تدريس اللهجات العامية في مدارسهم وجامعاتهم :

ادخلوا تدريس اللهجات العربية المحلية في مدارسهم وجامعاتهم وأنشأوا مدارس خاصة لدراسة هذه اللهجات مستعينين في ذلك بالشرقيين الذين كانوا يعملون في بلادهم وبالمستشرقين الذين كانت لهم معرفة باللهجات العربية المحلية ودراسات فيها .

ففي إيطاليا درست العربية العامية في (مدرسة نابولي للمدرسة الشرقية) التي أنشئت سنة ١٧٢٧ وجددت سنة ١٨٨٨ .

وفي النمسا أنشئت مدرسة في فيينا سنة ١٧٥٤ أطلقوا عليها اسم (مدرسة القناصل) لأنها كانت تعلم القناصل لغات الشرق ومنها العربية مهمة باحثيها العامية ^(١) وكان من مدرسيها في القرن الماضي حسن المهري الذي ألف كتابا في العامية المصرية سنة ١٨٦٩ هو « أحسن النخب في معرفة لسان العرب » ^(٢) ثم أسست سنة ١٨٥١ مدرسة للهجات الشرقية .

(١) لا يخفى الهدف الاستعماري من تدريس العامية في هذه المدرسة وهو إمكان التفاهم بها في مستعمراتهم وإستغلالها في التجسس والاتصال بالعامية .

(٢) لم أعتز على هذا الكتاب ولكنني وجدت كتابا بنفس العنوان لمحمد هياذ الطنطاوي ١٨٤٨ وسبقني الكلام عنه ذيل بعد .

وفي فرنسا درست اللهجات العربية العامية في آخر الثالث الأول من القرن الماضي في (مدرسة باريس للغات الشرقية الحية) التي أنشئت سنة ١٧٥٩ وكان أول من قام بتدريسها المستشرق الفرنسي سلفستردى ساسي مستعينا بميخائيل الصباغ السوري الذي شاركه في تدريس العربية ولهجاتها المحلية في تلك المدرسة والذي ألف كتابا في العامية المصرية والشامية بعنوان «رسالة التهمة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج» (سنة ١٨٨٦).

وفي روسيا أنشئت مدرسة لازارف Lazarev الأكاديمية للغات الشرقية في مدينة موسكو الروسية سنة ١٨١٤ م وكانت تعلم العربية ولغات الشرق الأخرى وكانت هذه المدرسة فرعا من الجامعة الإمبراطورية في بطرسبرغ (ليننغراد الآن) وكان الشيخ محمد عياد الطنطاوي تلميذاً للعربية فيها. فساعد وجود هذا الأستاذ على الاعتناء بالعربية العامية. وله مؤلف في العامية المصرية بعنوان «أحسن النخب في معرفة لسان العرب» (سنة ١٨٤٨ م) وفي سنة ١٩٠٩ خصصت فرعا لها لتدريس العربية ولهجاتها العامية.

وفي ألمانيا أنشئ مكتب كبير في براين لتدريس اللغات الشرقية ومنها العربية ولهجاتها المحلية. وكان من المدرسين فيه للعامية المصرية الدكتور أحمد والي وللعامية الشامية أمين مهر بس والدكتور مارتن هرتمن الألماني الذي كان يعمل فصيلا ببلاده في بيروت.

وفي المجر أنشئت الكلية الملكية لعلوم الاقتصاد الشرقية ودرست اللهجات ومنها العربية وذلك سنة ١٨٩١ م.

وفي إنجلترا: أنشئت جامعة لندن في أوائل القرن التاسع عشر فرعا فيها لتدريس العربية الفصحى والعامية، وكان من مدرسيها حبيب أنطون الساموني اللبناني، ولما ذهب أحمد فارس الشديق إلى لندن اقترحت عليه المدرسة تأليف

كتاب في العربية المحكية أى العامية فوضمه باللغة، الانجليزية فى لندن وهو «أصول اللغة العربية المحكية» سنة ١٨٥٦^(١).

٢ - إهتمامهم بالتأليف فى اللهجات العامية :

وكان من نتيجة إهتمامهم بادخال تدريس اللهجات العربية العامية فى مدارسهم وجامعاتهم ظهور كتب كثيرة فى اللهجات العربية العامية منها ما ألفها أبناء العربية بإيعاز منهم سواء فى العربية مثل كتاب «أحسن النخب فى معرفة لسان العرب» لمحمد عياد الطنطاوى وكتاب «الرسالة التامة فى كلام العامة والمهجج فى حوال الكلام الدارج» لميخائيل الصباغ، أم فى لغاتهم مثل كتاب «أصول للغات العربية المحكية» لأحمد فارس الشدياق . ومنها ما قاموا هم أنفسهم بتأليفها، وهى كثيرة اختص كل منها بدراسة لهجة من لهجات الأقطار العربية مثل اللهجة المصرية والسورية والعراقية والتونسية والمراكشية . . .^(٢)

- ١ - أنظر تاريخ دراسة اللهجات العربية فى مدارس أوروبا وجمعته فى مقال الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف بعنوان «اللهجة العربية العامية» نشره فى مجله مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ٣ ١٩٣٦ ، ص ٤٩ - ص ٣٧١ .
 - ٢ - وجدت الكثير من هذه الكتب فى المكتبة اتيمورية بدار الكتب أذكر منها .
 - ١ - كتب لهجة بغداد العامية - تأليف نوري ماسنيون - مؤلف بالفرنسية طبع مصر سنة ١٩١٢ م رقم ٣٢١ .
 - ٢ - لغة بيروت العامية - تأليف أمانويل ماسنون مؤلف بالفرنسية سنة ١٩١١ م رقم ٣٢٠ لغة .
 - ٣ - لغة مراكش العامية وقواعدها - تأليف Ben Smail مؤلف بالفرنسية وفيه نبد عربية ١٩١٨ م رقم ٣٨٠ لغة .
 - ٤ - قواعد العامية الشرقية والفرنسية - تأليف كورنيل دورسفال مؤلف بالفرنسية وفيه نبد عربية ١٨٥٨ م رقم ٣٤٥ لغة .
 - ٥ - عرسة مراكش - تأليف Louis Marcier مؤلف بالفرنسية طبع باريس سنة ١٩٢٥ م رقم ٤٧٧ لغة .
 - ٦ - عامية دمشق - تأليف Berj traser مؤلف بالألمانية طبع هانوفر سنة ١٩٢٤ م رقم ٤٧٦ لغة .
- هذا إلى ما وجدته فى دار الكتب من الكتب التى تناولت دراسة اللهجة المصرية والتى سيأتى ذكرها فيما بعد .

هدفهم من دراسة اللهجات العربية المحلية :

هذه نظرة عاجلة عن اهتمامهم باللهجات العربية عامة . هذا الاهتمام الذي أثمرنا إلى بعض مظاهره والذي سنرى كثيرا من مظاهره في دراساتهم للهجة المصرية التي عنيت بتتبع آثارهم فيها من كتب ألغت في قواعدها، ومن محاضرات ورسائل ألغت للدفع عنها وعن صلاحها للاستعمال الكتابي . ومن كتب جمعت فيها آداب . ومن محاولات بذلت لادخالها في نماذج علمية ودينية رفيعة . وقد أرشدني البحث في دراساتهم للهجة المصرية وما بذلوه من جهود لضبطها وتدعيمها والدفع عنها إلى السبب لتحقيق في اهتمامهم بدراسة اللهجات العربية العملية . فهذا الاهتمام لم يكن من أجل البحث العلمي كما يزعمون ، ولأنهم أجل حاجتهم إلى معرفة اللهجات البلاد العربية التي تقتضى مصالحتهم أن يعيشوا فيها ويتكلموا مع أهلها ، وإنما من أجل القضاء على العربية الفصحى وإحلال العامية محلها . هذه هي الحقيقة التي سنبدونها واضحة صريحة خلال فصول هذا الباب الذي سنتبع فيه دراساتهم للهجة المصرية وما ترتب على تلك الدراسات من نتائج .

المؤلفات العربية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية بإيجاز من الأجانب :

استعان الأوروبيون أولا بن يعلمون في بلادهم من المصريين أو السوريين الذين عاشوا في مصر للتأليف في اللهجة المصرية . فكان من أول ما وصلنا في القرن الماضي عن اللهجة المصرية كتاب «أحسن النخب في معرفة لسان العرب» لمحمد عياد الطبطبائي الذي كان يقوم بتدريس العربية ولهجاتها في جامعة بطرسبرج في روسيا ، وكتاب « الرسالة القامة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج » لميخائيل الصباغ الذي كان يقوم بتدريس العربية ولهجاتها في مدرسة

باريس للغات الشرقية الحية مع المستشرق الفرنسي دي سامي^(١) .

أما الكتاب الأول « أحسن النخب في معرفة لسان العرب »^(٢) .

فقد قدم له المؤلف بمقدمة بالفرنسية أشار فيها إلى أن الدافع الذي حمله على تأليف الكتاب هو الرغبة في تسهيل دراسة العامية في مصر على الطلاب الأجانب الراغبين في دراستها ، وإلى نفوذ العامية في مصر وكيف صار عامة الناس وخاصتهم لا يتحدثون إلا بها ، حتى أن العلماء أنفسهم يستخدمونها في شرح المؤلفات التي كتبت بالعربية الفصحى . وساق نواذر قيلت في السخرية من الأشخاص الذين يستخدمون الفصحى في الحديث والذين يطلق عليهم اسم (المحفلطين) ثم ذكر أمثلة من الاختلافات التي بين الفصحى والعامية . اختلافات في القواعد النحوية ، كعدم تقيد العامية بحركات لأعراب إلا في مثل قولهم (سلام عليكم) ينظفون الضمة بدون تنوين على عكس قاعدة العامية والفصحى ، واكتفاءها بصيغة واحدة للجمع المذكر والمؤنث وعدم تغير هذه الصيغة في حالات الرفع والنصب والجر ... الخ .

أما الكتاب فقد كتبه بالعربية مع ترجمة بالفرنسية ، وقسمه إلى خمسة أبواب :

الباب الأول - في القواعد (الأسماء ، الأفعال ، الحروف ، العدد ، أسماء الإشارة الخ ...)

الباب الثاني - في الجمل (جمل تقال في الدعاء ، في التهنتة ، في المرض ...)

(١) أنظر ترجمة ميخائيل الصباغ في معجم سركيس ج ٢ ص ١١٩٢ وفي مجلة المشرق.

ج ٨ ص ٢٩ .

(٢) طبع ليونج ١٨٤٨ م تأليف محمد عباد الطنطاوي .

الباب الثالث - في الأمثال (الأمثال التي يتداولها العامة في مختلف المناسبات ...)

الباب الرابع - في مراسلات (هورة كناية خطاب ، صورة للرد على خطاب ، رسائل إخوانية ...)

الباب الخامس - في المواريل (منها ما جمعها مما يتغنى به العامة ومنها ما ألفها بنفسه ...)

والكتاب الثاني « الرسالة التمهيدية في كلام العامة والمنهج في أحوال الكلام الراجح »^(١) :

وهو يجمع بين دراسة العامية المصرية والشامية ،

قدم له مؤلف بمقدمة تاريخية أشار فيه إلى أسباب اختلاف العامية عن العربية الفصحى ، وإلى المدافع له على تأليف الكتاب ، واصفها بآلات التي صدقته عند التأليف ، والمنهج الذي سار عليه . فيقول في أسباب اختلاف العامية عن العربية ، وكانت هذه العامية في نظره تحريفة للعربية الفصحى لآلة جديدة كما زعم بعض مؤلفي الأفرنج من بعده : .. وبعد فنه ، أصبحت اللغة العربية للدارجة بين أهلها غير المدونة في كتبها للاختلاف الذي دخل عليها من أسباب شتى : أولاً لدخول العرب في بلاد غير بلادهم ولقبتهم مع من يتكلم بغير لغتهم من الداخل عليه والداخل عليهم ثم ولبعض لغات كانت بهم طبعاً قبل ذلك ، وأيضاً لاصطلاحات اصطلاحتها العامة للإيجاز أم للظرف أم لاستدراج درج لسانهم عليه من غير تعمد

(١) تأليف ميخائيل الصماغ طبع ستراسبورج ١٨٨٦ م وهذا الكتاب وإن كان قد جاء متأخراً عن الكتاب الأول في تاريخ الطبع ، لا أنه قد سبقه في تاريخ التأليف ، إذ ألف سنة ١٨١٢ م كما أشير إلى ذلك في الكتاب .

فاستعملود فصارت من ذلك اللغة العربية المتداولة بين العامة بينها وبين اللغة الأصلية بون كبير وفرق كثير . فلهذا أصبح الغريب الذي قد اعتنى بهذه وبنح كنهه وفاق في درسه حده وأخذ لغتنا عن السكتب المدونة حتى صار الملامة اللزوع والذي يشار إليه بالأصبع إذا اتفق وجوده بين اثنين من عامتنا يتخاطبان أو سمعها . يتذحيان ، قل أن يفهم منهما كلمة إلا ميمزه في كلامهما من بعض مطيع النعمة » .

ثم شير إلى الرفع له على تأليف الكتاب والصعوبات التي صادفته عند تأليفه فيقول « فالتزم كثيرين ^(١) من أهل هذه البلاد المنصبين لتعليم هذه اللغة (يعنى العامة) قصدوني مرارا لكي أضع لهم قانونا يوضح الفرق بين تلك المدونة في الكتب وبين هذه الدارجة بين العامة . وكان السير في هذا الطريق عسيرا لعدم وجود كتاب سبق تأليفه بهذه الاصطلاحات يستعان به أو يسند في هذا الأمر إليه إلى أن نحني ذو الحجي أليوس بقطر الأسيرطلى فأتممت » .

ثم يشير إلى منهجه في تأليف الكتاب وهو يقوم على تسجيل خصائص العامة فقط لأنه يرى أن المستشرقين قد تكفلوا من قبل ببيان خصائص العربية الفصحى ونبتهز هذه الفرصة ليجامل المستشرقين وبشيد بدراساتهم في العربية حتى أنه يفضاهم عن أوائل النحويين من أمثال سيبويه والفراء .

فيقول : « فأتيت على أن أوضح في رسالتي هذه جميع الاختلاف الذي حدث في لغتنا من حذف بعض الحروف في بعض الالفاظ أو من زيادة أو من كلمة تكون غريبة من لغتنا استعملوها العامة أو كلمة درجت بها . نستهم من غير

(١) الأخطاء اللغوية والنحوية التي وردت والتي سترد في النصوص المقتبسة هي كما جاءت في الأصل .

أصل لها، وكيف لحظه في الضمائر على اختلاف أشخاصهم وتقديمهم وتأخيرهم وماشابه ذلك بحيث نرى لست ملتزما أن أبين فيها قواعد العربية إلا إذا اضطررت في ذلك لشيء منه . والسبب لأن حضرة مولانا صاحب المقام السامي والسودد المتسامى صاحب الشرف الباذخ والمجد الراسخ ، عمدة المدققين المتكلمين في اللغات العربية والعجمية على اختلافها واتلافها أحد علماء فرنسا المكرم وقاضى قضائها المعظم مولانا الأستاذ العلامة دى ساسى قد أودع أجروميته من نحو العربية وصرفها ما قصر سيديويه والفراء عن أمثالها في بضاح معانيها ودقة قواها وحقيقة أمثالها . . . ولأجل ذلك ووصفت في رسالتي هذه الاقواعد الكلام الدارج بين العامة فقط . ثم أنشأت عليهم بعد أن استوعبتها ربي طرق سمعها كمة غريبة . فعذرنا أننا النقطة من قول المتخاطبين ومناجاة المتجبن لا من كتاب سبق في ذلك فتتقدمه أو أحد تقدم في هذا فعمدناه . . » .

أما الكتاب فبقسمه إلى عشرة أبواب :

- ١ - العربية قبل الإسلام وبعده . ٢ - في الحذف
- ٣ - في زيادات ٤ - في الإدغام
- ٥ - في الضمائر على اختلاف أشخاصها ٦ - في الأسماء
- ٧ - في الأفعال ٨ - في الحروف
- ٩ - في التقديم والتأخير ١٠ - في الألفاظ الغريبة وأصولها

ويختتم الكتاب ببحث آخر يقسمه إلى قسمين :

- ١ - في الكلمات العربية الصحيحة المتداولة في العامية الشامية والعامية المصرية .
- ٢ - في لغة التخاطب في الشام ومصر قبل مجيء الإسلام وبعده .

هذان الكتابان اللذان طبعا في بلاد أجنبية وأثرا بإيعاز من الأجانب لم يترتب على ظهورهما أية خطورة على حياة العربية الفصحى ، ذلك لأن المؤلفين وهما من أبناء العربية قد اكتفيا بتسجيل خصائص العامية ، بدافع من الرغبة في تسهيل دراستها على الطلاب الأجانب لمعنيين بمعرفتها كما هو واضح من محتويات الكتابين وأهدافهما ، ولذلك آثرت أنشير إليهما قبل البدء في دراسة المؤلفات الأجنبية التي تناولت دراسة العامية ، لأين أن روح اندماء للعربية الفصحى والرغبة في قصائها عن الميدان الأدبي لم تنتشر إلا عن طريق الأجانب واستعلاهم لدراسة العامية في بث هذه الروح بين أبناء العربية .

المؤلفات الأجنبية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية :

ولم نكدر نشر على نهاية القرن التاسع عشر حتى أخذ الأوربيون يطالعوننا بدراساتهم في العامية المصرية . وأخذت كتبهم ورسائلهم تنال في الظهور . وكان معظم الدارسين من الأوربيين الذين عاشوا في مصر وتولوا فيها مناصب عالية ، وخاصة إبان عهد الاحتلال البريطاني في مصر . منهم الدكتور وهلم سبيتا الألماني الجنس Dr.Wilhelm Spitta الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية .

ومنهم الدكتور « كارل فولرس » الألماني الجنس « Dr K. Vollers » وكان مديراً أيضاً لدار الكتب المصرية ، كما أنه أهد كتاب دائرة المعارف الإسلامية (مادة لأزهر) وسلدن ولور J. seldon willmore . (الإنجليزي الجنس) وكان قاصياً بالحكم الأهلية بالقاهرة و « بأول A. pawel » (الإنجليزي الجنس) وكان قاضياً بالحكم الأهلية بالقاهرة ووليم واليكوس williams willcoks (الإنجليزي الجنس) وكان مهندساً الري بالقاهرة .

— كتاب « قواعد العربية العامية في مصر » للدكتور ولهم سبيتا: (١)

يعتبر الدكتور ولهم سبيتا الرائد الأول لكل من كتب في العامية المصرية من الأجانب، ففي سنة ١٨٨٠م وضع كتابا في الألمانية عن « قواعد العربية العامية في مصر » ومن هذا الكتاب نبشت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، ومن هذا الكتاب انبثت الشكوى من صعوبة العربية الفصحى. وفي هذا الكتاب أيضا وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية تلك الحروف التي نودي باستخدامها فيما بعد.. لكتابته العربية الفصحى.

فهذا الكتاب الذي يعتبره الباحثون أول محاولة جديّة لدراسة لهجة من اللهجات العربية المحلية هو الذي خنق في الحقيقة معظم مشاكتنا لأدبية والنغوية التي استغندت بجهلنا ووقتنا في هذا العصر.

— قدم المؤلف لكتابته مقدمة أشار فيها إلى سعة إلمامه بالعامية المصرية التي أصبحت بنسبة إليه لغته الثانية نظول مدة إقامته في مصر وممارسته لملغها أهلها.

وتكلم عن الصعوبات التي صادفها عندما أراد أن يدرس العامية في مصر.

(1) Grammatik des Arabischen Vulgärdialectes Von Aegypten, Von Dr Vilhelm Spitta — Bey — Leipzig — 1٩00

وهو النسخة الوحيدة التي وجدت في دار الكتب تحت رقم ٢٨٤ ألفة. استغندت بالدكتورة عزة كرامة مدرسة اللغة الإنجليزية بكلية آداب جامعة الاسكندرية في ترجمة مقدمة الكتاب. كما أن جزءاً من هذه المقدمة قد ترجم إلى الإنجليزية في كتاب ولهم الذي سنتكلم عنه فيما بعد. أما النصوص الكثيرة التي تضمنها الكتاب فقد أمكنني قراءتها لأنها عربية كتبت بحروف لاتينية وذلك بعد أن رجعت إلى الجدول الذي بين فيه الحروف اللاتينية التي اقترحت لكتابة العامية.

أولاً - الصعوبة الأولى هي عدم وجود أدب لهذه اللغة ، وأنه لم يجد من أدبها سوى المجلة الهزلية «أبو نظارة زرقاء» وبعض المسرحيات التي أغلبها مترجم عن الفرنسية . وهذه في رأيه لا تسمح بمجال واسع لاستيفاء المادة لأن الفكرة التي وراء هذا العمل محدودة جداً . ولأن المسرحيات لا تنطبق مع تفكير الشعب ، كما أن المترجمين لم يستطيعوا أن يتخلوا كلياً عن بعض التعبيرات العربية لفصحى فعلى عادة الشرقيين يحاولون تزيين أسلوبهم به^(١) .

وهو يعتبر أن هذه الصعوبة هي أكبر الصعوبات التي صادفها ، لأن اللغة التي ليس لها أدب هي مثل الجسم المفكك إذا نظرنا إليه من بعيد يظهر كشيء صلب متماسك . لكن إذا حاولنا لمسه ظهر على طبيعته اللينة التي سرعان ما تنهار من كل جانب .

ثانياً - الصعوبة الأخرى هي أن تركيب الكلام لا يزال مذبذبا يختلف من نطق إلى نطق . وكذلك الحروف المتحركة cweles : تختلف باختلاف الأشخاص . كل واحد له طريقة في النطق فمثلاً شخص يقول (ورا) وبطل فيها وآخر يقول (ور) ، ذلك لأن المصريين - كما يقول - يتكلمون بالطريقة التي يريدونها ولا يرغبون أن يتنعوا بأن هناك شكلاً نظرياً يفضلونه على شكل آخر ، ولو أنهم عملياً يفرقون تجربة واضحة بين اللهجات ويتفكرون كثيراً على الإقباط والأجانب الذين لا يحسنون التكلم بالعربية :

- وتكلم عن الجهود التي بذلها لكي يتغلب على هذه الصعوبات ، فذكر أنه قد عث في حي وطني لكي يستقي اللغة من منابعها الأصيلة . بأنه كان لابدون

١ - ليس هذا هو السبب - بل السبب هو أن التفكير حين يرتقي مستواه لا تسفه الأساليب العامة لضيقها وعدم كفايتها ، فلا يجد بداً من المجرة لفصحى التي مرت قروناً طويلة على التعبير عن الفكر العالي وللفن الرفيع .

إلا ما يسمعه بأذنه ، وأنه كان يدرون ما يسمعه بأذنه على كم قبيحه خوفا من أن يلاحظه أحد المتكلمين فيفقد طبيعته وحرية في الكلام . ثم عاد ليعترف بأنه رغم هذه الجهود لم يستطع الإلمام بالعامية المصرية لتعدد لهجاتها واختلافها من بلد إلى بلد ومن حي إلى حي ، وأنه من المحل أن يلم بكل لهجاتها بل إنه من المحال أيضا أن يلم باللهجات المتعددة المختلفة في نحاء القاهرة نفسها . ولذلك فقد رأى أن يقتصر على دراسة لهجة القاهرة بصفاتها العاصية المصرية ، ولأنها أكثر ملائمة من غيرها . واعترف بأن اسم كتابه كان يجب أن يكون « قواعد اللغة العامية العربية التي يتحدث بها أهل القاهرة » . بدلا من « قواعد العربية العامية في مصر » .

- وانتقل بعد ذلك إلى الكلام عن فتح العرب لمصر (١٩ هـ - ٦٤٠ م) وانتشار لغتهم بين أهلها وقضائها على اللغة ، القبطية ، لغة البلاد الأصلية التي لم يبق من آثارها سوى بعض المفردات .

- ثم تكلم عن منهجه في البحث مبينا كيف كانت اللغة التي أخذها عن لسان الشعب هي قوام بحثه ، سواء فيما أسند بظه من قواعد أم فيما أورده من نصوص (قصص ، فكاهات ، أمثال ، مواويل ، إلخ ^(١)) وذكر أسماء الذين أعادوه بذلك النصوص وهم من عامة الشعب ، وذكر كذلك المحاولات التي قام بها لشرح

(١) من الطريف أن هذه النصوص التي اتخذها نموذجا لكلام العامة لم تخل من كلمات فصيحة لا تجرى في العادة على ألسنة العامة . كما أنها كانت تكتب أحيانا بفتح الفاء وهو لا يوفق دق العامة من قوله (لسه مش خلاص) .

أنظر الحكاية الأولى (قسم الحكايات) ص ٤٤١ . وكان ولمور مؤلف كتاب « العربية الحكيمية في مصر » الذي سيأتي ذكره في هذا الكتاب . بعد أن أحياء من يدر في كتب العربية رفق بفتح هو فيقول (مويه) بدل (ميه) كما يقول العامة .

الغرائب النحوية التي وجدها في اللهجة المصرية ، وهي لا تخرج عن إطار اللغات السامية .

وإنما اختتم المقدمة بالفكرة التي راودته طويلاً كما يقول ، وهي إتخاذ العامية لغة رسمية ، تلك الفكرة التي ذهب في تأييدها كل مذهب ، تارة بالذيل من العربية الفصحى وتارة بالإشارة بالعامية التي بذل كل هذا الجهد في إستنباط قواعد لتتألف منها لغة ثابتة صلاحها للإستعمال الكتابي . وقد فصلت أن ألقاها بنص ترجمتها يقول : " إنني أرى أن زحف بالتصريح عن الأمل الذي راودني على الدوام طوال مدة جهدي في هذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ، وليس أمراً هو بالنسبة إليّ شخصي ، إنما يكمن في أن يكون مسألة حياة أو موت . ففكرت من عيش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى شيء حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة .

ففي مثل تلك الظروف (أي وجود الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة) لا يمكن ملاحظة التفكير في ثقافة شعبية . إذ كيف يمكن في فترة التعليم الأولية أي التمهيد أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جداً كاللغة العربية الفصحى ، بينما يعاني انشباب في المدارس الثانوية عذاب دراستها خلال سنوات عدة دون أن يصلوا إلى شيء ، اللهم إلا نتائج لا ترضى بها ، ؟ .

وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا .

ومع ذلك (يعني مع صعوبة اللغة والكتابة) فكم يكون الأمر سهلاً لو أتيح للطالب أن يكتب بلغة إن لم تكن هي لغة الحديث الشائعة فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة ، بدلاً من أن يجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة إلى الجيل الحالي من المصريين مثل غرابة اللغة اللاتينية بالنسبة

إلى الإيطاليين ، أو مثل غرابية اللغة اليونانية القديمة بالنسبة إلى اليونانيين (١) .

والتزام الكتابة بالعربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور . لأن الطبقة المتعلمة القليلة العدد هي وحدها التي يمكن أن يكون الكتاب في متناول يدعا . أما بالنسبة إلى جماهير الناس فالكتاب شيء لا يعرفونه بشيء . فإذا احتاج رجل عادي من عامة الشعب إلى كتابة خطاب أو تنفيذ وثيقة ، عليه أن يضع نفسه وهو مغض العيين تحت يدي كاتب محترف ، ويجب عليه في ثقة عمياء أن يختم أهم الأوراق بختم لا يمكنه أن يقرأه ومن الممكن تقليده بل ويقلد في بعض الأحيان (٢) .

— فماذا لا يمكن تغيير هذه الحالة المؤسفة إلى ما هو أحسن ؟ ببساطة لأن هناك خوفاً من تهمة القسوة على حرمة الدين إذا تركنا كلية لغة القرآن . ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن في أي قطر . فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة فهي اللغة العربية الوسطى أي لغة الدواوين .

وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يقلقها تبني لغة الحديث العامية إذ أن لغة الصلاة والطقوس الدينية الأخرى سنظل كما هي في كل مكان (٣) .

(١) إختلاف العامية عن الفصحى لم يؤل يوماً ما إلى عجز العامة عجزاً مطلقاً عن فهم الفصحى . ولذلك لا يجوز قياس العربية على اللاتينية لأن اللاتينية تعتبر لغة أجنبية بالمسبة للهجتها العامية التي أصبحت لغات حديث وكتابة ، ولأن الظروف التي مرت بها اللاتينية غير تلك التي مرت بها العربية ، ولأن اللاتينية لم تعجز بالقداسة التي حظيت بها العربية بهفتها لغة دين سماوي .

(٢) مرجع هذا إلى التقهقر الاجتماعي وما نتج عنه من إنتشار الأمية ، لا إلى صعوبة العربية الفصحى .

(٣) هذا زعم باطل لأن الناس إن اتخذوا العامية أصبحت لغة الطقوس الدينية لغة مجهولة وصبح ترديد الناس لها ترديداً آلياً مما يدعوهم بعد قليل إلى الانصراف عنها كما انصرف المسيحيون في مصر عن تلاوة صلواتهم باللغة القبطية .

وهم يؤكدون أن العربية الجديدة (بمعنى العامية) غير جديدة . مطلقاً بأن
تعتبر لغة القلم لأنها لا تسير على قواعد محدودة وتنساب هكذا بدون حواجز
نحوية . وأجازف بلاعتقاد بأن كتابي هذا يثبت أن لغة الشعب ليست خالية
من النظام والقواعد إلى الحد الذي يتصوره خصومها . فهم على العكس من ذلك
تزدحم بطرائف نحوية ، وأن ما تنطوي عليه من بساطة في تركيب الجمل ومن قابلية
للتشكل في صيغها الفعلية . هي التي ستجعل منها أطوع أداة للاستعمال (عوامل القوة
في العامية هي نفسها عوامل الضعف في الرأي المعارض) .

وهل كانت اللغة الإيطالية تبدو أكثر أرهاصاً بمستقبل عظيم حينما كتب
بها دانتي كرميديته الإلهية ؟ أو ليس من السهل أن تقوم هيئة من كبار العلماء في
مصر بذلك العمل (أي بوضع قواعد للعامية وترتيبها) لتؤديه على نحو أحسن
مما أفعله - أنا الأجنبي - الذي لم يبد لي الأمر من الصعوبة بحيث لا يمكن
تناوله ^(١) . » .

هذا ما جاء في مقدمة كتاب « سبيتا » التي كشفت كما رأينا عن هدفه من
تأليف الكتاب وعن المحاولات التي بذلها لتحقيق هذا الهدف .

أما الكتاب فيشتمل على أربعة أجزاء .

الأول - في طريقة النطق (نطق العامية بالحروف اللاتينية التي استنبطها
الكتابتها) .

الثاني - في أجزاء الكلام .

الثالث - في تركيب الجمل .

الرابع - في النصوص . (قصص ، فكاهات ، مواويل ، أمثال) .

وتدور دراسته في هذه الأجزاء لأربعة حول العامية التي دأب على اتخاذها لغة أدبية .

هذه الدراسة كانت هدف الباحثين لأوربيين فحينئذ لم تكن دراسة اللهجة المصرية بعد مبدئية وإن اختلفت حماساتهم وأسمائهم في ترجمتها .

كتاب « اللهجة العربية الحديثة في مصر » للدكتور كارل فولرس :

وفي سنة ١٨٩٠ وضع الدكتور كارل فولرس كتاباً عن اللهجة المصرية الحديثة في مصر ورجعه إلى الإنجليزية سنة ١٨٩٥ ف.س. بوركيت^(١) . وقد نهج فولرس في كتابه نهج « مبدئية » فاستبعد حروف اللاتينية لكتابة العامية ودرس قواعدها وأورد كثيراً من نصوصها .

قدم لكتابه بمقدمة تكلم فيها عن اللهجات العربية الحديثة وتعددتها بتعدد الأقطار التي انتشرت فيها العربية ، وعن وجوب دراسة اللهجات لاتصال حالة انحطاط وتدهور للغة العربية الفصحى وإنما هي لهجات قديمة كان لها تاريخ ونمو منفصل يرجع إلى عصور بعيدة . وأشار إلى اختلافها عن العربية الفصحى اختلافاً يعتبره كبيراً ، وإلى تمكنها من التسرب إلى ميدان الكتابة في مختلف العصور وفي مختلف الأقطار .

وتكلم عن اللهجة المصرية الحديثة بصفة خاصة فقسمها إلى ثلاث لهجات رئيسية تنقسم بدورها إلى لهجات فرعية ، وهي :

١ - لهجة أهل المدن وتشمل (اللهجة للطبقة السفلى واللهجة للطبقة الوسطى

(١) The modern Egyptian Dialect of Arabic From the germany of Dr. K. Vollers Translated by F. C. Burkitt M.A. Cambridg: At the University Press 1895

واقدم وجدت هذا الكتاب في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٠٤ لغة .

والهجة الطبقة العليا) .

٢ — لهجة الفلاحين وتشمل (لهجة سكان مصر العليا ولهجة سكان مصر السفلى) ؛

٣ — لهجة البدو .

واقترح مثل « سبيتا » على دراسة لهجة أهل القاهرة . ولم يفته مثل سبيتا أن يندد في نهاية مقدمته بجمود العربية الفصحى ، شبهها باللاتينية الكلاسيكية وشبه العلاقة التي بينهم وبين اللهجة المصرية بالعلاقة التي بين اللاتينية الكلاسيكية والإيطالية الحديثة . وأشار إلى أن أعظم اختلاف تاريخي بين اللهجة المصرية الحديثة وبين الإيطالية الحديثة هو وجود الأدب الإيطالي . أما اللهجة لمصرية حديثة فلم يكن شاعر قط مثل « دانتي » وإنما لم تستخدم قط في أغراض أدبية هامة وإنما لم تجد طريقها إلى الكتب إلا في القصص (ألف ليلة وليلة) وفي المسرحيات المترجمة (تراجم محمد عثمان جلال لملاهي مولير الأربعة) وكتب منه كبة (كتاب هز القهوف) ولأمثال العربية الحديثة التي يرجع تدوينها إلى جهود الأوربيين .

كتاب « العربية المحكية في مصر » لسليمان ولور :

وفي سنة ١٩٠١ وضع سليمان ولور القاضى الانجلىزى كتابا في الانجليزية عن العامية المصرية بعنوان « العربية المحكية في مصر » ^(١) توجه فيه وجهة « سبيتا » في دراسة العامية المصرية ، سواء في دراسة قواعدها وجمع نصوصها أم في الدعوة إلى كتابتها بحروف لاتينية وتخاذها لغة أدبية . وكانت له وسائله الخاصة في تدعيم تلك الدعوة التي صادفت هوى في نفسه فاستغلها ليحقق هدفا من أهداف الاستعمار البريطانى وهو فصل المسلمين والعرب عن ماضيهم وتفتيت

(١) The Spoken Arabic of Egypt, J. Selken Willmore. London 1901

وهي لنسخة الوحيدة التي وجدت في دار الكتب تحت رقم ٥٠٠ له .

وحدتهم اللغوية بالقضاء على العربية الفصحى . وقد شرح لنا وسائله في تدعيم ملك الدعوة في مقدمة كتابه .

- استهل هذه المقدمة بتقرير كتاب سبينا « قواعد العربية العامية في مصر » واعتبر المستشرقين جميعهم مدينين في دراسة تهم اللهجات العربية المحلية لعلم سبينا وأبحاثه المنقمة التي تعتبر المحاولة الجدية الأولى لابرار الخصائص المميزة اللهجة من اللهجات العربية المحلية .

- وانتقد الكتب التي ألفت في قواعد العربية العامية قبل سبينا وبعده ، لأنها كانت تخلط بين خصائص اللهجات العامية المحلية المختلفة وتمزج التراكيب والتعبيرات التي تستعمل في لغة الحديث مع التراكيب والتعبيرات الخاصة بلغة الكتابة^(١) .

- ثم أخذ بعد ذلك يردد الشكوى من صعوبة اللغة العربية الفصحى ثم بدأ للناداة بنبذها والعدول عنها إلى العامية . فزعم أن سبب إنتشار الأمية وقلة نسبة الأشخاص الذين لهم قدرة على الكتابة والقراءة في البلاد التي تتكلم العربية هو صعوبة الفصحى والتزام إتخاذها لغة كتابة عامة لكل العالم العربي^(٢) .

- وانتقل بعد ذلك إلى الكلام عن اللهجة المصرية واقتصر مثل سبينا وفولرس على لهجة أهل القاهرة^(٣) ، فنظر إليها على أنها لغة جديدة لها طابعها الخاص تختلف عن الفصحى تمام الاختلاف سواء في تراكيبها النحوية أم في مفرداتها ، وأنها ترتبط بفروع اللغات السامية أكثر من ارتباطها بلغة القرآن ولغة الأدب

١- من هذه الكتب : Grammaire Arabe vulgaire . Caussin de Perceval Paris I

٢- ليست صعوبة الفصحى هي السبب في إنتشار الأمية وقلة نسبة الأشخاص الذين لهم قدرة على الكتابة والقراءة كما يزعم ولمور ، وإنما ذلك أسباب أخرى ترجع إلى ظروف إجتماعية وسياسية مرت بها البلاد العربية .

٣- وهذا إعتراف منهم بعدم إمكان ضبط العامية حتى في القطر الواحد .

العربي القديم^(١) . وحاول أن يؤيد وجهة نظره هذه بأثلة قليلة أبرز في بعضها أوجه التشابه التي بين اللهجة القاهرية وبين العبرية والسريانية ، وأشار في بعضها إلى الدخيل في اللهجة القاهرية من المفردات التي استعارتها من مخلفات لغات .
- ثم أشار إلى الأضرار التي تنشأ عن إتخاذ لغة الأدب واحة للحديث ، وإلى الفوائد التي يمكن أن نحنيها لو اتخذنا لغة واحدة كالأغرضين وهذه اللغة التي يريد أن تقتصر عليها هي بالطبع لغة الحديث .

- أخذ الكاتب بهذا التمهيد الطويل بحجر بالدعوة إلى إتخاذ العامية لغة أدبية محاولاً أن يؤيد المصريين بأن معارضتهم لإقرار العامية . يعرضهم لخطر أكبر من الخطر الذي يتحشـونه وهو إقراض لغة الحديث ولغة الأدب معاً وإحلال لغة أجنبية محلها نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوربية وذلك لكي يحملهم على قبول العامية لغة للكتابة باعتبار أنها تهون الشرين وأخف الضررين .

وحاول كذلك أن يدافع عن هذه العامية بغيري المصريين بقوله : لغة للكتابة مبيتنا لهم أنجمع لوسائل تدعيمها . وفي ذلك يقول :

« ومن الحكمة أن ندع جانباً كل حكم خاطئ . وجه إلى العامية وأن قبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد ، على الأقل في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية . وهناك مسبب يدعو إلى الخوف هو أنه إذا لم يحدث ذلك لرئى اعتبار العامية وحدها لغة للبلاد في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية على الأقل) وإذا لم تتخذ طريقة مبسطة للكتابة (اقترح من قبل إتخاذ الحروف اللاتينية

(١) هذا يصدق من ناحية أن العامية وفروع اللغات السامية الأخرى قد تجردت من كثير من الخصائص التي أحتفظت بها النصوص .

الكتابة لعامية) فإن لغة الحديث ولغة الأدب متفرضان ومتحل محلها لغة أجنبية نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوروبية .

ويجب ألا ننظر أن اللهجة القاهرية أو أية لهجة من لهجات الحديث الأخرى غير صالحة لأن تكون لغة أدبية ، فمن الكثير من هذه اللهجات أغنى في تعبيراتها من أية لغة أوربية . وبادخل المصطلحات الفنية الضرورية من الالة النحوية ستكون قادره على التعبير عن أية فكرة في المصير الحديثه وذلك في تركيب حى .

ونجمع لوسائل انعام بمحركة في مبدل تدعيم اللغة تقومه هي أن تتخذ الصحف الخطوة الأولى في هذا السبيل . ولكنها ستكون في حاجة إلى عون قوى من أصحاب النفوذ ، فذ سيجت هذه الحركة فإن وقت قصيراً هي المعلم يجبرى وإيكن سنتين سيكون كافياً لنشر القراءة والكتابة في البلاد (١) »

واختتم المقدمة راجياً القراء أن يلتزموا له العذر فيما يمكن أن يلاحظوه من نقص في بحثه لأنه كنبه في ظروف غريبة : في أوقات الفراغ وفي قطرات السكة الحديدية وفي البواخر .

ثم يقدم شكره لرؤساء بعض المصالح في الحكومة المصرية لاكتسابهم في عدد من نسخ الكتاب مما مكنه من طبعه .

ولم يكد ولمور ينتهى من مقدمة كتابه حتى عام بظهور مقالة لعلم أمريكى في فقه الامة يهتم كما يقول اهتماماً كبيراً بخير الشعب المصرى ، ذلك لانفاق وجهة نظره ونظر سبينا ، في وجوب إتخاذ العامية لغة أدبية وكتبها بحروف لاتينية ولأنه ترحم في مقاله الفقرة التى أختتم بها سبينا مقدمته مبدئاً عن أمنيته في إتخاذ العامية لغة أدبية والتى ترجعها إلى العربية عندما تكلمت عن كتاب سبينا ، وسرعان ما اقتطف ولمور هذه الفقرة وأحتمها بمقدمته (٢) . وأخذ يقتطف فقرات أخرى

(١) أنظر نص هذه الفقرة بالانجليزية في مقدمة الكتاب ص ١٢ و ١٣

(٢) أنظر المقدمة ص ١٤

من مقالة هذا العالم الأمريكي الذي لم يذكر اسمه ويلحقها بتقديمه ليعزز بها دعوته .
منها تلك الفقرة التي يناشد فيها الحكومة المصرية لتعترف بالعامية وتقرها ،
ويناشد الانجليز لتدعيم هذه العامية ليساعدوا على تقديم الشعب لروحي
كما ساعدوا من قبل على تقدمه في الحياة المادية ، وذلك حيث يقول « ويمكن
للحكومة الحاضرة في مصر أن تمد يد المساعدة (يعني للمعامية) وهي الآن وخيراً
في مركز يمكنها من ذلك (١) .

ولقد وصف كاتب أمريكي لا انقلاب لرأى في مصر من الناحية المالية
والتجارية والزراعية والأخلاقية في هذه السنين الأخيرة على أنه « ضعف عمل
الانجليز سكسون روعة في هذا الترن (٢) .

لماذا لا يمكن لهؤلاء الرجال الذين كانوا العامل الفعال الذي أتت بهذه الثورة
المادية المباركة أن يفتحوا الباب الآن أيضاً للتقدم لروحي للشعب الذي يحكمونه
بتلك المقدرة وتلك الأمانة ؟ هناك طريق واحد إلى هذا الباب ولا طريق سواه
وذلك الطريق لا يمر به إلا أمة تشفت باللغة التي تفهمها . تلك اللغة قد حارت
اللغة اليومية للتفاهم لاجتماعي الأسرة والحائز والزراعة ، فلهذا لا تصير وسيلة
للثقافة ؟ ولماذا لا يقدر لها ليس فقط انهموض الأمة التي تسكن تحت نخيل النيل
بل إحياء العظمة القديمة لكل العلم العربي (٣) .

هذا الجود الضخم الذي حرص ولجور على بذله لتعزيز دعوته إلى اتخاذ

١- كانت الحكومة القائمة في مصر في ذلك الوقت من حكومة مصطفى بكاشي وهو
أكبر أصدقائه انجليز وشهرهم في مصر وقد نشر بصفته كرس في كتابه (١٩٠٢) ١٩٠٢

٢- يريد أن ينسب هذا التقدم مزعوم الذي كان يفتخرون به كرس في تقريراته ، بل
الانجليز ، وقد قضى دورهم في كل مزارع من مزارع كتابه (١٩٠٢) ١٩٠٢

٣- المقدمة ص ١٧ .

العامية لغة أدبية لم يكن إلا نتيجة لشهوره بالمقاومة الشديدة التي تلقاها تلك الدعوة وصعوبة نجاحها .

كتاب « المقتضب في عربية مصر » لفيلوت وباول .

وفي سنة ١٩٠٦ اشترك باول A. Powell وهو إنجليزي كان يعمل قاضيا بالحاكم الأهلية بالقاهرة اشراك هو وزميل له يدعى فيلوت D.C. Philott وكان الأستاذ لامت الشرقية في جامعة كمبريدج وجامعة كلكتا في وضع كتاب في الإنجليزية عن العامية المصرية بعنوان (المقتضب في عربية مصر)^(١) .

إنهم فيه رجوة عميقة لميل دراسة العامية المصرية التي وردت في الكتاب لتتمين على الناحية والمطابق بالعامية .

والكتاب منقسم إلى عدة أقسام :

قسم المفردات - تذكر الكلمة العامية مكتوبة بحروف عربية ثم بحروف لاتينية مع ترجمة لها بالإنجليزية مثل (زيطة - Zayta - noise) .

قسم الجمل - وكما هو من الجمل التي يتناولها العامية هي الأشياء الشعبية وأكثرها من الأساليب لمبندلة لفظ ومعنى . كل جملة مكتوبة بحروف عربية ثم بحروف لاتينية . مع ترجمة لها بالإنجليزية مثل (شوف الحطة نقاية دي Shiif al - hitti niqayadi) (look at this little lady) .

قسم النصوص . مكتوبة بحروف عربية مع ترجمة لبعضها بالإنجليزية ويشمل هذا القسم

قصص - وهي من النوع المعروف عند العامة (بالحدوتة) مثل : قصة من مكاييد النساء . قصة لصياد والفران والقباضي ، قصة الست جرادة والخواجيه عصفور .

Manual of Egyptian Arabic , by D.C. Philott and A.P Powell Cairo 1926 - 1

وهو النسخة الوحيدة التي وجدت في دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٨٨ لغة .

محاورات - مثل : عتاب في الكنيسة بين خالتي أم سيدهم والست أم أنيسة
في الزيارة ، في المظلة على العباين .
فكاهات مثل : الفك والنوادر .

وقد صدر المؤلف من الكتاب مقدمة موجزة أشار فيها إلى رغبتهم في تسهيل
تعليم اللغة المصرية ، تلك التي ضاعت كرمها على حد قولهم ، تركها بجانب مفككة
بدون ضوابط ، بط حتى أصبحت لا وجود لها ككلمة مكتوبة ، ولم يفهم أيضا
في هذه المفهمة الموجزة أن تردد الشكوى من صعوبة اللغة العربية الفصحى
وخاصة حروفها الخالية من حروف الحركة .

هذه كتب أربعة من الكتب التي ألفها الأوروبيون في نهاية القرن التاسع عشر
أو قفنا على منبع الدعوة إلى إتخاذ العامية لغة للكتابة والأدب ، وعلى منبع الدعوة
إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وعلى مصدر الشكوى من صعوبة
العربية الفصحى التي ينأمر على النضاء عليها ، وقد وصات إلى هذه الدعوات
متسترة تحت ستار البحث العلمي والبحث لدراسة لهجة محلية من اللهجات العربية .

وفي خلال الفترة التي ظهرت فيها هذه المؤلفات كان وليم واكوكس مهندس
الرى الانجليزى الذى وفد إلى مصر سنة ١٨٨٣ فى أول عهد الاحتلال البريطانى
فى مصر ، لاينى عن محاربة الفصحى بالدعوة إلى أقسامها عن ميدان الكتابة
والأدب وإحلال العامية محلها . تلك الدعوة التى لم يدخر وسعا فى تأييدها .
أيدها عمليا بما ألفه بالعامية وما ترجمه إليها كما سنبين ذلك فى الفصل الثالث من هذا
الباب ، وأيدها نظريا فى محاضرة بعنوان « لم لا توجد قوة الاختراع لدى المصريين

١ - ومن هذه الكتب أيضا كتاب بعنوان

Une langue verbale de l'Arabie d'Egypte par M. Emile Caillier. Le Caire 1904

ولقد ذكر المؤلف فى كتبه هذا ما يقرب من سبعين مرجعا من المراجع التى تناولت
دراسة العامية المصرية وأدبها ، أكثرها أجنبى وقليل منها عربى .

الآن» وفي رسالة نشرها بالانجليزية بعنوان

« Syria, Egypt, North Africa, and Malta Speak punic, not Arabic »

أي « سوريا ومصر وشمال إفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية » .

محاضرة والكوكس « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن »

وفي سنة ١٨٩٢ ألقى والكوكس محاضراته « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » في نادي الأريكية ، ونشرها باللغة العربية^(١) في مجلة الأزهر في عهدها . جديده بعد أن آل إليه أمرها^(٢) وفي هذه المحاضرة زعم والكوكس أن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى . وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأن ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها . وتتلخص هذه المحاضرة فيما يأتي :

بدأها بتقديم أشاد فيها بقدماء المصريين الذين تدل آثارهم على ما كان لهم من قوة لاختراع ، وندد بخلفهم الذين فقدوا هذه القوة فاضعوا ما أحرزوه الأوائل من أعمال نافذة ومجد أثيل . ثم أظهر تفاؤله بمقبل المصريين لثقتهم من قدرتهم على اكتساب قوة الاختراع إذا اتبعوا مشورته وابتدعوا دعوتهم ، وهي الكتابة

(١) وفد حرم والكوكس على مخالفة الأسلوب القرائي فترجمها بلغة ركيكة تشبه لغة الانجيل في ترجمته العربية الركيكة . يذكرنا بقول مصطفى صدق الرافعي عن الجملة القرآنية والذي سنشير إليه عند تعليقنا على ترجمة والكوكس للانجيل إلى العامية .

(٢) مجلة الأزهر مجلة علمية شرعية كان يصدرها عدنان كبريان من علماء المصريين هما : إبراهيم باشا مسالحي وبيكتور حسن باشا وفق . وبعد أن أستمرا فيها خمس سنوات إلى نهاية سنة ١٨٩٢ نيزلت هذه الأعمال أوسع من عهد لها الأثر ومنه استند نظرة مدرسة دار العلوم العليا في مصر . ثم بعد ذلك كان مدرسا الكيمياء في إحدى المدارس العليا . فتخلى عن مجلة الأزهر من بداية سنة ١٨٩٣ (ير سنة ١٨٩٣) إلى الهندس الانجليزي وليهم والكوكس ولما نزل أحمد لازهرى .

والتأليف بالعامية . تلك الدعوة التي يزعم أنه لم يهدف من وراثتها إلا إلى خدمة
الإنسانية ونشر المعارف . فيقول : « وما أوقفني هذا الموقف إلا حبى لخدمة الإنسانية
ورغبتي في انتشار المعارف وما أجده في نفسي من الميل اليكم الدال على ميلكم
إلى .. ولعلني أجد أذنا صاغية وقلبا واعيا وفاضلا يلبي دعوتي ويؤمن على مقالتي
حتى لا يذهب تعبي هباء منثوراً »

أما موضوع المحاضرة فيتضمن هذه النقاط الرئيسية .

- ١ - تعريف قوة الاختراع ووسائلها .
- ٢ - شرح كل صفة من الصفات التي يتوقف على وجودها وجود
قوة الاختراع .

٣ - الأمم التي اتصفت بقوة الاختراع .

٤ - سبب عدم وجود هذه القوة عند المصريين .

- ١ - فقرة الاختراع يعرفها في قوله : « هي هدية عالية يمنحها كل رجل
اتصف بالذكاء والاجتهاد والاقdam . كل هذا ممكن لرجل لا يعرف القراءة
والكتابة ، وإنما لديه لسان حي يعرفه . وهو باولألى متيسر لرجل يعلم القراءة
والكتابة وكان متمتعاً بلسان حي يترجم به عن أفكاره . ومن البين أن حصول هذه
الوصاف وجعلها مفيدة ، متعذر على رجل يعرف القراءة والكتابة وليكنه
محروم من التمتع بلسان حي يفصح به عن معلوماته لأنها حيث سطرت بلسانه
المهجور تموت بمجرد تسطيرها وتكون مثل الموميا .

وانا لو فتشنا في أوصاف الأمم الماضية والحاضرة لوجدنا أن كل نبى
أو مكتشف أو مخترع أو محدث علما جديداً نافعاً لابد أن يكون متمتعاً بقوة
الاختراع^(١) . وأن أكثر الأمم اختراعاً أمة تزفرت هذه الصفات في كثير من
أفرادها بشرط أن يكون لها لسان شهير تعرب به عما يبدو من النافع وقلم

(١) الأنبياء لا يخترعون كما يزعم لسكران وإنما يبلغون ما يوحى إليهم من ربهم .

معروف تسيطر به ما ظهر لها من نتائج أعمالها . وبذلك تستمر زمنا طويلا سائدة بسبب حفظ نعم لها ، وعدم تسليمها ليد الشتات ، وجعلها تحت طي الخفاء . ونحن وجميع القلاء لا نشك في أن كل أمة تتكلم بلسان ونكتب بquam آخر ، أو أن لسانها يغير شيئا فشيئا سذهب بهجتها ، وترك د ربح صفوها . وتقدم من أفرادها قوة الاختراع ولو كانت لديهم من قبل اضعفت تدريجيا حتى تزول .

٢ . والصفات التي يتوقف على وجودها وجود قوة الاختراع هي .
التوة المفكرة والقوة الخيالية والحق والثبات ولاقدام . يشرح كل صفة منها . ويصرح بأن المصريين لم يحرموا من هذه الصفات ، ولكنهم حرموا من قوة الاختراع لسبب يتعلق باللغة التي يكتبون بها .

٣ . وهو يشير الى الأمم التي تميزت - في رأيه - بقوة الاختراع وينصح المصريين بالافداء بها . وهذه الأمم هي التي نكتب علومها باللغة التي تتحدث بها فيقول : - « . . نذكر من انصف من الأمم بقوة الاختراع حتى إذا علمتم الوسائط التي اتخذتها تلك الأمم في إيجاد هذه القوة عندهم تعلمون السبب الذي حكم عليكم بالتأخر عنها فقول . إنكم لو تأملتكم قايلا في أحوال الأمم لرأيتم أن أكثر الأمم اختراعا هما الانجليز والامريكان . وإني الآن أقدم لكم نبذة في تاريخ هاتين الأمتين ، وأعترف بأن ما حصلته من المعلومات النافعة أخذته من مؤلفاتهما ومثلهما وحكما المفيدة . مضى زمن كانت فيه العلوم الموجودة بالانجلترا مسطرة بلسان لايني ضعيف غير شائع . والانجليز في ذلك الوقت كانوا يجتهدون جادا في وضع أفكارهم العلمية بهذا اللسان اللاتيني . ولهذا كانت نتيج مؤلفاتهم عقيمة بالنسبة لغالب أفراد هذه الأمة . ولا يلزمي أن أخبركم أن قوة الاختراع لم تكن موجودة في إنجلترا أيام ما كانت مخيمة عليهم هذه الوصمة التي خرجوا من ربقتها الآن . ولما أراد الله رفع هذه الأمة وإظهارها على الأمم وتأييد ساطعها ، يقيظ أفرادها من نومهم وانهم من غفلتهم وأهمهم أن الحجاب بينهم

وبين ترقى معلوماتهم إنما هو تسطير أفكارهم بهذا اللسان المهجور الحقي . فأخذت علماء إنجلترا تبحث عن اللغة المشهورة القوية الشديدة الشائعة بين فلاحهم^(١) فإنها كانت حية ولم تزل . ولما هداهم الله لهذه الطريقة الناجحة أخذ كل من الانجليز يكتبون علومهم ويسطرون أفكارهم بهذه اللغة الحية المشهورة . فكنت ترى الكل مجتهداً في ذلك ولا عجب في تشبيه ذلك الزمن يوم القيمة حتى أصبح الناس عموماً بعد زمن قليل يسمعون أصواتاً حية ويطلعون على كتب محررة لسان حر وفي ذلك الوقت كذب كتابانه الشاعر الشهير الانجليزى شكسبير ، وبدأ يكون يسطر الدروس التى تعد ابتداء ظهور العلم الأورباوى . ولا يخفى على أفكاركم أنه في هذا الوقت كانت الحرية لدى الانجليز أقل من الحرية الموجودة لدى المصريين الآن . فإنه إذا كان رجل يتأخر عن الحضور إلى الكنيسة يوم الأحد فحبسه الحكومة ، وإذا نشر أقوالاً سياسية كان يجازى بقطع ذنبه . ومع عدم توفر الحرية لدى الانجليز في ذلك الوقت كانت عندهم قوة الاختراع متشرة .

٤ - وأخيراً يختم والكوكس محاضراته بشرح سبب عدم وجود قوة الاختراع لدى المصريين ، وهو استخدامهم اللغة العربية الفصحى في الكتابة والقراءة . وينصحهم بنبد هذه اللغة الصعبة الجامدة ، واتخاذ لغة للتعبير الأدبي إقنداء . بالأمه الانجليزية التى أفادت فائدة كبيرة منذ هجرت اللاتينية التى كانت لغة الكتابة والعلم يوماً ما قنلاً : « وأنتم أيها المصريون ان تزلوا قودرين على إيجاد قوة الاختراع لديكم كما فعلت انجلترا ، فإنه يوجد فيكم ناس كثيرون توفرت فيهم الشروط المارة ، ولكن بسبب عدم وجود لسان علمى مشهور فيما بينكم ، لم تحصلوا على شئ ، وأضعتم أعمالكم مدى . والسبب في ذلك أن الكتب

(١) اواقع أن اللغة الانجليزية الحالية ليست هى لغة الشائمة والاعمال ، بل يزال لكل جماعة امجتها التى تخلف عن اللغة الفصيحة . ولكن هذه اللغة كانت هى امجة (امدن) في ذلك الوقت وهى كذلك حتى الان الى حد كبير .

العلمية الدنيوية يؤلفها أربابا بكلام مثل الجبال . وفي آخر الأمر لا يلهي هذا الكلام الصعب إلا قاراً صغيراً ، وما نشأ ذلك إلا من كون اللسان العالِم غير مشهور فيما بين العامة ، فبمجرد وضع الأفكار في الكتب تموت ولم تعد تحيا فكأنهم يكفونهم في الورق ويدفنونهم في جلود الكتب .

واللغة العربية الأصلية كانت قوية جداً . مشحونة بالألفاظ الشهيرة ، كما أنها كانت مشتملة على ألفاظ كثيرة ضعيفة ، وعلى مر الزمان غلبت القوية الضعيفة وكونت لغة قوية حية .

والكنتم أيها المصريون أصبحتم تقولون إنها لغة دارجة لا ينبغي إتباعها ، وجنحتم في مؤلفاتكم إلى اللغة الضعيفة الخفية التي ماتت منذ زمن بسبب مزاحمة القوية لها . وأقول لكم إذا جنحتم إلى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة فيما بينكم وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجحون كثيراً ... »

وهو يفضل أن يكتب المصريون بلغة أجنبية على الرغم من معارضته في ذلك من أن يكتبوا بلغة ضعيفة خفية مثل اللغة العربية المنصحة فيقول : « ربما يقول أحدكم حيث لم يوجد لسان حتى أكتب به فإكتب بلسان أجنبي كالألماني ، فأقول له لا تقرر بنفسك في بحر شديد الأهوال كثير الأعواج من غير نتيجة . وانه لا يمكن أن اللغة الأجنبية تكفي في تحرير كتب توصل إلى قوة الاختراع ، غاية الأمر أنها تساعد نوع من المساعدة . فحينئذ يمكنك أن تقول إن لغة الإنسان الحية كالمرأة حسناء واللغة الأجنبية كالجارية . والست أحسن من الجارية ولكن إذا كانت لغته خفية (يعني مثل العربية الفصحى) تكون مثل الجارية وحينئذ تكون أحسن منها . » ^(١)

(١) "نظري في الحضرة" كملها في مجلة الأزهر . العدد الأول من السنة السادسة سنة

هذا ملخص لمحاضرة ولسكوكس وبعض مقتطفات منها . يتضح منها أن هدفه الحقيقي من الدعوة إلى العامية هو القضاء على العربية الفصحى وحرمان أبنائها من تراثها في الدين والعلوم والآداب ليسهل على الاحتلال مهمته . وقد فطن المصريون وقتذاك إلى هذه الحقيقة فقاموا بهتك الاستار عن حقيقة دعوته وخاصة على صفحات مجلة ولسكوكس نفسها « الأزهر » كما ستبين ذلك عند كلامنا عن مدى الدعوة الأجنبية في صحف مصر .

رسالة ولسكوكس التي نشرها سنة ١٩٢٦ بعنوان « سوريا ومصر وشمال إفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية »^(١) .

وفي سنة ١٩٢٦ نشر ولسكوكس رسالة بعنوان « سوريا ومصر وشمال إفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية » زعم فيها أن اللغة التي يتكلمها الناس من حلب إلى مراكش بما في ذلك مالطة هي اللغة الكنعانية أو الفينيقية أو البونية . وخص مصر بالبوننة لأن كلمة punic تشبه كلمة Fenek التي كان يطلقها قدماء المصريين على الفينيقيين . كما زعم أن اللغة البونية التي هي أساس لغة الحديث عندنا لأصلها بالعربية الفصحى ، فقد دخلت مصر قبل أن تدخلها الفصحى بألفي سنة ، وأنها انحدرت إلينا من الهكسوس الذين أقاموا في مصر نحو خمسةة سنة ، والذين انتشرت لغتهم في أقطار عديدة حول مصر حتى بلغت مالطة . وأخذ يتلمس الوسائل والشواهد لتدعيم زعمه هذا . فكان من بين ما قوله في هذا السبيل :

(1) Syria , Egypt , North Africa , And Malta Speak Punic , not Arabic . by Sir William Willcocks . 1926 .

(النسخة الوحيدة في دار الكتب وجدت تحت رقم ٤٦٨٢ لغة .

١ - إن اللغة البونية سارت في طريق إنتشارها في العصور التي تلت حكم الهكسوس فكانت لها مظاهرها في الآثار المصرية وفي العهد المسيحي ، وقد لمسها بنفسه عندما ترجم الإنجيل إلى اللغة المصرية إذ وجد أن الأساليب المصرية أطوع لنقل الإنجيل من الأساليب العربية .

٢ - إن إختفاء اللغة القبطية دليل على أن البونية كانت لغة الحديث وقت غزو العرب لمصر وأن اللغة القبطية لم تكن إلا لغة دينية فحسب .

٣ - إن اللغة المصرية هي البونية والبنونية أخت للعربية وليست العربية نفسها .

٤ - إن اللغة المصرية أكثر ارتباطا بالنموذج الأسامي للغة المصرية ولغات السامية منها باللغة العربية .

٥ - إن اللغة المصرية التي هي بونية الأصل تنفرد بخصائص لا توجد في العربية الفصحى . مثل طريقه النفي المزدوج (أنا ما عملتش) فهذه الطريقة لا يعرفها العرب وإنما جاءتنا من الهكسوس .

٦ - إن الحياة في مصر الزراعية لم تلاثم العرب ولذا كان تأثيرهم في اللغة المصرية قليلا (١) .

وهكذا تحايلوا لـ كوكس بمختلف الوسائل لقطع صلة اللهجة العامية في مصر بالعربية الفصحى . ويبدو أن هدفه من ذلك هو أن يأمن جانب المصريين

(١) هذا زعم باطل يكذبه ما روثه كتب التاريخ القديم والادب مثل (الخطط للمقريزي) من هجرة قبائل معينة رحلت إلى أماكن محددة في مصر واستقرت بها منذ فجر الاسلام . وأظهر كتاب قبائل العرب في مصر ، تأليف أحمد لطفي السيد طبع مصر سنة ١٣٥٤ هـ . سنة ١٩٣٥ م .

عندما ينفث ما في صدره من حقد وكراهية للمربية الفصحى التي لم تعد لهم صلة بها كما يزعم وكما اجتهد في إثبات هذا لزعمه لأنه لم يلبث بعد ذلك أن دعاهم إلى الاهتمام بلغتهم التي هي بونية الأهل ونبد الفصحى . لأن اللغة المصرية لغة حية قوية سريعة الأداء اكتسبت حيويتها وقوتها من التجار والبحارة الفنيين الذين اعتادوا أن ينطقوا في سرعة الكلمات التي تؤدي المعنى ويكون لها تأثيره السريع . وهي في قوتها وحيويتها صالحة للتعبير عن جميع حاجتنا مثل اللغة الإنجليزية . يقول ص ١٣ « المصريون عندما يتكلمون اللغة البونية يجدون مساعدة مفيدة القيمة ، فلبونية ليست لغة شعب متسع الأهمال صاحب مشروعات تجارية فحسب ، وإنما هي لغة بحارة ورجال يشتغلون في البحر اعتادوا أن ينطقوا في سرعة الكلمات التي تؤدي المعنى ويكون لها تأثيرها السريع . كانت البونية إما مزاجاً مشاعراً لإنتاج لغة قوية حية . والمصرية كافة بونية تفيض بكلمات قوية قاطعة مختصرة وتبديلات قصيرة دالة . ولقد تجنبنا اللغة العربية الفصحى هذه الكلمات كما لو كانت س . وعلى ذلك فمصر تدفع غالباً بتبديد ثروتها القومية لقاء ما يقدمه ضرورون المظاهرون بغزارة العلم والأساتذة من ثمن ، وهو خدمة لغة معينة وحده يعملون لصالحها وحدها » .

أما اللغة العربية الفصحى فهي في رأيه لغة مصطنعة ، يتعلمها المصري كافة أجنبية ، ثقيلة في كل شيء ، إن وصلت إلى الرأس فهي لاتصل أبداً إلى القلب ، تقف عتبة في سبيل تقدم المصريين ، دراستها نوع من السخرة العقلية . حاث بين المصريين وبين الابتكار ، قضت على الطلبة النابهين من المصريين والذين كان يرجي منهم نفع كثير ، وأدت صعوبة فهمها إلى حدوث بعض الكوارث التي شاهدها أثناء إقامته في مصر ، دراستها مضیعة للوقت وموتها محقق كما ماتت اللاتينية . . إلخ .

استمع إليه يردد بعض هذه المزاعم وذلك في مثل قوله . ص ١٤ « من السهل جداً أن نرى في هذه البلاد ذلك التأثير المخدر الذي تحدثه الألفاظ الرنانة (بمعنى ألفاظ العربية الفصحى) التي لا تفهم منها لفظة واحدة في نفس السامع . إن سماع مثل هذه الألفاظ يقتل في الذهن كل ابتكار بين أولئك الذين لا يقرأون ، كما تقتله أيضاً في نفس الطاب تلك الدروس التي تلقى عليه باللغة الفصحى المصطنعة التي تبلغ الرأس دون القلب فتمنع من يتحمن العلماء في هذه البلاد من التفكير المبكر . فقد عشت في مصر أربعين سنة فلم أجد فيها مصرياً يفكر تفكيراً حراً . فإن قوة المصريين الذهنية يستنفذها على الدوام جهدهم في أن يترجموا ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصرية المألوفة ، ثم هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى اللغة الفصحى . وهذا العمل ضرب من السخرة العقلية . »

وقوله ص ١٤ - ١٥ « قضيت عشر سنوات حين كنت في خدمة الحكومة المصرية وأنا أشرف على مدرسة الهندسة وامتحن طلبتها ، وكنت أجد بين الطلبة من يعدون حقاً من الأذكياء ولكنهم كانوا يسرون في دروسهم ببلاده لأنهم كانوا يقرأونها باللغة الفصحى المصطنعة بدل أن يقرأوها باللغة المصرية الحية . وكانوا لا يجدون أدنى مشقة في فهم الرياضيات النظرية ، فإذا طولبوا بالتطبيق عادت إليهم روح السخرة الذهنية وكان ذوالذكاء ينتهون في آخر الأمر إلى لاشيء... وأقول هذا عن أصدقاء ومعارف كان يمكنهم أن يتبوأوا مراكزهم بين مهندسي العالم في الأقطار الأخرى لولا أنهم كانوا يفكرون بلغة ويكتبون بلغة أخرى . أجل إن اللحم ولحم لا يستطيعان كل هذا المجهود . وربما كانا يستطيعانه لو كان لكل منا رأسان ، ولكن الواقع أن لكل منا رأساً واحداً وهذا الرأس المسكين لا يجزله مجالاً في مصر . فنقد عرفت في هذه البلاد شابين ذكيين كان في وسعهما أن يظهرأ في هذا العالم ويتركا طالبيهما فيه لو أنه أتيح لهما أن يكتبأ

باللغة التي يتكلمان بها كما نفعل نحن الغربيين - والله الحمد - في غرب أوروبا
ووسطها وفي أمريكا وفي سائر الأقطار حيث يفكر الناس ويتكلمون ويؤدون
ما قضى الله به من عمل في هذا العالم » .

وقوله ص ١٥ « وفي السنين الأولى للاحتلال الانجليزي حدث خطأ في قراءة
خطاب انتهى بمحدث إنشاق في قناة من قنوات الري . وعند التحقيق قال مهندس
المركز إن الباشمهندس أرسل إليه خطاباً لم يستطع أحد في البلدة قراءته . ولما سئل
الباشمهندس أجاب أن مدارس الحكومة تجهل من الطلبة بها ثم حتى إنهم لا يفهمون
العربية الفصحى التي يكتب بها خط باته . فإلى هذا الحد المؤسف يبلغ بالناس
حب اللغة في هذه البلاد » .

وبهذه الروح التي تكلم بها والكوكس عن العربية الفصحى تكلم عن
العرب عندما أراد أن يبين أن تأثيرهم في اللغة المصرية كان قليلاً جداً ، لأن
الحياة في مصر الزراعية لم تكن تروق لهم . فهؤلاء الناس في نظره كسالى ، قتله ،
لصوص ، قطاع طرق ، جبناء .. مستنداً في ذلك إلى مزاعم يسوقها على أنها
تجارب شخصية .

وأخيراً ينتهى والكوكس من هذه المزاعم والافتراءات إلى هدفه الرئيسى ،
وهو أن تحمل العامة محل العربية الفصحى . ولكي يفسح المجال أمامها اقترح
تعميم التعليم بها ، وحدد مدة هذا التعليم بعشر سنوات رأى أنها كفيلة بتخليص
المصريين من السخرة الثميلة التي يعانونها من جراء الكتابة بالعربية الفصحى .

فيقول ص ١٦ « ليمض المصريون عشر سنوات في التعليم باللغة التي يتحدثون بها
وعندئذ سيبرز فجر جديد في حياتهم ، وستخلص الطبقات الشقفة من السخرة

العقلية التي دامت أربعة آلاف من السنين ، كما تخلص الفلاحون من السخرة البدنية التي دامت ستة آلاف من السنين . نعم سيد بن غفر جديد على المدارس في هذه البلاد كما بزغ على بيوت الفلاحين و كواخهم . وستصير مصر شيئاً كبيراً من كونها أغنى لد زراعى في العالم نظراً لمساحتها لأى شى آخر . . .

ومنذ . . . سنة تخلصت إنجلترا من لغة اللاتينية الأكاديمية نهياً وامتدحت لغتها القومية ، ونهضت الأمة كإنهض رجل قوى بعد سنوات . وسجل اسم شكسبير في صحيفة فجره الجديد . وهذا لم ينعم الباحثين من دراسة اللاتينية الكلاسيكية الحقيقية . ومصر ستخلص بدورها من لغتها العربية الأكاديمية . وستستخدم لغتها القومية ، وستنهض جميع كإنهض رجل القوي بعد سنوات . وستمدد شبابها الذي عرفه العلم وستتمتع في علمها الجديد بفكر مبتكر ، وستأخذ نصيبها الكامل من ثروة العالم العقلية . وهذا ان يحول بين الباحثين وبين دراسة العربية الكلاسيكية ولكنه سيتيح لمصر أن تأخذ مكانها بين أمم العالم المتقدمة في الأعمال وفي التجارة وفي المهن . »

الفصل الثاني

الآثار العامية التي قام الأجانب بتسجيلها ونشرها

لما قام الأجانب بنشر دعوتهم إلى اتخاذ العامية لغة أدبية لم يجدوا أدا لهذه اللغة يمكن الاعتماد عليه في دراسة العامية وقراءتفوا هم أنفسهم ذلك . وشاروا إلى لآثار العامية اقبلية التي عثروا عليها والتي لم تف بحجتهم . مثل كتاب « هن التحوف في شرح قصيدة أبي شادوف » ومجلة أبي نظارة . ومما قدم به محمد عثمان جلال من نقل بعض آثار موليير إلى زجل المصري . وبينوا أن كثيراً من الصعوبات التي صادفتهم كانت ترجع إلى افتقار هذه العامية إلى أدب مدون . لذلك قام بعضهم بتسجيل ونشر أدب العامة من أزجال ومواويل وقصص من نوع الأحداث التي يعرف عند العامة (بالحدوته) . وكان أكثره من النقطه من أفواه العامة في مختلف أنحاء انطر المصري . فمن هذه المؤلفات التي نشرت بالعامية المصرية ما يأتي :

(١) مجموعة أزجال مصرية قام بجمعها ونشرها م. بوريان M. Bouriant (١)

مدير بعثة الآثار الفرنسية في القاهرة .

وهذه المجموعة تضم ٣١ زجلاً أكثرها لم يعرف نظم . قيات في موضوعات مختلفة منها الجدية ومنها الهزلية . ومنها ما يجمع بين الجد والهزل .

فمن الأزجال الهزلية : زجل البليح والبليخ ، وزجل الخمرة ، وزجل في

(١) مجموعة أزجال مصرية جمع م. بوريان . طبع باريس سنة ١٨٩٢ م .

الأزبكية. وزجل عاشق ومعشوق (وتكثر فيه الألفاظ البديئة) وزجل في الحمام
وزجل في العسل والقشطة ، وزجل في امم حسن .. الخ .

ومن الأزجال الجديدة : زجل في الاستغاثه بالله عز وجل ، وزجل في الاستغاثه
بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وزجل في قصة الاسراء والمعراج ، وزجل في
كرامات السيدة نفيسة ، وزجل الدررة الفاخرة وهو عبارة عن نصائح وحكم ،
وزجل النفسية ويبدأ كل بيت من أبياته بكلمة يا نفس . مثل :

المطلع

يا نفس توبى قبل كأس المات	من قبل ماتبقى عظامك رميم
يا نفس قولى فى المسا والصباح	استغفر الله العلى العظيم

دور

يا نفس قولى جل من لا يموت	يا نفس هو محيى العظام الباليات
يا نفس كم أنشأ دول وملوك	يا نفس وافناهم بكأس المات
يا نفس حمل الذنب ما أصعبه	يا نفس اتقل من جبال راسيات
يا نفس لما على الحساب تعرضى	كيف تعملى اتى وفعلك ذميم

الخ . . . (١)

وزجل القلبية ويبدأ كل بيت من أبياته بكلمة يا قلب (٢)
ومن الأزجال التى نجمع بين الجذ والهزل . زجل « عقل مجنون » ومنه :

المطلع

قلوبى عشق نديم كثير النفار	مفرد غزال عطشان كحيل الميون
حلو الشمائل والما والقبول	مر التجافى والقلا والشجون

دور عاقل

مفرد فريد الحسن فان اليها	باهر جماله ما مثله جمال
له لحظ كاحل للخلاق مكر	فانك لحاظه ما مثله مثال
وغنج لحظه مع سواد المقل	ورمشهم بالتيه رهونا نبال
منهم خفي جسمي ورسمي انحل	هتي هوى عقلي بوصله جنون
إلا على روض بطول الدوام	أخشى ومن هجره عتراني الجنون

دور مجنون

نظرت برغوث حامل أربع جمال	فوق الجمل أربع جبال شاهقين
فوق الجبال نهار وغدران كثير	نسقى بساتين فيهم اغصان يقين
تطرح الكاديش كل اكديش عاليه	قلعة حصار في حصن على حصين
ومن القلاع أقوام يحاكو الجرد	يرهو دافع نار وفيه المنون
كم زلزلوا أسوار وهدموا جدار	وجر هو أعداهم كؤوس المنون

(١) . . . الخ

(٢) مجموعة من الأغاني الشعبية المتداولة في مصر العليا . قام بجمعها
م . جامستون ماسبيرو M. Gaston Maspero أثناء اشتغاله بالتفتيش في
مصلحة الآثار المصرية في الفترة بين سنة ١٩٠٠ م وسنة ١٩١٤ م .

وقد قدم هذه المجموعة بتقديمًا بالفرنسية أشار فيها إلى ولوع الشعب
المصري بالغناء في البيت والحفلات الخاصة والحقل وفي خلال الحياة اليومية .
وأشار إلى المحاولات التي قام بها لجمع ما كان يسمعه من ألوان الغناء المختلفة ،
وإلى الصعوبات التي صادفته في جمعها .

أما المحاولة الأولى فكانت أثناء إقامته في مصر في الفترة التي بين سنة ١٨٨٩ وسنة ١٨٨٦م لكنه فشل في تحقيقها لأنه وجد - كما يقول - أنه ليس من السهل على غريب من أهل اللغة أن يدون ما يتردد على سمعه من كلمات تلتقي بصوت عال يترنم بها في نغمات مختلفة فلاحون يمتحون الماء بأشادوف ويدبرون الساقية . أو مغنون محترفون .

وكانت المحاولة الثانية بعد عودته إلى مصر سنة ١٩٠٠ م . ولم تخل هذه المحاولة من صعوبات لم يكن يتوقعها ، ترجع إلى امتناع المصريين من موظفين وفلاحين عن مساعدته في تدوين ما كان يريد تدوينه من الأغاني الشعبية . وكانهم كانوا يشعرون أن تلك الأغاني بما استوعبت من عاداتهم وتقاليدهم وإخلاقيهم وعراقلهم هي ملك لهم ومس من أسرارهم لا يجوز نقلها إلى أجنبي - يقول أنه في هذه المحاولة أراد أن يستعين بالموظفين المصريين الذين اصطحبهم معه في رحلته إلى بلاد الصعيد الخفية في تدوين ما كانوا يسمعون من تلك الأغاني ، لكنهم رفضوا تدوينها مع أنهم كانوا يفهمونها جيدا ويرددونها ، فلما أرغما على تدوينها بمرسومي لم يحرصوا على نقل النص الأصلي كما هو عليه . من لغة مشوهة ، وأخطاء نحوية وعروضية ، وأفكار ساذجة . فاضطر بعد عدة محاولات معهم إلى الاستغناء عن معاونتهم ، ولجأ إلى الفلاحين أنفسهم والمغنين المحترفين لكي يساعدوه في تدوين الأغاني كما يرددونها حرفيا . لكن موقفه من هؤلاء لم يكن بحسن من موقفه مع الموظفين فقد رفض بعضهم حياء ، وبعضهم خوفا من أن يكون قد أورد التهمك بهم .

مضت أربع سنوات دون أن ينجح في محاولته إلى أن ساقته إليه الظروف عسكريا شاميا يدعي نصرى نصر ثقافتة أجنبية سرعان ما وضع نفسه تحت تصرفه ، بعد أن اقتنع بفائدة دراسته للأدب الشعبي ، وفضل هذا السكرتير وآخرين ذكرهم بجهت محاولته وخرج بهذه المجموعات التي تضمنها كتابه .

ومن هؤلاء الذين عاونوه «محمد رشدي» . عاونوه في جمع الأغاني التي كان يتداولها المسلمون ، و«توفيق مولى» عاونوه في جمع الأغاني التي كان يتداولها المسيحيون منها تلك القطعة التي وردت في بكاء سيدة من السيدات المصريات الصعديات على فقد رجل :

العرقى المكرر كان مشروبه بوه	دخل الكنيسة وفات مراكوبه
العرقى المكرر كان يهنأه بوه	دخل الكنيسة وفات سرواله
زلزلو برجين من راسى عليا	فراقهم — قاه — ي
إن شلها في الخميم يقوم بوه	أبو عين حمرة كيف عين البوم

..... إلخ (١)

وهذه الأغاني الشعبية التي جمعها جاستون ماسبيرو في بلاد الصعيد لمختلفة مثل أسيرط وأسوان والأقصر والمنيا قيلت في مناسبات مختلفة .

— في حفلات زواج : أغنية تقال للعروس وأخرى للعريس ، أغنية تقال عند دخول العريس الحنم وأخرى عند خروجه منه وشاهما للعريس ، أغنية تقال في ليلة الحناء وأخرى في ليلة الرفف وثالثة صباح يوم لزفاف .. إلخ فمن الأغاني التي تقال للعريس .

عابج ^(٢) ويبنى الورد في منديله	العمر وهبه يا كريم ندى له
عابج ويبنى الورد في محرمته	العمر وهبه يا كريم تديه له
جاء على السكرى جدير الشوربجي	ولا كل من شرب القهاوى قهو جى
ولا كل من اف العميمة زانها	ولا كل من ركب الفرس خياها
على جبين المجمع شفت طاقيه	فبها جميع اولاد حن الخرجيه

(١) مجموعة من الأغاني الشعبية متداولة في مصر العليا ! تم بحمدها ونشرها مع ترجمة لها بالفرنسية جاستون ماسبيرو . طبع ١٩١٤ القاهرة ص ١٤٧

(٢) عبر بالميم المصرية عن القاف كمينطق بها أهل الصعيد في مثل عابج ج ع .

على جبين المجلع شفت طاقه
 على جبين المجلع شفت طاقه
 على جين المجلع شفت طاقه
 على جبين المجلع شفت طاقه
 على جبين المجلع شفت طاقه
 فيها جميع الخضر حتى الملوخيه
 فيها جميع الفراخ من كل عقيقه
 فيها سواق الهوا تنهر بلا ميه
 فيها جميع النبات من كل شايبة
 فيها جميع الجوار من كل حبشية^(١)
 وأغنية تقل للعروس .

يابت يا اللي حبلك رن على الساق
 لا دعي على صايغه بقلة الأرزاق
 رنته في المدينة ميمته بولاق
 دا الى عمله شلاشل هيج العشاق
 إلخ^(٢)

— وأغنى تقل في إقبال المولود الجديد وعند ختانه وعند ما يذهب إلى
 الكتاب...

فن أغانيهم في حفلات الختان .

يامن بابه عالي ورواقه هاوي
 رحى المناجر ولق— نى خفه
 حسبك بالله وصيدى الإمام
 دخل المزين عن— دنا وندهل
 ومن قبل ما تطهر عريسننا سمي
 والعتبة قرنفل وبخوره جوى
 جاب لى شواهي من سابع لفه
 البس يا مطاهر وانزل الزفه
 قبي رؤوف ما أقدرش آجى يبنى
 واندو قول يا قطب يامتولى^(٣)

وأنى تقال بمناسبة ذهاب الحجاج إلى بيت الله الحرام ، وأخرى بمناسبة
 عودتهم .

(١) المرجع السابق ص ١١٧

(٢) المرجع نفسه ص ١١٨

(٣) المرجع نفسه ص ١٢٧

فمن أغانيهم بمناسبة الذهاب إلى حج بيت الله .

طريق الحجاز جنيته نشوها	زينوها الملوك لفاطمه وأبوها
طريق الحجاز جنيته وجنه	زينوها الملوك لمن صام وصلى
يا نجوم السما وكونوا حناين	ما تبخوش ندا تبلوا العمائم
يا نجوم السما وكونوا دراويش	ما تبخوش ندا تبلوا الطرايش
يا جمل يا جمل إذا جبت لي أحبابي	أعلفك يا جمل بسمسم وسكر جلابي
يا جمل يا جمل وإذا جبتهم لي	أعلفك يا جمل بطارفي وكمي
يا جمل يا جمل وإذا جبت سيدك	لأعلفك يا جمل وازود عليحك

..... إلخ (١)

قطع في بكاء السيدات الصعديات على الموتى وهي من النوع المعروف عند العامة (بالعديد) على رجل مات شاباً وآخر مات كهلاً، و امرأة شابة وأخرى مسنة وامرأة ماتت دون أن تنجب ذرية، وعلى طفل صغير، وعلى رجل مات مريضاً وآخر غريقاً وثالث غريباً . . . فمن قولهم في رجل مات في سن الشباب .

يا مغسله قبل أن تبل الظهر	ميل عليه وقول له الغياب كام شهر
يا مغسله قبل أن تبل أيديه	ميل عليه وقول له الغياب كد إيه
يا مغسله غسله بماء الورد	وبعد الغسيل قول له هيمه يا شاب
يا مغسله غسله بماء الطيب	وبعد الغسيل قل له نعيمه يا سيد

..... إلخ (٢)

— أغاني تقال أثناء العمل : في الحقل والبناء والحفر . .

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٥

(٢) المرجع نفسه ص ١٥٧

منها غنية د اثني عشر لولية هـ

امغنى - يا بو ثنى عشر لولاية .

دعا و شکر و تحسین

مفتی - پیر بوزمزم و ضرب موال .

دعای عشق و اله

منقنہ .. زرعۃ القمح طمع جلیبان .

الحمد لله رب العالمين

انفی - یا خیاره نظامی (۱۱)

بعضهم في بلاد الشام والحدادوف وفي السواقي وفي البطاحون والمحراثون ونحو
بعضهم يلقون عند حصادهم فمن غابهم في العود والشادوف .

کتابت



Figure 1 consists of two line graphs. The left graph plots 'Growth rate (log CFU/h)' on the y-axis (0 to 1.0) against 'Temperature (°C)' on the x-axis (10 to 50). It shows a bell-shaped curve peaking at 37°C. The right graph plots 'Growth rate (log CFU/h)' on the y-axis (0 to 1.0) against 'Temperature (°C)' on the x-axis (10 to 50). It shows a similar bell-shaped curve peaking at 37°C, but with a wider range of growth activity compared to the left graph.

مجلس

《 》 《 》

سید محمد علی و عین زلمی

(٢) مجموعه أزجال مصرية نشرها جوبج كولان في رسالة له
عن لغة خديث في جنوب مثل منطقة تازة (٣) وندار إلى أنه أخذها من مجموعة

المرج: ١٧٤



(3) Le parler Arabe du nord de la Région de Taoudeni, Georges S. Colin, Le Caire 1920

مخطوطة للأغاني الشعبية وجدها في مكتبة المعهد الفرنسي لعلوم الآثار الشرقية .
وأهم هذه القطع التي قام بنشرها « قطعة زجل غزوة النصاري الفرنسيين
في مصر » والتي مطلعها .

يا من أنى نحوى يزيد التبيين قف واستمع ما قد جرى في الأخبار
كلام القوم اللثام الفجرة وما أرادوا يفعلوه في الأبرار

..... الخ

وهي قطعة طويلة تتكون من ٧٤ دوراً .

(٤) الحكاية « باسم الحداد وما جرى له مع هرون الرشيد » :

نشرها الكونت كارلودي لندبيرج Le Conte Carlo de Landberg

في قائمته : في قالب دارج حسب اللهجة المصرية ، وفي قالب دارج حسب
اللهجة السورية . وقدم لها مقدمة باللغة الفرنسية أشار فيها إلى تاريخ دراسة
اللهجات العربية .

وتزعم الحكاية أن هرون الرشيد قد ضاق صدره يوماً ، فخرج متخفياً يتجول
في أنحاء المدينة يصحبه الوزير جعفر والسياف مسرور . وانتهت جولاتهم عند
بيت باسم الحداد ، وهو شاب مرح ينفق كسب يومه كله في طعامه وملذاته
دون أن يعمل لئلا يحسبوا . طرق الخليفة وصحبه باب . سمع على أنهم دراويش
غرباء ، فأحسن واسم استقبلهم واكرمهم ، ثم عرفهم بنفسه وراحهم في الحياة إلى
أن انتهت زيارتهم وخرج الخليفة معجباً بأجابات باسم وسرعة يديته . أراد
الخليفة بعد ذلك أن يتمحن إرادة باسم وقوة عزيمته على مجابهة الحياة فأمر
بتمطيل جمع الحدادين وإغلاق محلاتهم ليرى تصرف باسم بعد أن قطع مورد
رزقه . فلما زاره في المساء وجده في أحسن حال ، وقد وجد لنفسه مهنة جديدة
ومرعان ما أمر الخليفة بتعطيلها . وهكذا ظل الخليفة يسد في وجهه كل باب

يطرقه . . . وأخيراً تنتهى القصة بان يكشف الخليفة لباسه عن شخصيته ويجزل له العطاء .

— والقصة مليئة ببذء الألفاظ وغريب التشبيهات والعبارات التى بدأت تتلاشى من السنة العامة الآن مثل : وعملت لى سيد من قيقى شمر (ص ٢٢) لا بد أن أعمل معه عمل حتى أدوخه وأجيب له الضفر الحراتى والضيق ونشطان الريق (ص ١١) . راحت العبارة على ما راحت طزنش يا عشور (ص ٣٠) . . . فالقصة من هذه الناحية تعطينا صورة عن تطور العامية فى وقتنا الحاضر وخلوها من كثير من الشوائب ، وجنوحها فيما يطرأ عليها من التهذيب والكمال نحو العربية الفصيحة .

— وفى القصة إصطلاحات خاصة بأصحاب المهن المختلفة . تقول القصة مثلاً فى تتبع محاولة الخليفة وصحبه لاستقصاء أخبار باسم .

« وانسأتوا استخبوا فى دكان معاجينى . . فما صدق المعاجينى أنه شافهم ظنهم أولاد كدبه . سأهم عن الصنف اللى بدهم يتعاطوه . قالوا له قل لنا عندك أية ؟ قل عندى خراتور وقرابهنوان وأنطون باشا وهندى ودھنة وعتر وكافور وبلدى ومرطب الدماغ ، وفيه كان جوارش وملبس وجالب النوم وأفيون وسائر المكيفات . الى بدكم فيه قولوا لى عليه . . »^(١)

وفى القصة المروية باللهجة المصرية ألفاظ كثيرة غريبة على المصرى مثل : (الله لا يشمك خير) فى لمجتنا (الله لا يورك خير) ومثل (اللقش على الخريم) فى لمجتنا (التاليس على الخريم) .

(٥) أربع حكايات باللهجة القاهرية . جمع ه . دولاك H. Dulac

(١) حكاية باسم الحداد وما جرى ه مع هرون الرشيد . نشرها الكونت كارلودى لندبيرج . طبع ليد ١٨٨٨ ص ٢٤

من أفواه العامة في القاهرة^(١) . وهي من نوع الأحداث المعروفة عند العامة
(بالحدوة) وهي :

١ - حكاية جليلة ٢ - الصياد والخباز والقاضي

٣ - العصفور والجرادة ٤ - الجمجمة

وقد قدم لها مقدمة بالفرنسية . أشار فيها إلى أن هذه الحكايات الأربعة التي
جمعها بنفسه في القاهرة قد أملاها عليه أفراد أميون ، فهي لذلك تعتبر نموذجاً صادقاً
لهجة الحديث في القاهرة ، المتداولة بين طبقات السكان الذين لم يتأثروا بأي شكل
من الأشكال باللغة العربية الفصحى . وأشار أيضاً إلى أنه قد جمع خلال السنوات
الثلاث التي عاشها في القاهرة عدداً من الحكايات والقصص الشعبية ، يقرب عددها
من الأربعين ، وأنه ينوي نشرها في أقرب فرصة إذا صادفت هذه الحكايات
الأربعة - المشار إليها - قبولاً من القراء .

- (٦) قصص عن أخبار العرب . نشرها بالعامية أنوليمان Enno
Iittmann وكان عضواً بجمع اللغة العربية بالقاهرة . وهذه القصص تمثل ألواناً
البطولة العربية مثل الشجاعة والوفاء والتضحية . . إلخ .

ويطلب على لغة هذه القصص اللهجة البدوية . فمثلاً في القصة الرابعة التي
تحدث عن أخبار قبيلة الغبيين حين اجتمع أفراد القبيلة وأرادوا أن يخبروا
أميرهم بينهم وبين ابنه الوحيد الذي قتل بنات القبيلة بجماله . تقول القصة :

1) Quatre Contes Arabes en Dialecte Cairote Par. H. Dulac (Dans les
mémoires de mission Archéologique Française du Caire) Paris 1881-1884.

« قالوا الراى تقوم نذهب إلى عند الأمير حسن، إما أن يرحل ابنه عن العرب أو نحن نرحل عنه، فتوجهوا إلى عند الأمير حسن وقلوا له ابنك لك وأما نحن فلسنا لك . فإما أن يتخلى عن العرب أو نحن نرحل عنه . فقال لهم امهلونى يا عرب حتى أشاور أمه . فقام وراح إلى عند أمينة وأخبرها بطلب العرب فقالت ألف هوان بالولد وألف عزاز بالعرب يا ابن العم . الرجل رجل ما ينخاف عليه . دعه يغيث عن العرب سنة وبعدها يرجع، فقال الأمير حسن زينة . وتانى يوم جهزت له زواده وركب فرسه « عطيه » وودع أبو وأمه وسافر . . . » (١) .

(١) قصص عن أخبار العرب . أنوليتهان طبع ستراسبورج سنة ١٩٠٨ .

الفصل الثالث

المحاولات التي قام بها الأجانب لإدخال العامية

في نماذج أدبية رفيعة وعلمية

قام ولیم ولـكوكس William Willcocks مهندس الري الانجليزي في مصر بعدة محاولات لإدخال العامية في نماذج أدبية رفيعة وعلمية لكي يشجع المصريين على محاراته في هذه التجارب، فتمكن العامية بذلك من إقحام الميدان العلمي والأدبي، وتصبح لها أهمية قد تساعد - كما يأمل - في سرعة القضاء على العربية الفصحى .

(١) ترجم إلى العامية قطعا من روايات شكسبير : قطعتان من رواية هنري الرابع، وقطعة من رواية هملت . نشرها في مجلته «الأزهر» التي اتخذها مسرحا للدعوة إلى العامية ^(١) .

وفي هذه الترجمات وجدنا العامية لم تسعفه في نقل أفكار شكسبير مما اضطره إلى إستعارة كلمات وجمل من العربية الفصحى ، ووجدنا هذه العامية أيضا مشوبة بلهجة الأجنبية مما يدل على عدم إستقرارها وتغيرها من نطق إلى نطق ، هذا إلى ما أحدثته العامية من تشوية لجو هذه الروايات التاريخية التي تعد من روائع شكسبير .

(١) أنظر مجلة الأزهر . لوليم ولـكوكس وأحمد الأزهري . العدد الخامس . السنة السادسة سنة ١٨٩٣ ص ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ .

أنظر مثلاً إلى هذه القطعة التي ترجمها من رواية هنري الرابع (المنظر الثاني من الفصل الخامس^(١)) .

يقدمها المترجم بقوله :

المتكلمون : للورد ورك Warwick - وهو من أشهر الأعيان وأقواهم في إنجلترا .

قاضي القضاة - وكان رجلاً عالي المهمة كامل الشرف والذمة .

البرنسات الثلاث - وهم أخوة هنري الخامس .

هنري الخامس - خليفة هنري الرابع .

والكلام كان بعد موت الملك هنري الرابع .

المنظر : أودة في سراية يدخل فيها قاضي القضاة والورد ورك عقب موت

ملك هنري الرابع .

- ثم تبدأ الترجمة هكذا :

ورك للقاضي : إزيك يا قاضي بتعمل إيه دلوقت ؟

القاضي لورك : إزي الملك ؟

ورك : الملك ارتاح وهوومه راحت .

القاضي : هو لسا حي ؟

ورك : هو خنص نؤمن بقاءه وبالذنبه لنا غير حي .

القاضي : أنا أكون مبسوط لو كان خدني معاه لأن الشغل اللي عملته في

حياته على شأنه خلاني معرض لكل ضرر .

ورك : ألي قننه صحيح وأنا افكر أن الملك الجديد ما يحبكش .

(١) أنظر النص الانجليزي في كتاب .

القاضي : أنا عارف إنه ما يجبنش ، وأنا دلوقت أقوى قلبى حتى أكون
قادر على كل مصيبة تيجى .

ورك : أهم جاينين أولاد الملك الثلاثة، وياريت هنرى الخامس كان زى
أضعف أخوته الثلاثة، فانه لو كان كده ما كدش حد من الذوات يترك محله للناس
دون ويقعد فى بيته .

القاضي : أنا أظن كل شىء يتغير وتنقلب الأحوال .

(يدخل البرنسات)

البرنسات : نهاركم سعيد. احنا اجتمعنا زى الناس اللى ما يعرفوش يتكلموا
ونسبوا الكلام .

ورك للبرنسات : لا . احنا ما ننساش الكلام ولكن اللى عندنا من الحزن
يخلينا ما نتكلمش كثير .

برنس للقاضي - سعادتك عدمت حبيب عزيز وأنا أحلف إن الزعل اللى
على وجهك حقيقى وليس كدر كذب، ولكن الناس ما تعرفش اللى يحصل إيه
فى الزمن اللى جاى، ولكن سعادتك عندك بصيرة تخليك تعرف كل حاجة . وأنا
زعلان من حصول المصائب دى. ود الوقت يلزمك تعمل السياسة اللازمة لحبيب
الملك السيرجون فولستاف وإن كان دا خلاف المشى اللى يمشوه الناس الاشراف .

القاضي للبرنسات : يا برنسات يا عزاز اللى عملته ، عملته بغاية الشرف من
غير غرض بل بقلب مخلص ، وانتم لا ترونى أبداً فى الزمن اللى جاى استعمل
السياسة واترجى أى واحد على شان إن الملك يجبنى ، وإن كانت سلامة القلب
ما تساعدنيس فى زمن الملك دا أنا أروح للملك السابق وأقول له .

(لما يشوف الملك جاى)

ورك : الملك أهو جاى هنا (يدخل هنرى الخامس)

القاضي : ربنا يخلي مولانا الملك .

هنري . يا أخواتي أنا موش مبسوط اللي بقيت ملك زى ما تظنوا أنا أشوف
إنكم خلطتم الزعل بقاعكم ببعض الخوف . السراية الى احنا فيها ليست تركية
وليس مراد جه بعد مراد، وإنما هنري جه بعد هنري ، لكن يا أخواتي أنتم
معدورين من لزعل دا، فإن والدنا كان راجل طيب وأنا شريككم في لزعل
دا لأن الى ضاع منكم ضاع مني وأنا بقيت دا الوقت بالنسبة لكم زى بزيادة
عن الأخوة الى بيننا .

البرنسات لهنري : احنا عشنا في جلاتك كده .

هنري : أنتم على داير واحد لما تشوفوني تستنبوا وتمعدروا وانت يا قاضي
القضاة أكثر منهم . ويلزمك متحقق من أنى ما أحببكش .

القاضي لهنري : أنا متحقق من كده ولكن لو كنت جلاتك توزى طيب
ما كنتش تكرهني .

هنري للقاضي . هل يلزمني أنى ما أكرهكش . إزاي أنسى الى صدر
منك في حق من القباحة في الأيام الى راحت ، وقت ما ذميت ولمت و رسلت
للحبس البرنس ولى عهد إنجلترا انت تظن أن دا أمر سهل ، أنا لا أقدر أغسل
الى في قاي من لأحقاد ، ولا أقدر أصرفه ولا أنساه .

القاضي لهنري : أنا كنت في الوقت دا في مقام أبوك ، وكانت جميع القوة
بتاعته عندي ، ولما كنت أعدل قانون الملك ومشغول بأمر الناس كلها ، جنابك
تفضات على بنسيان مقامى ونسيت قدر الشريعة والعدل . ولما كنت أنا بدل
الملك في الحل دا جيت أنت وضربتني وأنا جالس على كرسي القضاة وبالسبب
دا اعتمدت على مالى من السلطة وأمرت الى لو كان أبوك في مجلى لأمر به .^(١)
وأهم ما تلاحظه في أسلوب هذه الترجمة هو اقترابه من الفصحى على عكس

(١) مجلة الازهر الممدد الخامس . السنة السادسة ١٨٩٣ ص ٣٠١ .

ما كان يهدف إليه ولـكوكس ، وهو أن يكون ممثلاً للعامة لدرجة بين عامة المصريين . ويزداد اقتراب هذا الأسلوب من الفصحى في المواقف التي تتطلب النصيح وتعرض نظرات عامة في الحياة وفي الناس كما يظهر في تلك القطعة الصغيرة التي اكتفى ولـكوكس بترجمتها من رواية همت . . . وهي :

نصيحة الوزير لابنه حينما أرسله إلى فرنسا للتمتزه

(المنظر الثالث من الفصل الأول)

الوزير لابنه : شوف يا ابني . ربنا يجمل البركة فيك أوعى تنسى النصيحة إلى حقوقك عليها ولازم تخليها قدام عينيك . لا تكلم بكل حاجة بجوف فمك . وافكر كثير قبل ما تشرع في أى عمل تصير . محبوب عند الناس كلهم . والأصحاب إلى عرفتهم وجربتهم طيب أوعى تفرط فيهم ، واربط نفسك وأياهم بطرق صاب ، ولا تكونش صاحب لكل واحد . والبس أغلى الهدوم وأحسنها اليوم قدر ما تقدر لأن كل واحد يعرف غيره من هدمومه وخصوصا بلاد فرنسا إلى فيها ناس أصحاب نظر في الأمور دي ويعرفوها طيب ، وابتعد عن الفخفة والخرقة . وأوعى تدخل في المشاجرات ، ولكن إذا وقعت في خناقة اجتهد على قدر طاقتك حتى تخوف عدوك . واعطى ودنك واحفظ لسانك . أوعى تستأف ولا تسأف حد لأنك لو سألته تضعف فلو سأل صاحبك والدين يكون سبب خسارتك . وأكبر نصيحة أقولها لك انك تكون صادق مع نفسك فان إلى يصدق مع نفسه ما يكونش غير صادق مع غيره . روح يا ابني انت وديعتي عند الله ^(١) .

وتتضح لنا طريقة ولـكوكس في الترجمة من مقارنة هذا النص العامى بنظيره الفصيح كما ترجمته عن الأصل الانجليزى ^(٢) وهو: polonius: بولونيوس «يا للعار!

(١) المرجع السابق ص ٣٠٤ .

(٢) وجدت ترجمتين بالعربية الفصحى «هملت» أحدهما لطنبوس عبده والأخرى لخليل مطران ، ولـكن المترجمين تصرفا في الأصل فحذفوا بعض قطع من الرواية منها هذه القطعة التي نحن صدد الكلام عنها . ويجدر بنا أن نشير هنا إلى ملاحظة إلى روايات شكسبير من ترجمات في العربية الفصحى منها: العاصفة - الليلة الثانية عشرة - ريتشارد الثاني - كاتيهوا - هنرى الثامن - أنطونيو وكليوباترة . عربها محمد عوض إبراهيم ، وعطيل - مكبث - تاجر البندقية - همت ، عربها خليل مطران .

ألا زلت هنا يا Leartes ليريتس ؟ أسرع واركب السفين فالريح تملأ القلاع
وهم ينتظرونك الآن . اذهب واتصحبك دعواتي الصالحة . وهذه الحكم انقشها
في ذا كرتك . لا تفصح عما يجول في ذهنك ، ولا تنفذ أى فكرة لا تليق بك .
كن ودوداً مع الغير دون أن تجعلهم يفقدون إحترامهم لك . قرب من نفسك
أولئك الأصدقاء الذين خبرتهم واربط بينهم وبين روحك برباط من الفولاذ .
لا تبخس من قيمة صداقتك فتنادم كل من جاء يطلب صحبتك ولا تعرفه . إحذر
الشجار مع الغير ، ولكن إذا حدث وتشاجرت فاسلك بحيث يخشى خصمك بأسك .
تصت إلى الجميع ولكن لا تتحدث إلا إلى البعض . طلب نصيحة كل رجل
دون أن تفقد أبداً حكمك الشخصي . ارتد من الثياب الغالية ما يستطيع جيبك
أن يتحمل ثمنه ، ولكن لا تنفق على البدع ولا تبالغ في التأنق . ليكن ملبسك
غنياً ولكن معتدلاً . فالزى غالباً ما يدل على حقيقة الرجل لا سيما وأن أصحاب
المراكز السامية في فرنسا مدققون في ذلك ويختارون ثيابهم بعناية فائقة . لا تكن
أبداً داثناً أو مديناً فاقراض الصديق غالباً ما يودي بالمال والصديق ، كما أن
الاستدانة توهن الاقتصاد . ولكن تذكر هذه الحكمة قبل أى شئ آخر .
لتكن صادقاً مع نفسك فسيقتب صدقك مع نفسك كما يقتب الليل النهار أنك
من تكون كاذباً مع أحد . وداعاً ولتتم دعواتي هذه الحكمة في نفسك» (١) .

وبمقارنة النص العائى بالنص الفصيح نجد أن والكو كس لم يقيّد في ترجمته
بالنص لأصلي . كان يهدف بعض الجمال . أو يقدم بعضهم عن بعض ، وحياءاً بكتفى
تصوير معنى تصويراً إيجابياً . كل ذلك ليسهل على نفسه استخداماً ألمية وبرغها

(١) أنظر الاصل الانجليزى في كتاب

The plays of William Shakespeare, originally by George Shalbourne and Edmund Malone, Edited by Stanley Seager, 11th Edition, Vol. VIII, London 1966

على تقل هذه الروائع الأدبية العالمية ، وأنه اضطر رغم ذلك إلى الاستعانة بالعربية الفصحى .

(٢) وترجم الانجيل إلى العامية أو كما يسميها اللغة المصرية العامة :

وقد وجدت من بين ما نقله ولكوكس إلى العامية لتدعيم مذهبه هذا اجزاء من الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد وهى : إنجيل مرقس وإنجيل متى وسفر التكوين وسفر المزامير وأعمال الرسل^(١) وفى هذه الترجمة وجدت العامية قلقلة فى موضعها لسوء المعانى التى تعبر عنها والتى تحاول تشويها ، كما أنها لم تقو بفردتها على التعبير عن تلك المعانى فلجأت إلى الفصحى تستمد منها العون شأنها فى كل المواضع الرفيعة التى أرغمت على مهاجتها .

وتتضح لنا هذه الظاهرة بمقارنة النص العامى بنظيره الفصحى ولو أن هذا الأخير لم يوضع فى أسلوب بليغ كما كان يجب أن يكون .

خذ مثلاً نصاً من انجيل متى (عن ولادة المسيح عليه السلام) فى العامية والفصحى .

النص العامى : « أما ولادة يسوع المسيح فكانت زى كده . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوסף ، قبل إجماعهم أتوجدت حبل من الروح القدس . فيوسف

(١) ترجم ولكوكس الانجيل إلى العامية قبل سنة ١٩٢٦ كما أشار هو نفسه إلى ذلك فى رسالته التى نشرها سنة ١٩٢٦ وهى : « سوريا ومصر وشمال افريقية ومالطة تتكلم اليونانية لا العربية » ولكن الاجزاء التى استطعت أن اطلع عليها كانت فى أحدث طبعة لها . طبعت كلها بين سنة ١٩٤٠ وسنة ١٩٤٩ : . انجيل متى (١٩٤٠) انجيل مرقس (١٩٤٤) المزامير (١٩٤٥) أعمال الرسل (١٩٤٧) سفر التكوين (١٩٤٩) وقد طبعت جميعها على نفقة الجمعية البريطانية لنشر الكتب المقدسة .

وقد أخبرنى صاحب مكتبة « جمعية الكتاب المقدس » باسكندرية التى وجدت فيها هذه الاجزاء أنه لا ينتظر اصدار طبقات جديدة لها ، لأنها لم تعد تجد قبولا من القراء ، ولأن الهيئات الدينية المسيحية بدأت تعارض فى اصدارها .

راجاهما لذكره صالح ومش عاوز بشهرها ع—زيم على فر قها في السر .
 والسكن . عر بي فكر في الأمور دي إلا وملاك الرب ظهر له في حلم وقال : يا يوسف
 ابن داود : لا تخفش من أخذ مريم امرأتك لأن إلى هي حبل به هو من الروح
 القدس . ه حازله ولد وانت تسمى اسمه يسوع . لأنه هو حايخلص شعبه من
 خطيئته . وكل دا حصل عشان يتم إلى تقبل من الرب على لسان النبي القايل .
 هي البكر حانحل وتولد ولد وبسموا اسمه عم نوئيل إلى تفسيره الله معنا . ولما
 قـم يوسف من النوم عمل زى ما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته . وما عرفهاش
 لحد ولد ولد وبسمى اسمه يسوع » (١) .

النص العربي : ثم ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم
 مع مريم يوسف قبل أن يجتمعا فوجدت حبل من روح القدس . فيوسف
 جبها من بيتها وأول بيتان يتبرها ردت بخيئها سرأ . والسكن فيها هو متفكر
 في السر . هذا ملاك الرب فند ظهر له في حلم وقال : يا يوسف بن داود
 لا تخفش من أخذ مريم امرأتك . لأن هي حبل به فيها هو من روح القدس
 فستلد له ولد وبسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطيئهم . وهذا كله كان
 لكي يتم من رب النبي القايل هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون
 اسمه يسوع . تفسيره الله معنا . فند ستينظ يوسف من النوم عمل كما أمره
 ملاك الرب وأخذ امرأته . ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعت اسمه
 يسوع » (٢) .

وحد مثلا آخر من المزامير في العامية ولفصحى . (الزبور لأول) .

(١) : جـ متى باللغة المصرية العامة . طبع القاهرة سنة ١٩٤٥ . النص لأول ص ٣٢٠ .

(٢) : نجيل متى . إمامة عربية لفصحى . طبع القاهرة سنة ١٩٥٥ . الاصحاح الأول

النص العربي

- (١) يا بخت الرجل إلى ما مشاش في مشورة الأشرار . وفي طريق الخاطئين ما وقفش . وفي مجلس المستهزئين ما جلسش .
- (٢) لكن في شريعة الرب سروره وفي شريعته يفتكر نهار وليل .
- (٣) فيكون زى شجرة مزروعة على مجارى مية تدى ثمرها فى أوانه وورقها ما يدبلس وكل إلى بعمله يفلح .
- (٤) الأشرار مش كذا لكنهم زى التبن إلى تدريبه الريح .
- (٥) على كذا ما يقوموش الأشرار فى القضا ولا الخاطئين فى جماعة الصديقين .
- (٦) لأن الرب عارف طريق الصديقين ، وطريق الأشرار تخلص^(١) .

النص العربى :

- (١) طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف . وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .
- (٢) لكن فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلج نهاراً وليلاً .
- (٣) فيكون كشجرة مفروسة عند مجارى المياه تعطى ثمرها فى أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يمسسه ينجح .
- (٤) ليس كذلك لأشرار لكنهم كالعصافرة التى تذرهبها ريح .
- (٥) لذلك لا تقوم لأشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الأبرار .
- (٦) لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فهلاك^(٢) .
- وبمقارنة هذه النصوص يتضح لنا مدى اقتراب العامية من الفصحى ، حتى لقد اضطر ولكوكس أن يستبدل جمل وكلمات عربية بأخرى عربية أيضاً وكأنه

(١) سفر المزامير . باللغة المصرية العامة . طبع القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ١ .

(٢) سفر المزامير . باللغة العربية الفصحى . طبع القاهرة ص ٣ - ٤ .

يريد تفسيرها وتوضيحها . ففي النص الأول (ولادة المسيح) نراه يستبدل جملة (عزم على فراقها في السر) بجملة (أراد تخليتها سراً) وجملة (قام يوسف من النوم) بجملة (استيقظ يوسف من النوم) . وفي النص الثاني (المزامير) نراه يستبدل جملة (شريعة الرب) بجملة (ناموس الرب) وكلمة (سروره) بكلمة (مسرته) وجملة (جماعة الصديقين) بجملة (جماعة الأبرار) وجملة (طريق الأشرار تتلاشى) بجملة (طريق الأشرار يهلك) .

وترجع جرأة ولكوكس على ترجمة لانجيل إلى العامة فيما اعتقد إلى ما يأتي :

(١) إن اللغة العربية الفصحى لم تحظ عند المسيحيين بالقداسة التي حظيت بها عند المسلمين .

(٢) إن إحتذاء الجملة القرآنية لم يكن مستحباً عند دعاة التجديد سواء في التعبير الأدبي أم في ترجمة الأناجيل . وقد أشار مصطفى صادق الرافعي إلى هذه النقطة في كتابه « تحت راية القرآن » وذلك عندما اقترحت عليه إحدى الصحف العربية التي تصدر في أمريكا أن يترك الجملة القرآنية ، فأثاره هذا الاقتراح ورد عليه مينا مكانة الجملة القرآنية التي تعتبر المثل الأعلى للكتابة العربية ، مندداً بالجملة الانجيلية التي بوا أن ينزلوها منزلتها من اللسان الفصيح ، وبمن ساروا على منهجها ، وبما ترتب على ذلك من ضعف الأساليب الكتابية ، وذلك حيث يقول « نهيتني إحدى الصحف العربية التي تصدر في أمريكا عندما تناولت الكلام على رسائل الإخوان ^(١) بقول جاء في بعض معانيه إني لو تركت « الجملة القرآنية » والحديث الشريف ونزعت إلى غيرها لكان ذلك أجدي على وملأت الدهر ثم لحطمت في أهل المذهب الجديد حطمة لا يبعد في أغلب الظن أن تجمعني في الأدب مذهباً وحدي ! . . . وإذا أنا تركت الجملة

(١) كتاب لمصطفى صادق الرافعي في فلسفة الجمال والحب .

القرآنية وعربيتها وفصاحتها وسموها، وقيامها في تربية الملمة وإرهاق المنطق وحقل الذوق مقام نشأة خالصة في أفصح قبائل العرب، وردّها تاريخنا القديم إلينا حتى كأننا فيه، وصلتنا به حتى كأنه فينا، وحفظها لنا منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنطق الفصحاء من قومه حتى لكان ألسنتهم عند التلاوة هي تدور في أفواهنا وسلاتهم هي تقيمنا على أوزانها - إذا أنا فعلت ذلك ورضيته افترائي اتبع أسلوب الترجمة في الجملة الإنجيلية . . . وأسف إلى هوة الرطانة الأعجمية المعربة، وارتفع تلك اللكنة المعوجة، وأعز بنفسي على لغتي وقوه بقي وأكتب كتابة تمت أجدادي في الإسلام ميتة جديدة فتقلب كلماتي على تاريخهم كالودود يخرج من الميت ولا يأكل إلا الميت، وأنشئ على سنتي المريضة نشأة من الناس يكون أبغض الأشياء عندها هو الصحيح الذي كان يجب أن يكون أحب الأشياء إليها؟

كنت أعرف أن صاحبنا الكاتب البليغ المدقق الشيخ إبراهيم اليازجي لما أرادوه على تصحيح الأناجيل رغب إليهم أن يصرف قلمه في الترجمة فينزلها منزلتها من اللسان ويتخير ألفاظها وينزل عجمتها ويخلصها من فساد التركيب وسوء التأليف ويفرغ عليها جزالة ويجعل لها حلاوة، فأبوا عليه كل ذلك ومنعوه منه وأقاموه فيها بمنزلة من يعرب آخر الكلمة فعليه أن يترك الكلمة إلا آخرها . . .

كنت أعرف ذلك وما فطنت يوما إلى سببه حتى كانت قولة « الجملة القرآنية » كالمنيهة عليه، فرأيت القوم قد أثمرت شجرتهم ثمراها المر وخاف من بعدهم خلف أضاعوا العربية بهريتهم، وأفسدوا اللغة بلفتهم، ودفعوا الأقلام في أسلوب ما أدري أهو عبراني إلى العربية أم عربي إلى العبرانية

لا يعرفون غيره ولا يطيقون سواه ، وترى أحدهم يهوى باللغة إلى الأرض وإنه عند نفسه لطائر بها في طيارة من طراز زبلن . . . !

وليتهم اقتصروا على هذا في أنفسهم وأنصفوا منها ، بل هم يدعون إلى مذهبهم ذلك ، ويعتدونه المذهب لا معدل عنه ، ويسمونه الجديد لا رغبة من دونه ، ويعتبرونه الصحيح لا يصح إلا هو ، وكلهم يعلم أنه ليس بصاحب لغة ولا هو مقتنى بها ولا كان ممن يتسمون بعلومها ، ثم ينقلهم هذا العبث إلى آراء كبار الصغار في الأمور الكبيرة ، فيحاولون أن يخلقوا في اللغة فطرة جديدة غير تلك الأولى التي وضعت عليها جبرئيلها واستقام بها أمرها ، وتحقق إعجاز الفصاحة العربية بخصائصها .

ومرجع هذا البلاء كله أن عربية الجملة الإنجيلية تغزو عربية الجملة النثرانية من حيث يدرى أولئك أولا يدرون ، فما أشبه هذه الأساليب لركيكة في مقرها من الآداب العربية بالمرض الموروث الكامن في الجسم الصحيح يترص غفلة أو علة أو تهاونا فيظهر فإذا هو مشغلة للمعدة ، ثم يستشري فإذا هو مفسدة لها ، ثم يضرب فيتمكن فإذا هو مزاج جديد ، ثم إذا هو الموت بعد ! على أنى لا أعرف من السبب في ضعف الأساليب الكتابية والنزول باللغة دون منزلتها إلا واحداً من ثلاثة ، فإما مستعمرون يهدمون الأمة في لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذي هي أمة به ولن تكون أمة إلا به ، وإما النشأة في الأدب على مثل منهج الترجمة في الجملة الإنجيلية والانطباع عليها وتعويج اللسان به ، وإما الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضعف^(١) .

(١) كتاب تحت راية القرآن أو المعركة بين القديم والجديد (لمصطفى صادق الرافعي ص ٢٤ - ٢٦ الطبعة الثالثة . طبع القاهرة ١٩٥٣ .

(٣) والف ولكوكس كتابا بالعامة بعنوان « الأكل والإيمان » (١).

حاول فيه أن يدخل العامة في نماذج علمية . ويحتوى الكتاب على إرشادات صحية وفوائد طبية مصطبغة بتعاليم الدين المسيحى . وقد عرضه المؤلف فى قالب الحوار بين (منصور يوسف والأستاذ) الأول يسأل والثانى يجيب . وقسمه إلى سبعة فصول تناولت الموضوعات الآتية حسب قوله وترتيبه :

الفصل الأول - الجسم الفصل الثانى - ازاى نأكل

الفصل الثالث - أنواع الأكل الفصل الرابع - الاختبار فى الأكل

الفصل الخامس - الرهقان والبلهارسيا الفصل السادس - المرض

الفصل السابع - الصحة .

فى الفصل الأول « الجسم » :

تكلم عن وجوب المحافظة على الصحة التى هى ميراثنا من الله ، والتى نقف سلامتها على ما نتناوله من طعام وشراب . فى حوار يدور هكذا بين منصور يوسف والأستاذ

منصور يوسف : انت تقول يا أستاذ إن الصحة هى ميراثنا من الله .
أمال ليه فيه ناس كثير عيانيين ؟

الأستاذ : الجواب موجود فى الفصول الأوليين من الكتاب المقدس .
منصور : يعنى قصدك تقول ان سقوط آدم من جنينة عدن هو الجواب على سؤالى ؟

الأستاذ : أيوه الكتاب المقدس يقول ان الله خلق الرجل والمرأة من

(١) كتاب الأكل والإيمان . الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٩ . مطبعة النبل المسيحية .

وفي الفصل السادس « المرض » تكلم عن الأمراض النفسية مبينا أسبابها وطريقة معالجتها .

وفي الفصل السابع « الصحة » تكلم عن الإيمان كأنجع دواء للعقل والروح اللذين يتوقف على سلامتهما سلامة الجسم وصحته .
وأخيراً اختتم الكتاب بقطعة زجلية بعنوان « ساعة الصلاة » .

ما فيش أحلى منها	ساعة الصلاة لله
تدجيني من ضيق الشديد	وأنال بها رضاه
تبهـد عني التعب	وتنور لي قلبي
وتفتح لي باب السما	ويسمعني ربي
حاجاتي يقضيها	وأمراضي يشفيها
يديني كل أعوازي	ويمتني بيها
في ساعة أحزاني	ربي ما ينساني
يمسكني باليد اليميني	ويثبت إيماني
ما فيش أحلى منها	ساعة الصلاة لله
يفرح بها رب السما	ويديني الحياة
وعـدنا بالخـلاص	ان كنا نصلي له
أمراضنا يقدر يشفيها	ان كنا نجي له
حبه لنا عظيم	ورحمته واسعة

لازم نهلى لربنا ساعة الصلا نافعة

هذه هي المحاولات العملية التي قام بها لولـكوكس ليمهد الطريق للعامة التي أرادها لغة للعلم والأدب . ولقد كانت هذه المحاولات وتلك التي أشرنا إليها من قبل سواء ما كان منها لولـكوكس نفسه أم لغيره من الأوربيين اللبنة الأولى في نشأة الصراع بين الفصحى والعامة في مصر .

البَابُ الثَّانِي

الدعوة إلى العامية في مرحلتها الثانية

على ألسن العرب في مصر

الفصل الأول : العامية بعيدا عن الدعوة

الفصل الثاني : مدى الدعوة الأجنبية في صحف مصر

الفصل الثالث : اقتران الدعوة بحركات التجديد والإصلاح

الفصل الأول

العامية بعيداً عن الدعوة

إذا تتبعنا تاريخ الصراع بين الفصحى والعامية في مصر لانبجس أثراً لهذا الصراع قبل ظهور الدعوة الأجنبية التي نادى باتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي. كان في مصر من دعا إلى ضبط العامية، وكان فيها من استخدم العامية فعلاً في الكتابة، ولكن لم يكن هدفهم من ضبط العامية أو استخدامها رفع العامية إلى استعمال الكتابي حتى تتمكن من القضاء على الفصحى واحتلال مكانها كما كان يهدف دعاة العامية من الأجانب. وإنما كان هدفهم من ذلك هو استخدام العامية في مواضيع مخصوصة. للترفية عن العامة حيناً، ولتثقيفهم وتهذيبهم حيناً آخر، على أن تظل للفصحى مكانتها كلفة للأدب الرفيع والثقافة الإسلامية عامة، كما يتضح ذلك من دراسة أفكارهم إزاء العامية وآثارهم المدونة بالعامية. كان رفاة رافع الطمطاوي من أوائل المصريين الذين قالوا بضبط العامية ودعوا إلى التصنيف بها على أن يكون ذلك في مواضيع معينة تتعلق بمصالح العامة. واقترب فكرته هذه في حرص شديد في كتابه «أنور توفيق الجليل» بعد تهديد طويل أشاد فيه بالعربية الفصحى مبيناً أهمية تعلمها، ووجوب إحيائها، ومآثر الأوربيين في هذا الإحياء، ووسائل تقدمها ونشرها، وطرق تدريسها، وسهولة اكتساب ملكتها مفنداً مزاعم القائلين بصعوبتها. يقول: «واللسان العربي يحتاج إليه في فهم الكتاب والسنة وكتب الشريعة المطهرة وفهم مداركها واستنباطها على موجب قواعد ذلك اللسان، وأركانه أربعة: اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها من أوجب الواجبات».

ولا شك أن وحدة اللسان ووحدة الشريعة المصهرة يقضيان بوجوب التفهم بين هاتين شيئين في سائر أممك الإسلامية . فاللسان العربي هو الجامع لجميع أممك المتفرقة ، والدول المتباعدة المتحددة في الدين والشريعة المتباعدة في اللغات الالهية . فعني كل دولة من دول الإسلامية أن يعرف متميزوها اللغة العربية ، وأركانها الأربعة . لاسيما آدابها ودواوينها وشعارها ، ويزاولونها كل المزاولة لاحتياج هذه الأمة التي ضمت معلميها ودرست رسومها وقل راغبوها — وندر خاطبونها — من أمم أوروبا في مدارسهم الباحثة عن المعارف الشرقية القديمة كليونان القديمة وخلافه .

يبكي عليه غريب ليس يعرفه وذو قرابته في الحى مسرور
فقد اختصوا لأن باستخراج جوهر لسان العرب من معادنه ، واستنبطوا منها الفرائد الملهمة والفوائد الحجة ، واستكشفوا منها مجهول التواريخ والجغرافيا والعلوم والفنون والأخلاق والآداب والأمثال والحكم مما انتظم به ملكهم . فلا يليق بنا هجر هذه الوسائل المثيرة ، ولا يكفي نشر كتبها بمجرد الطبع والتبيل كالجزري لأن بمصر في هذا العصر ، كما لا يكفي أيضا التوسع في دائرة العلوم العربية ذاتي عترة وقراءة مطولاتها والاقتصار على معرفة الشواهد كما هو موجود في المدارس الإسلامية الكبيرة بدون تدريس دواوين العرب ودواوين من حذا سندوهم من المولدين ، بل لابد من التشويق والترغيب وأخذ كافة طبقة الجامع لأزهر لا تنور منها كغيرها من المعارف بأوفى حظ وأوفر نصيب . والكمال يقبل الكمال . ولا يكثر الكلام من لا يعرف قدرها فيستعصب أمرها ويبتصوب هجرها وينتصب لخفض شأنها ونقص مرفوع أركانها ، ويزعم أن لا تنفع بها ضياع زمان وأن المجتهد في تحصيلها لا يدرك منها طول عمره ما يرجح ميزان ، وما درى أنها لو تدلوا وألفتها الطباع وكشفت عن جميع محيها القناع ، لتجذبها العقول الذكية وطمعت إليها الأطلع وامتد إليها

من أولى النهى الباع والذراع وصارت لغة عامة للخاصة والعامة — فقد دلت
التواريخ الصحيحة على أن أكثر المتقدمين من العلماء في سن العشرين كانت لهم
فيها القريحة ، وإنما من جهل شيئا عاداه واقتصر على المؤلف لغة — له القاصر
وما تعداه .

نعم إن اللغة المتداولة في بلدة من البلاد، المسماة باللغة الدارجة التي يقع بها
التفاهم في المعاملات السائرة لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها
وأصول على حسب الإمكان تربطها ليتعارفها أهل الإقليم حيث نفهمها بالنسبة
اليهم عميم ، وتصنف فيها كتب المنافع العمومية والمصالح البلدية .

وأما الزينة الحقيقية للدول الإسلامية التي تجرد جيدها من حلاها ، فهي معرفة
لسان العرب الصحيح والحصول على ملكة التكلم بكلامه الفصيح والبحث عن
أسماء دواوينه القديمة وتقويم أود اللسان برصد مرصده القوم فان القوائد
العكاظية وغيرها من كلام العرب قد بلغت بها الدول العربية غاية القصد ونهاية
الأرب . فلا غرو أن عادت المياه إلى مجاريها وأعطى القوس باربها . فمضى
أن يكون العود أحمد والساعي في الخير يشكرو ويحمد فقد أفادت هذه الآداب
في الجاهلية فوائد جزيلة كانت سببا في تمهيد الإسلام كما يعلم من الفصل الآتي
ما ترتب عليهم من القصد والمرام فلعلها يترتب على معرفتها الآن انتشار الإسلام
ويزيد بسطة في العلم ويقوى بين أمة الانام .^(١)

هذا التخرج من الجهر بالدعوة الى ضبط العامية كما رأينا عند رفاعة تلمسه
عند الكتاب الذين كتبوا بالعامية في ذلك الوقت أي في النصف الأخير من
القرن التاسع عشر . لم يكونوا معنيين بالعامية لذاتها ، وإنما كانوا ياجتأون الى

(١) كتاب «أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسماعيل» لرفاعة
رافع الطهطاوى ج ١ طبع القاهرة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م الفصل السادس (زمن ظهور الكتابة
عند العرب) ص ١١٤ - ١١٥ .

استخدامها - كما يتضح من كتاباتهم - رغبة في أن تكون عنصرا من عناصر التفكير والإضحاك الذي يخفى وراءه نقدا لاذعا لحياتنا الاجتماعية والسياسية ، ووسيلة لتبذير المأمة وتثقيفهم وإطلاعهم على أحوال البلاد السياسية والاجتماعية ، كما فعل بعقرب بن صنوع صاحب مجلة « أبو نظارة » ، وج زنايري صاحب مجلة « الغزاة » ومحمد النجار صاحب مجلة « الأرغول » .

أما يعقوب بن صنوع صاحب مجلة « أبو نظارة » التي صدر منها في مصر خمسة عشر عددا وكان صدور العدد لأول منها في سنة ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م^(١)

فيبين هدف المجلة في الافتتاحية قائلا إن الغرض من نشر مجلته هو ترويح النفوس وتنشيط العقول ، وأن الضحك ليس هو كل غاية ، بل يتخلل هذا الضحك حكم ومواعظ حسنة وتواريخ مهمة وأحوال البلدان والدول .^(٢)

وتحتوي المجلة على محاورات فكاهية يصور فيها مدى الظلم والبهس بحياة الأفراد والجماعات في عهد إسماعيل ، وفصول تمثيلية فيها نقد لحياتنا الاجتماعية والسياسية ، وأزجال ، ونكات وفكاهات تتجلى في الأسماء الساخرة التي أطلقها على رجال السياسة المصرية أو الإنجليزية عسكريين ومدنيين . « فأبو ريضة » هو رياض باشا ، و « غوبار » هو نوبار باشا ، و « إخص أو عكس أو هلس » هو هكسر ، و « شيخ الحارة » هو إسماعيل ، و « شيخ التمن » هو الخليفة ، و « أبو القلب » هو الفلاح . إلى آخر تلك الأسماء التي أجاد في السخرية منها . أما أسلوب المجلة فقد تضمن عدة لغات ولهجات : لغة عربية سليمة ، عامية

(١) وأصل يعقوب صنوع إصدار مجلته بعد فيه إلى باريس ١٨٧٨ م تحت أسماء متعددة اتفقت جميعها في الناب والمزاج بينما اختلفت في الشكل والاحجام والأسماء فمن هذه الأسماء : رحلة أبي نظارة زرق ، الولي ، وأبو صفارة ، وأبو نظارة زرقا ، وأخاى .

نظر كتاب أبو نظارة ، مام الصحافة الفكاهية المصورة لرغم أسرح في مصر ١٨٣٩ -

١٩٠٢ - تأليف اراهيم عبده - طبع مصر سنة ١٩٥٣ .

(٢) الكتاب نفسه ص ٤١ .

وهي الغالبة على صفحاتها جميعاً ، لغة تركية في بعض ألفاظها وجل يعرفها المعاصرون ، لهجة شامية ، عبارات فرنجية . ولم يكن « أبو نظارة » محرر مجلته بالعامية بدافع العجز عن الكتابة بالفصحى ، بل كان يحورها بالعامية لأنه اتخذ ذلك مذهباً له عن بصيرة ومع مقدرة على الفصحى . وهناك أمثلة كثيرة تثبت اقتداره على الفصحى وامتلاكه لزمامها . فمن ذلك مقال له تحت عنوان « رسالة الشفعاوى » يتحدثنا فيه عن ظلم إسماعيل وسيرته السيئة يقول :

« وكفاك أنه لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكراً ، ولا يوجد في وقت الصلاة إلا جنباً ، وفي رمضان إلا مفطراً . نعم يصوم ولكن عن الخيرات ، ويستقبل الفجور متلطخاً بنجاسة الفحشاء . فاجر يقتات بالكبائر ، ويتفكك بالصغائر . ويروح من مولاه شاكياً ، ولشيطانه شاكراً ، فكأنه عاهد إبليس فلم يحث له عهداً ، ووعد أنه يجد عنده كل معصية فلم يخلف له وعداً . إن ذكر الاتقياء والأخيار قال احضروا إل الحكيـم (الطبيب) ، وإن سمع بالأشقياء الأشرار قال غنى بذكرهم يا نديم . فرعون بالنسبة إليه حاكم عادل ، وأبو جهل إن قيس به إمام فاضل ، ويزيد لو مائل لما اضطربت أقوالهم في جواز اللعنة عليه ، والحجاج لو شاكاه لما اختلفوا في نسبة الكفر إليه .

ولكنهم ليسوا أكفأ له فلو عادوا لاتخذوه إمامهم وسادوه زمامهم ، فانه هتك استارا ما هتكها ، وانتك حرمت ما انتهكها ، وظلم حتى أهل القبور وجار حتى على السمك في البحور . فلو مسخه الله ذئباً لفك بجميع الحيوان ، أو حية لما بقي على وجه الأرض إنسان . وحسبك أنه يحب المظالم حبه لأولاده وأحبابه اللئام ، ويبغض المراحلم بغضه لأعداده وأعدائه الكرام » ^(١) .

ومن أمثلة ما كتبه بالعامية وهي اللغة التي تغلب على المجلة، تلك المحاوراة التي سجل فيها ما كان يجري به الهمس من أن إسماعيل إذا غضب على صاحب أو صديق، دعاه إلى قصره وقدم إليه فنجانا من القهوة مخلوطا بالسم، فيختر صريعا عند عودته إلى بيته، ويعز على أسرته أن تعرف أسباب ذلك الموت المفاجئ، فيقول :

قال أبو الشكر : يا مرحبا بك يا أبو نظارة

قال أبو العنين : تفضل أقعد يا عم وانجلي

قال خلاط : تريد تشرب إيه ؟

قال أبو الشكر : أبو نظارة قتيل البيرة

قال أبو العنين : لا . . لراجل يحب القهوة

قل أبو نظارة : لا يا خويا القهوة ما أحبهاش لأنها محظرة في الأيام دي

واللي يشرب منها فنجان بيبزم^(١) .

وظل يحارب إسماعيل حتى نراه يشرح للمصريين كيفية التخلص منه - كما

يأمل - ويتخيل أنهم عملوا بكلامه وتم لهم النصر فيقول :

أنت فين يا أبو نظارة تجي تشوفنا منصورين

على عمك شيخ الحارة وعلى أولاده المنحوسين

النهاردة يوم عظيم افرحوا يا أهل النيل

الله ينصر سي حلیم^(٢) ويعاقب إسماعيل^(٣)

(١) الكتاب السابق ص ٥٢

(٢) يشير إلى فرع (حلیم) المنافس لفرع إبراهيم وكان مقيما في الأسمانة بكيد له ولأولاده عند الخليفة .

(٣) الكتاب السابق ص ١٠٢

فلما عزل إسماعيل واصل بقية حياته على توفيق وعلى وزيره رياض الذي كان يسميه (أبورضة) أو الوزير (المشخلع) وخاصة لأن رياض شن حملة كبيرة على الصحف سنة ١٨٧٩ ، فما وجهه من نقد إلى توفيق تلك المقالة التي شرح فيها موقف توفيق من أبيه وقبض بده عنه بعد عزله ، ذلك الموقف الذي يعتبره الكتاب زلة لا تليق بكرم . وقد كتب المقالة بالعابية المسجوعة وفيها يقول :

« فان قلتوا لي إن المطرود يستاهل دمه كله ، أجابكم أن يكفيه عزله وذله . إنما ابنه إلى توفيق الورثة بملابن ، ما كانش لازم يعامله كالأجنيبين . أنا مش قصدي أحامي عن المطرود ، إنما مرادى أوريكم خسارة المولود . بقى اللي ماله خير في أبوه وعائلته كيف يكون له خير في وطنه ورعيته . إخص عليك يا واد يا فرد ربك ، والله خسارة الحديوية فيك » (١) .

ويتبع يعقوب سيرة توفيق بهذه الطريقة الساخرة ، وينهاى عليه بنكاته اللاذعة وخاصة بعد فشل الثورة العراقية واحتلال الانجليز لمصر ، فيقول :

مكاتبنا - أسعد الله أوقاتنا - أرسل لنا دور جديد بتغنيه الأهالي على هوا المارسيلازة الفرنسية ، وترجانا ندرجه في هذا العدد فيها هو :

ارقص وغنى يا توفيقه ، وسلى عشيقك لورد صمور الى نجاكى من الحرية
وركبك على الوابور . إرمى طربوشك يا صبية والبسى لك برنيطة عال .
عرايى ، طلبه ، عبد العال ، هنوا توفيقه الانجليزية . يا ابن البلاد يا فلاح
زفوا توفيقه للنكاح ، هيا بنا .. هيا بنا .. نرى توفيقه خارجة من برنا » (٢)

(١) الكتاب السابق ص ١٢٧

(٢) الكتاب نفسه ص ١٤٦

ولم يمرض يعقوب للقضية المصرية فحسب، بل تمرض أيضا لقضايا الشعوب المستعمرة في كل مكان وخاصة الشعوب التي تخضع لحكم الإنجليز . عرضها بهذا الروح الساخرة وفي ذلك الأسلوب العامي الذي اشتهر في العبث به رغبة في الإضحاك ، فمن أمثلة ذلك : زحل قاله في الحركة المهدية التي ندد بها في مجلته . بعنوان « دور على الجنرال جوردن » وقد ضمنه كثيرا من الألفاظ والجل الانجليزية ، فما جاء فيه قوله :

يا محسلا لنجليزية أم عين زرقا وشعر أصفر
يا خسارة دي الصبية في جوزها العسكري الأحمر
شفقتها امبارح يا أسيادي ما كانش حولها انجليز
فقلت لها يا (ميلدي) (جيفمي كيس ايفيو بليز)

... .

أنا في عرضك (وان كيس) قالت (جوديم بلادي فول)
بلا فول بلا شعير ما تنبغـدديش على
أنا ابن المهدي الكبير احلى على شـوية
... الخ (١)

من هذا يتبين لنا أن يعقوب بن صنوع كان يجد في العامية عنصراً من عناصر الإضحاك الذي كان شعار مجلته . كما كتب تحت عنوانها في العدد الأول ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م « أبو نظارة زرقاء » - جريدة « مسليات ومضحكات » . وأنه استطاع وراء هذا الشعار أن ينقد حياتنا الاجتماعية والسياسية ملمحاً عندما كان يصدر مجلته في مصر ، ومصرحاً عندما كان يصدرها في باريس بعد نفيه .

أما ج. زنانيري صاحب مجلة « الغزالة »^(١) وهي مجلة عامية ، فيبدو أنه كان يستخدم العامية رغبة في إطلاع العامة الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الأمية على أحوال بلادهم السياسية وتعريفهم بالمسألة المصرية . ومما يدل على ذلك أنه كان يترجم أحيانا إلى العامية بعض المقالات السياسية من المجلات العربية . يقول في مقال بعنوان « فرنسا وإنجلترا في مصر » : « لوفينا الدنيا وما فيها ما يمكنش نلاقى زى فرنسا وإنجلترا . المجد والفخر والعز والجاه والعظمة والأهمية والعلم والمال والتمدن والتبذيب والجداعة والفتوة ، كل دا موجود منه عند فرنسا وإنجلترا . كده طيب يعنى إن الدولتين دول هم أعظم وأكبر وأهم ممالك العالم ما فيش كده أبداً من كل معنى طرب ، ولولا هم كنا حقيقة على الحديدة يا حظ لا مال ولا علم .

إنما يا خسارة فإنيهم مع كل أوصافهم الحميدة وعقولهم الفريدة نجدهم زى العيال تملئ متخاصمين . إيه من فتن ، إيه من حروب ، دا شيء ما كانلوش نهاية أبداً . من يوم خلقهم ربنا لغاية حكم نابليون الأول وهم ماسكين بخناق بعض . وبعدين لما بطلت الحروب وكل حي راح لحال سبيله فضلت حروب السياسة أو (المعاكسة) . فأننا نرى أن إتفاق إنجلترا وفرنسا هو من رابع المستحيلات ما يمكنش الواحدة تستأوى على مقاطعة أو على كم فدان طين إلا وتكون الثانية شبطت فيها وعاوزه تسكرشها بره أو ناخذ حنة زيها . ولكن مع كل المشاكل دي ماشفناش لسا ولا سمعناش لغاية الآن زى المسألة المصرية . فان المسيو فرنسا تدعى أن لها حقوق على مصر ، والمستر إنجلترا تقول إن الكلام دا مالوش أصل ، وإنها هي أحق بطلبات فرنسا ، ولا يهنش عليها بعد أن موت رجالها

(١) مجلة الغزالة . مجلة أدبية فكاعية سياسية — تصدر مرتين في الشهر . صاحب

إمبارها ج. زنانيري . أول ظهورها في مصر سنة ١٨٩٦

وأهلك أبطالها أن تسل البلاد المسيحية فرنسا إلى مختشية تقربا. إنها قصرت من الأول في تحصل حقوقها .

أما مصر صحيح إنها كبيرة وذات أهمية إنما ما تتحمش سياسة دولتين كبيرتين . كما لا يخفى على كل سياسي (شير) أن مملكة فرنسا لا تفتخر إلاهي عن حسد ولا عن انتقام منها عن الماضي . وسيادتها مش قد كبدت عبيطة تفكر بسبل بالها أن تحتل مصر هي وإنجلترا أسيا ، وعارفة باليب كان إرث خروج الانجليز من طرفنا هو أصعب من خروجهم من بلادهم مع كل ذاب ضحايا كس وليه ياترى وشمعى وإيه المناسبة إذا كان طبع الاختلال مش طمعناين وحسد مش حاسدين ، على إيه أمال تايين قاعد بين ؟ أنا أقول لكم يا أسياد المكرمين .

العبارة كلها طامعا بأن إنجلترا تدبليا حادة على سبيل الرشوة ، لا بالها تعمل نفسها مش عارفة بالبلاد التي استولت عليها فرنسا في مدة وجود الانجليز في مصر ، لأن ما حدش يحفل إن تلك كرهة تحببات عن مقاسم . وبلاد ما كدش تطولها وشاكت ودنها حتى ولا مسنة لاختلال ، وإنجلترا هس لا كمة برضا صابرة وساكطة إنما بدون أدنى فريدة ، وأفر بن المش كل ذي لا تنهى إلا بالرشوة إياها إلى من زمان فرنسا فاختار بقى لأحس تيارا لأوهي حصواتها على سوريا . لذا تراها تنتظر بفروغ الصبر حتى ، بقت مسنة بشدة لتتار عردها من البلاد السورية كحصول إنجلترا على البلاد المصرية ونحو بين دول ودول أصعبنا على رأى المثل « بين الجبن والبلد ناه لولد »

ثم يختم مقال بقوله : « نقالة دي زلفها عن جريدة لسان العرب ^(١) إنما

(١) لسان العرب . جريدة سياسية أدبية . أصبحها نجيب الخداد وشقيقه أمين الخداد وعبد الله بدران . توجد نسخة لأخرى منها في مكتبة الجمعية السورية رقم ١٠٢ . طبع الإسكندرية سنة ١٨٩٤ م . ١٨٩٥ م .

باللسان المشقوب ونحن من كثر من حضرات منشئ الجريدة المذكورة عدم مؤاخذتنا أحسن العبارة لها أصل .»^(١)

وأما محمد النجار أحد علماء الأزهر صاحب مجلة «الأرغول»^(٢) فلم يكن متحمساً للعامة رغم كتابته بها ، كما يتضح من هدف مجلته التي اشتملت على مقالات ومحاورات وأزجال بالعامة ، بجانب ما اشتملت عليه من قصائد ومحاورات ومقالات بالعربية الفصحى . وقد صرح بأنه لم يستخدم العامة إلا لأنها قريبة من تناول العامة الذين يريد تهذيبهم وتثقيفهم ، وذلك حين يقول مبرراً استخدامه العامة في بعض من جرائد القديمة والحديثة من عهد محمد علي :

«... وما يذكرك في عداد الجرائد «لنبيه التجارى المصرى» وهى جريدة كانت تطبع فى كل أسبوع مرتين فى مدينة القاهرة ، مختصة بالإعلانات المتجربة والمنشورات اليومية السعوية ، ومحررة باللغة الإيطالية ويتخللها تراجم باللغة العربية الدراجة العامة . ولعل عذر صاحبها فى ذلك ، كثرة الرغبة فيها والطلب ، وقرب تناولها لأفهام التجار والعوام فى ذلك الوقت . ولقد سلك هذا المسلك فى بعض الأحيان فلا اعتراض ..»^(٣)

ويبدو أنه كان يريد أن يتدرج بأسلوبه مع العامة من العامى إلى الفصيح وأن الأسلوب الفصحى كان لغاية التى ينشدها للتفاهم مع العامة . ويتضح لنا ذلك فى محاوره سلسلة نشرت تباعاً فى مجلته تحت عنوان واحد وذات طابع واحد .

(١) مجلة الغزاة العدد الخامس (١٨٩٦م) ص ١

(٢) مجلة الأرغول . مجلة علمية أدبية نصف شهرية .. ضاحياً محمد النجار ظهرت فى مصر

سنة ١٨٩٤ هـ

(٣) الأرغول ج ١ . من السنة الثامنة . أول سبتمبر سنة ١٨٩٥ . ص ٣٧٥ .

بدأ كتابها بالعامية وانتهى إلى كتابتها باللغة العربية الفصحى . وهذا يترك الفرصة للإشادة باللغة الفصحى . اللغة التي تهدف إلى تعميمها كما صرح هو نفسه بذلك .

محاورة بين نجار وصبيه باللغة العامية

- الصبي : نهارك سعيد يا عمي . كل سنة وأنت طيب .
- النجار : يا شيخ أنت كنت فين . دى لك يومين . بنتش
- الصبي : أنا كنت مطرب في فرقة القزعة والحمد لله طلعت من السواقط إلى فاتو السن المطرب . وحقه كنت خيف ليخدوني . ونخواتي وأهلي والهمش غيري يجري عليهم ، ولا عندنا فنان طين ولا بيت ملك ، والواد خوي طلع ملوش صنعة تنفعنا والشفع هو الله .
- النجار : شيء عجيب . بقي كنت خيف ليخدوك وأنت دقنك كبيرة .
- الصبي : أنا كنت فاهم إن الدقون ملهش عبرة ، ويا مائس تلقى دقونهم كبيرة وهم صغيرين . ما عاينا ياما بقيت خيف على جر نالك من كلمة تكون كده وإلا كده ، وحاكم جريدتك بتقول عليها جريدة عامية ملهش دخل في السياسة .
- النجار : إحنا يا بني لما وصل السياسة تلقى الكلام فيها زى جبل الصوف كل ما تشده يقط ، ولا حـ ——— دس رأيي ابجرها على بر ، ولا عارف ظاهره من باطنها . ولا صوابها من خطاها . ولا شرقها من غربها . ثم تأخذ لمذوذة في الكلام عن أهل السياسة ، واتجاهت الجرائد السياسية التي تركت الكلام عن مصلحة الأمة وخدمة الوطن وانتقاد عيوبنا الاجتماعية ، وأخذت تتقاذف بالشتم وفحش القول . وتنتهي المحاورة بلاشارة إلى ما تنسلكه مجلة الأرغول في سنتها الثانية .

الصبي : طيب ماعلينا ، والسنة دي رايح تتكلم لنا على إيه في جرنالك ؟
برضك رايح تنزل لنا هري على بتوع الكباية وبني شداد وجماعة
الموضة وشبان التمدن الجديد وأولاد الأزيكية .

النجار : أمال إنت عندك شك .

الصبي : وإيه اللي استفدناه . أهو برضه الر على سريره ، واللى فيش
مايخليش . وبس مانبناش إلا إظهار عيوبنا عند الأجانب ، وإطلاع
الأفريج على أحوالنا ووصفنا لبعضنا بالأوصاف اللي ماتليقش .

النجار : ياواد إين كنت مجنون إعقل وإن كنت سكران فوق ، هم الأجانب
اللى بتقول عليهم والأفريج إالى بتحكى عنهم مستمينيك لسه ماتعرفهم
بماالتنا ، دول عارفين أحوالنا (بالخيطة والخياط وحبل السبعة)
وسامعين بحكايتنا (من طأطأ لسلام عليكم) وقبل ما يطلع حاجة
اسمها زمارة وطبلة ولهم كتب مالفينها في سيرتنا ، فيها مخبأتنا كلها ،
وأمر تانية ماتعرفهاش لا إنت ولا أنا . .

الصبي : أنا ماشفتش الكلام ده أثر ولا عمل فيهم حاجة . . . أهو برضه
العرقى الزيب راكب بالراحة ، والمستكة ماشية ، والبيرة شغلة
والكونياك بالقرايز ، والنبيت بالبرميل . ولا تنساش فضل مزة
الترمس والجص والزتون والسكر والبسكويت والجمبرى . . . والرقص
والبصصة ، والحاجات دكها إالى بيغوا بها آخر الليل .

النجار : برضه يحصل تأثير والتنبيه في الجرائد يخلي أصحاب الشأن تلتفت
قوى زى ما التفتت في مسألة محلات الرقص وغيرها .

الصبي : يعني لسه باشوف محلات الرقص شغالة والهتك والرنك برضه داير .

النجار : اصحى تقول كده داعرش بعض جيات قايمة في مصر ونية ، لكن أصحابها واخذين حمية ، نسأل الله الحية وإصلاح الأحوال . (١)

محاورة بين نجار وصبيه باللغة العربية الفصحى .

الصبي : طمأ ختاج في دنميرى وشوق به صدرى وما يطق به لسانى من استصفاك إلى سماع مستجد اجوابك عنه ذم منى سنية قلبا واعيا .

النجار : يسمرن والله ان رعى كثيرا من أمثلك اشبان يسألون عن كل ما أشكل .

ويدعشون فى كل موضوع مع مراعاة شروط الآداب للطلاب ،

وملاحظة ما يجب على التلامذة من احترام المعلمين والأستاذة . وإنك

لأحسن بكثير من كثيرين ، إن سألت الواحد منهم عن بلاده قل

(لا نلقى فيها ولا جلى) ومن استفهم عن الأخبار أنشد (وما

(آفة الأخبار إلا روتها) . ويقول وقد لب في رأسه الشحول .

استمنى واشرب ولا تذكر لنا خبر الناس ولا مسعى البلد

واقدر زاد سرورى من كنهك معى فى هذا اليوم باللغة العربية

الشريفة بعد التكميل بسنة الى مئة ، رعى خطرة تشيئة انى نظرت

بها إلى حفظ شرف لغة البلاد العربية وانقسام بواجب حقوقها .

فصل مشئت وصدع بما به تؤمر .

والمحاورة طويلة تتناول الكلام فى أسباب تقدم الغرب وتأخرنا جاء فيها :

الصبي : بم كانت سعادة هذه الامم المتقدمة ، والحصول على ما خرجوا به

من الظلمات إلى النور ودخلوا إلى بحبوحة العز والبناء والسرور ،

لیم نفعل مثلهم ونعمل عملهم . ولنا أعين نبصر بها مثل

(١) - الارغول - ج ١ من السنة الثانية أول مبتدئ سنة ١٨٩٥ ص ٢٧١

أعينهم ، وآذان نسمع بها مثل آذانهم ، وأيد نبطش بها مثل أيديهم ، وأرجل نمشي بها مثل أرجلهم ، وعقول ندبر بها مثل عقولهم ، وإلا فاخبرني أعزك الله عن الأشياء التي نقص بها عنهم .

النجار : يا سبحان الله . كيف لا تدري ذلك وقد نقصنا عنهم توجيه الإرادة ، وأعمال الحزم والعزم والاجتماع والتعاضد والتعارف ، والصدق في الأخوة والإخلاص في الصحبة ، وإرسال عنان الهمة والثبات والتشجيع عن ساعد الجدة ، والدأب على تحصيل الغايات الحميدة والمنافع العامة المفيدة ، وبقية الصفات التي كانت في العرب أجدادنا الذين جدوا واجتهدوا وبجثوا عن خير أوطانهم وصالح بلادهم . فكان بهم عصرهم خير العصور وأيامهم أحسن الأيام ، وأتوا ما لم يؤت أحد قبلهم ، وتركوا آثارهم ميراثا لنا فاقسمها الغير معنا قسمة (القرد للهاين) . وشاركنا فيها مشاركة من ترك لشريكه ردى الضدين واختار له شر الحالين ... الخ^(١)

وفي نفس هذه المجلة التي تزخر بالمقالات والمحاورات والأزجال العامية نجد فصلا ممتعا طريفا في الدفاع عن العربية الفصحى . لفظة لدين الموروثة عن الآباء ، والتعرض لما أصابها من إهمال ، وما فقدته من اعزاز واحترام ، وما ابتليت به من أعداء سعوا إلى القضاء عليها . وجاء هذا الفصل تحت عنوان « ماوراك يا عصام » .

وقصة عصام هذا تلخص في أن أميراً كلف أحد خاصته « عصام » بأن ينقل إليه ما يدور في مقهى « س خليل » الذي اشتهر أمره . فذهب عصام

ونقل إليه أحاديث عجيبة وتقصصا غريبة جرت بين ثلاثة أشخاص من الجامع الأزهر ، أحدهم صعيدى ، واثنان شامى ، والثالث مغربى . ومن تلك الأحداث ما نفاق بلغة العربية وما أتت إليه من تدهور .

قال الحاكى : وهذا صهي بضممة أيم استأذن للدخول على أميره عصام ، ولم يدخل عليه باستدائه إليه وأجلسه بين يديه . قال الأمير : ما وراءك يا بن عقيل وما معك من القل والقليل ؟ فقال عصام : أيم الأمير الفخيم والسيد السند العظيم . أمر ذو بال ما كان يخطر لأحد على بال . وتوعدادى عليه لحال - لا سمح الله - لا تقطعت اللغة العربية من الأفواه ، وأصبحنا أيها العزيز كئيبا فى بندرة نو بريس . وإن لهذا الأمر تأثيرا فى خاطرى وظلاما داجيا فى نظرى . لقد وصل من مرجالك فى هذا العصر وخموصا فى مصر ، وبلغ من ميلهم للبهرجة وتبذيرهم الأعمى للفرجة إلى أن يتركوا لغة آبائهم الموروثة لأبنائهم ، وشرف أجدادهم من بعدهم فى بلادهم ، الأمر الذى به شاع صيغهم فى جميع الأقطار ، وصاروا به بين دول الغرب كأنهم بأعلام فى رؤوسهم ناز . دخلت القهوة على سهوة فوجدت أوائك الثلاثة مجتمعين ، يتكلمون فيما نزل . اللغة ولدين ، ويتبعه روع بما هذا نصه وخاتمة قصه .

قال الصعيدى : هل رأيتم ما كتبته حلاق الأزهر على دكانه ، ودل على سخريته بلفظه وهذيانه ؟

قال المغربى : ماذا كتب ؟

قال الصعيدى : ترك لغته العربية وكتب على دكانه باللغة الأجنبية (هذه دكان حلاق) .

قال المغربى : إن هذا الأمر لما يكدر الخواطر ، ويثير ما سكن من الأحقاد فى الضمائر .

تالله لقد أتى بأمر فاسد دل على فكر كاسد . ولو كان مثله في
انجلترا وكتب باللغة الفرنسية أو قدمها على اللغة الانجليزية
لهدموا دكانه ومحووا أثره وبنيناه .

قال الشامي : لقد فشا هذا الأمر في بلاد مصر ، وإني أرى الرجل العربي
المصري يكتب على ما يظنيه لامراته العربية المصرية من
من الحلى مثلا باللغة الفرنسية كلمة (سوفير) التي معناها
(تذكر) ولو كتبها باللغة العربية لكان وقع في نفسها
وتشرفت بذلك بين أبناء جنسها .

قال الصعدي : أما يعلم هؤلاء الناس أن سعادة الأمم كمال تتسك بلغتهم
والمحافظة عليها ، وأن المقصر في ذلك يعد خائنا لوطنه وعدوا
لأبناء جنسه في بلده ، وأن لغة الإنسان هي الرابطة بينه وبين دينه
أما كفانا تقليد الأجانب في ملابسهم وماكلهم ومشاربهم وغير ذلك ،
وهو الأمر الذي نزل بنا في مهاوى الخسار وآلت به بلادنا إلى
الخراب والدمار ، حتى ترك لغتنا ونبذناها وراءنا وتكلم بلغتهم
وتعلمها لمكالمتهم في بلادهم وهم القليان ، ولا يتعلمون لغتنا
ليتكلموا بها معنا ونحن الكثيرون . إن هذا الأمر مما
يستلقت أولى الأمر إلينا ومن تأخذه الشفقة من الرؤساء علينا ولم
لنم تقلدهم في هذا الأمر عينه ، وهم أول الناس محافظة على
لغتهم . وما أشد إحتياجنا إلى مقرب خبير يرفع شكوانا للأمير ،
فينقذنا من هذا البلاء المبين ، ويأخذ لنا بناصر اللغة والدين .

ثم سألت من أعينهم الدموع وسكتوا عن الكلام في هذا الموضوع ، فجئتك
يا على الصيت والصوت اتعجل الصلاة قبل الموت نائبا عنهم ومباغا ما سمعته
منهم في رفع الشكوى ودفع هذه البلوى . فقال الأمير : لقد جئتنا بأعصام بحديث

عجيب وقصص غريب . وهو من ثم الواجبات التي يجب المحافظة عليها ويستتره
عنايتنا إليها . قال عصام : دمت أيها السيد نبي الله ، ثياب غفرت حب السوء .
ثابت السعود كابت الحسود .

إنه لا يغرب عن فكرتك فائدة غير منتهية في استعمال اللغة
الأعجمية وترك لغتنا الشريفة العربية . مما قد تشبه به عرب نذرة السوء وإنهم لا
لفوائدنا النافعة لجملة . فادرك يا عبقرى الفصائل والافعال وعجوبي الحما
والخلال لغة أجدادك السابقين وشرف أسلافك مؤرثين . وهي لغة التي كانت
محفوظة بسيوفهم المارهوة وأسماء رماحهم . لا ينف أحد من عربهم ولا يقدر
أن يتصدى بتعويقتها . فقد أصبحت تذوق الغريب طراقة . وبغير الله حقائقهم .
مشحونة بالغريب والذليل . تتسلط عليها أيدي الغريب والذليل . فبعضه عني
أصله عربي . وآخر مثله أصله تركي كلفته (دغرج) الوهم . مستقيم وأصله
بالتركية (طغوى) ، وغيره عني أصله فرنسي يخطو زكاته (أبيه أبيه) التي معناها
قليلًا قليلًا ونطق بها (أنبوط أنبوط) . أي غرقت من السمكات المتجمعة من
كثير من اللغات التي شجنت اللغة العربية . ولا يمكن أن ندرجهم إلا بأعمال
جمعية علمية تؤلف كتباً لغوية ترد بها الكلمات إلى أصلها وتطويعها عند أهلها .
وترفع لغتنا من هذا لأخطار المسبب من الإحباط والتركي والتأثر والاجريجي
والفرنساوي والانجليزى ونحوهم . فصار مصري في كلامه كأنه زربوى ينادى
من يناديه بيا (خواجه . مسيو . ميسر) . ويقول كذا بى (بفرخة بخمسة
بيستر) ويستعمل لغة غيره في الكلمات . لأنه من أهل تلك الجهات . فيقول :
هزارم (أحضت) وايشكوزى (عذراً) ورافوا حس (ودرسيه زلف) .
إلخ وما أشبه ذلك مما عليه يفتن ويتنبه منه الجاهل بغيره في الناس . فلا يقول
(جرسون) وعنده بدله خادم ، ولا (بنزون) وعنده بدله صاحب المحل . إلخ

هذا وما كفى أعداء لغتنا تغيير قوطا حتى راموا محوها من أصلها . ومن أتى بها فقد أتى شيئا فريفا ، ولذلك نبذها هذا الخلاق وراءه ظهريا .

والرأى عندى أن تجمع جماعة من علماء وطائفة من الكتّاب والشعراء الذين يرجع إليهم في قولهم ويعول عليهم في رأيهم ، ممن لهم بعلم اللغة دراية ، وصحة نقل في الرواية ، وعلم في الاطلاع والاستطلاع غاية . لينثروا في سمائها زهرها ، وينثروا في رياضها زهرها ، ويحلبوا المتعاطيها درها . ويحلبوا من بحارها لتجارها ، ويستخرجوا من دقائيق خزائنها عسجدها وتبرها . ويجمعوا ما ند منها وما شرد عنها ، ولا يتركوا في كلماتها هائلة لأصلها العربي لأول عادمة . . .

قال الخاكي فاستحسن الأمير رأى عصام وكتب مضمون ذلك إلى شيخ الإسلام ووعد بالوفاء وقرن شرطه بالجزاء (١) .

وهكذا نجد أن الكلام في شأن العامية سواء من الداعين إلى ضبطها واستخدامها ، ثم من الكتّاب الذين قاموا فعلا باستخدامها ، كان ينساق في حرص شديد وحذر كبير دون التميل من كرامة الفصحى ، ودون الانتصار للعامية على حسابها . فقد نرى منهم - كما صرحوا بذلك - هو خدمة العامة وثقتهم . وكل ذلك في لغة عربية ، في لغة عربية ، فما يبررون به استخدامهم لها . فلما جهر الأوربيون بالدعوة إلى إتخاذ العامية لغة أدبية ، كثر دعائها في مصر وفي شقيقاتها من البلاد العربية ، وحذروا لا يتورعون عن محاربة الفصحى ومحاربة الانتاص من مكائنها وهيتها .

الفصل الثاني

صدي الدعوة الأجنبية في صحف مصر

بدأ الصراع بين الفصحى والعامية في مصر عندما طاعنا الأوربيون بدراساتهم في اللهجة المصرية ، التي بُذرت عن طريقها دعوتهم إلى اتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي . فكان لهذه الدعوة أثرها لا في مصر وحدها فحسب ، وإنما في مختلف البلاد العربية ، هاجمها البعض وأيدها البعض الآخر . وأصبح لكل من الفصحى والعامية أنصار وخصوم يشتد الصراع بينهم حيناً ويهدأ حيناً آخر ، وكان للصحف المصرية دور عظيم في تسجيل هذا الصراع .

تسجيل مجلة المقتطف للصراع بين الفصحى والعامية عقب ظهور كتاب سبيتا :

عندما ظهر كتاب سبيتا « قواعد العربية العامية في مصر » سنة ١٨٨٠م ، ذلك الكتاب الذي دعا فيه إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والأدب ، واقترح فيه ضبط العامية حتى تصبح صالحة للاستعمال المكتبي ، وناشد فيه كبار العلماء في مصر تكوين هيئة لإتقان عمه في ضبط العامية ، رأينا المقتطف يتنرح على قرائه في السنة التالية من ظهور الكتاب . وفي سنة ١٨٨٠ م كتبت لعلوم بلغة الحديث ، وبيدأ أقترحه بلزعم نفها التي سبقنا سبيتا في تشييد دعوته . وإن كان لم يذكر اسم سبيتا أو يلجأ إلى كتابه ، ليؤتمن أبناء العربية عامة ومصريين خاصة . أن الشعور بقصور العربية وعجزها عن تلبية أغراضنا الأدبية والعامية ، هو شعور عربي خالص .

زعم في اقتراحه كتابة العلوم بلغة الحديث أن الخلاف بين لغة التكلم ولغة الكتابة عندنا ، هو علة تأخرنا ، قائلًا إن أكثر الذين نجحوا بسمعيهم وجددهم من الإفرنج كانوا يدرسون العلوم العالية مثل الجبر والهندسة والفلسفة والطبيعة وهم يتعاطون أصغر الأهمال ولا يعرفون من العلم سوى القراءة البسيطة ، ذلك لأن لغة الكتب عند الإفرنج لا تفرق كثيراً عن اللغة التي يتكلمون بها . أما نحن المتكلمين بالعربية ، فكتبنا ولا سيما كتب العلوم قد كتبت بلغة غير اللغة التي نتكلمها ، والبعد بينهما كالبعد بين الفرنسية والانجليزية أو بالحرى كالبعد بين اللاتينية والإيطالية . فلا يقدر عامتنا على إدراك معاني الكتب ما لم يدرسوا لغتها وتصير ملكة فيهم ، وهذا يقتضى وقتاً طويلاً ونفقة طائلة وإذا بقي الحال على هذا المنوال فلا أمل أن يستفيد عامتنا من الكتب . وبما أن العامة هم القسم الأكبر فلا أمل في النجاح التام .

ونصح بضبط العامية إقضاء بالأمم الأوربية التي ضببت لهجاتها وهدبتها ، وكتبت بها وجرت بذلك المجرى الطبيعي القاضى على اللغات أن تتغير بتغير الأزمان . ودعا رجال الفكر إلى بحث اقتراحه ومناقشته^(١) .

فلبى دعوته كثير : منهم المعارضون (مثل الشيخ خليل اليازجى والجمعية الأدبية الدمشقية) ومنهم المؤيدون مثل (أسعد داغر وكتاب آخر لم يصرح باسمه وسعى نفسه الممكن) . نكتفى هنا بالإشارة إلى رأى معارض وآخر مؤيد ، لنرى إلى أى حد كانت الدعوة إلى العامية تسير في مصر في بدء ظهورها .

أما رأى المعارض فهو للشيخ خليل اليازجى وكانت معارضته في الكتابة بالعامية قائمة على الحجج الآتية :

(١) أنظر الاقتراح في المقنط . السنة السادسة . نوفمبر سنة ١٨٨١ . ص ٣٥٢-٣٥٤

تحت عنوان « اللغة العربية والنجاح »

١ - إتخاذ العامية لغة للكتابة « فيه هدم بناءة التصانيف العربية بأسرها وإضاعة كثير من أتعاب المتقدمين ثم تكلف مثلها في المستقبل » .

٢ - لهجات العامة لا يمكن الاعتماد عليها لتباينها وإختلاف أوضاعها .
« فإذا صححنا هذا الرأي وهممنا به فعلى أية لغة من لغات العامة نعتد وبين كل لغة منها وأختها من تباين اللهجة وإختلاف الأوضاع مالا يقصر عن الفرق بين إحداها وبين اللغة الفصحى . فأى تلك اللغات إختارنا للكتابة فيها تفضى بنا إلى مثل ما فررنا منه . وعليه فلا بد في ضمن هذا الطلب من تحويل لغات البلاد كلها إلى لغة واحدة . وإذا كان ذلك فلا جرم أن الأولى والأسهل رد الأسنة إلى اللغة الفصيحة . »

وكان دفعه عن اللغة الفصحى التي يرى رد الأسنة إليها قسماً على :

١ - أن اللغة الفصحى مستوفية القواعد محكمة الأسلوب واسعة الأوضاع مما لا يدانيه شيء من اللغات العامية مع تسليم الجميع بها بلا منازع .
٢ - أن الخلل بين لغة والمفهوم ليس من قبل اللغة وإنما هو من قبل المستعملين لها على الأكثر . ذلك لأن أكثر الكتاب في تلك الأيام كانوا مواهبين بتميق العبارة وحثير الغريب وتحشيه كلامهم بالاستعارات والتجنيات . مما يودى بالمعنى في سبيل الألفاظ إلى اجتناب لأجله .

٣ - أن الكلام الذي يقصد توجيهه إلى الخاصة على التعيين ، ولا يلبق بالعامية ، إنما هو في غاية الندور ، وينبغي أن ينعصر - كما يرى - في نحو المقامات والشعر عملاً يستغنى عن التألق ، وإغراب ، وفي بعض أغراض خاصة للكتاب في نفسه مما لا يقصد مطالعة العموم به . وما سوى ذلك فلا بد فيه من مراعاة إلى -إعادة قبل الخاصة . . . حتى يأتي الكلام مطابقة لقول بعضهم ،

وقد سئل ما البلاغة فقال ما فهمته العامة ورضيت به الخاصة .

٤ - أن سمة الفصحى في وجوه التعبير وكثرة المترادفات على اختلاف في الوضوح والخفاء مما يساعد الكاتب على أن يجد للمعنى الواحد صنوفا من التعبير تمكنه من تبليغ المعنى الذي يقصده إلى أبلغ الخاصة وأجمل العامة بدون أن يخل منه بشيء .

٥ - أن عامة الناس وجهالهم يفهمون العربية الفصيحة ويتذوقونها لأنهم لا تباين لغتهم في غاب الأمر إلا من جهة الإعراب ، وهو لا يقف في طريق المفهوم . « وكفانا من ثملة ذلك ما يراه كل منا ويسمع به من ليل تحيا حتى مطلع الفجر في قراءة الحكايات العربية من نحو قصص عنتره ، وألف ليلة وليلة ، وبعض الروايات المترجمة عن الأفرنجية ، وكأها فصيحة العبارة . بمعنى أنها ليست من لغة العامة في شيء ، إلا ما هو من سقط الكتاب في بعضها ، ومع ذلك فهي مفهومة من سامعيها ولو كانوا من أجهل العامة ، يتهافون على سماعها ويحفظونها ويتناقلون وقائعها على ما هو مشهور . وذلك أن لغة العامة لا تباين الفصحى في غاب الأمر إلا من جهة الإعراب ، وهو لا يقف في طريق المفهوم ، وما لا يفهمونه من الغريب أو مما هو غريب بالنسبة إليهم فلا كثرة مرادفات من لسانهم من نفس الفصحى . وإذا اضطر الكاتب أحيانا إلى إدراج شيء من ذلك الغريب في كلامه يمكن أن يبين بالقريضة أو بتفسيره عطفاً أو اعتراضاً ، وهو على حال قليل . »^(١)

وأما الرأي المؤيد فهو الكتاب لم يصرح باسمه وسمى نفسه « الممكن »

(١) المقتطف ج ٧ من السنة السادسة (١٨٨١) ص ٤٠٤ (اللغة العربية والنجاح)

خوفا من سخط لرأى العام الذي لم يكن قد جابه بعد مثل هذه الدعوة ، وكان
تأييده للكتابة بالعامية قنما على الحجج الآتية :

١ - إمكان الاعتماد على لغت العامة مع اختلاف لهجاتها ، فن هذا
لأمر وإن كان صعبا إلا أنه ليس مستحيلا . فالعربية الصحيحة هي مجموع لغات
قبائل العرب المختلفة ، وإن كثرة المسميات للمعنى الواحد دليل قاطع على أنها
مجموع لغت أقوام مختلفين ، فكما تيسر لعلماء القرون الأولى للهجرة أن يجمعوا
العربية القديمة مع قلة وسائلهم ، يتيسر لعلماء هذا الزمان أن يجمعوا العربية
العامية ويضبطوها ولا سيما لأن الوسائط الممكنة من ذلك قد صارت أضعاف
تضعاف ما كانت حينئذ .

٢ - إمكان نقل المصنفات العربية إذا كان فيها فائدة لا يستغنى عنها إلى
لغة عامة بسهولة . وهذه المصنفات ليس فيها كتب يعتمد عليها في الصناعة
ولا في الفلاحة ولا في التجارة ولا في كل العلوم الحديثة ، إلا ما يترجم إليها
حديثا وهو إذا مر عليه عشرون سنة عد قديما لا يعتمد عليه غالبا ، وما ألف فيها
من كتب في مبادئ الرياضيات والتاريخ أصبح لا قيمة له بعد ظهور
مؤلفات الإفرنج .

وإذا كتب للدين فبقى على ما كانت عليه ، لأن أمناء الدين مكلفون بتدريسها
وتفسيرها ، وهذا هو الجزء الأكبر من عملهم إن لم نقل كله . وللمسلمين
سوة بالنصارى من اللاتين والأروام ، فإن اللاتينيين يقرأون إنجيلهم باللاتينية ،
والأروام يقرأون إنجيلهم باليونانية ، أو بالسامية من الترك والفرس فإنهم
يقرأون القرآن بالعربية .

وأما كتب الفقه فقد صار المدول عنها إلى النظام ، ولا مانع من كتابة

النظام بلغة العامة ليفهمه الخاصة والعامة ، وإن هذا واجب شرعاً وإلا فلا يطالب
العامى بما لا يفهمه حق الفهم .

وأما كتب اللغة فلا يبقى لها لزوم إذا صار الاعتماد على اللغة ، العامة . إلا
لدرس اللغة القديمة عند من يحب أن يدرسها للنفقه فيها ، كما أن كتب اللغة
اللاتينية واليونانية لا تزال محفوظة يدرسها من يدرس هاتين اللغتين .

٣ - اللغة القديمة لا تتلاشى باعتمادنا على اللغة العامة ، بل تحسب
كالإيونانية واللاتينية والسانسكريتية ، سوف يتفاخر الناس بمعرفتها كما يتفخرون
بمعرفة تلك اللغات .

وأخيراً يختم الكاتب مقاله متوقفاً ما سوف يشهده من سخط الرأى العام ،
مؤكداً حبه للعربية التى يراها عائقاً فى سبيل تقدمنا ، مناشداً قادة الرأى والكتابة
أن يوجهوا جهودهم إلى العامة فيقول : « وكأنى أشعر أن الكتاب كل منهم
يرمقنى شزراً حاسبين أنى مفتر على حقوقهم ومحط من قيمة الجوهرة الثمينة التى
فى حوزتهم . لا يا سادتى ! لا تعجلوا فى حكمكم فإبنى وحبكم أحب العربية الفصحى
حب العاشق وأغار عليها غيرة الضرائر ، ولكن قد اتسع الخرق على الراقع
وصارت العربية التى نرضها مع اللبن وتكاد ألسنتنا لا تنطق إلا بها بعيدة عن
اللغة القديمة بعداً شامعاً . واللغة - كما لا يخفاكم - الأمر الأول فى نجاح العباد
فاذا كنا لا نعتمد على لغة تفهمها خاصتنا وعامتنا ، لا يسير نجاحنا السير الوطيد
الذى نؤمله .

وأنتم أيها السادة أرباب الأقلام ، أنتم قادة هذا العصر ، وستبقون قاداته
إذا ضبطتم اللغة التى رضعتموها مع اللبن ، وسيكون اسمكم الفضل الأول
لأنكم المبتدئون .

وها أنا أكتب اسمي عنكم ولأأكشفه لالمنشئ المقطف ، فإذا رشتوني
بدهام ملامكم فأنحسوها بحب الوطن ، فإنني حيث لا تجرح وإن جرح لا تؤلم » (١)

تسجيل مجلة لأزهر للصراع بين الفصحى والعامية عقب محاضرة ولكوكس
« لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » ١٨٩٣ م

استمر الصراع بين الفصحى والعامية يشتد حيناً ويهدأ حيناً آخر . وكان
يلج ذروته في بعض الأحيان كما انطلق فوق من أبواب الاستعمار مرددا الدعوة
لى اتخاذ العامية لغة أدبية .

فعمداً أتى ولكوكس مهندس الرى لانهزى بمصر محاضراته « لم توجد
قوة الاختراع لدى المصريين الآن » سنة ١٨٩٣ م نادى لأزبكية واستهل مجلته
الأزهر بنشره ، وأتى زعم فيها أن العامل في فقد قوة الاختراع لدى
المصريين ، هو استخدامهم العربية الفصحى في القراء والكتابة ، ونصحهم باستخدام
العامية في الكتابة لكي يصيروا مخترعين ، لم يخف مرابه على المصريين رغم
ما بذله من جهد في عرض دعوته عرضاً جذاباً ، فمره البراءة وحسن النية والشفقة
على ارتقاء المصريين وتقديمهم . فقاموا بهتك أستار دعوته على صفحات مجلته
الأزهر التي اتخذها مسرحاً لدعوته إلى العسائية وتدعيمها . فكان من هؤلاء
الذين أبوا أن يهزأ بهم العقول البريطانية هذا الاستمراء : إبراهيم مصطفى نضر
در العلوم وصاحب مجلة لأزهر الآن ، وأحمد سليمان المهندس بتنظيم المحروسة ،
والسيد انزوى أحد شبان المدارس ، وغيرهم من المهندسين .

(١) المقطف ج ٨ من السنة السادسة (١٨٨٢) ص ٤٩٤ . باب المناظرة والمراسم
(مستقبل اللغة العربية)

أما إبراهيم مصطفى فقد رد عليه ردا منطقيا مدعما بأدلة قوية من تاريخ اللغات وتطورها ، كشفت لنا عن كثير من مميزات الفصحى ، وأوقفتنا على حقيقة العامية التي ينصحوننا بضبطها واستخدامها في الكتابه ، يجدر بنا أن نستشهد به لمعرفة ما بذله المصريون من جهد في مقاومة دعوة ولكوكس .

(١) أشار إلى ما قام به علماء اللغات من تقسيمها على تباينها الى ثلاثة أقسام :

١ - لغات أحادية المقاطع : وهي خالية من حروف المعاني وعدد كلماتها أقل من غيرها ولا تتغير صيغتها ولا تدل على النوع أو الكيفية أو العدد أو الزمن أو النسب ، بل كل ذلك يفهم من تكييف الصوت بهذه المقاطع في المنطوق ومن مكان الكلمة من الجملة في المسطور . ومن هذا القسم اللغة اليابانية وعدد كلماتها ٥٠٠ إلا أن لها ١٥٠٠ نطق لا يدركها إلا حلق الأذن للتعبير عما يخاطر أهلها ، وقد يعبر عن المعنى الواحد بمجموع كلمات تحفظ كل كلمة في هذا المجموع معناها كأن يعبر عن الأسرة بكلمتي أب وأم معا ، وبحسب ما يكون من نطق هاتين الكلمتين ووضعهما تؤخذ النسب التي يطلبها المعنى .

٢ - اللغات المزجية : وهي لغات فيها النسب التي تقتضيها المعاني ، تكون بضم كلمات إلى الكلمات التي يراد تعاق النسب بها بحيث تحفظ كل كلمة معناها وصورتها الأصليتين ، ففي هذه اللغة يعبر عن المعنى الذي يعبر عنه بكلمة واحدة بسطر طويل من كلمات مرصوفة ، ومن هذا القسم اللغة اليابانية .

٣ - اللغات الاشتقاقية : وهي لغات تتغير صور كلماتها بالتصريف ولكن مادة الكلمة تبقى في جميع الصور حافظة لمعناها ، وما طرأ على الصور من التغير يعين النسب المختلفة في الزمن والعدد والكيفية والنوع . ولغات هذا القسم حروف معان تربط الألفاظ والتراكيب بعضها ببعض ، ومن لغات هذا القسم اللغات الأوربية

و اللغة العربية ، ومنها لغات هجر استعمال بعضهم كاللاتينية واليونانية فسمى ميتا ،
ومنها ما هو مستعمل ويسمى بالحي كالعربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية .
ومنها ما هو أصلي كالعربية والألمانية والروسية ، ومنها ما هو ملفق مستحدث
كالفرنسية والإنجليزية .

وكل قسم من هذه اللغات يقابل طورا من طوار المدنية ، فاللغة الصينية
تقبل درجة مدنية بسيطة ، ويستحيل التعبير به عن الاحتياجات والمطلوبات
العصرية ، وكما رتبت أفكار أهل الصين وتقدموا في المدنية أحسوا بعدم كفايتهم
المطلوب الوقت ، فيضطرون إلى تحويلها - ولكن تدريجيا حسب الاحتياج - فمكتسب
الشكل المزجي وتعدى الشكل لقطعي .

وكذلك الأمر في كل لغة مزجية . فإنها تكون كافية في بدء أمرها الأمة التي
تخذتها ، ثم رتبة حالة الأمة تصير هذه اللغة غير وفية . فاضطر الأمة لنقل اللغة إلى
الاشتقاقية شيئا فشيئا ، وكما أمنت في الارتقاء بمدت عن الشكل المزجي وتوغلت
في الشكل الاشتقاقي لذي هو أوفى شكل للغات حتى الآن وأصلحها المدنية عصرية .

هذا التفسير والتحول في اللغة من طور إلى طور ليس اختياريا ، بل تنساق
إليه الأمة بحكم الضرورة . ولهذا إذا استعملت أمة متأخرة في المدنية لغة أمه أكثر
مدنية منهم لا تتغير مدارك هذه الأمة المتأخرة ، بل هي تؤثر في اللغة لأنها زائدة
عن حاجتها فتغيرها وتجعلها مناسبة لمدنيتها . فإدخال لغة الإنجليزية في أوغندة
مثلا لا يجعل من أهل أوغندة نوتون وهكسلي ، بل تتغير اللغة الإنجليزية في
أوغندة بالكيفية وتصير لغة تناسب أهلها ، ولكن إذ ثبت عقول أهل أوغندة
بنفقتهم ، ونشر التعليم بينهم ، تزداد معلوماتهم وترتقي لغتهم المنحطة به قبح
الاجيل ، وينبع منهم رجال كما ينبع من غيرهم ، ذلك لأن اللغة ما هي إلا ترجمان

الأفكار، فكما ارتفعت الأفكار واتسعت دائرتها اتسعت اللغة وارتفعت بارتفاع الأفكار، فاللغة في طوع المدارك العقلية وليست المدارك العقلية في طوع اللغة . واللغة الاشتقاقية تكون في طوع مستعملها أكثر من غيرها، وكما كانت اللغة بعد عن الشكل المزجي كانت أبسط وأطوع وأحكم، وهذا هو المتوفر في اللغة العربية بدرجة لا نظير لها، ولذا عبر الكاتبون بها في جميع الأوقات عن كل ما يقصدون من آداب وعلوم مهما كان تباينها . والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر، فما من علم إلا ألف فيه قديما وحديثا كتب بالعربية وعلى أسلوب زمن التأليف، وما من جريدة علمية - مصرية أو سورية - وجد كاتبوها في مبحث من المباحث صعوبة في التعبير .

(٢) ثم قارن العربية باللغات الاشتقاقية قائلا : وإذا قبلنا العربية بالغة الاشتقاقية التي هي أكثر استعمالا في العمورة - كلابنجازية والفرنسية - نجد أن العربية امتازت بخصائص لا يرتاب أحد معها في أنها أبقى للغات وأكملها بحاجة العلوم . فمن خصائصها :

أ - سعتها : فعدد كلمات اللغة الفرنسية ٢٥ ألفا - وكلمات اللغة الانجليزية ١٠٠ ألف (على أن معظم هذا العدد اصطلاحات صناعية) أما العربية فعدد موادها - على قول المطالعين - ٤٠٠ ألف مادة، ومعجم لسان العرب يحتوي على ٨٠ ألف مادة (مادة لا كلمة) وبسبب غنى العربية وسعتها نجد فيها للعلم في الشديدة التقارب كلمات خاصة بكل معنى مهما كانت درجة التفاوت، وبذلك لا يكون محل للالتباس أو الابهام اللذين هما آفة العلم والأدب .

ب - تخطيطها غيرها من اللغات الحية في طريق الاشتقاق وتوغلها فيه، حتى صارت بعيدة جدا عن الشكل المزجي الذي لا تزال بقاياها محسوسة في غيرها مانعة لاحكام التعبير في كثير من المواضع وهذا مما يجعل العربية أوسع

النبات ، ففي مصر استعمل له لفظ (جهنمية) من باب لاصطلاح للدلالة عليه ، وما يقال في هذه الكلمة الاصطلاحية يقال طبعا في باقي الاصطلاحات وادعاء العدول عن الفصحى إلى العامية لمثل هذه الاصطلاحات لا محل له ، لأن هذه الاصطلاحات التي كانت مجهولة في الفصحى لم تكن معروفة للامة ومسموعة في لغتهم . والمعقول أن هذه الاصطلاحات يستعملها العلماء أولا ثم تصل إلى العامة بنشر العلماء لها ونسبها بين الناس .

ب - إدعاء أن العامية يمكن ضبطها واستخدامها في الكتابة إدعاء باطل لا يمكن تحقيقه ، ذلك لأن الكلمات المستحدثة عن الخلط في العامية قليلة جدا لا تتألف منها لغة . والكلمات والتراكيب العربية المحرفة في العامية كثيرة ، ولكن هذا التحريف وعدم مراعاة القواعد ليس واحداً عند الناس ولا متفقاً عليه ، بل كل واحد يذهب فيه ما شاء ، فهو مختلف باختلاف الأفواه من غير فائدة ولا رابطة شأن كل تغيير يكون حصل لاعن ضرورة اليه ، بل عن الجهل والجهل لا يكون إلا من عدم التعلم . وبسبب حصول هذه التراكيب على غير قواعد الالة نرى المتكلم مضطرا دائما - حسب الموضوع - إلى الإشارة بانيد والوجه وإجهاد نفسه لبيان حقيقة المعنى المقصود ، والكاتب يستعاض عن هذه الإشارات والحركات والإجهاد بتخريج عبارته على مقتضى القواعد ، فيتأق في إحكام المعنى وتجويد الأسلوب ، وذلك شأن الكاتب في كل اللغات .

فاذا كتبنا باللغة المحرفة غير مراعين رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه ، وبغير نظر إلى ما يميز المضارع من الماضي ، كانت الكتابة غير مفهومة ، وكان ذلك بمثابة ادعاء بالعمية عن شكلها الاشتهق في إلى شكل متأخر .

وعلى فرض أننا جمعنا تحريفات العامة وأحصيناها ونظرنا في تشبهاتها

ووضعنا لها روابط وقواعد واتفقنا على استعمالها ، فمن ذا الذي يضمن لنا عدم خروج العامة عنها مدفوعين إلى ذلك بالأسباب التي أخرجتهم عن قواعد لغة القرآن .

(٤) وأخيرا أخذ يتبر إلى أسباب الانحياز في مقاومة تحريف عوامهم للغة . من هذه الأسباب :

١ - بقائه من خطاب فصيح في الأدب العامة و للجامع لأدبية والعامة .
وبما يمثل من روايات بلغة في دهر التمثيل ، لتعذر آذن العامة على الفصيح فتصحح به أسباب العامة .

ب - جملة نخب النعائم كـه بجميع فروعه ودرجاته بالغة دون غيرها . ولا تجوز لأزلاده التشرع في تعديل لغة أجنبية إلا بعد أن يتمكن التأيد من لغته وتباس فسكته بها . ولا تقدر استعمال لغة غير لغته في أية مصلحة من مصالحها ، ولا تجوز نشر لغة غير لغتها . وبمثل هذا تقوى العامة عندها ومع كل هذه العناية ، هذا لا جهد في جمع تلك أوربا صغيرها وكبيرها قديما وجديده . لضرورة العافية . لا يزال في نطق كثير من العامة وأهل الضواحي من الانحياز وغيرهم تحريف وخروج عن قواعد اللغة يجعل كلامهم غريب مفهوم بالكيفية . لا عند من تعودده ، ومع وجود هذا التحريف لم نسمع أحدا منهم قل بوجود استعمال هذا الخط والتحريف بدل لغة الفصيحة .^(١)

لم يكتب المصريون كتابا كتبه من مقالات هتكت إصدار دعوة ولكوكس .
فقد قام فريق من المهندسين المصريين بإصدار مجلة علمية أطلقوا عليها اسم

(١) - مجلة الأزهر . العدد الثاني . السنة السادسة (١٨٩٢) ص ٢٦ - ٤٦ .

« المهندس » للأبحاث الرياضية والعلمية، ليثبتوا عمليا إمكان معالجة هذه المسائل باللغة العربية الفصحى التي زعموا وكوكس أنها لا تصلح لمعالجتها فضاءه بذلك كل الجهود التي كان يبذلها وكوكس في نشر دعوته متخذاً من مجلته « الأزهر » مسرحاً للقيام بمختلف الحيل والوسائل التي اعتقد أنها تساعد على نجاحها. فكان من هذه الوسائل : أولاً - أنه مزج العربية « العامية في كتابة محاضراته الأولى » لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » ليمهد للعامية اقتحام ميدان الفصحى ثم احتلال مكانها بعد ذلك .

ثانياً - أغرى المصريين بالمسكآت المالية إذا تباروا في الكتابة العلمية، وكانت موضوع المسابقة التي عقدها في أول عدد من مجلته ، هو كتابة المحاضرة - المشار إليها - باللغة الدارجة المصرية . يقول في نهاية المحاضرة : « من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدارجة المصرية وكانت موافقة جداً لكافة القراءات أربعة جنيهات إفرنكية ، وإن كثر المتقدمون فيعطى هذا المبلغ إن يحوز لأية » .

ثالثاً - واصل الكتابة في موضوع « اللغة الدارجة » وكتب مقالات بالعامية في موضوعات أدبية وعلمية ، وترجم فصولاً من روايات شكسبير إلى العامية .

هذه المحاولات لم تزد المصريين إلا تمسكاً باللغة الفصحى حتى ينس صاحب الدعوة من صمودهم ، وانتهى به اليأس إلى إغلاق مجلته مد صدور العدد العاشر منها . وقد صرح وكوكس نفسه بالسبب الذي جعله - له يتوقف عن إصدار مجلته ، وهو عدم تلبية المصريين والمهندسين خاصة لدعوته . يقول : « ولقد افتتحت الأزهر وأردت أن أشحنه بالمسائل الرياضية المفيدة بهد ما وقفت على شدة عوز المصريين لهذه الفنون ، وأن السبب الوحيد في تأخر العلوم إنما هو تأخر لغة التأليف ، وعدم إقدام المؤلفين على تصنيف كتبهم

١٠٨
باللغة الحية المستعملة التي يعلمها ويتكلم بها كل مصري ، ضنا منهم على أبناء
جلدتهم بالمعلومات النافعة ، فأخذوا يضعونها في لغة غير مشهورة لا يعلمها
إلا القليل ، وذلك أضحت دائرة هذه العلوم ضيقة ونصبت شمسها لا تسطع
إلا على أفراد بمدون على الأصابع ، والبقون في ضلالت الجهالة يعمون .

فحملني حب نشر العلوم ومبلى لتنوير المصريين أن أسير في هذه الحجة
سيرا وطيدا عاما ، ولذلك افتتحتها بمقالة عرضت فيها المصريين وخصوصا
المهندسين على وضع أفكارهم في اللغة الحية المستعملة رغبة في فائدة العموم وحبها
في انتشار هذه العلوم ، فأبوا إلا أن يترجموا عن أفكارهم بلغة غير مشهورة ،
وأخذوا يرسلونهم لرسائل العديدة بغية رصد الجريدة . فما كان يسعني في
ذلك الوقت إلا قبولها — والتشكر لهم ، مؤملا أنهم ربما يخلصون نعل الخوف
والإحجام ويباسون رداء الحرية والإقدام ، فيعبرون عن معلوماتهم باللغة الحية .
وحيث أنهم استمروا على الطريقة الأولى ولم يهتدوا إلى الطريقة المفيدة
العامة ، فلا حاجة للاستمرار في إصدار الجريدة ، إذ أن الفائدة قصيرة على
القليلين الذين يعمون هذه اللغة التي استولى حبها على المؤلفين . . . و « الأزهر »
سيحجب عن الظهور بعد هذا العدد ، لأن فكري (ولا يشترط صحته لدى
الآخرين) وعز إلى أن هذه العلوم لا يمكن ظهورها وانتشارها إلا إذا وضعت
في اللغة المستعملة ، وهناك يحجني عموم المصريين الفوائد العظيمة . وإن كان أبي
الله إلا الاستمرار على ما كن متبع ، قبلا ، مما له فائدة قليلة قاصرة لا تسوع لمثل
أن يستمر في التحرير وأن يداوم على إصدار الجريدة . »

وخيرا وفي هذا العدد الأخير نفسه من المجلة ، يرمى وإكوكس بأخر سهم
في جعبته ، فيعيد نشر محاضراته الأولى وبعض مقالاته في اللغة الدارجة التي
نشرت في الأعداد الأولى ، يمكن أكبر عدد من المصريين من الاطلاع على

فكرته . يقول : « وحيث أن قراء جريدة الأزهر الرياضية كانوا في مبدأ نشأتها قليلين ، فكان لا يطبع منها إلا كمية قليلة تناسب القراء ، ولكنهم بعد ذلك كثروا حتى أن الكثير منهم لم يستحوذ على الأعداد الأولى التي رصدت فيها أفكارى المختصة باغة التأليف ، فرأيت من الواجب رصد تلك الأفكار ثانية بهذا العدد . » ^(١)

تسجيل المقتطف والهلل للصراع بين الفصحى والعامية عقب ظهور كتاب ولمور :

لم يكن يأمن ولكوكس من عدم تلبية المصرين لدعوته إلا بأسا مؤقتا . فلم يلبث أن واصل حملته على العربية الفصحى . وبينما هو يعد أسلحة جديدة لمحاربتها إذطالعنا أحد أعوانه من رجال الاستعمار البريطانى فى مصر ، وهو القاضى ولمور بكتابه « العربية المحكية فى مصر » سنة ١٩٠١ ، ذلك الكتاب الذى أراد أن يضع فيه حلا للخلاف بين الفصحى والعامية ، فدعا إلى الاقتصار على العامية كأداة للكتابة والحديث ، لأنها - فى رأيه - لغة حية غنية متطورة على عكس الفصحى الصعبة الجامدة . واقترح كتابة العامية بالحروف اللاتينية ، واستنبط قواعد لضبطها حتى تصبح صالحة للكتابة ، وبين أجمع الوسائل لندعيمها ، فاشد أرباب الصحف أن يبدأوا بالكتابة بالعامية على أن يساعد هم أهل الحل والمقد فى البلاد ، واقترح أن يكون التعليم بالعامية اجباريا ، ورأى أن وقتا قصيرا فى هذا التعليم حدده بسنتين سيكون كافيا لنشر القراءة والكتابة فى البلاد .

وبظهر هذا الكتاب اندلعت الصراع من جديد بين الفصحى والعامية . اثاره المقتطف حين تناول تقرير الكتاب ، فقد وافق هذا الكتاب أهواء المقتطف الذى كان قد سبقه

(١) - الأزهر . العدد العاشر . السنة السادسة (١٨٩٣) ص ٤٣٨ .

بمشرىين عام بطرق موضوع البحث في تنقيح المصاحفية واستخدامها في الكتابة ،
وذلك عندما اقترح كتابة العلوم بالعامة سنة ١٨٨١ كما أشرنا إلى ذلك من
قبل . فخذ يشيد بالكتاب مثنيا على الجهود التي بذلها مؤلفه والأغراض
الشريفة التي سعى إلى تحقيقها ، كما أشار أيضا إلى صعوبة نشر العلوم والمعارف
بالعامية . ند أن ظهر له في محاولته السابقة أن سلطان العربية أقوى من أن
تزعزعه العامة ، وأن حمايتها لم يدخروا وسعا في سبيل نشرها وإحيائها .
يقول : « إنه (ي ولور) تعب في ضبط لغة القاهرة تعب سيبيويه في ضبط
لغة العرب . ووضع كتابا في أربعائة صفحة مشحونة بنفر ثد . وغرضه
من تشريف الأغراض وأنبأها ، وهو تسهيل نشر العلوم والمعارف بلغة العربية
(يعني العربية المحكية) وتسهيل التكلم بالعربية على الأجانب . لكن أسلوبه
لا يوصل إلى العرض الأول في رأينا بعد أن نهض بناء العربية إلى إحياء اللغة
العربية ، وذكروا من استخدامها ونشر الكتب والمصحف بها . »

وعليه سلطان الفصحى والدلائل التي تبشر باستمرار احتلالها لميادين
الكتابة ، قد أسسها انقطف نفسه منذ أن قدم اقتراحه سنة ١٨٨١ ، وقد صرح
بمذهبه الحقة في تقريره لكتاب ولور ، وذلك عندما أشار إلى ما أسفرت عنه
نتيجة الذي قدمه في تلك السنة حتى أنه قطع كل أمل في إمكان
اقر بالعامة اللهم إلا إذا عضدتها قوة القاهرة ، وقد أشار إلى ذلك
في قرأ : « وذهب أكثرهم (يعني أكثر الذين ردوا على اقتراحه سنة
١٨٨١) إلى أن إشاعة اللغة المكتوبة خير من كتابة اللغة المحكية . وكثيراً
ما قننا للأوربيين والأمريكيين الذين ذكرونا في هذا الموضوع إنه لو اهتم محمد
على أشاد بالله الخديوية بكتابة اللغة المحكية في مصر والشام ، وجعل الكتابة
بها وحدها لما وجد في ذلك كبير مشقة ، ولكننا نجد اللغة المكتوبة الآن قريبة

من اللغة المحكية قرب اللغة الإبطالية المكتوبة من اللغة لإبطانية المحكية ، ولكن اقتصار المتعلمين في مصر والشام على الكتابة باللغة العربية وشموع الكتب والجرئ فيها ولا سيما في السنوات الأخيرة ، واعتداد أكثر الذين يعرفون القراءة على مطابقة الجرائد ، كل ذلك عضد اللغة المعربة وقورها حتى صار إهمالها متعذراً إن لم يكن مستحيلاً . »

ولكن اعتراف المقتطف بالصعوبات التي تعترض الدعوة إلى العامية لم ينمعه من أن يسلك إلى غرضه سبيلاً ملتويًا بالدعوة إلى تطعيم الفصحى بالعامية ، لأنه لم يلبث أن أردف كلامه السابق بقوله « ونذكرك لا نطمع بكتابة اللغة المحكية الآن ولا نشير به ، ولكننا نطمع ونشير بالتوسع في اللغة المكتوبة حتى تدخل فيها كل كلمة محلية لا تقابلها كلمة فصيحة مأخوذة ، سواء كانت الكلمة المحلية مما وضعه العامية أو نحتوه أو نقلوه عن لغة أجنبية ، ونطمع ونشير أيضاً بالتوسع في التعريب حتى تجاري لغتنا لغات أوروبا ، ونشير أيضاً بالحرص على كل ما هو حسن من المعاني والاستعارات العامية والمفتولة عن اللغات الأجنبية ، أي يجب علينا أن نجوز للعربية ما يجوزها الانجليزية للانجليزية والفرنسيون للفرنساوية وكل المتكلمين بأمة حية لغتهم . ولذلك فاهتمام حضرة القاضي ولمور ومن جرى مجراه بضبط اللغة المحلية جاء بعد أوانه . وإذا تبارى هو والمحافظون على اللغة — العربية — فسميهم هو الغالب أخيراً ، إلا إذا تسلطت على البلاد قوة قاهرة عضدت الساعين في ضبط اللغة المحلية وكتابتها . » (١)

(١) المقتطف . المجلد ٢٧ . فبراير سنة ١٩٠٢ باب « التقريب والانتقاد »

ورغم اعتراف المنتطف في هذا الوقت (١٩٠٣) باستحالة العدول عن
الفصحى إلى العامية، وأن دعوة ولور إلى الكتابة بالعامية قد جاءت بعد
أوانها، فإن دعاة العامية لم يكفوا عن موصلة حملاتهم ضد الفصحى، وبالضرورة
لم يتوان أنصار الفصحى عن صد حملاتهم وادخض حججهم وأباطيلهم،
فأضت الصحف المصرية ما بين معارضة ومؤيدة في الرد على ولور وأنصاره،
وكان القراء يستحثون هذه الصحف على توضيح موقفها من هذا الموضوع الخطير
إذا توانت في الرد كما فعل قراء الهلال، وهذا يدل على انشغال الناس بالموضوع
في ذلك الوقت ورغبتهم في الوصول إلى الحقيقة من مختلف المصادر.

وقد بيّ الهلال بدء أحد قرائه الذين رادوا أن يعرفوا رأيه في مزاعم
ولور التي برز بها دعوته إلى الكتابة بالعامية، فبين استحالة الكتابة بالعامية، وفي
الشبهات التي وجهت إلى الفصحى.

١ - "ما استحالة كتابة بالعامية فقد أرجعهم إلى :

" - تباین لهجات العامية : فلقول بالاقصر في الكتابة على عامية بلد
واحد فيه متعة بالنسبة للبلاد الأخرى، التي تتحدث كل منها بلهجة خاصة تختلف
عن غيرها. من لهجات حديث الأخرى ثم لاخلاف، هذا إلى ما سترتب على
هذا القول في المستقبل من تفرع هذه اللهجة المنتصرة عليها إلى لهجات، للأسباب
نفسها التي أدت إلى تفرع الفصحى إلى لهجات متباينة. " ما القول بتأليف لغة تشترك
بين هذه اللهجات، فهو فضلا عن عدم إمكان تحقيقه لأن اللغة لا تتألف بالتواطء
وإنما هي جسم ينمو نموًا طبيعيًا على مقتضى ناموس لارتقاء العام، فإن الأسهل
منه الإبقاء على الله الفصحى. وهي ثم لغتنا العامية وأقرب إلى أفهامنا من لغة
جديدة مأتلفة من أفواه الأمم. أما القول بأن تتخذ كل أمة من هؤلاء لهجاتها

فهو يؤدي إلى انحلال العالم العربي وقطع ما بينه من صلات دينية وأدبية، وذلك بالإضافة إلى أن المسلمين منهم لا يستغنون عن تعلم لغة الفصحى لمطالعة القرآن والحديث وسائر كتب الدين .

ب - عدم صلاحية العامية لاكتساب : فهي لا تصلح للتعبير عما وراء الحاجيات الاعتيادية ، ولو أردنا استخدامها لتدوين العلم والأدب ، فإننا نضطر إلى الاستعانة باللغة الفصحى ، فنصبح لغتنا لا هي عامية ولا هي فصيحة .

٢ - وأما ما نفيه من الشبهات التي وجهت إلى الفصحى فيتمخلص في :

أ - أن العربية الفصحى ليست غريبة على أفهام العامة كما يدعون إلا إذا اريد الثعثر واستخدام الألفاظ الغريبة . أما إذا إنشاء المصرية فهي شائعة في الصحف والمجلات يفهمها الخاص والعام .

ب - أنه لا يجوز قياس العربية على اللاتينية ، لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيرا من الفرق بين العربية الفصحى وفروعها العامية . فالعامي الانجليزي أو الفرنسي مثلا ينظر إلى اللاتينية نظره إلى لغة غريبة لأنه لا يفهم منها شيئا ، أما العامي العربي فإنه يفهم اللغة العربية الفصحى وإذا فانه فهم بعض الالفاظ فإن المعنى الإجمالي يندر أن يفوته منه شيء ، ولأن الظروف التاريخية والسياسية التي مرت بها اللاتينية غير تلك التي مرت بها العربية .

ج - أن دراسة الفصحى ليست صعبة كما توهم ولمور وأتباعه ، وأن ما يرويه من استغراق بعضهم في درس اللغة زمنا طويلا ، إنما هو للتوسع في آراء النحاة وحفظ المناردات أو لسوء طرقي التعليم في بعض المدارس المصرية الجارية على طريقة التعليم القديمة . وأما المدارس التي تعلم اللغة على الطرقي المستقرة فلا يحتاج الطالب لمعرفة القواعد فوق ما يحتاج إليه طالب أية لغة من اللغات الأخرى وخصوصا

إذا كان من أبناء ذلك اللسان . أما إذا كان طالب اللغة أجنبيا فقد يستغرق درسه أياها وقتا أطول كما يستغرق درس اللغات الأجنبية لدى أبناء اللغة العربية .

د - أن الزعم بأن اللغة العربية بدع في اللغات بامتياز اللغة المكتوبة فيها عن اللغة المحكية زعم باطل . فلا إنجاز يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم يسمونها لغة عامية . والعامي من الفرنسيين لا يفهم أبحاث رينان في فلسفة العمران ، والعامي من الألمان لا يفهم ما كتبه شوبنهاور في فلسفه الوجود . (١)

وهكذا ناقش الهلال جميع مزاعم ولمور التي برر بها دعوته إلى الكتابة بالعامية . ناقشها على أسس منطقية علمية تاريخية . وهي كما ترى كفيلة بإزالة الشكوك التي أثارها ولمور في نفوس أبناء العربية . لكن البعض ممن افلح دعاة العامية من الأوربيين ومن تبهم في إثارة شكوكهم وزعزع ثقتهم بلغتهم ، أصروا على العناد وأخذوا يواصلون الدعوة إلى العامية مرددين مزاعم ولمور . ولكن في قوالب جديدة من الحقد والكراهية والأزدراء بالفصحى وكان ذلك على صفحات الهلال نفسها نذكر من هؤلاء عالما سوريا هو اسكندر المعلوف . (٢)

كتب اسكندر المعلوف إلى الهلال عقب رده على مزاعم ولمور مظهرا عجزه من قهرجه التي عارض بها دعوة ولمور ، تلك الدعوة التي يقول إنه شغل بها كثيرا حتى انتهى إلى الإيذان بصحتها وجوب تدعيمها وإقرارها ، ثم أخذ يبين أسباب إيمانه بها وتمايخص في :

(١) الهلال الجزء التاسع . من السنة العاشرة . ١ فبراير سنة ١٩٠٢ باب السؤال والافتراح . ص ٢٧٩ - ٢٨٣ .

(٢) اسكندر المعلوف هو ولد عيسى اسكندر المعلوف الذي كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

١ - أن أهم سبب من أسباب تأخرنا وببلبة أذهاننا ، هو اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة .

٢ - أن هذه البلبلة لا يمكن إزالتها إلا بالاختصار على لغة واحدة ، أية لغة من اللغات العامية ، لأنها ستكون أسهل على سائر المتكلمين بالعربية على اختلاف ألسنتهم من العربية الفصحى « وعندى أن استعمال اللغة المصرية كما هي ، أهون على وعلى كل سورى من اللغة الفصحى ، وهذه هي الحالة مع أهل مصر واللغة الشامية . فكيف إذا كانت اللغة متوسطة بين الجميع ، وقواعد لها سهلة يمكن ضبطها واستعمالها في مدة وجيزة . »

٣ - أن الأمل في ربط الشعوب بمقود على ضبط العامية والكتابة بها ، فإذا لم يتدارك القوم هذا الأمر لم يبق واسطة لجمع شتاتهم سوى لغة يسمونها اللغة الفصحى ، لا يفهمها عامتهم ولا يسهل إدراكها على خاصتهم ، وهذا هو التبيلل الحقيقي . فنكون بحفاظتنا على اللغة قد فقدنا رابطة هذه الشعوب ومالنا وللغة الفصحى فإنه من المستحيل أن ترجع إلى ما كانت عليه وقد أصبح إهمالها أكثر احتمالاً من استبقائها . »

٤ - ليس هناك مبرر لتعلق المسلمين بالفصحى ، لأن هناك مسلمين كثيرين لا يتحدثون بالعربية ولا يكتبون بها ، ولأن اللغة التي يتكلمها المسلمون هي غير اللغة الفصحى .

٥ - أن القيام بوضع قواعد للعامية وإقرار الكتابة بها يحتاج إلى همة ثابتة وشجاعة فائقة ، تستطيع أن تحررنا من رق اللغة الفصيحة التي بددت صعوبتها جهودنا واستغرقت ثلاثة أرباع أوقاتنا المدرسية .

وأخيراً يختم المقال بقوله : « وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من

عقلم طالبين التحرر من رق لغة صعبة المراس قد استغرقت أوقاتهم وقوى
 عقولهم الثمينة ، وهي مع ذلك لا توليهم نفعا بل أصبحت ثقلا عليهم يؤخرهم عن
 الحركة في مضمار التقدم ، وحاجزا يصددهم عن النجاح ... ولي أمل بأن أرى
 الجرائد العربية وقد غيرت لغتها وبالأخص جريدة الهلال الفراء التي هي في
 مقدمتها ، وهذا أعظم خطأ نحو النجاح وهو غاية أملى ومضمون
 رجائي . « (١)

هذه هي الأسباب التي من أجلها اقتنع امكندر المفلوف — كما يزعم —
 بوجوب ضبط العامية والكتابة بها ، وهي لا تخرج في جوهرها عن الأسباب
 التي برر بها ولور دعوته إلى العامية . وكل ما أتى به من جديد — ولم يكن
 ولور يطمح في أكثر منه — هو التفتن في إلصاق الاتهامات بالفصحى ،
 والتعمس الشديد في حث أنائها على التحرر منها .

فهو كما يبدو انما لم يكن يدعو إلى العامية إيثرا للعامية أو إيمانا بصلاحياتها
 للكتابة ، وإنما كان يدعو إليها لغرض واحد هو القضاء على المربية الفصحى التي
 يضر لها كل هذه الكراهية وكأن هذه العامية هي المخرج الوحيد للتحرر منها .
 تسجيل « الهلال » للصراع بين الفصحى والعامية بعد أن عاد واكوكس

إلى محاربة الفصحى سنة ١٩٢٦ .

لم تؤكد النضجة التي نازها كتب ولور ونباشه تهديدا حتى ثارت من
 جديد ، حين عاد واكوكس إلى مزاولة نشاطه في محاربة اللغة العربية الفصحى

(١) الهلال الجزء الثاني عشر من السنة العاشرة ١٤٠٤ هـ سنة ١٩٠٢ باب المراسلات
 ص ٢٧٣ — ٢٧٧

بعد اليأس الذي انتابه من التغلب عليها كما رأينا في حملته السابقة . عاد هـ — مرة وهو أشد ما يكون تحمسا لتحقيق غايته التي لم يدخر وسعا في تحقيقها ، وهي الدعوة إلى العامية والترويج لها لتمكين من إقصاء الفصحى واحتلال مكانها في ميدان الكتابة والأدب . عاد يؤيدها عمليا بترجمته للانجيل إلى العامية وبتأليفه كتابه « الأكل والإيمان » بالعامية ، وعاد يؤيدها نظريا في رسالته : « سوريا ومصر وشمال أفريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية » تلك الرسالة التي حاول فيها البرهنة على أن مصر ليست عربية اللغة ، ليكون ذلك متمما للمحاولة التي بذلها الغربيون من قبل عن طريق بث الفرعونية لإثبات أن مصر ليست عربية الجنس . ودعا فيها المصريين إلى الاهتمام بلغتهم التي هي بونية الأصل — كما يزعم — ليتمكنوا من التخلص من العربية الفصحى الصعبة الجامدة المتكلفة التي وقفت في سبيل تقدمهم ، واقترح عليهم أن يكون التعليم إجباريا بالعامية أو كما يسميها اللغة المصرية ، ورأى أن عشر سنوات بهذا التعليم كفيلة بنشر العلوم والمعارف في مصر .

هذه الدعوة التي بذل ولكوكس كل هذه الجهود في تأييدها لم تستطع أن تقضى على العربية الفصحى كما كان يأمل ولكوكس استطاعت أن تجتذب بعض أبناء العربية في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية ^(١) فقاموا يرددونها حتى وقتنا هذا .

(١) انظر دعوة الحوري مارون عمن اللبناني إلى العامية في كتابه « درس ومطالعة » طبع بيروت سنة ١٩٢٥ وذلك في فصل كتبه بعنوان « حياة اللغات وموتها » وصفه بأنه بحث فلسفي لغوي اجتماعي . وفيه تنبأ بموت العربية الفصحى ودعا إلى الكتابة بالعامية مؤيدا دعوته بأدلة نظرية وعملية . قام بتنفيذها رجال الفكر في لبنان الذين ناشدهم أن يناصروا دعوته .

انظر ما كتبه انطون صالحاني اليسوعي في الرد عليه وذلك في مقال له بعنوان « خطر جسيم =

من المصريين الذين أيدوا والـكوكس وأشادوا بجهوده في الدعوة إلى العامية وخاصة عقب هذه الرسالة سلامة موسى ، وذلك في مقال نشره الهلال على الرغم من معارضته لتلك الدعوة . يقول المحرر في مقدمة مقال : « وهو (أي سلامة موسى) في مقاله هذا قد طرق موضوع خطيرا واقتراح حلا لا يوافق عليه الهلال وإن يرتضيه سواد القراء ، إلا أننا نرى فائدة في لاطلاع على الآراء المختلفة لأرائنا ولا سيما إذا كانت مكتوبة بأسلوب على كآسلوب الأستاذ سلامة موسى » . فسلامة موسى كما يتضح من تعليق المحرر على مقاله كان مدينا في نشر مقاله إلى معرفته للغة العربية الفصحى ، وأن أسلوبه الطلي فيها كان من أهم الأسباب التي دفعت الهلال إلى نشر رأي مخالف لرأيه ونترأي العام .

بدأ سلامة موسى مقاله بالثناء على والـكوكس كهندس وكأديب وكواحد من الانجمايز المخلصين لمصر ، شغل بها كثيرا حتى أصبحت همومه مصرية أكثر مما هي انجليزية . « والهم الكبير الذي يشغل باله بل يقلقه ، هو هذه اللغة التي نكتبها ولا نتكلمها ، فهو يرغب في أن نهجرها ونعود إلى لغتنا العامية فنؤلف فيها وندون بها آدابنا وعلومنا . »

ثم أشار إلى أن التأفف من اللغة العربية الفصحى التي نكتب بها والذي شعر به والـكوكس ليس حديثا ، وإنما يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نهي

== أو اللغة العامية » نشر في مجل المشرق السنة ٢٣ العدد ٢ . شباط سنة ١٩٢٥

ص ١٤١ - ١٤٣

وانظر ما كتبه لويس شيخو في ارد عليه أيضا وذلك في مقال له بعنوان « حقوق اللغة العامية بأزاء اللغة الفصحى » نشره في مجل المشرق السنة ٢٣ - العدد ٣ - آذار سنة ١٩٢٥

ص ١٦١ - ١٧٦

قاسم أمين على اللغة الفصحى صحتها وقال كلمته المشهورة « إن الأوربي يقرأ لكي يفهم أما نحن فنفهم لكي نقرأ » واقترح أن يلغى الإعراب فنسكن أواخر الكلمات . وحين قام على أثره أحمد لطفي السيد الذي يلقبه سلامة موسى « منشيء الوطنية المصرية الحديثة » فأشار باستعمال العامية . وحين دعا في العام الماضي (١٩٢٥) فاضل سوري إلى اصطناع العامية السورية بدلا من الفصحى ، واستند في تأييد دعوته إلى أن اللغة العامية أوفى تعبيرا وأدق معان وأحلى ألفاظا من اللغة الفصحى وأنها لذلك يجب إثارتها على اللغة الفصحى ^(١) .

ولما كان سلامة موسى من هؤلاء المتأففين من العربية الفصحى فقد بين أسباب حملته عليها وتتلخص في :

- ١ - صعوبة تعلمها : وهذه الصعوبة يعانيتها الخاصة أكثر مما يعانيتها العامة .
- ٢ - عجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية أو العلمية : والأغراض العلمية - في نظره - أمرها هين بالنسبة إلى الأغراض الأدبية ، لأن الأغراض العلمية يسهل أداؤها بأي لغة ، بل يمكن أداؤها بالرموز أحيانا « ولكن نكتبنا الحقيقية ، هي أن اللغة العربية لا تستخدم الأدب المصري ولا تنهض به ، لأن الأدب هو مجهود الأمة وثمرة ذكائها وابن تربيتها ووليدها ، فهو لا يزكو إلا إذا كانت أداته لغة هذه البيئة التي نبت فيها . »

(١) يبدو أن سلامة موسى لا يعرف أن ولكوكس نفسه هو باعث هذا التأفف فقد سبق كلام قاسم أمين ، وأحمد لطفي السيد ، وذلك الفاضل السوري ، بالدعوة إلى العامية ومهاجمة اللغة العربية الفصحى وذلك في خطبته التي ألقاها (سنة ١٨٩٣) « لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » وقد سبق الإشارة إليها . . . ومن قبله سبيتا (١٨٨٠) فالناؤف من العربية الفصحى والشعور بعجزها عن الوفاء بحاجاتنا لم يكن شعورا مصرية كما يزعم سلامة موسى ، بل كان شعورا أجنبيا أثاره دهاء العامية من الأجانب وخاصة رجال الاستعمار البريطاني .

٣ - أنها تبعثر وطنيتنا المصرية وتجاهلوا شائعة في التسمية العربية « فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويهيج أبطاله » - دلائل أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر . فطال مناجاة ليدافع عن استرق وثقافته كلها عربية شرقية مع أنها في كثير من الأحيان تحتاج إلى التجرد نحو المغرب . والثقافة تقرر المذوق والنزعة وليس من مصلحة الأما المصرية أن ينزع شبابه نحو الشرق . وإنه لا نفع للشرق أن ينزع إلينا لأن ينزع نحن إليه .

٤ - أن رنة ألفاظها العالية كثيرا ما تطوح الكتاب بسببها حتى أصبحت الأسجاع هي كل همهم^(١) وهو يرى أن فضل سبب البلاغة . هو « لأسلوب النعرا في » لأنه يمنع المنشئ من التهلك بالافتخار والافتخار في طربها الوحشي الذي يشبه طرب الجبال بالحداء .

وأخيرا يختم سلامه موسى مقاله بالإشادة برسالة ولكوكس « سوريا ومصر وشمال أفريقية ومالطة تتكلم البونية لا العربية » لأنها - كما يقول - قد جمعت جميع اختبراته عن العامية . ويكرر تأييده لوكوكس في دعوته إلى هجر العربية الفصحى هجرا تاما . ولكنه لما رأى الظروف لم تنهيا بعد لتحقيق تلك الدعوة قدم هو نفسه بطريقة أخرى لتحقيقها ، هي طريقة التسوية بين الفصحى والعامية يقول : « ... وما وجدته ولكوكس وهو أجنبي يجده لوطي المصري ويشعر به أكثر منهما الأديب المصري . ولست أشك في أن اللغة العامية تفضل اللغة الفصحى وتؤدي أغراضا أدبية أكثر منها . ولكننا لم نبلغ بعد الطور الذي يمكننا فيه أن نظفر هذه الطفرة إلا أن هذا لا ينبغي أن

(١) هذا لا يعد عيبا في العربية ، وإنما العيب في طريقة الكتاب الذين يصنعونهم .

ينمنا من إيجاد تسوية بين الاثنين الفصحى والعامية . »

ف فكرة التسوية بين الفصحى والعامية كما تبدو صريحة في كلام سلامة موسى ،
هي نوع من الاحتيال لإفساح المجال أمام العامية ، وإن اقتراحه في هذه التسوية
يحقق هذه الغاية . فأوجه التسوية في اعتقاده هي :

١ - إلغاء الألف والون من الثنى ، والواو والنون من جمع المذكر السالم .

٢ - إلغاء النصبير .

٣ - إلغاء جمع التكسير كله والاكتفاء بالألف والتاء لغير المذكر السالم .

٤ - إلغاء الإعراب والاكتفاء بتسكين آخر الكلمات .

٥ - إيجاد حرف كبير عند ابتداء الجمل .

٦ - عدم ترجمة الألفاظ الأوربية والاكتفاء بتعريبها كأن نقول
(بسكليت) ولا نقول دراجة وهلم جرأ .

هذه التسوية يسميها سلامة موسى تطوراً يجب أن تمر به اللغة العربية —
الفصحى . « اللغة التي لا تزال للآن نرطنها رطانة ولم تشربها بعد نفوسنا ،
ولا أمل في أن تشربها لأنها غريبة عن مزاجنا ، وذلك لأن هذه اللغة الفصحى
هي لغة بدوية . والثقافة هي بنت الحضارة وليست بنت البداوة ، ولذلك
فإنه يشق علينا جداً أن نضع معاني الثقافة في هذه اللغة سواء بالترجمة أم
بالتأليف . » (١)

(١) الهلال الجزء (١٠) السنة (٢٤) اول يولية سنة ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ — ١٠٧٧
« اللغة الفصحى واللغة العامية ورأى السير ولسكوكس » .

وهكذا يتضح لنا من تتبع سير الدعوة إلى العامية في مصر أن كل ضجة
حول لغة الكتابة ستكون الفصحى أم العامية ، كانت تأتي عقب دعوة أجنبية
مؤيدة للعامية .

فما يثس دعوة العامية من الأجانب من نجاح دعوتهم وخدم نشاطهم تبعاً
لذلك . قم أنصارهم ومن تأثروا بهم من أبناء العربية بث هذه الدعوة
والترويج لها باسم الإصلاح والتجديد في اللغة العربية وآدابها .

الفصل الثالث

اقتران الدعوة بحركات التجديد والإصلاح

هذه الدعوة إلى العامية التي انتشرت في مصر عقب الحلات التي شنها الأجانب على العربية الفصحى ، لتمكين العامية من احتلال الميدان الأدبي والعلمي ، أخذت تواصل طريقها بعد ذلك متسلسلة خلال حركات التجديد والإصلاح التي تناوأت اللغة العربية الفصحى وآدابها . اقترنت بحركة التصير ، واقترنت بحركة إصلاح نحو العربية وكتابتها ومقنتها ، واقترنت بحركة التجديد المتطرفة في الأدب التي تريد أن تقطع صلتنا بالأدب القديم شكلا وموضوعا .

اقتران الدعوة بحركة التصير :

ظهرت حركة التصير بظهور القومية المصرية في أواخر القرن التاسع عشر وتبعتها في أطوار نموها حتى بلغت أشدها بعد ثورة سنة ١٩١٩ ، والقومية المصرية من النزاعات الانفصالية التي خلقتها السياسة الاستعمارية لا في مصر وحدها ، بل في مختلف البلاد العربية^(١) ولقد أثرت هذه النزعة في عقول المصريين وقلوبهم حتى أدت ببعضهم إلى نوع من التعصب الممقوت والانطواء المذموم داخل حدود مصر الجغرافية ، فقاموا بنا دون بوضع آمالنا في مصر وحدها وتكريس جهودنا لها والعمل على حفظ مشخصاتها بابرار الطابع المميز لها

(١) أنظر تاريخ النزعات القومية الانفصالية داخل البلاد العربية ، في كتاب الانجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. تأليف الدكتور محمد حسين ج ٢ ص ١٢٤ - ١٤٤ . طبع مصر سنة ١٩٥٦

في كل ما يتعلق بنتاج هلم . وهو : نشأت حركة تصيير لادب والعن
بمختلف أنواعه من رسم ونحت وموسيقى ، وكان مما سرامه أيضا لغة عربية
الفصحى . فقام د. نصير في إصدار كتاب اى تعاليمنى تحتق
، يدعون اليه .

قراح أحمد لطفى السيد في تصيير اللغة العربية . فقام أحمد لطفى السيد
داعية لقومية لمصرية الأول و منشىء لوطنية الحديثة كج كانوا يسمونه يدعو
إلى تصيير لغة العربية . فجاءت فكرته في تصيير اللغة تسانت مع فكرته الرئيسية
الى تلأج به مشاكلا السياسية ولاحتماعية والنزويية . من « لمصرية » (١) .

فكتب في تصيير لغة لمصرية سبع مقالات نشرت في صحيفته « لجريدة »
سنة ١٩٠٣ (٢) وقراح في هذه المقالات يدافع عن فكرته ويشرحها ويدعو
إلى الأخذ بها .

ففي المقالة الأولى التي نشرها بعنوان « التآيف باللغة العربية » كلام عن
سعة العربية وخصبها في المعاني والمسميات القديمة ، وضيقها وجدها في المعاني
الجديدة والمصطلحات العلمية . ورئى أنه لا سبيل إلى إحيائها وجعلها . مألوفة
الاستعمال ، إلا أن تصيير لغة العلم في البلاد . وأن تصيير قدرة على نقل العلم إلى

(١) انظر مقالاته في « القومية المصرية » في كتابه « تاملات » نشر اسمه على مظهر .
طبع دار المعارف . مصر . ١٩٤٦ مقال كتبه تحت عنوان « لمصرية » ص ٦٥ ومقال
كتبه تحت عنوان « لمصرية » ص ٦٨ .

وانظر رايه في توجه مصريه رخصيه يا مشى - اثره - لعمرية خديته . في كتابه « لمنتخبات »
ج ١ طبع مصر سنة ١٩٣٧ في مقال تحت عنوان « لمرب رمة لمربية » ص ٢٤٦

(٢) نشرت هذه المقالات في ع ١٤٠٠ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ (من ابريل) و ١٤٠١
(من مايو) ثم جمعت ونشرت في كتابه « لمنتخبات » ج ٢ طبع مصر سنة ١٩٤٥

وطناً حتى ينتج نتائجه الكبرى في ارتقاءنا إلى ما نطمح فيه من المدنية والشرف . وهو رأى لا ينكر أحد أهميته ولا ضرورته ، ولكنه استغله في إباحة التسامح اللغوي في قبول الأسماء الأجنبية ، الذي نادى به فيما بعد في مقالاته الأخرى التي كتبها في اللغة العربية .

ثم انتقل الكاتب بعد ذلك إلى معالجة المشكلة التي تواجه نظارة المعارف ، وهي مشكلة الكتب المدرسية والمراجع العلمية أو المطولات ، فاقترح على النظارة ترجمتها وتوزيعها على الطلاب على ألا يكونوا عبيدا لها ، ونصح نظارة المعارف في شأنه — أن الكتب المدرسية أنواع خاص ، أن تترك المجال فيها للمدرسين عامة ، ليحدث التنافس بينهم في الترجمة والتأليف ، لأنها إذا تدخلت وفضت كتاباً على آخر ، حكمت بالرواج له — هذا الكتاب والكساد الأبدى للكتب الأخرى .

وفي المقالة الثانية التي نشرها بعنوان « إلى الأمام في اللغة العربية » أخذ يضع اللبنة الأولى في تمصير اللغة العربية ، أو على حد قوله في شروط عقد الصلح بينها وبين العامية التي تكلمها سكان القاهرة بنوع خاص . وهي أخذ أسماء المستحدثات الأجنبية من اللغة اليومية . فاستهل المقالة بقوله « الأوتوموبيل والبسكايت والجاكيت والبنطالون ، الجزمة والمودة كل هذه الأسماء ما ذنبها حتى تهجر في الكتابة إلى غيرها من الألفاظ التي نحاول إتحالها مع التكلف لنعبر بها عن هذه المسميات ، إن هذه الأسماء الأعجمية وأمثالها قد دخلت لغتنا دخولا تاما واستعمات استعمالاً شائعاً ، بحيث لا نستطيع أن نضع لها وغيرها من المسميات الجديدة أسماء جديدة ، لا يعتمد بها أحد ولا يستعملها أحد إلا بعض الكتاب . إننا لو اخترعنا أسماء للمسميات الجديدة ، لنستعملها في الكتابة وحدها من غير أن تدخل في أحاديث العوام ولا في أحاديث الخاصة أنفسهم ،

لكننا عاملين بذلك على توسيع مسافة الفرق بين لغة الكتابة ولغة
الكلام مؤخر اللغة مؤخر للبيان والفصاحة ، مؤخر للمتقدمين من جميع
الوجود (١)

ثم نشر على أن السبب في هجر المؤلف المشهور من الأسماء الأجنبية هو
حب الإغراب ، وأخذ يسخر من الأسماء التي وضعت للأشياء المستعجدة ، ومن
الغريب أن بعض هذه الأسماء التي يسخر منها أصبحت مألوفة من العامة قبل الخطة
مثل سيارة ودراجة . . وطاب بنبذ هذه الأسماء ، والإكتفاء بالأسماء الأجنبية
للمسميات الأجنبية الجارية في لغة الحياة اليومية ، شفقة بالجمهور الذي من حقه
علينا أن نبأه رسالة العلم من أقرب الطرق وأسهلها . وفي ذلك يقول « إذا
كان قصدي أن تكون ألفاظ الكتابة قاصرة على جماعة الأدباء والكتاب
فالخطب هين . أما إذا كنا نكتب ليفهم الناس ما نكتب ، فحسبنا أننا نقدم
للجمهور كل يوم أفكاراً جديدة ، ومعاني صعبة التناول ، ومرة صعبة المرمى ،
حسبنا أن نكشف الجمهور أن يفهم هذه المبادئ الغريبة عليه . ويحتمل تشابه
في بنيتها ، ليتخذها هادياً في الحياة . حسب الجمهور أننا نضحك من الذي يقرأ
غير ملاحظ إعراب الكلمات ونعده لا يعقلاته وقواعدها ، وذلك هو
ألفباء المصروف . فمن الظلم أن نكلفه أن يصرف لكل معنى من الأسماء
الجديدة المكتوبة إسمين اثنين أحدهما ضروري لفهم خطاب المشافهة والثاني
لفهم الكتابة (٢)

(١) لو أخصت أسماء المستعجلات الأجنبية منذ دعوت لطي السيد حتى يومنا هذا
لا تضح لنا سبب زيادة كثرة مستودعنا لهذا الحشد من المسميات الأجنبية لو
أخذنا بدعوتهم .

(٢) تنفيذ الجمهور لا يكون على حساب اللغة . فلو اجب أن يرتفع بالجمهور حتى يفهم
ما يقدم إليه لأن تهبط اللغة لكي يفهم مرقسم إليه .

ولم تكن الشفقة بالجمهور ومراعاة مصلحته هي وحدها التي دعت إلى القول بقبول الأسماء الأجنبية للمسميات الأجنبية ، بل الحرص على الوقت الذي يجب أن ينفق في طلب العلم وتحصيل المعارف من أن يتبدد في الاشتغال باللغة ومسائله المتعددة ، وهي ليست إلا واسطة للعلم والمعرفة ، وذلك حيث يقول :

« ... لدينا لإحياء اللغة العربية ، وجعلها لغة العامة ينطقونها صحيحة معربة كما كان يفعل آباؤنا الأولون ، لدينا عقبات لا يسهل تحطيمها ، فلو حاولنا التمسك بالكمال والتزمنا في إحياء اللغة هذا التخرج المتعب ، وقسمنا مجهودنا بعضه لتصحيح بناء الكلمات التي فسد بناؤها في لسان العوام ، وبعضه لإصلاح الأسلوب العربي ، وبعضه لتعليم الإعراب وضبط أواخر الكلمات على قواعد اللغة ، لاضعنا مجهودنا الموزع من غير أن نحظى فائدة كبرى ، وأضعنا الوقت - والوقت ثمين - في الاشتغال باللغة - وليست إلا واسطة - عن نتائج البيان وهي العلوم والمعارف . يكفيننا أن نستمسك بشخصية لغتنا ، والمحافظة على الوجود منها إلى الآن في الاستعمال اليومي ، ونحوي قواعد الإعراب . يكفيننا ذلك جهداً من أن نحاول الزيادة عليها بأسماء تعد بالآلاف لن نعرفها العامة إلا بعد أجيال ... فلا بأس على لغتنا من قبول الأسماء الأجنبية وإدخالها في اللغة تفتى فيها وتتطور بتطورها كما حصل ذلك في عز رقي اللغة » .

ثم أخذ يعزز دعوته إلى استخدام الأسماء الأجنبية ، مستشهداً بما ورد منها في القرآن الكريم وفي كلام العرب القدامى ، داعياً إلى محاسنهم مبيناً أن العـدول عن هذه الأسماء الأجنبية يضع بيننا وبين مخترعات الأمم الأخرى وعلومها سوراً منيعاً ، وأن الأسماء الرئيسية في العلم أحسن ما نكون شيوعاً بين جميع الأمم .

وأخيراً اختتم المقالة بتوجيه النصيحة إلى المؤلفين والكتاب ، ليأخذوا

بفكرته ويعملوا بها قائلين : « .. لذلك نرفع النصيحة لزملائنا الكتاب أن يتسامحوا في قبول المسميات الأجنبية ويدخلوها في الاستعمال الكتابي . كما أدخلها الجمهور في الخطابة ، كما أرفع النصيحة للمترجمين في العلوم المختلفة خصوصاً الطبيعيات والرياضيات ، أن لا يقفوا أمام الأسماء الرئيسية للعلوم الجديدة — فإن من العلوم ما لم يوضع إلا من عشرين سنين — فأذا جاءهم في تراكيب الآلات المختلفة اسم عضو من أعضائها فليبحثوا عنه عند أهل الصناعة من المصريين ، فإن كان له اسم عندهم وضعوه كما هو وإلا فليبحثوا له اسماً من وظائفه ، من غير أن يتوقفوا كثيراً . »

وفي المقالة الثالثة التي نشرها بعنوان « في اللغة العربية » واصل الكاتب الدفاع عن فكرته السابقة في اتخاذ الأسماء الأجنبية المستحدثات الأجنبية الجارية في لغة الحياة اليومية . فبدأها بقوله : « لأسماء الجديدة ما لها ؟ لو أخذناها بزي ما هي . فليت في لغتنا واتبع أوزانها وجرت عليها أحكام لإعراب فأصبحت عربية بالزمان . نحن نقبل كل عثماني وأرمني وبوزني في حاشيتنا المصرية بحكم القانون مع السرور يزيد به عددنا ونكبر بعمله مجموعة أعمالنا الخير بلادنا . ساعد قوى جديد يشتغل لمصلحة مصر — مرحبا به وأهلاً — نحن نلبس أزياء المودة الغربية طامعين لا كارهين ، ونقبل ما يقرره العلم الأوروبي إن صح الرصف ، وندخر آثار الفن الأوروبي ، ونستعمل ما تقدمه لنا الصناعة الأوروبية من آلات ومساكينات . أخذ كل ذلك ونحب أن نعمل مثله ونختاره بطاعتنا ، أيكون لنا ومن محاصيل قرائننا ومن عمل ذرعنا المصريه . نحن نعمل هكذا ونعتبره بشيئ لرق وطبيعة الاستقلال ، فما لنا لا نعتبر لغتنا كأنها ، نزيد عليها كل جديد بمقدار حاجة ، وكافن والصناعة والتجارة يزيد مقدارها بزيادة علاقتها بالأهم الأخرى . ما لنا لا نزيد على

أسمائها أسماء المخترعات الحديثة في العلم وفي الفنون والصناعة والتجارة ؟ نحن
نعمل ذلك بالفعل ولكننا ننكرة بالقول . . . والأمة سائرة على هذا النمط
من التطور ، فهي تعرف الكيمياء ولا تعرف (السفتجة) ولا يقف في طريقها
عائق ، غير أن خمسة ستة من الكتاب أو عشرين ثلاثين من المترجمين
والمعلمين ، هم الذين لا يريدون الاعتراف بهذه الحقيقة .. اللغة ملك الأمة ،
وللكتاب الحرية في الزيادة عليها بأساليب جديدة وألفاظ جديدة .. »

ثم انتقل إلى نقد معاجم اللغة العربية ، مشيراً إلى ثرائها في مادة الحياة
البدوية و فقرها في مادة الحياة الحضرية . واقترح لسد حاجة الكتاب والمترجمين
في مادة الحياة الحضرية ما يأتي « أن ينظر الكاتب أو المترجم إذا كان لهذه
المسميات (يقصد مسميات الحياة العصرية) أسماء قد دخلت فعلاً في اللغة اليومية
فعليه أخذها ووضعها على الوزن العربي بقدر الإمكان ، فإن لم يكن لها أسماء
وجب عليه أن يبحث في معاجم اللغة وكتب العلم عنها ، فإن لم يجد وضع لها
أسماء كما وضعوا إسم الطيارة من وظيفتها ، فإن كان اسم علم من العلوم مأخوذ
من اللاتينية أو اليونانية وكان لا يستطيع التعبير عنه بالعربية إلا بكلمة ، وجب
أخذ اسمه كما هو وصقله الصقلة العربية بقدر الممكن بحيث لا ينجى أصله على
القارئ والسامع . »

ولقد اعترف الكاتب بأن هذا المبدأ الذي اقترحه بشأن الأسماء الأجنبية
قد يؤدي إلى الفوضى ، ولكنه استحب الفوضى لإخراج اللغة العربية من
جمودها ، قائلاً إن الفوضى واقعة لا محالة في كل شيء في زمن لا انتقال
الشديد الذي نحن فيه ، وإنه لا سبيل إلى لغتنا من الخلاص منها ، ولا خطر
عليها من الوقوع فيها ما دامت هذه الفوضى ستخرجها من جمودها وستصل بها
إلى التطور الراقى المتفق مع أطياع الأمة من التقدم . ثم أضاف إلى هذا المبدأ

مبدأ آخر رآه لازماً لتوحيد لغة الكتابة ولغة الكلام ، وهو « أن يخفض الكتاب المفردات العربية الموجودة في اللغة العامية ، فيردوا ما تشوه منها إلى أصله العربي ويستعملوه صحيحاً ، وما لم يشوه يستعمل على حاله ، ويستثنى من ذلك بالضرورة ما ابتذل من الألفاظ وما يجد الكاتب فيه مصلحة للغة من الإتيان باللفظ الغريب إذا كان هو وحده المؤدى للمعنى المقصود أو إذا كان فيه من رشاقة التعبير ما ليس في غيره من الألفاظ كثيرة لاستعمال ... هذا وإن استعمال مفردات العامة وتراكيب العامة فيه من وجهة أخرى إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة .. »

وفي المقالة الرابعة التي نشرها بعنوان « راقوا لغتكم » أوضح هدفه من كتابة هذه المقالات ، مبيناً أنه لا يريد إمالة اللغة العربية الفصحى ليأخذ بزمام لغة عامية ، وإنما يريد أن يرفع لغة العامة إلى الاستعمال الكتابي ، وينزل بالضرورة من لغة الكتابة إلى ميدان التخاطب والتعامل ، وبذلك يمكننا أن نكتب الكتاب مفهوماً ، ونحدث الأحاديث عربية صحيحة بالزمان .

ثم أخذ يدافع عن العامية التي يريد أن يرفعها إلى الاستعمال الكتابي ، مبيناً مزاياها مندداً بالكتاب الذين أغفلوا هذه المزايا بسبب ابتعادهم عن كل ما يجري على ألسنة العامة ، وبسبب حرصهم على أن يختصوا بلغة الكتب كما اختص الكهنوت بأسرار الدين وسلطانة في عهد آبائنا الفراعنة . ثم دعاهم إلى وجوب ترقية العامية ، لأنها لغة الأمة وأكبر مشخص من شخصياتها وحاول أن يوجههم بأن حياة اللغة العربية الفصحى متوقفة على ترقية العامية لغة الأمة ، وأنهم إن لم يبادروا بترقيتها فستحل كهي عليه من انحطاط محل الفصحى وتقصيتها عن الميدان الكتابي . وخاطبهم في ذلك قائلاً : « إني لأخشى أن يشتد ساعد الأمة عليكم (يخاطب العلماء والكتاب) فتلزمكم الأمه

كارهين لاطائعين باتخاذ لغتها العامية المكسرة الملوحة لغة لكم في الكتابة والعلم ، فلا تجدون من الإذعان إلى إرادتها بدا . والائمه غالبه على أمرها ولكن أهل العلم لا يعلمون . » ^(١)

ثم عاد في خاتمة المقالة يكرر دفاعه عن طريقته في ترقية العامية قائلا : « فلنحترم من اليوم قرارات الأمة في الكلمات التي تشبث بها ولا تريد النزول عنها ، ونعنتقها ونعربها وندخلها في لغتنا .. لا بد من الصلح بين لغة الكتابة ولغة الكلام . أما أنا فليست إخصائيا في وضع تفاصيل عقد الصلح ، فإن أولى الناس بوضعه علماء اللغة إن لم يكن قد حان الوقت لمجمع لغوى . ولكنى أعلم تمام العلم أن الطريقة الوحيدة لإحياء اللغة هي إرضاء لغة الرأى العام من ناحية وإرضاء لغة القرآن من ناحية أخرى ، وأعلم أيضا أن رقى لغة الأمة عامل مهم من عوامل تقدمها إن لم يكن هو العامل الأول ، وأعلم فوق ذلك أنه إذا أبى أهل العلم قبول الأسماء الأعجمية الشائعة في الأمة ، وبعـدوا عن تصحيح المفردات العامية واستعمالها في الكتابة ، واستمروا يضربون حجبا كثيفا بين لغتهم الكتابية وبين لغة الأمة ، فإن اللغة الفصحى ربما تقع في الخطر الذي وقعت فيه قبل هذا القرن . »

وفي المقالة الخامسة التي نشرها بعنوان « في اللغة العربية » تكلم عن ضيق انتشار اللغة العربية الفصحى واقتصار معرفتها على فئة ضئيلة من الأمة ، مما اضطر نوابغا في العلم إلى كتابة آرائهم في اللغات الأجنبية ، وإحجامهم عن

(١) لقد حاول « ولمور » من قبل أن يوهم الناس بأن معارضتهم لاقرار العامية التي دعا إليها سيعرضهم لخطر أكبر من الخطر الذي يتحاشونه ، وهو انقراض لغة الهيئت ولغة الادب معاء واحتلال لغة أجنبية محلها نتيجة لزيادة الاتصال بالامم الاوربية ، وذلك لكي يحملهم على قبول العامية لغة للكتابة باعتبار أنها أهون الشرين وأخف الضررين .

ترجمة العلوم المختلفة من اللغة الأجنبية التي تعلموا العالم بها لعدم توفر وسائل الترجمة لديهم . وساق شواهد مما يثبته المترجمون الذين اتصل بهم شخصيا مما دعاه - كما يقول - إلى أن يكرر القول في وجوب التسامح في استعمال الاسم الأجنبي الجديد الذي جرى عليه العرف وصار أكثر شيوعا من أن يغيروا كبر شهرة من أن يهجر ، ناصحا الكتاب والمترجمين ألا يحاولوا إيجاد اسم للتغراف ولا للتليفون ولا للفتوجراف « لأن من يحاول ذلك يجب عليه من باب أولى أن لا يسمى الورد (وردا) ، بل يسميه حوجما لأن الورد له اسم في العربية الأصلية ، والله يعلم والناس جميعا أن التغراف والتليفون والفتوجراف لم يكن لها أسماء في البصرة ولا في الكوفة ، فهجرنا نحن تلك الأسماء لتأخذ أسماء أعجمية . »

ولم يكف الكتاب ينتهي من دفاعه عن مبدئه الأول في ترقية اللغة العربية ، وهو مبدأ التسامح في استخدام الأسماء الأجنبية المتداولة في لغة الحياة اليومية ، حتى أخذ يواصل دفاعه عن مبدئه الثاني ، وهو عقد الصلح بين الفصحى والعامية ، مبينا شروط هذا الصلح بفائده ، وهي « أن لا تحتقر الصحيح من هذه اللغة العامية فهجره لأن بقاءنا ومما نحتاجه . إن اللازم هو أن نأخذ الألفاظ الصحيحة ، ونأخذ الألفاظ المريضة نصحيحها ، ونجمل ذلك بحري على أقلامنا كل يوم ، فننس العظم بلغتنا ، لأنهم يقرأون فيها ما في أنفسهم ، ثم يأخذون من حيث لا يشعرون كثيرا من الألفاظ الأخرى التي نكتبها والتي ليست مستعملة في الأسواق . . هذا المذهب يساعد كثيرا على تعليم اللغة في الكتاتيب والمدارس ، بل أقول فوق ذلك إن هجر الألفاظ السربية لالذنب آخر غير أنها تكرر كل يوم في لسان الأمة يعتبر في عرف الأدب القومي بل في عرف العقل تغطرسا غير مغفور . »

وفي المقالة السادسة التي نشرها بعنوان « إلى الأمام في اللغة أيضا » وحل

الكاتب الدفاع عن رأيه في وجوب النهوض بالعامية إلى درجة اللغة الفصحى ، وعن طريقته في تحقيق هذه الغاية ، داعيا الكتاب والمترجمين إلى الأخذ بها وتحقيقها عمليا فيما يترجمون ويكتبون . « نقول للمترجمين خذوا ما لم تجدوا في اللغة العربية من الأسماء التي أدخلها العوام في اللغة حين كان علماء اللغة في غفلة عنها وإذ تركوا بابها مفتوحا ، حتى دخلت فيها أسماء ليست منها وصقلتها الألسن واعتمادتها ، فأصبح غير نافع كل مجهود يراد به نفي هذه الاسماء ، ونقول للكاتبين لا يأنف أحدكم من استعمال الألفاظ العربية والتراكيب العربية التي تلوها ألسن العوام ، فإن العوام يملكون بالتوراث سر اللغة ، ويصرفون البيان فيها تصريفا حيا مألوفا . وكثير من أساليبهم حسن جميل .

فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا ، فعليكم مسئولية الوقوف باللغة الفصحى ، عليكم مسئولية عدم انتشارها وما يترتب على ذلك من النتائج الخيفة »

ثم أخذ الكاتب في بيان الاعتبارات التي تحتم علينا المبادرة بالعمل على ترقية العامية ، فهو يرى أن هذه اللغة قد اشتد ساعدها وأصبحت منافسا قويا للغة الفصحى ، فهي لغة المحادثة بين الخاصة والعامية ، وتكاد تكون لغة المرافعات في المحاكم ، وهي اللغة المفضلة للمسرح عند الخواص في عمومهم والعوام ، واستدل على ذلك بالنجاح الذي أحرزته الأربع روايات التي ترجمها محمد عثمان جلال عن مولير إلى الزجل المصري ، وذلك عندما مثلت في الأوبرا التي لم يكن شهودها إلا من الخاصة وخاصة الخاصة . ودخول التمثيل بالعامية هو أشد ما ينجشاه المؤلف على حياة اللغة الفصحى . « إذا دخل التمثيل بهذه اللغة المسكرة الملحونة المشوهة في ذوق الجمهور ، أصبح استعمال هذه اللغة ضروريا ، وذلك من أكبر العوامل على تقوية الخطأ وتعميمه ، والجرأة على اللحن وعدم تهيبه »

لهذه الاعتبارات أصر الكاتب على وجوب إبرام الصلح بين فوق العامة وقوة الرأي العام وبين اللغة الفصحى قائلا : « وأقرب الطرق إلى هذا الصلح أن

تتذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامية ، ومتى استعملناها في الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف . وجعلنا العامة يتابعون الكتاب في كتاباتهم والخطباء في خطاباتهم والممثلين في رواياتهم . »

وفي المقالة السابعة والأخيرة التي نشرها بعنوان « في اللغة العربية » أخذ الكتاب يرد على الذين عارضوه وهاجموا اقتراحه ملخصاً أقوالهم في اعتراضين : أحدهما : أن الاعتراف بما أدخلته الأمة من الألفاظ الأعجمية قد يكون فيه شبه تمصير للغة العربية ، وفي ذلك تعطيل لعامل من عوامل الجامعة الإسلامية . وهو توحيد اللغة .

والثاني : أن ذلك وتصحيح الألفاظ العامية المصرية واستعمالها في الكتابة معطل للغة العربية الفصحى .

رد على الاعتراضين قائلاً : « أما عن الاعتراض الأول فنقول : إننا وإن كنا لسنا من أنصار هذه الجامعة المستحيلة بوصف كونها دينية ، لاقتناعاً بأن أساس الأعمال السياسية هو الوطنية وروابط المنفعة دون غيرها ، فإننا مع ذلك لا نرى الاعتراض وجيهاً ولا من هذه الجهة ، لأن القائلين بالجامعة الإسلامية يجب عليهم أن يقبلوا فيها الترك والفرس والهنود والصينيين والجاويين والشركا . وهم لا يعرفون من اللغة العربية شيئاً ، ومجموع عددهم أضعاف مجموع عدد من يتكلمون العربية من المسلمين ، فإذا كانت الجامعة الإسلامية وحدة وكانت اللغة داخلة في مشخصات هذه الوحدة وعاملاً من عواملها ، وجب أن تكون لغة هذه الوحدة هي لغة الأكثرية والأكثرية غير عربية فلا خوف على الجامعة الإسلامية الموهومة من إدخال المصطلحات العلمية في مصر في جسم اللغة العربية ، ذلك ولا ننا إذا فرضنا أن اللغة العربية ستكون هي اللغة الرسمية في هذه الجامعة الإسلامية التي لا أدري من أي المواد يخلقونها ولا من أي الرقع يألّفون ثوبها ،

فإنه يسر هذه الجامعة الإسلامية أن تحيا هذه اللغة حياة جديدة ، وتكون
هي لغة علم الاجتماع وعلم السيكولوجيا ، ولغة الفلاحين في مصر والحمالة في بلاد
العرب جميعا .

وأما عن الاعتراض الثاني فإن الذي تقترحه ليس من شأنه أن يعطل اللغة
العربية الفصحى ، بل يزيد لها فصاحة ويسرع في تطورها ولا ينفي منها إلا استعمال
ألفاظ لا حاجة لنا بها ، ولا مانع يمنع من استعمالها مع ذلك في الشعر عند تقدير
الوزن أو القافية فتكون محتاجة في فهمها إلى القاموس كما هو الحال الآن .

وتتلخص فكرة الكتاب في تمصير اللغة أو كما يسميها هو في عقد الصلح
بين اللغة العربية الفصحى لغة القرآن والعامية لغة سواد الأمة والتي استعرضناها
في مقالاته السابقة مؤيدة بنصوص من أقواله فيما يأتي :

أخذ أسماء المستحدثات من اللغة اليومية وإمرارها على الأوزان العربية
بقدر الإمكان ، فإن لم يكن لها ثمة أسماء فمن معاجم اللغة وكتب العلم - لأن هذه
عنده دون اللغة اليومية - فإن لم يكن لها وجود في هذه أيضا وضع لها
الواضع ما شاء .

استعمال الألفاظ العربية والتركيبة العربية التي تلوكها ألسن العوام . ما لم
يشوه يستعمل على حاله ، وما شوه يرد إلى أصله ويستعمل صميمها .
وإن في استعمال مفردات العامة وتراكيبها إحياء للغة الكلام والبأسا لباس
الفصاحة ، إذ يكون من ذلك رفع هذه اللغة إلى الاستعمال المكتابي والنزول
بالضرورة من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل ، ذلك وإن ما
استعملته العامة إنما هو قرارات الأمة في هذه الكلمات التي لا تريد النزول
عنها ، وإن الطريقة الوحيدة لإحياء اللغة هي إحياء لغة الرأي العام من ناحيته
وإرضاء لغة القرآن من ناحيته ، وإنا إذا أردنا الصلح بين اللغتين فأقرب

الطرق لهذا الصلح أن تدرج إلى إحياء العربية باستعمال العامية . ومتى استعملناها في الكتابة أضطررنا إلى تخليصها من الضعف وجعلنا العامية بهون الكتاب في كتاباتهم .

وقد طبق الكتاب هذه الفكرة عمليا في كتاباته فتخذ الأسماء الأجنبية من لغة الحياة اليومية واستعمل التراكيب والتعبيرات المصرية . وحسبنا أن نشير هنا إلى مظاهرها فيما كتبه عن اللغة . فهو مثلا يقول في دفاعه عن مبدئه في اتخاذ الأسماء الأجنبية من لغة الحياة اليومية : « الأسماء الجديدة ما لها ؛ لو أخذناها بزى ما هييه فزيت في لغتنا واتبعنا أوزانها . . نحن نلبس أزياء المودة الغربية ونستعمل ما تقدمه لنا الصناعة الأوربية من الآلات والماكينات . . . نحن نعمل هذا كله ونعتبره بشير الرقي ، فما بالنا لا نعتبر لغتنا كالعلم نزيد عليها كل جديد بمقدار الحاجة ، وكالفن والصناعة والتجارة يزداد مقدارها بزيادة علاقتنا بالأمم الأخرى . . . نحن نعمل ذلك بالفعل ولـكـننا ننكره بالقول . والأمة سائرة على هذا النمط من التطور ، فهي تعرف الكيمياء ولا تعرف السفتجة غير أن خمسة ستة من الكتاب أو عشرين ثلاثين من المترجمين والمترجمين هم الذين لا يريدون الاعتراف بهذه الحقيقة . . . » .

هذه الفكرة كان لها صدى كبير في الأوساط المصرية على اختلافها فوجدت معارضين ومؤيدين . أما المعارضون فلم يخف عليهم ما انطوت عليه فكرة التقريب بين الفصحى والعامية من مناصرة للعامية ومحاولة للتدرج في رفعها إلى الاستعمال الكتابي بعد أن فشلت الدعوة إلى استعمالها خاصة والاكتفاء بها بدل العربية الفصحى . وكان في مقدمة من عارضها وبين خطورتها مصطفى صادق الرافعي وذلك في مقال له تحت عنوان « تصيير اللغة ^(١) » واعتمد في معارضته على الأدلة الآتية :

(١) انظر كتاب « تحت رايه القرآن » . تأليف مصطفى صادق الرافعي . طبع مصر ١٩٥٢٩

١ - أن شيوع هذه الفكرة في كل أمة لها عربية وأخذ أهلها مأخذنا في عاميتها يؤدي إلى انقراض الفصحى ومحوها .

٢ - أن قاعدة التسامح في استعمال المفردات والتراكيب العامية ستوسع في الأجيال المستقبلية إلى درجة تصير فيها الفصحى في كتبها الكريم ضربا من اللغات الأثرية . وبشبه الكتاب قاعدة التسامح اللغوي هذه بالقاعدة الاستعمارية التي تبدىء بالتسامح للمستعمرين والغزاة في أخذ الشيء القليل ، ثم تنتهي بالتسامح في كل شيء قل أو كثير .

٣ - أن فكرة إحياء العربية باستعمال العامية تتعارض مع ما سنته لغة القرآن من تقبيد اللهجات بها ، ومحوانات العرب جميعها على فصاحتها وقوة الفطرة في أهلها وردّها إلى لغة واحدة هي اللغة القرشية . فكيف نعمل نحن على تمزيق هذه الوحدة اللغوية التي استطاعت أن تؤلف بين قلوب العرب على دين واحد . وكيف نرضى باستعمال لهجاتنا العامية التي تأبى أن تنقيد بشيء ، وهي أبدا دأمة التغير حتى صارت في بعض قرى مصر كأنها مالطية « متمصرة » وصار بعض هذه القرى لا يفهم عن بعض كما ترى بين أقصى الدلتا وأقصى الصعيد .

٤ - أن هذه العامية التي يقولون بأقلام مفرداتها وتراكيبها في الفصحى لا تصلح في تراكيبها وصيغها للكتابة ما لم تفصح على وجه من الوجوه ، وهي بعد لا وزن لها في كل ما ابتعدت به عن الفصحى إلا في عبارات قليلة مما يكون أكبر حسنه أنه أخرج على نسق معروف في البلاغة العربية : كضرب المجاز والكناية وما إلى ذلك ، فإذا هي نافرت الفصحى لفظا أو نسقا فاست واجدا فيها إلا أطلالا من كلمات عربية يأبأها من يعرفها صحيحه ماثلة ، ويعدها من النقص من يقيمها سويه كاملة ، وكيفما أدركها لا تعرف لها إلا رقة الشأن وسقوط المنزلة بازاء أصلها الفصحى الذي خرجت منه ولا تزال فيها مادته . فما اختلافنا

في لغة هي في طبيعتها اللغوية ثبتي أن تكون أصلاً وأن تعد لغة ، ومهما جهلت بها لا تتحول إلا إلى أصلاً للغة العربية ، فإذا أريدت على غير ذلك الثالث واضطربت وفرت من الأسواق والسبل .

هـ - أن الدعوة إلى تمصير لغة نوع من أنواع العصبية الوطنية الممتقنة التي يحاها الإسلام ، ولا سبيل إلى تيميمها واعتبار هذه المصرية أصلاً لغوياً مجعاً عليه إلا بتمصير الدين الإسلامي الذي تقوم عليه هذه العربية .
وانتهى الكتاب إلى قول بن وسينتا في إحياء العربية هي نشر التعليم واستعمال الفصحى خلاصاً ، ونوصي .

وأما المؤيدون للفكرة فكان أكثرهم من الأدباء والنقاد الناشئين الذين تحمسوا لفكرة الأدب المصري . فقد اعتبروا تمصير اللغة شرطاً أساسياً لخلق الأدب المصري الذي يسعون إلى تحقيقه . فراحوا يشتدون باللغة المصرية ، ويستخدمونها في كتاباتهم متزجة بالعربية الفصحى حياءً ومستقلة عنها حيناً آخر .
وكان من أكثر الأدباء شغراً بفكرة تمصير الأدب لغة وموضوعاً محمد تيمور ، شغل طويلاً جهده المسألة وجاهر بها رقم فناناً بتحقيقها . فأشاد باللغة المصرية في مقالة له بعنوان « الوطن » حيث عبر عن تعافيه بالوطن الذي حدده جغرافياً من الاسكندرية إلى أسوان ، ورجع به إلى أصوله التاريخية الفرعونية ، وبين اعترازه بكل شئمة تميزه بما في ذلك لغته الحية ذات النغمة الخاصة التي تميز المصري عن السور و العربي بل عن جميع سكان الأرض . يقول :
« ووطنك أيها المصري هو ذلك أرض التي تعيش عليها والتي تقدم من الاسكندرية إلى أسوان . هذا هو وطنك أرضك أنت ترى فيه غير بقعة من الأرض تأكل ثمراتها وتنفس هوائها وتضم رجائها عصبك إذ فطنت روحك إلى بارئها . في جوف هذه لأرض ينم مينا ورمسيس ومحمد علي ، وفوق هذه

الأرض ترى الأهرام وأيا الهول وتلك الآثار القديمة التي تفخر بها مصر . فليس الوطن اذن هو بقعة الأرض فحسب ، بل هو تاريخك أيضاً ذلك التاريخ الذي يضم شتاتك والذي ترى لأجدادك في بطونه صفحات طاهرات .

وإذا نظرت أيها المصري لمواطنيك ألا تجد لهم لغة حية يتكلمون بها ويكتبون ما يجول في خواطرهم ؟ ألا ترى لهم لونا خصيصاً ببشرتهم ؟ ألا تسمع لكلامهم نغمة مصرية تفرقهم عن السوري والمغربي بل عن جميع سكان الأرض ؟ هذه حقيقة لا نزاع فيها . وتراهم أيضاً متفقى المشارب متحدى الأُميال ، يسمعون لهدير النيل الحانا لا يعجب بها غيرهم من الناس ، ويرون في زرقة سمائهم جمالا غاب عن أهل الأرض جميعاً . فاللغة واللون والنغمة والمشارب والأُميال وألحان النيل وزرقة السماء كل هذه الأشياء هن الوطن أيضا .. »^(١)

هذه اللغة المصرية التي يرى فيها هذه الحيوية والعذوبة والتي يعتبرها من أهم الظواهر التي يتميز بها الوطن استخدمها في كتابة رواياته المسرحية وهي : المصنور في قفص وعبد الستار أفندي والعشرة الطيبة والهاوية^(٢) . كتبها كلها بالعامية المصرية الشائعة دون أن يعبا بالخرق الذي أحدثه في اللغة الفصحى والذي جر عليه كثيراً من حملات الأدباء والنقاد . يقول محمود عزمى في تقديمه لكتاب محمد تيمور « المسرح المصري » : « وطالما أثارت هذه العامية مناقشات

(١) كتاب « وميض الروح » تأليف محمد تيمور - طبع مصر سنة ١٩٢٢ ص ١٨٦
وأنظر رأيه في مشكلة الألفاظ المستحدثة . في مقال له عن « الجمع اللغوى » المرجع نفسه ص ١٧٣ .

(٢) هذه المسرحيات من تأليفه ما عدا « العشرة الطيبة » فقد مصرها عن الفرنسية وقد نشرت مسرحية المصنور في رفص وعبد الستار أفندي ، والعشرة الطيبة في كتابه « المسرح المصري » سنة ١٩٢٢ . ونشرت مسرحية الهاوية في كتابه « حياتنا التمثيلية » طبع مصر سنة ١٩٢٢

حادثة طويلة بينه وبين كثير من الأدباء ، على أنه كان يرى أن المسرح مرآة الطبيعة يجب أن تنقل إليه الطبيعة كما هي من غير تزويق . ويرى الناس في أحاديثهم يتكلمون العامية فلا بد أن تكون كذلك على المسرح ، وأن العهد الذي كان فيه المسرح أداة من أدوات أدب اللغة قد انقضى وجاء دور المسرح الحقيقي . وكثيراً ما قيل لتيجور إن العامية لا يمكن أن تصور الشعور الحقيقي خصوصاً في المواقف المحزنة المؤلمة ولكنه كان يرى ذلك عجباً ممن يقول له مثل هذا القول . فالعامية كأي لغة أخرى يمكن أن يعبر بها عن كل ما يراد التعبير عنه» (١)

وقد أثرت نزعته إلى تمصير لغة الأدب القومي في مؤلفاته الأخرى وخاصة النثرية التي كتبها باللغة العربية الفصحى ، فجعلته يفهم بعض ألفاظ العامية وأمثالها في كتابته ، كما فعل في قصصه القصيرة التي سماها « ما تراه العيون » (٢) وجعلته من ناحية أخرى لا يعنى بتقويم أسلوبه وتنميته ، وقد أشار زكي طليمات إلى هذه الظاهرة في تقديمه لكتاب محمد تيمور « حياتنا التمثيلية » في قوله : « ويلوح لي أن تأثره بهذه النزعة (يعنى تمصير اللغة) كان صارفاً إياه عن تقويم أسلوبه الكتابي سيما في النثر ، ولا شك أنه فقد نفسه بين هجره الحسنات الكتابية

(١) المسرح المصري . المقدمة صفحة ٥

(٢) نشرت . « ما تراه العيون » في كتابه « وميض الزوج ص ٢١٥ - ٢٧١ وهي قصص قصيرة من صميم الحياة المصرية ، رسم فيها المؤلف صوراً ومشاهد حقيقة (في القطار ، المنزل رقم ٢٢ ، بيت الكرم ، حنة طرب ، صفارة العيد . . .) ويتضمن كتاب وميض الزوج لثاره التنظيمية والنثرية . وقد قسمها الناشر وهو شقيقه محمود تيمور إلى ستة كتب :

١ - الديوان ٢ - الوجدان ٣ - مقالات في الأدب والاجتماع

٤ - ما تراه العيون ٥ - خواطر ٦ - مذكرات باريس

التي ترمى إلى حبكة الأسلوب العربي وما كان يسعى إلى إيجاده « (١) » .

وقد شارك محمود تيمور في نزعه إلى تمصير الأدب لغة وموضوعا كثير من الأدباء نذكر منهم : شقيقه محمود تيمور وحسين هيكل وتوفيق الحكيم وستكلم عنهم فيما بعد .

ومن النقاد الذين أسهموا في توجيه الأدباء إلى إنشاء أدب قومي يتنزع من بيئتنا ويعالج مشاكلنا ويصور آمالنا وآلامنا ويكتب بلغتنا العامية المصرية التي تفهمها العامة والخاصة على حد سواء عبد العزيز عبد الحق . فإثار موضوع اللغة المصرية وخصه بكل اهتمامه ، لأنه رأى أن الأدب القومي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كتب باللغة القومية وذلك في مقال له بعنوان « الأدب القومي » (٢) .

بدأه ببيان العوامل التي أوجدت القومية المصرية . فذكر أن العرب أضاعوا قوميتنا اضاعة تامة بسبب اصطناعنا للغتهم وأدبهم . وأنتا لم نسترجع هذه القومية إلا في العصر الحديث بسبب الحوادث السياسية التي مرت بنا والتي نشأت من عوامل أكثرها خارجية وانتهت بالثورة المصرية ، وبسبب المفاخر التاريخية القديمة التي نحن مدينون للأجانب بمعرفتها .

وبين أن السبيل إلى اكتمال نمو القومية عندنا هو أن نوجه عنايتنا إلى اللغة القومية وآدابها التي هي السبيل إلى تحقيق آمالنا الاجتماعية والسياسية .

ثم شبه المرحلة التي نجتازها في اللغة والأدب في الوقت الحاضر بالمرحلة التي اجتازتها ولايات الدولة الرومانية بعد غارات المتبربرين ، والتي انتهت

(١) كتاب « حياتنا التمثيلية » طبع مصر سنة ١٩٢٢ . المقدمة ص ٢٣

(٢) انظر كتاب « نظرات نقدية في شعر أبي شادي » لحسن صالح الجداوي طبع مصر سنة ١٩٢٥ حيث صدر المؤلف الكتاب بمجموعة من المقالات الأدبية الجديدة النزعة - كما يقول - ومنها مقال « الأدب القومي » لعبد العزيز عبد الحق

بأقصاء اللاتينية لغة الكتاب وإحلال لغات الحديث محلها . وأشار إلى أن الفرق
 بيننا وبينهم هو أن كتابهم كانوا أكثر منا تحريراً ، فداسوا على الأرستقراطية
 العلمية التي كانت تتمثل في استعمال اللغة اللاتينية وكتبوا باللغات التي يفهمها العامة
 لا اللغات التي يفهمها الخاصة . ونشأوا بذلك أدبيات قوية صارت من أهم
 أركان النهضة الأوروبية . أما نحن فعملنا في إعدام التحرر من العربية الفصحى هي
 تشبث رجال الثقافة الأزهرية بالعرب وحرصهم على اللغة العربية وآدابها . وهو
 لا يرى مبرراً لهذا الحرص متغاضياً عن جميع الارتباطات الدينية والتاريخية والثقافية
 التي تربطنا بالعرب ، ويتكلم عن العرب بنفمة يخالها القارئ ، لأول وهلة نفمة
 أجنبية ، مثل تلك النفقات التي كان يرددوها ويدكر كس في حملته على العرب
 والعربية فيقول : « ننا إذا استعملنا لغة واحدة بل لو تتبعنا في استعمال اللغة سنة
 التطور لتحولت اللغتان اللتان نستعملهما إلى لغة واحدة ، غير أن ذلك الحلم بعيد
 التحقيق لكثرة العوائق التي أهمها تشبث رجال الثقافة الأزهرية بالعرب ، فهم
 يضحون بقوميتهم المصرية من جراء الحرارة الدينية من وجهة لغة والأدبيات
 في سبيل إحياء لغة العربية والأدب العربي . ويعد وقف جهودهم وقصر حياتهم
 على ذلك فضلاً لنا على العرب ، لا نسمع بمثله ، بل يصل دهشنا منه إلى الشك
 فتسأل : هل هؤلاء أعراب أو مصريون ؟ ولا يتوهم من هذا الكلام تحامل
 على العرب أو غيرهم فزائق المقدسة هي القومية المصرية ويعز على الإنسان
 تحطيمها في سبيل العرب » (١)

ويتكلم عن النامية المصرية بصفتها لغتنا القومية مميّزة بها :

١ - فهي صورة مهذبة سهلة اللغة العربية قابلة للحياة والاستعمال . فكلمة

« كان » مثلاً أعذب من « أيضا » و « فين » أسهل من « أين » و « لسه » أفضل من « الساعة » الخ .

٢ - وهي اللغة التي نستعملها في معظم حياتنا فلم تكن الدراسة والجرائد - لأقلية - والشئون الدينية - لأغلبية - لما استعملنا اللغة العربية ولما احتجنا إليها .

ثم يشير إلى النتائج التي ستترب على استعمال العامية المصرية في الكتابة وهي :

١ - دفع الآلام التي يقاصيها الطفل المصري في مدرسته من جراء الاختلاف بين لغة المحادثة ولغة الكتابة .

٢ - تقريب الشقة بين الأدب والامة .

٣ - نشوء الأدب القومي .

٤ - كثرة الراغبين من الاجانب - لسهولة اللغة - في تعلم اللغة المصرية

الجديدة .

وبتتبع مثل غيره من دعاة العامية الذين يذهبوا من نجاحها إلى القول بوجوب التسوية بينها وبين الفصحى ، تلك التسوية التي ينبغي تطعيم الفصحى بالعامية وخاصة - كما يقول - في لغة الحوار ، لأنه يرى أن اللغة العربية النقية تجعل الحوار مشوبا بالتصنع والبعد عن الطباشير (١) .

ويختم المقال ببيان الخرف الذي يرمى إليه من خلق أدب مصري وهو :

١ - تنمية شعور الأمة بذاتها .

٢ - إستيعاب الحياة المصرية بالتحليل والانتقاد .

٣ - إيجاد طابع - ائق ذي سمات خاصة بالأمة - فإذا قصد أوروبي مصريا

استطاع أن يفهمه لأنه فرأى بانيته آثار الأدب المصري .

(١) سألته فيما بعد أن الحوار يمكن أن يصاغ بلغة امرئية العقبة دون أن يبدو عليه

شيء من التكلف أو الجور كما يزعم المؤلف .

القرآن الدعوة بحركة تيسير نحو العربية وكتابتها ومنتها

لا أريد هنا أن أتعرض لمناقشة الآراء التي نادى بوجود تيسير نحو العربية الفصحى وكتابتها ومنتها لأن لذلك موضعه من البحث . وإنما أريد أن أبين فقط أن بعض أصحاب هذه الآراء قد ضمنوا آراءهم تقدماً شديداً قاسياً للعربية الفصحى ومناصرة صريحة واضحة للعامية ، وكانت ذريعتهم في ذلك صعوبات الفصحى التي زعموا أنهم يريدون تذليلها . كان في مقدمة أصحاب هذه الآراء الذين استطاعوا عن طريق إيهام الناس بخدمة اللغة العربية الفصحى التنفيس عن ميوهم إلى العامية ، عبد العزيز فهمي أحد شيوخ جمع اللغة العربية —ة وذلك في الاقتراح الذي قدمه إلى المجمع (في جلسة ١٩٤٣/٥/٣) بشأن تيسير الكتابة العربية ، والذي دعا فيه إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية . فقد قدم لاقتراحه بمقدمة إنطوت على رغبته في إقصاء اللغة العربية الفصحى وأسفه الشديد لعدم تمكن اللهجات المحكية من احتلال مكانها . نقبس منها الفقرة الآتية كما جاءت بنص أقواله « كما أصبح يعلم عامة ضروريا أن اللغة كائن كالكانات الحية ينمو ويهرم ويموت ، مختلفا من بلد ذرية لغوية متشعبة الأفراد هي أيضا في تطور مستمر . ولم يستطع قوم لأن أن يغلبوا هذه الظاهرة الطبيعية ، فإن التطور يكبح شراسة من غلبه

لكن حال اللغة العربية حال غريبة بل أغرب من الغريبة ، لأنها مع سريان التطور في مفاصلها وتحتيتها في عدة بلاد من آسيا وإفريقية إلى طبقات لا يعلم عددها إلا الله ، لم يدر بخند أمة سليمة في أي بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسياً ، أن يجمل من لهجة أهل لغة قائمة بذاتها ونحوها وصرفها وتكون هي المستعملة في الكلام المفروض وفي الكتابة مع تيسير على الناس كما فعل الفرنسيون والإيطاليون والاسبان أو كما فعل اليونان ، . لم يمانح أي بلد هذا التيسير وبقي

أهل اللغة العربية من أتعس خلق الله في الحياة .

إن أهل اللغة العربية مستكروهون على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة عند الجميع ، وأن يجعلوا على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً ، وأن يردعوا عقولهم من التأثير بقانون التطور الحتمى الآخذ مجراه بالضرورة - رغم أنوفهم - في لهجات الجماهير تلك اللهجات التي تتفرع فروعاً لاحت لها ولا حصر ، والتي تتسع كل يوم مسافة الخلف بينها وبين الفصحى جدة جداتها إتساعاً بعيداً .

هذا الاستكراه الذى يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى كيما تصح قراءتهم وكتابتهم هو في ذاته محنة حائلة بأهل العربية ، إنه طغيان ربى لأنه تكليف للناس بما فوق طاقتهم ^(١) . واقد كنا نصبر على هذه المحنة لو أن تلك العربية الفصحى كانت سهلة المنال كبعض اللغات الأجنبية الحية ، لكن تناولها من أشق ما يكون وكلنا مؤمن بهذا وإن كان الذكرى تنفع المؤمنين فلنذكر بعض هذه المشقة ^(٢) .

هذا رأى عبد العزيز فهمى فى العربية الفصحى التى تصدى لخدمتها ، لم يكن متوقفاً أن يصدر عن أحد أعضاء المجمع الذى أقيم لحماية العربية . لكنه كان ضحية البلبلة الذهنية التى أوقع الأجانب فيها أبناء العربية الذين وصلوا إلى أعلا المراتب بتمكنهم من العربية . ولهذا كان لاقتراح عبد العزيز فهمى خطورته وهى خطورة لم تأت بما تضمنه من حملة على العربية فحسب ، بل من مكانة صاحبه العلمية والاجتماعية . وإن كان رغم هذه الطعنات التى وجهها إلى العربية الفصحى

(١) وصفة استعمال الفصحى فى الكتابة بأنه (استكراه) و(طغيان) و(بغى) منقول من لوكوكس الذى وصفه من قبل بأنه سخرة عقلية .

(٢) انظر ص ٢ و ٣ من اقتراح عبد العزيز فهمى . فى كتاب تفسير الكتابة العربية . نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة . طبع القاهرة ١٩٤٦ م .

١٤١
في مقدمة الاقتراح وفي ثناياه ايجمل الناس على قبول دعوته إلى استبدال
الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، لم تلق دعوته قبولا من السواد الأعظم
من أبناء العربية في بيئاتها المختلفة . ولم يناصر الدعوة إلا أقلية من عرفوا
بعنائهم للعربية الفصحى ، فكانت هذه الدعوة بمثابة متنفس جديد لعنائهم
للعربية .

هذا إلى ما تضمنته بعض الاقتراحات الأخرى التي نادت بتيسير نحو العربية
وتبسيط متنها من قدح في العربية الفصحى وتضحية ببعض خصائصها ، ورعاية
قوية للعامية يتعذر معها أن تكون اللغة الجديدة الميسرة رباطا تاما لكل البلدان
الناطقة بالعربية كما سنبين ذلك في موضعه .

اقتراح الدعوة بحركة تجديد الأدب العربي :

ووجدت الدعوة إلى العامية منفذا عن طريق الدعوة إلى تجديد الأدب
العربي . ذلك لأن بعض دعاة تجديد الأدب العربي المتطرفين رأوا أن يقطعوا
كل صلة بين الأدب العربي القديم الذي أصبح في نظرهم لا يتصل بحياتنا ولا
يلئم أذواق شبابنا . وبين الأدب الجديد الذي يدعون إليه ويريدون أن
يوجهوه وجهة عربية تلائم حياتنا العصرية . فذهبوا لتعزيز دعوتهم وترويجها
يطعنون في الأدب العربي القديم لغة وموضوعا . ومن هؤلاء المجددين
الهدامين الذين نالوا من اللغة العربية الفصحى عن طريق النيل من الأدب القديم
سلامة موسى .

وقد ضمن كتابه « الأدب للشعب » (١٩٥٦) آراءه في الأدب القديم
الذي يريد أن يقتضى عليه ، والأدب الجديد الذي يدعو إليه . وهذه الآراء
كان قد سبق له أن صرح بها على صفحات الجرائد والمجلات وفي كتبه السابقة .

ففي هذا الكتاب يعرف الأدب القديم من ناحية اللغة والموضوع بأنه أدب
« ملوكي » ، لأنه كتب للوك والامراء ، وأنه أدب اللذة الجنسية ، وأدب
المنازعات الحربية أو المناقشات الدينية ، وأدب التسلية للملوك والامراء ،
وأدب الاستعارة والتورية والبهارج والمحسنات لم يقصد به إلا المدة الذهنية
أو الترف الذهني ، وأنه في النهاية ليس للحياة أو للإنسانية أو للشعب أو للمجتمع .
ولذلك فهو يرى وجوب إماتة هذا الأدب « يجب أن يموت هذا الأدب »
الملوكي أدب المجاز والاستعارة والتورية والبهارج والمحسنات ، هذا الأدب
الذي ينأى عن إحساس العصر ووجدان الشعب ويخلو من الأهداف الإنسانية .
يجب أن يكون للأدب دستور جديد بحيث يحترم الشعب . . الشعب أولا
والشعب أخيرا والإنسانية في كل زمان ومكان ، (١) .

هذا إلى ما وجهه من حملات على أدبائنا الذين نهجوا نهج القدامى وكرسوا
جهودهم لدراسة الأدب القديم ونشره مثل شوقي والجارم والعقاد وطه حسين
ومصطفى صادق الرافعي . وحاول أن يبطن حملته على هؤلاء الأدباء بحمية وطنية ،
واتخذ من هذه الوطنية التي اصطنعها حديثا ذريعة لتعطيم قواعد العربية (٢) .

(١) كتاب الأدب للشعب . طبع مصر سنة ١٩٥٦ ص ٤٨

ونلاحظ أن سلامة موسى قد اتخذ من موضوع المديح وموضوع الفزل في الأدب العربي
مقياسا للحكم على الأدب العربي القديم كله ، ونسى حكمة المتنبي وزهد أبي العتاهية وفلسفة
المعري التي ضمنها تجاربه في الحياة .

أما المحسنات اللفظية والبهارج التي يصف بها الأدب القديم ، فهي ليست خاصة من
خواصه وإنما هي ظاهرة اعترته في فترة ضعف . فلما قامت نهضتنا الحديثة على بعث الأدب
العربي القديم في أزهى عبوره تلاشت هذه البهارج اللفظية .

(٢) انظر حملته على شوقي في المرجع نفسه ص ٤٤

أما الأدب الجديد الذى يدعو إليه فيرى أنه يجب أن يتجه وجهة غربية حيث
النور والعلم والحضارة . وفى وقتنا الحاضر فى مصر والاقطار العربية يجب أن
يكون الأدب كفاحا نحارب به رواسب القرون المظلمة . . . وندعو فيه إلى الحضارة
العصرية أى حضارة أوروبا . إذ نحن على يقين بأنه إذا كانت الشمس تشرق من المشرق
فإن النور يأتى إلينا من الغرب ، (١)

هذا ، ولأن الأدباء الأوربيين لا يكتبون فى الخواء وإنما يعالجون المشكلات
الاجتماعية الإنسانية . وهم يكتبون للشعب باغة الشعب (٢) ولذلك فهو يعتبر
الأديب المجدد من يكتب للشعب باغة الشعب المستطاعة وأن تكون شئون
الشعب موضوعات دراسته واهتمامه . (٣)

ويعرف لغة الشعب أو لغة الأدب الجديد الذى يدعو إليه بأنها لغة ديمقراطية
ليست بالعامية طبعاً . . . لأن العامية لا تكفى للتعبير . ولكن باغة ميسرة تشق على
العامية يستطيع جمهور الشعب أن يفهمها . (٤)

هذا التعريف لغة الشعب أى لغة الأدب الجديد إذا حققناه على ضوء آرائه
السابقة فى العامية ، نجد أنه لا يعنى به سوى اللغة العامية وإن كان قد أضفى عليها
هذه الأسماء الجذابة مثل اللغة الديمقراطية أو اللغة الميسرة .

(١) المرجع نفسه ص ١٢ (٢) المرجع نفسه ص ٩ (٣) المرجع نفسه ص ٥
(٤) المرجع نفسه ص ٣٧ — وانظر رأيه فى اللغة القديمة الموروثية فى كتابه « البلاغة
العصرية » طبع مصر سنة ١٩٤٥ ص ٣٧ . فقد جاء فيه أن الكلمات القديمة التى ورثناها
تحمل إلينا تقاليد هى رواسب الثقافة القديمة التى كثيراً ما تضرنا فى مجتمعاتنا العصرية ، وأن
الكلمة النصحى ليست جوية شئ منها لا تنقل إلينا جو الحديث ، وأن لغتنا خرساء لا تتنا
جعلناها مثل لغة الصم . جامدة لا تتطور ، وأن الكلمات الموروثية كانت تدير عن حاجات
المجتمع العربى ، وهذا المجتمع كن أوتقراطياً أرسطوقراطياً . فيجب أن نجعل لغتنا ديمقراطية
إذا أردنا أن يكون مجتمعنا ديمقراطياً ، وأن الكاتب الذى يعد إلى حياض الكلمات القديمة
(الاحافير النوبية) باستخدامها ويبت لسانها فيها ، فإنه لن يصل من هذا المجهود إلا إلى
تكليف المجتمع عبثاً لا ينتفع به .

فهذه العامية التي يقول عنها في سنة ١٩٥٦ إنها تكفي للتعبير ، كانت في سنة ١٩٢٦ لغة المفضلة التي لا يشك في أنها تفضل اللغة الفصحى وتؤدي أغراضنا الأدبية أكثر منها ، والتي اضطر إلى التسوية بينها وبين الفصحى لأنه وجد أننا لم نبلغ بعد الطور الذي يمكننا فيه أن نطعم إلى إقرار العامية والاعتراف بها كلغة أدبية ، ونحن نلجأ إلى شروط هذه التسوية أو هذا التيسير لوجدنا إلى أي حد كان سلامة موسى يرخص في استعمال العامية ويحاول إفساح المجال أمامها . (١)

وهكذا استطاع سلامة موسى أن ينال من الفصحى باسم التجديد في الأدب وأن ينال من الأدب العربي القديم باسم الوطن والمدنية والإنسانية .

(١) انظر مجلة الهلال . الجزء العاشر السنة ٣٤ . أول يوليو سنة ١٩٢٦ م

الباب الثالث

أثر الدعوة في الدراسات اللغوية

الفصل الأول : أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العامية .

الفصل الثاني : أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العربية الفصحى

الفصل الأول

أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العامية

لم تقتصر الدعوة إلى العامية على مجرد التأييد والمعارضة واختلاف أساليب المؤيدين والمعارضين سواء في تدعيمها أم في مقاومتها كما رأينا في البابين السابقين، بل إنها تركت آثاراً واضحة في الميدان اللغوي والميدان الأدبي. أما الميدان اللغوي الذي خصصنا له هذا الباب فقد حظي بدراسات متعددة متنوعة. تناول بعضها العامية : نشأتها ، أصول مفرداتها ، خصائصها ، بلاغتها . وتناول بعضها العربية الفصحى ، وهذه خصص قسم منها لتذليل صعوبات الفصحى التي تذرع بها دعاة العامية للقضاء عليها : صعوبات تتعلق بالحروف والنحو و متن اللغة وأسماء المستحدث في العلوم والفنون ومطالب الحياة العامة ، وخصص القسم الآخر للدفاع عن الفصحى : نشأتها ، تطورها ، قدرتها على مسايرة الحضارة في مختلف عصورها ، مكائنها بين اللغات الراقية ، مقارنتها باللاتينية ، أدواؤها كيفية معالجة هذا الأدواء ، وسائل النهوض بها ...

ولنبداً بالمؤلفات التي تناولت دراسة العامية . وهذه ألف بعضها استجابة لرغبة أجنبية ، وبعضها بدافع من الرغبة في الوقوف على حقيقة العامية التي جعل منها دعائها منافساً قوياً للفصحى ، وفي معرفة ما يمكن من الاستفادة منها لتطويع الفصحى التي تنبأ لها أعداؤها بالموت .

المؤلفات التي تناولت دراسة العامية استجابة لرغبة أجنبية :

بذل دعاة العامية من الأجانب كل ما في وسعهم لافساح المجال الأدبي أمام

العامية . من دعوة صريحة لها ، وتسجيل ونشر لآدابها ، ومحاولة لاقحامها في نماذج علمية وأدبية رفيعة ، إلى غير ذلك من الأساليب التي أوردناها في الباب الأول . وقد لجأ بعضهم إلى وسيلة أخرى آملين أن يكون لها أثرها في تدعيم العامية ، وهي إدخال العامية في ميدان البحث العلمي . فقاموا يشجعون الباحثين عندنا على دراسة العامية ويقترحون عليهم ألوانا من هذه الدراسة . ونحن لا نعترض على دراسة العامية إذا كانت هذه الدراسة بدافع من الرغبة في المعرفة ، ولا نشك في أهداف كل من تصدى لدراستها إستجابة لاقتراح أجنبي ، وإنما نريد فقط أن تنبه إلى سوء نوايا المقترحين الأجانب ، الذين اعتقدوا أن توسيع نطاق البحث العلمي في العامية سيضفي عليها أهمية قد تؤهلها لاحتلال الميدان الأدبي في المستقبل ، وقد رأينا داعية العامية الأول « ولهم سبيتا » يرجع إعراضنا عن الكتابة بالعامية إلى إهمالنا دراستها .

كان من المستجيبين لهذه الاقتراحات الأجنبية في دراسة العامة حفي ناصف ووفاء محمد القوني . ولكن استجابتهما لهذه الدراسة كانت علمية بعيدة عما وراء العلم من أهداف مغرضة كما سيتضح لنا من التعريف بمؤلفاتهما .

كتاب مميزات لغات العرب

من هذه المؤلفات كتاب « مميزات لغات العرب وتخريج ما يمكن من اللغة العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك » لحفي ناصف . قدمه إلى جمعية العلوم الشرقية التي عقدت في ويانا سنة ١٨٨٦ م . وهو استجابة لاقتراح الدكتور مرتين هرتمن M.Hertman أستاذ اللغات الشرقية في برلين . والاقتراح في وجوب جمع خواص الكلام الدارج لما لذلك من أهمية

حاول حقني ناصف في هذا الكتاب أن يستدل بطرية الكلام على إرجاع كثير من اللغات العامية إلى أصولها من لغات العرب ذات الخصائص المختلفة والمميزات المتعددة .

بدأ الكتاب بإشارة إلى اختلاف لهجات عوام المصريين ، مبينا أن هذا الاختلاف ليس بأمر خاص باللغة العربية أو بالبلاد الشرقية ، بل هو عام في سائر اللغات في كل البلدان ، يعلمه من نصب نفسه للبحث والتتير عن غوامض اللغات وتميز حقائقها . ثم حاول أن يتعرف أسباب هذا الاختلاف في اللهجة العامية المصرية متبعا في بحثه الخطوات الآتية :

- ١ - أخذ مادة من مواد الاختلاف وألقاها تحت منظار البحث .
- ٢ - عرض هذا الاختلاف في تلك المادة على المنقول عن قبائل العرب .
- ٣ - ارجع أصل كل لهجة في مصر إلى قبيلة عربية .
- ٤ - واستدل على هذه الصلة ببعض المعلومات التاريخية التي يعرفها عن كل قبيلة .

أما مادة الاختلاف التي اتخذها المؤلف لتكون نموذجا لباقي المواد فهي طريقة النطق بالقاف . وقد شرح المؤلف منهجه في بحثها ، ووقفه على الدر

(١) أنظر مقالة « أهمية جمع خواص الكلام الدارج » للدكتور مرتين مرتين . في مجلة الشرق ١٨٩٨ (١ ص ٧٩٠ - ٧٩٧) وقد وجدت المقالة مستقلة في رسالة مخطوطة في المكتبة التيمورية بدار الكتب تحت رقم (٣١٦ ألفه) .

في تعدد مظاهر النطق بها، وإرجاع هذا السر إلى إرث اللغة عن القبائل العربية التي استوطنت مصر منذ الفتح الإسلامي، ثم بين النتائج التي خرج بها من البحث وذلك حيث يقول: « فأخذت مادة من مواد الاختلاف وألقيتها تحت منظار البحث ووضعتها موضع التأمل حتى إذا ظهر خافيا تكون نموذجا لباقي المواد، وتلك المادة هي طريقة النطق بالقاف. فأهل بني سويف ينطقون بها قافا صريحة كالف التي ينطق بها القراء والعلماء، وأهل المنيا ينطقون بها مشوبة بالكاف مثل ما ينطق بالجيم عوام أهل القاهرة أي كنطق الإفرنج بحرف G إذا تلاه a أو o أو u. ثم عرضت هذا الاختلاف في تلك المادة على المنقول عن قبائل العرب، فوجدته موافقا لحذر النعل بالنعل للاختلاف بين قريش وغيرهم، حيث كانت قريش تنطق بها قافا خالصة، وغيرها يشوبها بالكاف. فأوقفني تلك المقارنة على أن العرب الذين استوطنوا أرض بني سويف مدة الفتح وبعده كانوا قرشين، والذين استوطنوا أرض المنيا كانوا من غير قريش. وعلى هذا فيمكن أن ننسب إلى قريش إما بالنسب أو الولاء أو المخالطة كل من ينطق من أهل مصر بالقاف الصريحة، كسكان مديرية الفيوم وبعض مديرية الجيزة وأهل أسيوط ورشيد وضواحيها والحلة الكبرى والبرلس وبلبيس من الشرقية والخصوص من القليوبية، وأن نهكم على كل من يتكلم بالقاف المشربة بأنه ليس من قريش كأهل الصعيد ومديرتي الشرقية والبحيرة إلا قليلا وبعض مديرية المنوفية وجميع سكان بوادي مصر.

وأكد لي صحة ذلك الحكم ما كان ولا يزال كائنا من عموم الخصب والنماء على جميع الأراضي التي يسكنها المتكلمون بالقاف الصريحة، دون الأراضي التي يسكنها المتكلمون بالقاف المشوبة فإن منها ما هو صحار قحلاء، ومنها ما هو

سهول سبعة لا تصلح إلا لزراعة بعض الأصناف ويتوقف إستنباتها على مشاق زائدة وتكاليف باهظة ، ومنها ما لا يزرع في العام إلا مرة واحدة ، ومنها ما هو على خلاف ذلك . وأنت تعلم أنه مركز في طباع الأمم الفاتحة حب الاستشارة بالمنافع ، والميل إلى الاختصاص بأحسن ما يمكن وضع اليد عليه من الأراضي التي يفتحونها — سنة الله التي فطر الناس عليها — وقريش أيام فتوح مصر كانت أشرف العرب نسبا وأكثرها نشبا وأوفرها قوة وأعزها نفرا ، وكان لها في الدولة الإسلامية النفوذ الأقوى والسطوة العليا لقرابتها من صاحب الدين عليه الصلاة والسلام ، فلا جرم أن سكنت أخصب البقاع وامتازت بأحسن الأصقاع .

وإنما يكون هذا الحكم يقينيا إذا أيد بخصائص أخرى وعضد بمميزات لغوية في كلا المهيدين عهد دخول العرب أرض مصر والعهد الحاضر وإلا كان ظنيا فقط . وههنا وقفت على الضالة المنشودة وتيقنت إمكان فتح السكنوز المرصودة . بأن تطبق جميع مواد الاختلاف الشائعة في اللغات العامية على ما يماثلها من لغات العرب الصحيحة ، وينسب كل من يتكلم بطريقة إلى أصحابها . وحينئذ يمكن لأصحاب الأنساب المجهولة في مصر والشام والمغرب والسودان والعراق وسائر الممالك التي افتتحتها العرب أن يعلموا إلى من ينتمون وبمن يرتبطون ، سواء في ذلك ارتباط النسب وارتباط الولاء والمخالطة . ويمكن أيضا للقبائل المتفرقة في أقطار مختلفة — إذا كانت طريقة كلامهم متحدة — أن يعلموا أن لهم أصلا واحدا يجمعهم ويؤثر إليه إنتمائهم ^(١) .

(١) كتاب (مميزات لغات العرب) طبع القاهرة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م

ويرى المؤلف أن دراسة هذا الموضوع دراسة شاملة تتطلب البحث في
بابين يعتبرهما دعمتي الموضوع وهما :

الباب الأول : ذكر الأشياء التي انفردت بالتكلم بها شعوب مخصوصة
من العرب ، وامتنازت بذلك لغتهم عن اللغة الشائعة بين أحيائهم .

الباب الثاني : ذكر الفروق التي توجد في اللغة العامية ويحصل بها امتياز
قوم عن قوم .

ثم تأتي بعد دراسة هذين البابين المقارنة والاستنباط . مقارنة خواص
اللغات العامية بما يماثلها أو يماثلها من اللغات العربية الصحيحة ، وتخرج كل
خاصة من خواص اللغة العامية على خاصة من خواص اللغة الصحيحة ، واستنباط
الارتباطات والعلاقات بين الجيل القائم والجيل السابق « فإذا كانت جملة — مع
خواص لغة القوم المبحوث عنهم موافقة لخواص لغة قبيلة من قبائل العرب في
الكل أو الأكثر ، نحكم بأن بعض هذه القبيلة أعقب أولئك القوم أو استخدمهم
أو نزل بهم أو خالطهم على أي وجه من الوجوه الممكنة . وإن كانت موافقة
لخواص لغتي قبيلتين أو لغات عدة قبائل ، حكم بنسبة أولئك القوم لهما معا
أو لهم ، إما على الترتيب بأن يطرأ عليهم جماعة من إحدى القبائل بعد ما انتسبوا
لجماعة أخرى من قبيلة أخرى بأحد الأوجه المتقدمة ، وإما على المصاحبة بأن
ينزل بهم في وقت جماعات من قبائل مختلفة ، وحكم بأن النسبة لهم على التساوي
أو على الكثرة والقله حسب تساوي تلك الخواص أو كثرتها بالنسبة لقبيلة
وقلتها بالنسبة لأخرى .

ويتفرع على ما تقدم إمامان معرفة انتساب أقوام متفرقين من جهات

عديدة إلى قبيلة واحدة . فإذا اشترك قوم من الشام وقوم من المغرب في جملة خواص لقبيلة واحدة بحيث تكفى تلك الخواص للتمييز ، حكم بأنهم من أصل واحد ولسبب من الأسباب الكونية قضى الزمان بتفرقتهم وتشتتهم في النواحي واستقصاء علم التاريخ يساعد على معرفة هذا التبدد » (١) .

ولما كانت دراسة هذين البابين وما يتصل بهما تحتاج - كما يقول المؤلف - إلى كثير من الجهد والمال والوقت ، رأى المؤلف أن يركز اهتمامه في هذا الكتاب على معالجة الباب الأول المتعلق باستقصاء مميزات لغات القبائل العربية لأنه لم يحظ - حسب علمه - بالدراسة والبحث . وحاول جهده أن يرد إليه مارآه مشابها أو مقاربا من اللغات العامية المصرية . فقسم هذا الباب إلى تسعة مطالب .

١ - الإبدال ٢ - أوجه الإعراب

٣ - أوجه البناء والبنية ٤ - ما يتردد بين الإعراب والبناء

٥ - التصحيح والإعلال وما يشبههما ٦ - الزيادة والنقص

٧ - الإدغام والفتك ٨ - هيئته التلظظ

٩ - الترادف

وتناول كل مطلب من هذه المطالب يعرف به أولا ، ثم يورد فيه الخصائص التي امتازت بها لغات بعض القبائل العربية ، ويخرج عليها أحيانا ما يراه مشابها أو مقاربا من خصائص اللهجات العامية المصرية .

فيقول مثلاً في المطلب الأول « الإبدال » - وقد أكثر فيه من
المقارنة بين خصائص اللهجات العامية ولغات القبائل العربية القديمة - إن مما
سمع من قولهم في الإبدال :

١ - إبدال الهمزة المبدوء بها في الكلمة عينا في لغة تميم وقيس مثل
(عنت كريم) في (أنت كريم) ويسمى هذا الإبدال (عننة تميم) ثم يقول
وقد توسع في ذلك سكان البوادي في الديار المصرية إذ يبدلون الهمزة
المتوسطة عينا فيقولون (أسعل الله) في (أسأل الله) .

٢ - إبدال الياء الواقعة بعد عين جيا في لغة قضاة فيقولون (الراعي
خرج معج) في (الراعي خرج معي) ويسمى هذا الإبدال (عجمجة قضاة)
٣ - إبدال الياء مطلقا جيا في لغة فقيم فيقولون (حجتج) في (حجتى)
و (بج) في (بى) .

٤ - إبدال الحاء عينا في لغة هذيل فيقولون (اللحم الأحمر أعسن من
اللحم الأبيض) في (اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض) ويسمى هذا
الإبدال (فحمة هذيل) .

٥ - إبدال لام التعريف ميمًا في لغة حمير فيقولون (طاب امهواء وصفا
امجو) في (طاب الهواء وصفا الجو) ويسمى هذا الإبدال (ططممانية
حمير) .

ثم يقول ويمكن أن يخرج عليها قول العوام في لاديار المصرية كماها لا
مديرية الشرقية ، فالعوام في لاديار المصرية يقولون (إبارح) أما أهل مديرية
الشرقية فيقولون (البارح) كما يقول جمهور العرب .

٦ - إبدال كاف المؤنث شينا في لغة ربيعة عند الوقف على الكلمة

فيقولون (منس وعليش) في (منك وعليك) ويسمى هذا الإبدال (كشكشة ربيعة) .

٧ — إبدال كاف المذكر سينا عند ربيعة ومضر فيقولون (منس وعليس) في (منك وعليك) ويسمى هذا الإبدال (كشكشة ربيعة) .

٨ — إبدال الكاف مطلقاً شيئاً في لغة اليمن فيقولون (لبش اللهم لبش) في (ليك اللهم ليك) ويسمى هذا الإبدال (شنشنة اليمن) .

ثم يقول وكأن هذه الشنشنة أصل لغة شرويدة وزنكلون وما حوطة من مديرية الشرقية حيث يدلون الكاف في نحو (كب وكون) شيئاً أو حرفاً يقرب من الشين .

٩ — إبدال السين المهملة تاء فوقية في لغة اليمن فيقولون (التات بالتات) في (الناس بالناس) ثم يقول ولعله منشأ قول العوام في (عثمان وتعلب وتعبن) (عثمان وتعلب وتعبان) بأن يكونوا حرفوا أولاً التاء المثلثة سينا ثم أبدلوا السين تاء على لغة اليمن .

١٠ — إبدال العين الساكنة نوناً إذا جاوزت الطاء في لغة سعد بن أبي بكر وهذيل . فقد قرأوا (إنا أنطيناك الكوثر) في (إنا أعطيناك الكوثر) ويسمى هذا الإبدال (الاستنطاء) ثم يقول وهو شائع في لغة الأعراب بصحاري مصر .

١١ — إبدال الميم باء والباء ميماً في لغة مازن فيقولون (بات المعير) في (مات البعير) و (مان المدر في السباء) في (بان البدر في السماء) .

ثم يقول وأهل مديرية الدقهلية وبعض الغربية يدلون هذا الإبدال بالسين لا في كل المواضع ، بل يدلون الباء الساكنة إذا تلاها نون فيقولون (يامني الجنة وقعت على التمن في (يا ابني الجنة وقعت على التبن) . وقسم ديروط من مديرية أسيوط يدلون الميم باء في بعض الكلمات فيقولون (أقعد بكانك) في (أقعد مكانك) .

١٢ - إبدال التاء هاء في الوقف عند طى فيقولون (دفن البناء من
المكرماه) في (دفن البنات من المكرمات) . ثم يقول وفي مديرية المنوفية
عدة قرى تبدل هذا الإبدال فتقول (يابه) في (يابنت) باسقاط النون .

ومن العرب من يعكس هذا لا يبدل فيبدل هاء التأنيث تاء في الوقف كما
يفعل في توص . فيقولون (يا أهل سورة البقرة) في (يا أهل سورة البقرة)
وعلى هذا قول أهل الشام في الوقف فيقولون (تعنمت الفلسفت) في (تعلمت
الفلسفة) .

ويرى المؤلف في مجلة بقية المطب التي حددتها ، مع توسع تارة
وتضييق تارة أخرى في مقارنة خصائص اللهجات العامية بما يشتمل أو يقاربها
من خصائص لغات القبايل العربية التي عني في هذا الكتاب باستقصائها
تكون طريقته إلى معرفة أسباب اختلاف اللهجات العامية .

كتاب التحفة الوفائية في تبين اللغة العامية المصرية

ومن الكتب التي ألقت تلبية لرغبة أجنبية كتاب « التحفة الوفائية في تبين
لغة عامية المصرية »^(١) ألفه وفاء محمد الفوني أمين المكتبخانة الخديوية
مصرية سابقة مستجابة لرغبة رئيسه الدكتور كارل فولوس . نظر دار المكتبخانة
وفولوس ، ومؤلف كتاب « اللهجة العربية الحديثة في مصر » الذي تكلمت عنه في
الفصل الأول من الباب الأول .

وكتب التحفة لؤذنية عبارة عن قاموس للغة العامية المصرية رتب حسب
الحروف الأبجدية ونهى عند حرف الحاء . كان المؤلف يذكر الكلمة ويشرحها

١ - محفوظ بدار نسكت تحت رقم (٢٥٣٨٣ لغة) .

ويأتى بالكلمات التى تشترك معها فى المعنى ويذكر أحيانا عادات العامة المتعلقة بهذه الكلمة ، وطريقتهم فى نطقها وخاصة فى نطق حرف القاف .

يقول مثلا فى باب الهمزة :

أبع : « أبع يأبع أى بلع يبلع . وابنع وئأبع والزأط (زأط بزأط) مترادفات ومعناها ازدراد الشيء إلى داخل المعدة . وهذا من وظيفة الحلقوم إلا أن الأبع لا يستعمل عندهم إلا فى السرائل كالأبع فيقولون مثلا أبع السكابة أو أبع السكر أى تسرب ما فيها من ماء حتى لم يبق فيها شيئا .

أما البلع فلا يستعملونه إلى فى الجامدات . فيقولون بلع الرغيف أى أكله كله . أو بضع اللقمة أى ازدردها . والبلع قد يكون بعد المضغ وقسي بضع الشيء بلا مضغ . ويقولون بدل مضغ مدغ بمدغ مدغ فيبدون انضاد دالا فيقولون مدغ لبن ومن معنى المدغ عندهم التشديق فيقولون (أنته بتشديق على إيه) أى أى شيء تمدغه . فالمدغ والنشيق والتلويق كل معناه حركة الفم بالطعام . وقاف لأخير تبدل أيضا بهمزة وبمحرف G إذا نطق بها حرف a والأكل عندهم إما بطريقة الغموس أو بطريقة اللهط (غمس يغمس) (لهط يلهط) . فالغموس هو أن يقطع الشخص اللقمة من الرغيف ثم يغمس فى الطبخ أو غيره مما يأتسم به ويركل وهما حتى يشبع . فهذا هو انغميس مأخوذ من الغمس . واللاهط هو أن يركل الطعام بدون غموس كما تؤكل البانوزة والأريد ، إما بقلعة كما هى عادة غالب سكان البنادر ، وأما الفلاحين أى غنهم فإنهم يلهطون بكف اليد فى فمهم لعلوا الطعام بأكفهم ووضعوه بأفهامهم .

بقى فى التلويق معنى آخر زراعى معروف عند الفلاحين . وهو تلويق التبن أو القمح أو البرسيم . وذلك بأن يروى الأرض بالماء ثم يبدرون الحب على

الأرض وعندما آت تسمى الملوقة وهى لوح عريض وله يد طويلة من خشب هكذا **I** يجرونها على الأرض بعد بذر الحب فى الطين لينبت ولا ياتقطه الطير. فهذه طريقة من طرق لزراعة يسمونها النلويق فيقولون لوق الأرض. أى جر الملوقة عابها، ومن الناس من يمر على الحب برجليه بدل الملوقة فيقولون فلان يلوق، ويسمون النلويق أيضا لوق ويطلقون اسم لوق على ذات الأرض المزروعة بهذه الطريقة، فيقولون فلان ماشى فى اللوق أى فى هذه الأرض المزروعة بهذه الطريقة، ويقولون ما تمشيش فى اللوق، أى لا تمش فى الأرض الملوقة أى المزروعة بطريقة النلويق. والقاف فى النلويق تبدل بهمزة وبحرف G .. الخ .

فالقاموس كما نرى قد جاء مهوشا، مضطربا كثير الاستطراد متداخل المواد رغم اجتهاد المؤلف فى ترتيبه كما يقول فى صدر الكتاب . فقد صدر الكتاب بكلمة بين فيها اختلاف المصريين فى نطق « الق ف » . قليل منهم ينطقونها قافا صريحة كأهل برمه وإييار وهما بلدان باغرية والبراس وأهالى الفيوم يقولون مثلا (قال) أما سكان المدن فيبدلون بها همزة فيقولون (أل) وسكان القرى يبدلون بها بحرف G الإنجليزية إذا أتى بعدها حرف A مثلا فيقولون (جال - Gal)

ثم أشار إلى الجهل الذى بذله فى ترتيب الكلمات العامة وضبطها ، واعترف بأن هذه العامة لا يمكن ترتيبها أو ضبطها ، وأن ما بذله من جهد فى سبيل ضبطها وترتيبها لم يكن إلا لمروضاة نظر السكتنبخابة الدكتور كارل فولرس وذلك حيث يقول :

« ... وقد راعيت فى ترتيب الكلمات حروفها الأوائل ، ومع هذا فأنى لو خالفت الترتيب فلا تثرىب على فإن العيب لا تنضبط . إلا أنى بذلت جهدى فى ضبط الألفاظ بالشكل حسبما ينطق به جماعة العامة . وقد جمعت ذلك

إرضاء^(١) لجناب العالم الفاضل والفيلسوف الكامل حضرة ناظر المكتبة الخديوية العامرة الدكتور كارل فولرس - حفظه الله وأبقاه - فإنه جدير بأن يطاع وحقيق بأن يبجل ويعظم حسبما يستطاع » .

ومن هذا يتبين لنا أن صاحب الفكرة في تأليف الكتاب هو الدكتور كارل فولرس ، وأن المؤلف وفاء محمد القونى لم يسمه إلا أن يحقق له فكرته . لأن فولرس - رئيسه في العمل - كان ناظر الكتبخانة بينما كان وفاء محمد أمينها .

وقد سبق أن أشرت إلى استغلال الأجانب المشغولين بالعامية المصريين والسوريين الذين يعملون في بلادهم لكي يؤلفوا في العامية . مثل محمد عياد الطنطاوى في كتابه « أحسن النخب في معرفة لسان العرب » سنة ١٨٤٨ وميخائيل الصباغ في كتابه « الرسالة الثامنة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج » . والكتابان من أوائل المؤلفات العربية التي تناولت البحث في العامية .

فلا غرو إذن أن يستغل الأجانب الذين تولوا مناصب عالية في مصر المصريين الذين يعملون تحت إمرتهم للتأليف في العامية، كما استغل فولرس وفاء محمد القونى مؤلف كتاب التحفة الوفائية .

كتاب « مقدمة التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية »

ولمؤلف التحفة الوفائية كتاب مطبوع جملة مقدمة للتحفة ونشره تحت عنوان « مقدمة التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية » .

(١) هذه الكلمة تحت من الخلوط والكنى قدرتها ثم فهمته من سياق الكلام .

وقد حاول المؤلف في هذا الكتاب أن يبرر اشتغاله بالعامية واهتمامه بموضوعها ، وكأنه كان يشعر بالحرج من اشتغاله بها ، شأن كثيرين من الذين دعوا إليها أو مارسوا الكتابة بها في بدء انتشار الدعوة .

فهو يقرر أن الفصحى هي لغة الدين والثقافة التي يجب الكتابة بها والعمل على ترقيتها ، أما العامية فليست صالحة للكتابة فهي ومن اشتركت مع الفصحى في جل مودها اللفظية وأساليبها الكلامية فإنها تتفرد عنها في كثير من الأحوال لم دخلها من التحريف والتصحيف والتغيير والتبديل ، فهي داء أصاب اللغة الفصحى ووجبنا تشخيص هذا الداء ومعرفة أعراضه لكي نوقف سريانه ، ونساعد لغتنا الفصحى لغة الدين والثقافة على مواصلة الحياة . لأن اللغات في العالم كالروح للأمم تكلفهم في خدمتها ما تكلفهم به المحافظة على لأرواح .

وقسم الكتاب إلى أربعة أبواب :

الباب الأول : « الحاجة إلى توحيد اللغة العربية و وسيلة النافعة إلى ذلك »
بين فيه أن اللغة العربية هي الرابطة الواحدة للمتكلمين بالعربية في جميع الأقطار ، والتي بوساطتها يشتركون في النتائج العلمية والفوائد التدوينية ، وأن سبب انقسامها إلى لهجات عامية هو اختلاط العرب بالأعاجم عتب الفتح الإسلامي ، بحكم انضواء الجميع تحت لواء الدين الإسلامي وبحكم النسب والمصاهرة . وأن واجبنا لتلافي هذا الانقسام هو تقويم العامية وإصلاح فاسدها واقترح لإصلاح فساد العامية هذه الوسائل :

١ - إزام كافة العلماء ولأدباء وكل من يقدر على التكلم بالعربية بتغيير خطلة التخاطب بينهم . وذلك بمراعاة وجوب الإعراب والأساليب الصحيحة لتقدمهم العامة .

٢ - متابعة البحث والتنقيب في ألفاظ اللغة العامية حتى يعرف العربي

منها والدخيل من لغات أخرى . فما كان منها لا يهمل استعماله بعد تصحيحه ، وما ليس منها أهمل بالكلية حتى يصبح نسيا منسيا ، واستعيض عنه بلفظ عربي ينوب منابه سواء كان من المؤلف للعامة أو غيره .

وهكذا يفعل بالأمثال والأساليب الكلامية المألوفة للعامة . فيهمل منها ما كان فاسداً أو سخييف المعنى ، ويصلح ما يمكن إصلاحه ، ويقرن لعمل بتمرين الاستعمال حتى مع الدوام والاستمرار تصبح اللغات العامة مرقعة الخروق مرققة الفتوق .

ثم ذكر الوسائل التي تساعد على ترقية اللغة العربية وهي :

١ — مراعاة حال الحضارة في اختيار الأساليب ، فتكون سهلة المأخذ عذبة التراكيب تشير إلى حالة الأمة الراهنة وتدل على مبلغ قوتها وما وصلت إليه يدها من الصنائع المختلفة . كأن يقول الكاتب (أهدر من خنير ، أسمع من تليفون ، أوجز من تلغراف ، أبصر من مكركوب ، أوعظ من تياترو الخ)

٢ — إتخاذ أقرب الطرق وأسهلها وأوفاهها في التأليف الممعدة لتعليم الفنون العربية .

٣ — إتساع نطاق التعريب .

٤ — مراعاة الأسلوب العربي الخالي من الألفاظ العامة في المقالات العلمية والخطب الأدبية التي تلقى في الأندية والمجتمعات .

٥ — انتاج الأدباء والعلماء في طريق التخاطب العام السبل المرعية عند النعاة وعدم مجاراتهم العوام على ما هو مألوف عندهم ، ويتحتم ذلك على أساتذة المدارس .

٦ — نشر الكتب الفكاهية التي يقبل عليها الناس وكذلك الجرائد والأتان ونحوها، بأسلوب عربي وإن لم يكن بليغاً. وتلتمين الباطنة في الأسواق صحيح العبارات الممنوعة ليستخدموها في مناسباتهم على مختلف مناسباتهم .

الباب الثاني: في الكتابة ، تكلم عن الكتابة ، نشأتها ، تطورها .

الباب الثالث: في الكلام عن اللغة العامية من حيث ما يتعلق بها من العنون "عربية" أشار فيه إلى نصيب العامية من الفنون العربية : فن البلاغة ، فن السحر ، فن الصرف ، فن العروض .

فذكر أن "عامية لها نصيب كبير من فن البلاغة، لأن العام يتخلفون في طرق الإبداء وينحون بعض مقاصد الباطنة بالفنارة . ففي كلامهم المجاز والكناية والتشبيه ، وإن كانوا يحملون هذه الاصطلاحات . فالمعاني التي يدركها الباطن قد يدركها العمى وبالعكس . وكل منهما يلبسها عبارة على قدر لغته . ولذلك لم تكن المعاني موضوعاً للغات بل الألفاظ التي تصاغ بها .

أما فن النحر والصرف فعلاقة العامية بهما تكاد تكون منقطعة بالكلية ، وأن المؤلف بشواهد تبين خروج العامية على الأصول النحوية والصرفية المتفق عليهم في اللغة العربية . ثم وقف ليرد على الأجانب ومن شابههم من مفكري العرب الذين يريدون أن يضعوا للعامية أصولاً وقواعد تضبطها وتكشف طرق التصريف فيها ، مبيناً استحالة تحقيق هذا العمل لأن التغير والتبدل في العامية لا يقفان عند حد ما دام الاختلاط حاصل ، ولأن العامية تختلف باختلاف الأقطار وتتعدد بتعدد البلدان ، فيقول : : فقل لمن يريد أن يضع لهذه اللغة (يعني العامية) أصولاً تضبطها وتكشف طرق التصريف فيها إنه إذا أمكن ذلك ولا أراه ممكناً لأصبحت على حال فهم ما هي عليه . فلا تكون ذات

اللغة العامية المستعملة الآن، بل تكون لغة جديدة تحتاج إلى تعلم وتمارين وصرف مال جزيل ودهر طويل وعناء شديد . وهيهات أن يجمع شتاتها في أصول واحدة فإنها تختلف باختلاف الأقطار بل تعدد بتعدد البلدان .

وفي علاقة العامية بفن العروض تكلم عن أوزان الشعر العربي المصطلح عليها والتي اختلف العلماء في تحديد عددها حسب استقراءهم كلام العرب ، وتكلم عن الأوزان السبعة المولدة (السلسلة والدريبت والقوما والموشحة والزجل وكان وكان والموالي) ، وأشار إلى أن مغاني العامة وسرائرهم يرجع أغلبها إلى الأوزان السبعة والقليل منها ينطبق على أوزان الشعر المشهورة ، وإن كان العامة لا يقصدون في أناشيدهم وزناً خاصاً لا من الأوزان المشهورة ولا من الأوزان السبعة المولدة ، بل ينطقون بها على مقتضى الفطرة . فخط العامية من الشعر فطري لا صناعي ووزنهم اتفاق .

ومجمل قوله أن العامة ليس لهم من العلم بالعربية إلا ألفاظها المحرفة بألسنتهم التي هي معاول التحريف . وليس لهم من فنونها إلا ما يأتي به توافق الخواطر الفطري بعيداً عن الصناعة الأدبية المخصوصة . فهم من حيث الفطرة كبقية أصناف النوع الإنساني يمتازون بأحوالهم الخاصة بهم ، كما تمتاز لغتهم بخلوها من النظام والروابط بحيث أصبحت عديدة الفرائد العلمية، فحالتها كحال لغات المتوحشين الذين يهيمنون في الجبال والأودية .

ويختتم هذا الباب بنبذة في الرد على ابن خلدون الذي زعم إمكان ضبط العامية في عهده، وذلك في الفصل الثامن والثلاثين الذي كتبه في مقدمته المشهورة بعنوان « لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضر وحمر » وتتأخص فكرته في هذا الفصل في أن اللسان العربي في عهده ينقص عن اللسان المضري حركات الإعراب فقط ، وأنه من الممكن ضبط هذا اللسان بغير حركات الإعراب المعروفة في

اللسان المضرى ، وذلك بأمر أخرى - لم يعينها إلا بقوله - موجودة فيه ، وذلك حيث يقول : « ولما لو اعتنينا بهذا اللسان العربى لهذا العهد واستقرينا أحكامه ، نقتض عن الحركات الإعرابية فى دلالتها أمور أخرى موجودة فيه تكون بها قوانين تخصها وإعلامها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مضر ، (١) » .

وقد رد المؤلف على ابن خلدون مبينا أن العامية سواء فى عهد ابن خلدون أم فى عهدنا ، لا تختلف عن اللسان المضرى فى الإعراب الذى يظهر حكمه فى أواخر الكلم فقط ، بل فى كل وجه من وجوه السكالم المعتمد به فى طرق الإبانة .

ثم أخذ يفند رأيه فى إمكان ضبط العامية قائلا : « وهب أنه جارى فى وضع قوانين لهذه اللغة علماء الفنون العربية ، فلا تتم فائدتها حتى يتعمم تعليمهم لكافة أفراد الأمة لا فرق بين ذكر وأنثى وصغير وكبير ، كيلا تحدث تغييرات أخرى بسبب دوام الاختلاط ، فإن دوام السبب يستلزم دوام المسبب . وتعميم التعليم بهذه الكيفية متمسك الحصول إن لم يكن متعذرا ، على أن الأولى بالتعليم هو أصول اللغة تفصيحية لغة القرآن والحديث .

فإن لم يقل بتعمم تعليم التعليم كان وضع هذه الأصول تقيم الفائدة إذ يصبح بتولى التغييرات فى خبر كان ، وعلى كل حال فأى أهمية لتجشم هذا الرأى وإبرازه من القوة إلى الفعل بعدما نلينا أن الذى حمل علماء الأمة على وضع الفنون العربية إنما هو - حفظ القرآن وكتب السنة من أن يأتى عليها شوط من التحريف والتغيير أو إيهام ما فيها باندراس اللغة المضرية . ولكن ما هى الفائدة التى يرجوها من وضع ما يريد وضعه للغة العرب فى عهده ؟ أيريد كما يريد بعض الأجانب أنه

(١) مقدمة ابن خلدون . طبع القاهرة . لم يذكر تاريخ الطبع . الفصل الثامن

بهذه الوساطة تقوم هذه اللغة مقام الفصحى حق في تدوين الكتب العلمية ، ويصبح جميع ما ألف باللغة الفصحى في حين النسيان .. ومنها كتبه .. فالمؤلفات التي هي نتيجة عمل الأمة الإسلامية من أول نشأتها إلى زمنه لو فقدت لفقدت الأمة دينها وآدابها ولغتها ، (١) .

هذه هي الفروض التي أقام عليها المؤلف ردوده على ابن خلدون والتي يقول إنها لم تكن في حسبانها ، وأنه استوفى كافة الوجوه المحتملة فيها لا للرد على ابن خلدون بحسب وإنما للرد على كل من يريد أن يستغنى باللغة العامية عن الفصحى ، ويصنع لها أصولا وقوانين تضارع ما لهذه من أصول وقوانين .

الباب الرابع : في اختلاف العلماء في اللغات هل هي توقيفية أم اصطلاحية ، ذكر فيه الآراء المختلفة التي قيلت في هذا الموضوع ونقشها .

المؤلفات التي تناولت البحث في أصول الكلمات العامية وتهذيبها

رأى البعض أن من وسائل ترقية الفصحى البحث في أصول الكلمات العامية ما كان منها صحيحا يستعمل ، وما كان محرفا وله أصل في الفصحى يصحح ، وما كان منها دخيلا يبحث عن مرادفه في العربية ، فإن لم يوجد له مرادف عرب بعد أن يمرر على الأوزان العربية ، ولذلك ألفت عشرات الكتب في أصول الكلمات العامية وتهذيبها . (٢)

(١) كتاب « مقدمة النخبة الوفايية في اللغة العامية المصرية » تأليف وفاء محمد وفاء القوي طبع القاهرة ١٣١٠هـ - ١٨٩٢م ص ٩٣ .

(٢) — منها الكتب الآتية حسب تاريخ ظهورها .

١ — أصول الكلمات العامية . تأليف حسن توفيق العدل . طبع مصر ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م

٢ — الدرر السنية في الألفاظ العامية وما يقابلها من العربية . تأليف حسين فتوح

ومحمد علي عبد الرحمن . طبع مصر ١٣٢٩هـ - ١٩٠٨م .

كتاب « تهذيب الألفاظ العامية » لمحمد علي الدسوقي :

وكان من أكثر هذه الكتب توسعا في البحث كتاب « تهذيب لألفاظ العامية » لمحمد علي الدسوقي أحد مدرسي اللغة العربية بالمدارس الأميرية . فقد تعرض لذكر أدواء العامية والدواء الذي يوقف سريان كل داء ، وبين الوسائل النافذة لترقية العربية ومنها تحويل الألفاظ العامية إلى عربية أصيلة ، ثم قسم الألفاظ العامية حسب الموضوع ووضع لكل منها ما يرادفه في العربية .

وقد بين المؤلف في مقدمة أن السبب في مبادرته إلى تأليف هذا الكتاب يرجع إلى أن « نظارة المعارف » في ذلك الوقت (أيام الخديوي عباس حلمي الثاني) قد أوعزت إلى سادة مدارسها بتحويل الألفاظ العامية إلى أصولها العربية . وأنه يثق به لمدة هذا الموضوع في خدمة العربية قد تخذله ميداننا لبحثه في هذا الكتاب . وقبل أن يتناول هذا الموضوع أخذ يعرض أدواء العامية ووسائل علاجها وهي :

لاحن : ذكر بدء نشأته وأسباب استفحاله واستهجان العرب له ، أما دوائه فهو النحو . فبين السبب في وضع القواعد ، وأشار إلى أوائل النحاة وأشهرهم .

التعريف : ذكر كثيرا من مظاهره وتاريخه وأسبابه . أما دوائه فهو رد العوام

٣ - مرادف العامي والتدخين . تأليف حسن البدر أوى . طبع مصر ١٩٠٨ م

٤ - محو الألفاظ العامية . تأليف محمد الحسيني ١٩٠٨ م

٥ - تهذيب الألفاظ العامية . تأليف محمد علي الدسوقي الطبعة الأولى ١٩١٣ م

٩ - الخلاصة المرضية في الكلمات العامية وما يرادفها من العربية . تأليف

سيد الزكي إبراهيم سعيد علي لأبي ١٩٢٤ م

٧ - المحكم في أصول الكلمات العامية . تأليف الدكتور أحمد عيسى . طبع مصر

سنة ١٩٣٩ م .

عن تحريف الكلام . فذكر الكتب التي ألفها القدامى فيما تلحن فيه العامة وفيما تلحن فيه الخاصة ، وأشار إلى أن أشهر من ألف في ذلك من المتقدمين ابن قتيبة حيث عقد في كتابه « أدب الكتاب » أبوابا في رد الحرف إلى أصله . فمن ذلك :

باب ما يهمز والعامة تبدل الهمزة فيه أو تسقطها مثل قولهم (توضيت) في (توضأت) و (الحنا) في (الحناء) و (الملاية) في (الملائة) .
باب ما جاء ساكنا والعامة تحركه مثل قولهم (حلقة القوم) في (حلقة القوم)

باب ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد مثل قولهم (قصر) في (قسرا)

باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين مثل قولهم (صندوق) في (صندوق) الخ

الدخيل : أشار إلى وجوده في مختلف اللغات حتى إن اللغة العربية لم تخل منه في زمن شبابها ، أيام كانت جزيرة العرب صافية المعدن تقيّة الجوهر لم يصبها من العجمة شيء ، وأن كثيرا من الألفاظ المعربة قد وردت في القرآن الكريم وأشعار العرب . ثم بين موقف العرب من الدخيل ، وحركة التعريب قد بما وحديثا ، وأنواع الكلمات الدخيلة ، وأشهر الكتب المعربة .

ويرى المؤلف لوقف سريان الكلمات الدخيلة « تأليف مجلس علمي من أكابر علمائنا وأدبائنا ، تهذيب أسماء المخترعات الأجنبية وإخزائها على وجه يسوع به تعاطبها . هذا إذا لم يوجد لها أشباه في العربية ، وإلا وضمت لها أسماء مبتكرة بشرط أن تمنى الحكومة بذلك وتبلغه لجميع فروعها في الأقاليم وجميع الصحف

السيرة . ففى استعمالهم لحكام تبهم العامة » (١) .

لأدوية العامة هذه لأدوية غير اه فى إصلاح طرق التعميم لمزنى والمدرسى
فى تجميع التعميم وجمعه أجري ، وفى تأليف الكتب التى ترد العلمى إلى أصله
المزنى ونشرها بين طبقات الأمة ، وبقتراح حصر لغة العلمية بتسميتها بالحرف
والصحيح وإيرادها فى مؤلف جامع عن أن يقوم بهذا العمل جمعية رئيسية
تكون مقرها فى القاهرة ولها فروع فى الأقاليم بوفورها ، يندسموه من العامة
صحيح ومسموه منها محرراً وله أصل عربى . وبقتراح تسميته فى المؤلف إلى
ثلاثة أقسام :

١ - قسم الألفاظ العلمية المخرفة ، وتحتة نوعان : الحرف بالحركات .
الحرف بالحروف .

٢ - قسم الألفاظ العلمية التى ليس لها مرادفات عربية ، وتحتة نوعان :
ليس لها أصل معروف ، وهى كان منقولاً من لغات الأعجبية ، فيوضع تحتها
اللفظ الذى مفاد بالألفاظ العربية ويهذب .

٣ - قسم ما يطلق به العامة من الألفاظ العربية الصحيحة ويضن
بها على .

ثم ينتقل مؤلف بعد هذه الدراسة إلى قدمها للتعريف على أدوية العلمية
والببحث عن وسائل علاجها فى عرض محتوياته هوقى تهذيبه . وهى تقوم على
تسمية الكتب العلمية حسب الموضوع ووضع مرادفات العلمية :

قسم نباتات الحزن : قسم لأدوية أصحاب البهن تخينة (النجور والحداد
والجوز والجوز) وقسم للأمراض . وقسم للأشربة والأطعمة . وقسم لأدوية

الزينة ، وقسم للحكومة وما يتعلق بها ، وقسم للجيش وما يتعلق به . الخ .

المؤلفات التي تناولت البحث في خصائص العامية (ألفاظها : قواعدها : بلاغتها)

لم يتنصر الباحثون في العامية على رد ما تشوه من ألفاظها إلى أصله ، ووضع مرادفات من ألفاظ الفصحى للرخيل . ولكنهم عنوا بالبحث عن خصائص العامية ومميزاتها ، لا بقصد إحلال العامية في التدوين محل الفصحى كما دعا إلى ذلك الباحثون الأجانب في دراستهم لقواعد العامية ، ولكن لجرد الرغبة في معرفة خصائص العامية كما صرح البعض ، أو للاستفادة بمعرفة هذه الخصائص وعصرها لإصلاح العامية ووردها إلى الفصحى ، ولتطوير الفصحى مع الاحتفاظ بسلامتها كما صرح البعض الآخر .

اللغات العربية العامية

فمن هذه المؤلفات بحث حبيب غزالة بعنوان « اللغات العربية العامية » نشره في كتيب له تحت عنوان « خصائص اللغة العربية »^(١) وفي هذا البحث « اللغة العربية العامية » أشار المؤلف إلى أنه لم يهدف من وراء هذا البحث إلى إحلال العامية في التدوين محل اللغة الفصيحة كما ذهب إلى ذلك بعض المستشرقين ، وإنما هدف إلى استطلاع خصائص العامية التي لم يهتم بدراساتها الباحثون في العامية قبله .

فبدأ البحث بالاعتراض على دعاة العامية مبينا السبب في فساد اللغة العربية وما ترتب عليه من مظاهر ، بعضها يرجع إلى مخالفة قواعد النحو والأقيسة

(١) خصائص اللغة العربية . تأليف حبيب غزالة . طبع القاهرة سنة ١٩٣٥ . تكام

فيه هن « لغات عربية العامية » ص ٢٤ — ٣٢

الصرفية ، وبعضها يرجع إلى القاب والتعريف والزيادة والحذف والتخفيف .
وبعضها يرجع إلى اقتباس الألفاظ الأعجمية : فرسية . تركية . يونانية .
إيطالية . الإنجليزية ... الخ .

ثم أخذ يتكلم عن خصائص اللغات العامية وتتلخص في :

١ - استعمال ألفاظ في غير ما وضعت له ، ولكن من معانيها ما يدل
على المعنى المراد أو ما يقرب منه . مثل ذلك « اختشى » بمعنى خجل ومن معانيها في لغة
خاف ، و « وحش » بمعنى ردى ، من الوحشة ، و « شاطر » يعبر به الموم
عن البارع والماهر ، وهو في اللغة الفصحى من أعيان أهله خبثا .. الخ .

٢ - ألفاظ يتبادر لسامع أنها عامية وهي فصيحة مثل : « لمه » جماعة ،
و « وشوش » من الوشوشة وهي كلام في اختلاط ، و « طل على » زار .
و « تكه » بمعنى أحمه وأسكنه من الشكمة وهي حديدة في اللجام تعترض
فم الفرس ، و « شاف » بمعنى تشوف واشتاف ، و « الشقفة » القطعة .
و « العتمة » الظلام ، و « تعتمه » حركه بعنف ، و « عيط » من التعيط
وهو الجلبة والصياح . ورجل « حمش » من حمشه أي أغضبه .

ومن فصيحة العامية السود نيين : « أبي » كره ، و « مزنة » سمحاة .
و « زول » شخص ، و « الخشم » الفم في لغة قضاءه .

ومن فصيحة العامية المغاربية : « شحاح » أي بخيل ، و « الجنان »
البستان .

٣ - ومن خصائص لغات العامية الصيغ الدالة على التصغير نحو : شويه
وخفيف وبنيه وكويس ويقبل في الأسماء زنوبه ومستوته وهنومه ..

٤ - ويصوغ العامة من لأسماء أفعلا نحو . بوز وصنم وتيس وغول .

كما يقال في الفصحى استنسر واستنوق واستأمد .

٥ - الأفعال الدالة على التكرار والترجيع أو الاستمرار أو المبالغة
نحو : ههب وعور وسخن وطرش وزهزه وششق ولعلم ودبدب
ولفلف وزحزح .. الخ .

٦ - الزيادة في الأفعال نحو : شقلب من قلب ، وشعلق من عاق ،
وفشكل من فشل ، وتقرش من نقش ، وفرتك من فتك .

٧ - جمع الجمع وهو كثير في اللغات العامية نحو : رسومات وعقودات
وشروطات وكشوفات .

٨ - من مزايا اللغات العامية استعمال الكنية نحو : أبو قفطان ، أبو
دراع ، أبو شوشه ، أم عشرة ، أم خمسة ..

٩ - الجمل المعترضة للدعاء أو الاحتراس وغير ذلك نحو : الله يعافيك
ويعزك ويكرمك ، وبعيد عنك ، ومن غير مؤاخذه ، ومن غير مطرود . ومن
غير مقاطعة ، وبلا قافية ، وعوافي ، ومرحب .

١٠ - والعامية عبارات وجمل يبر بها عن شتى المعاني والأغراض
نحو : يادوب ، وخلف خلاف ، وعلى الماشي ، وعلى الواقف ، وعلى
الحركك ، ومن طقطق لسلام عليكم ، ومن تحت تحت ، ودقة بدقة ،
وجر الشكل ، وكله كوم ودا كوم .

١١ - ويقولون في التغاؤل والتمويه : يا خبر أبيض ونهار أبيض كناية
عن السواد ، وفلان بعافية أو متنى أى مريض ، والمسكة أى اليرث .

١٢ - ومن ذلك أمثال العوام فقد حوت شتى المعاني والأغراض ، وهي

من علمهم ومراة أخلاقهم وعاداتهم ومستودع آدابهم وحكمهم .

١٣ - جاء المضارعة نحو : يكتب . وقد اختلفت الآراء في أصل هذه الاء وقيل إنها مقطوعة من « بعد » فيكتب أصلها بعد يكتب أى ما زال يكتب

١٤ - جاء الدالة على الاستقبال نحو : يكتب وهي مقطوعة من رايح نى رايح يكتب .

١٥ - العين الدالة على الاستمرار فى العمل نحو : يكتب أى عمل يكتب .

١٦ - من مصطلحاتهم قولهم (عمل كذا) لمن يظهر بغير ما هو عليه نحو : عمل عيان . وعمل كبير .

١٧ - ومن محسن اللغات العامية الزجل والمواليا وأشباهاهما . وهذا يذكر المؤلف من اشتهر من المصريين فى فن الزجل .

هذه هى خصائص العامية التى أحصاها حبيب غزالة . عرضها لمجرد التعريف بها ، وكأنه انساق إلى بحثها بعد أن جعل الأجانب من العامية منافسا قويا للفصحى ، وحاولوا أن يهدوا لها الطريق لتحل محلها بما بذلوه فى دراستها من جهد وما أضفوه عليها من أهمية ، بل لقد ذهب بعضهم إلى اعتبارها لغة قائمة بذاتها لا صلة لها بالفصحى . فإراد المؤلف فى عرضه لهذه الخصائص أن يبين الصلة التى بين الفصحى والعامية ، وأن هذه صورة مشوهة لتلك ، وأن إحلالها محل الفصحى هو بمثابة استبدال الممثل بالصحيح والسقيم بالمسلم .

موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى :

وتناول محمد فريد أبو حديد أحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة دراسة خصائص العامية في بحثه « موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى » الذي تقدم به إلى مجلس المجمع في دورته الثالثة عشرة . الجلسة الثانية والمشررون (١٩ مايو سنة ١٩٤٧)^(١) وفي هذا البحث وصف محمد فريد أبو حديد اللغة العربية الفصحى بالجمود ، ورأى أن هذا الجمود قد باعد بينها وبين العامية المتحددة المتطورة . ثم نادى بوجوب العمل على التقريب بين الفصحى والعامية أما رسالته في هذا التقريب فهي أن نتأمل في حال هذه العامية ونحاول تحديد خصائصها ، لأن في حال هذه العامية فائدتين : الأولى أنها تساعد على تصحيح العامية وردها إلى الفصحى ، والثانية أننا قد نجد عند حصر خصائص العامية أن فيها ما يساعد على تطوير الفصحى نحو ما هو أسنى مع الاحتفاظ بسلامتها وبذلك نكسب كسبا مزدوجا . ولذلك أخذ يخصي خصائص العامية ، للخصائص المتعلقة بالألفاظ والقواعد والأسلوب .

الألفاظ العامية : وخلاصة ما قاله في الألفاظ العامية أن أكثر الألفاظ العامية إما صحيحة قرشية ، وإما صحيحة في لهجات العرب ، وإما محرفة تخريفا قريبا يقصد به التسهيل .

ومن لهذا التحريف مظاهر متعددة ذكرنا منها ما ذكرناه في الأبحاث السابقة . ومنه من اليسر رد الألفاظ العامية المحرفة إلى الفصحى لأنها لاتزال محتاجة بحد كبير

(١) أنظر البحث « موقف اللغة العربية العامية من العربية الفصحى » في مجلة مجمع اللغة العربية . جزء ٧ صفحة ٢٠٥ — ٢١٨ طبع القاهرة سنة ١٩٥٣ .

من عرويتها لذلك فهو يقترح أن تتخذ فئة من الباحثين أحد القواميس العربية البسيطة (كالنجد) أساسا وتستطرد منه إلى ما هو قريب من ألفاظه في لغة العامية حتى تستوعب الألفاظ العامية ثم تقبل عليها بالتصحيح والإجازة .

قواعد العامية : ذكر الباحث القواعد العامة المطردة التي تسير عليها العامية دون أن يناقشها فمنها مثلا :

١ - أن العامية تتبع طريقة مطردة في تركيب العبارات المنفية : ما جش ما راحش ، ما عرفش ، ما كتبتش .. الخ .

٢ - صيغ الماضي والمضارع والاستقبال في العامية محددة : كتب ، يكتب ، كان يكتب . حايكتب ، ما يكتب ، بكره يكتب .

٣ - يستعمل الفعل المطارع في محل المبنى المجهول : ينضرب ، ينكتب ... الخ .

٤ ... تستعمل الياء والنون دائما في الجمع السالم : حديد ، نحاس ، رايحين .

٥ - العامية تدف في أواخر الكلمات كما بالكون ولا تعرف الإعراب على أنه مع ذلك تحرك أواخر بعض الكلمات بقصد تخفيف النطق ومحو الكلمات بعضها بعضا فمثلا تقول : (لما رحت له في البيت فقيمه ، ركب العربية) .

وهناك الحركات التي تلازم الضمائر فمثلا تقول في خطاب توجس : ده كتابك ، ونهرقة : ده كتبتك . ويلاحظ أن هذه الحركات تأتي في الألفاظ كل منها الضمير الحاص به في كل لأوضاع .

٢ - التشابه في شكل الكلمات أو التقارب في الأشكال له أثر في صيغة الجمع . فمثلاً نقول : مصباح مصابيح ، مفتاح مفاتيح ، ونقول أيضاً فدان فدانين ، شباك شبابيك .

ويقول الباحث إن الخروج عن أحد الأوزان السماعية أو القياسية يكون له من وقع ما للخطأ لغوي في الفصحى . فإذا قال فرنجي مثلاً في جمع شبك شبكات أو شبابك ، أو لو قال في جمع قلم : قلوم بدل أقلام لكان قوله غريباً ، وانتهى إلى القول بأن اللغة العامية قد كونت لنفسها قواعد النحوية والصرفية ، وأصبحت لها صورتها وأصولها المعترف بها ، فالخروج عنها يعتبر خطأ .

أسلوب اللغة العامية . أما أسلوب اللغة العامية فقد بين الباحث اختلافه عن أسلوب العربية الفصحى وإن كان قريباً منه . وذكر أنواعاً كثيرة من الفروق التي بينهما ، منها :

١ - تقول في العربية عادة : جاء محمد ، وكتب لي أخي كتاباً وهكذا وذلك بتقديم الفعل على الفاعل ، فإذا قدمنا الفاعل وابتدأنا به كان لنا في ذلك قصد . وأما في العامية فنعتمد أن نقول : محمد جاء . وأخوياً بنت في جواب .

٢ - إذا أردنا النفي في العربية قلنا : ما جاء فلان ، أو لم يكتب لي أخي وما في العامية فنبدأ دائماً بالاسم فنقول : فلان ما جاش ، وأخي ما كتبش . في جواب ... الخ .

٣ - في الاستفهام نستعمل في العربية أسماء الاستفهام أو حروفها فنقول :

هل جاء محمر؟ ومن كتب هذا؟ وما في العامية فلا نستعمل حروفا بل نكتفي بنغمة الصوت فنقول: هو محمد جه؟ أو نكتفي بأن نقول محمد جه؟ بغير تفريق بين صيغة الإخبار وصيغة الاستفهام، وأما أسماء الاستفهام فنستعملها أحيانا مقدمة في العامية كقولنا: مين قل كده؟ ونستعملها أحيانا مؤخرة مثل قولنا: نعمل به؟ بدلا من قولنا ماذا نعمل؟ .

٤ - تكثر في العامية العبارات التي تدل على حركة النفس والإشارات واللفظات وهكذا لشدة امتزاجها بالحياة اليومية . فنحن نقول: (لا يشيخ) إذ سمعنا خبراً غريباً ، ونقول: (ميه؟) مع إطالة الياء للدلالة على التحدي أو عدم المبالاة... الخ .

وانتهى من عرض خصائص قواعد العامية وأساليبها إلى القول بأن أسلوب العامية قد استقر على صورة اعتادها الناس ، وأن العامية ليست مجرد مسخ أو تشويه للعربية ، بل قد أصبحت لغة قائمة بذاتها ولها قواعد وأصولها ، وإذا شذ عنها شاذ عد ذلك خروجاً عن طريقة مقررة إلى أن يقول: «فإذا أردنا أن نردها إلى الفصحى كان علينا أولاً أن نحصر تلك المميزات لكي نلتصق السبيل الطبيعية المؤدية إلى غايتها . فقد نجد عند حصر هذه الأساليب أن فيها ما يساعد على تطوير اللغة الفصحى نحو ما هو أسنى مع الاحتفاظ بـ «الأسلوب» فكسب بذلك مكسباً مزدوجاً» (١) .

الأدب العامي : ثم تكلم عن لأدب العامي مبيناً نشأته ، وكيف دفعت الحاجة إلى التعبير عن خبايا النفس الموهوبين من عامة الشعب وبخاصة

الأدباء المتصلين بالشعب إلى أن يجهلوا من اللغة التي يتخاطبون بها ويتعاملون ويفكرون أداة أدبية . فتحملوا من الأساليب الأدبية المروفة في اللغة الفصحى لأنها لا تلائم لغتهم المبسطة التي تولدت منها ، واخترعوا الموشحات والمواليات والدوبيت والكان كان والقوما والزجل ، وهي جميعا أوزان تناسب مقاطع العامية وتحملها من الإعراب . ثم أشار إلى أن الاتجاه إلى اتخاذ العامية وسيلة للتعبير الأدبي يعد من أخطر ما ظهر في تطورها ، ووازن بين هذه الحالة وبين ما حدث في أوروبا من تقويض أركان اللاتينية عندما ظهر كتاب مبدعون في اللغات القومية الأوروبية أغنوا شعوب أوروبا عن اللاتينية وجعلوها لا تردد في خلعها عن عرشها . أما بالنسبة إلى العربية الفصحى فقد أشار إلى أنها لا تنزل في مأمن من هذه الخطورة :

١ - لأن العامية لم تستطع إلى الآن أن تتسامى إلى آفاق الفكر العليا ، ولم يظهر بعد فيها أمثال النوايغ الذين انتجوا روائعهم الخالدة بلغاتهم الأوربية الحديثة الدارجة .

٢ - ولأن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئا يقرب من الفارق بين اللغات الأوربية الدارجة وبين اللاتينية ، فما زال التفاهم ممكنا في سهولة بين المثقف وغير المثقف بلغة سليمة بسيطة . لكنه يحذر من منافسة العامية للفصحى في المستقبل وذلك حيث يقول : « غير أننا لا ينبغي لنا أن نتجاهل الخطر المائل في لياقة اللغة العامية وصلاحيتها كأداة للتعبير الأدبي ، فوإن كان اليوم محدودا فقد يكون غدا أقوى ، وقد تصبح أقدر على الأداء الأدبي السامي من الفصحى إذا فتن الشباب المثقف بالانتاج الفكري باللغة العامية وعمات أجيال منهم على الارتفاع بها إلى المستوى الذي يجعلها لغة فكر وتعبير

صحيح» . . إلى أن يقول « فلو لم تكن العربية لغة القرآن الكريم، ولو لم تكن كنوزنا القديمة هي أكبر ما نملك من ثقافة إنسانية، لكان من المين علينا أن نقبل على هذه العامية بكل جهودنا فنسحقها بادابها ونودعها في كل ما في شعوبنا من عبقرية. فتصبح هي لغتنا ولا ضرر علينا أن تكون لغة أبست هي الفصحى» (١) ثم أشير في الخسائر التي تترتب على تحللنا من التمسك بالفصحى . وإلى ما يجب أن نقوم به لتجنب هذه الخسائر وذلك لا يكون إلا بتطوير الفصحى . وهو في دعوته إلى تطوير الفصحى يهدف كما هو واضح في البحث إلى أن تكون لغة الكتابة والحياة العادية وليدة تصحيح العامية وترقيتها لتكون أقرب إلى الفصحى .

هذه خلاصة بحث محمد فريد أبو حديد الذي تعرض فيه لدراسة خصائص العامية مؤكداً أنه لم يهدف من دراستها إلا خدمة اللغة الفصحى . لكن كلامه لم يخل من التحيز إلى جانب العامية ، كما أنه أثار في ختام البحث عدة فقرحات تثير البلبلة والشكوك وهي :

١ — كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى وهي أول صعوبة قبت المتكلمين : العربية ، أي صعوبة الإعراب، وخصوصاً حر كات وأخر الكلمات ؟

٢ . . . لا يمكن أن نقبل في الفصحى غير ما يصح في لغة قريش ؟

٣ — هل نجمل الأصل هو منع ما لم يستعمل في الفصحى من قبل ، أم نجمل الأصل جزة كل ما يمكن إجازته ما دام قائماً في لغة الحياة ؟

٤ . . . لا يمكن أن نتجرد من التحيز إلى ساليب القدماء في الكتابة

والتعبير إذا كانت لا تعرضه عن إحساننا وتفكيرنا؟ هذا إلى ما ذكره في أول البحث من وصف الفصحى بالجهود، ونهـم حاجة في جهودها إلى أن تتقى الموت أو الخطر بتصحيح العامية وترقيتها، لنكون أقرب إلى الفصحى حتى يمكن أن تكون لغة الكتابة.

وقد تصدى للرد على هذا البحث ومناقشته محب الدين الخطيب، وذلك في مقالتين نشرهما في مجلته «الفتح». تكلم في المقالة الأولى^(١) عن اللغات في تطورها مبينا أن الاستقرار في الفصحى دليل على بلوغها درجة السكـال. ثم شبه تطور اللغات في التاريخ بتطور الأنهار في مجاريها. فلكل منهما في تطوره دوران: الدور الأول دور التكوين، ونحدث فيه التغيرات الجوهرية، والدور الثاني دور الاستقرار. والتطور في هذا الدور قاصر على الإصلاحات والتحسينات، ولا يجوز له أن يمس الأساس الذي حددت معالمه في نهاية الدور الأول.

ثم تكلم عن دورى تطور اللغة العربية مبينا كيف استكملت الدور الأول من تطورها قبل أن توجد اللاتينية واليونانية والسندكرتية فضلا عن الفارسية والفرنسية والإنجليزية. وكيف كانت عند ظهور الاسلام أكم لغة بدوية وأجملها في الدنيا. ثم تكلم عن تطورها في دورها الثاني مبينا أن التطور في دوره الثاني حاجة من حاجات كل لغة ما دامت النفس البشرية ومدارك أهلها في تقدم واعتلاء، ولكن ليس من اختصاص التطور في هذا الدور أن

(١) أنظر مقالته «لغة القرآن فقدت مرونة التطور ويفكرون في مجمعنا اللغوى الجليل بالدول عنها إلى العامية» مجلة الفتح العدد ٨٥٠ (خاتمة العام السابع عشر) ذو الحجة سنة ١٣٦٦ هـ ص ١ — ١٤

يمس جوهر لغة استقر ككلها كاللغة العربية أو يخرج على سننها أو يعبث بجمالها ، بل يتناول توسعها بانساع حاجات أهلها . ثم تسكن عن قابلية العربية لهذا التطور الذي يضمن لها الفناء المستمر والبقاء الدائم . عرف من نظام تكوينها ومرونة صيغها واطراد الاشتقاق فيها بنوعيه الأصغر ولأكبر .

وفي المقالة الثانية^(١) تكلم عن حقائق لها أهميتها في الرد على القائلين بتطوير اللغة العربية بطرق صناعية ، وتتلخص هذه الحجة في :

١ - أن اللغات ترجحان المدارك ، تسمو بسموها وتنحط بانحطاطها . فاللغة الواحدة تسمو أو تنحط مع مستوى الكتّابين بها والمكتوبة لهم الموضوع الذي يتخاضون له ، ولذلك تعددت الأساليب في لغة الواحدة (أسلوب انقاص الشمي . الصحافة اليومية . العلوم . التاريخ . الشعر والأدب الرفيع . الفلسفة والعلوم العقلية العميقة) وأما لغة - مهما بلغت من الكمال - إذا انحط المستوى الفكري والعقلي المتكلمين بها لا بد أن تنحط حتى تبلغ مستوى مترجمي عن مداركهم الضيقة النطاق . فاللغة في طوع لمدارك العقلية وليست المدارك العقلية في طوع اللغة .

٢ - أن تسهيل اللغة في لفظها وأسلوبها حتى تكون مفهومة للناس لا يفرق بين مثقف وغير مثقف ميسور لمن يكتب بالعربية الفصحى إذا توخى في مخاطبته الجمهور الأسلوب الطبيعي متخيلاً له الألفاظ المألوفة عند من يكتب لهم . ولا بد -

(١) أنظر مقالته « لأن أكون مخففة أحب إليّ من أن أكون ظالماً » بمجلة الفتح العدد ٨٥٢ (العام الثامن عشر) صفر سنة ١٣٦٧ هـ . ص ٨ - ١١ وهو رد على مقاله الاستاذ محمد فريد أبو حديد تحت عنوان « نقد ظلمتي » نشرت بمجلة الفتح في العدد نفسه ص ٥ - ٧

مع هذا - من العناية برفع مستوى المدارك في الجماهير ، فذلك خير لهم من أن تنحط باللغة وبالصحافة والخطابة والتمثيل إلى مستواهم في الفكر وإلى لغتهم التي هي ترجمان ذلك المستوى .

٣ - أن العامية موجودة بالفعل إلى جانب الفصحى في جميع الأمم لأنها ترجمان مستواهم العقلي والثقافي . وأنه لم يخطر على بال قادة الحركة الفكرية وحملة الأقلام في أية أمة اكتملت لغتها أن يتساحوا في فصيحهم فيهبطوا بها إلى مستوى غير المثقفين ، بل إن روح العطف منهم على العامة والنصح لها تحملهم على بذل العناية في رفع مستوى الجماهير في مداركهم وفي لسان تلك المدارك - أي اللغة - بكل ما لديهم من وسائل الخطابة والكتابة والتمثيل بأنواعه ، ليقرب جمهورهم من الفصحى في سبلها الممتنع ، فيهلوا من مواردها القريبة من أفهامهم مبسطة مدالة .

٤ - أن العامية لا خطر منها على الفصحى ما دامت الثقافة - والفصحى لسانها - في حالة هجوم على الجهالة ولسانها ، وهي دائبة عليهما تنقصهما من أطرافهما . فالطبقة غير الأمية من عامتنا لا تقل الآن في ثقافتها ودنوا لغتها من الفصحى عما كانت عليه طبقة فقهاء الكنائس وأئمة القرى قبل خمسين عاما . كما أن الذي يراقب تطور العامية في الخمسين سنة الأخيرة لا يشك في أنها تسير مسرعة نحو الفصحى .

٥ - أن في اللغة نظام طبقات كما في الثروة ، وكما تقارب الناس في مداركهم اقترب طرفا العامية والفصحى ، ويتضح ذلك من مقارنة العربية قبل الإسلام وفي صدره ، وبعد ازدهار الإسلام واتساع نطاق العروبة ، فإنه لا شك

أن العامة كانت هالعة لا تسمو إلى بلاغة الكثر بن صيفي وذى لأصبع المدواني
وعبد القيس بن خفاف البرجمي .. إلا أنهم كانوا متقاربين في لأسننه كتقاربهم
في مدارك . ومن لم يكن له مثل لسان الكثر كانت له مدارك تقدر حكمة
كثر حق قدرها . وقد نسمع نطق العروبة وتفاوت طبقاتهم في مداركهم
كتفاوتهم في معيتهم . نسمت مسافة خلاف بين فصاحة الطبقة العليا في لغة
مذبر وصف الطبقة الدنيا في لغة لأسوق . ومن هذا نخبر بامت
الجميلة .

٦ — أن ما يخيّل إلى بعضنا من جهود الفصحى ما كان قط من جهودها .
وإن كان من جهود أهلها الذين انحطت مداركهم في حادثتين تاريخيتين .

الأولى : جعل لغة الرسمية للدولة الإسلامية غير لغة القرن ففقدت العربية
— بذلك — سندها في الدولة .

والثانية : أن سلاطيننا الذين عاصروا نهضة الغرب (لويسينس) عند
ولادتها في بدايتها تجاهلوا وتخلفوا عن قافلتها . فكان هذا أيضا من أسباب
نحط مدارك الشعوب العربية الخاضعة لذلك الحكم . وكان العرب كلما
نظر فيما يتم في الغرب من قوة وتقدم وما هم فيه من رفقة وحر من يخمرهم
نيس ويسيدون الظن بأنفسهم .

٧ — أن التطور في اللغات لا يكون صدعياً يماشي لأهوا . بل هو طبيعي
يمر المدهور وتدهور . وأن علينا قبل أن نعمل على تصحيح العمية وترقيتها
بجهود الصناعة حتى تكون منها لغة الكتابة والحياة ، أن نولي تشييف متكلميها
بعمية في عمق الحمول ومتراحي القرى فإذا ارتقت مداركهم — بعد متلا —

معدهم بالغذاء وتسربل أجسامهم بالكساء - ترتقى بطبيعة الحال لغتهم التي هي
ترجمان مداركهم ، فيكون الذي نشتهي أن يكون من تقريب الأسنة .

كتاب « العامية في ثياب الفصحى »

ومن أحدث الكتب التي ألفت في خصائص العامية بقصد التقريب بينها
وبين الفصحى كتاب « العامية في ثياب الفصحى » ألفه سليمان محمد سليمان أستاذ
اللغة العربية بالمعنيين العليا ^(١) .

والكتاب يبحث في بلاغة العامية وأمثالها وخصائصها . وقد بين لمؤلف في
مقدمة الكتاب الدافع له على القيام بهذا البحث ، وهو أنه قد وجد أن اللغة
العربية لا سبيل إلى نهوضها مادامت قاصرة على الكتابة والخطابة ، وأن السبيل
إلى إنقاذها هو أن تقرب بين العامية والفصحى حتى يصير لنا لهجة واحدة نكتب
بها ونتكلم في السوق والمنزل . وشرح طريقته في التقريب بين العامية والفصحى ،
وهي دراسة العامية ومعرفة خصائصها وعقد الصلات بينها وبين الفصحى ، ثم
استعمال ما كان منها صحيحا ، وتصحيح ما دخله التحريف حتى يصير صالحا
للاستعمال .

وهذه الطريقة اعتبرها الطريقة المثلى لأدراك صحة العربية
واقبال الغلاب عليها وفهم الجمهور إياها . أما بالنسبة إلى الغلاب فيرى أن تتخذ
لهم في دروس البلاغة نملة تمهيدية من أمثال العامية وكلام بلاغتها .

(١) تقدم مؤلف هذا الكتاب لمسابقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة عن سنة ١٩٥٠ .
١٩٥١ وأجره المجمع . وقد اظنت عليه في مكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
وللمؤلف معجم في العامية والفصحى سماه « معجم العامية والفصحى » في ثلاثة أجزاء
لم ينشر بعد . قدم الجزء الأول منه للمجمع فقدره وطلب جزأيه الآخرين .

تصحيحها . لأن الأمثلة إذا كان معيها مما اعتاد الطلاب سماعه في محادثات
الناس رسخت في نفوسهم ، لأنها مستمدة مما ألفوا ومشتقة مما عايناه طبعوا .
ولا ينسى الطلاب الاستمارة إذا بدأ المدرس شرحها بقول العامة (البحر يضحك
لي - سرقني الوقت - جرحني لحظه) وكذلك الكناية إذ قال لهم فيها
الحكومة حبها طويته - أخوك يطول الرقبة) .

ثم قل إنه تحقيقا للغة التي أرادها من تقريب العامية من الفصحى قد
اتزم في كل ما أورده من الأمثلة العامية أن يبعدها عن التصحيف والتعريف ،
وأن يحلوها في ثوب عربية فصيحة كما جاء في عنوان الكتاب ، وإنه قد ترك
للقارئ إرجاع التعبير إلى أصله العامي إن أراد ، لأن ذلك ليس مسيرا .

هذا ما ذكره المؤلف في المقدمة تعريفا بغايته من البحث وطريقته لتحقيق
هذه الغاية . أما منهجه في البحث فيوضح من استعراضنا أنواع من أنواع خصائص
العامية التي عالجها . فهو مثالي كلامه عن « الكناية » يبين منزلتها عند العامة . وثمها
تبلغ ضروب البلاغة عندهم ، ويزعم أنهم - لشدة ضعفهم بها - قد نوا بالمعجب
المعجب لذي لم يرد له متيل في لغة الفصحاء من الجاهلين والإسلاميين . ثم
يشير إلى اختلاف مدلول الصور البلاغية باختلاف العصور ، فبعض الصور التي
تدور في العصور الإسلامية المختلفة إذا ذكرت في عصرنا لم تدرك ولم
تعمل على معانيها التي كانت لها (فابن الطريق) مثلا كانت في العصر العباسي
كناية عن (بن زنا) لكنها في عصرنا كناية عن (المرید) الذي يستل
طريقه من طرق العبادة والذكر وكذلك (طويل اليد) كانت كناية عن (الكريم)
ولكنها في عصرنا كناية عن (السارق) . ثم يأخذ في تعريف الكناية وخصائصها
وغرضها مثلا لكل غرض منها .

ذكر من خصائص الكناية :

١ - أنها تقدم لك الحقائق مصحوبة بدليلها (ذا مقطوع من شجرة) (ترش الملح ما ينزل) .

٢ - أنها ترسم المعاني بصورة محسنة (أنت تطول الرقبة) (يحطني في وش المدفع) ... الخ .

أما أغراضها فقد ذكر عدداً كبيراً منها . فمن أعضاء الإنسان التي ذكر أن العامة أوردوا فيها كتابات مختلفة « المين » كقولهم :

أنت في عيني (كناية عن الحفظ) وقد ورد في القرآن الكريم « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » .

عيني باردة عليه (كناية عن الغبطة) وقد ورد في القرآن الكريم « فكلني واشربي وقرني عينا » .

سقط من عيني كناية عن التحقير

هو يقدر يحط عينه في عيني (ان يحط) كناية عن الخجل

عينه تأكله من فلان كناية عن الغيرة

عينه فارغة كناية عن الجشع

الولد فتح عينه في أبيه كناية عن الاجترار والتطاول

هو قصير النظر (أو عديمه) كناية عن عدم حسن التقدير

ثم تكلم عن الكنايات الحديثة . فذكر منها .

فقير الحرب كناية عن موظف الحكومة

الأعداء الثلاثة كناية عن الفقر والجهل والمرض

صاحبة الجلالة كناية عن الصحافة

الحلة ج
جس ببضه
كناية عن اختلال الأمن وتوقع الحوادث
كناية عن طاب معرفة م. عند الانسان

أما الكنايات الأجنبية فمد ذكر منها :

هتلر يوح بفصن لزيتون	كناية عن طب الصلح
الجنس اللطيف	كناية عن النساء
الجنس الحشن	كناية عن الرجال
خلع قفزيه	كناية عن الاستعداد للكمفاح
رمى بأخر ورقة في يده	كناية عن الحزفة
حرب الأعصاب الباردة	كناية عن التخويف والتهديد .. الخ

هذه هي الطريقة التي سر عليها المؤلف في معالجة ما ذكره من
خصائص العمية .

وهنا يجدر بنا أن نقف قليلا بين حقيقة بعض المسائل التي شرحتها المؤلفات
التي تناولت دراسة خصائص العمية .

أولا : هذه الأبحاث تعتبر ثرا غير مباشر من آثار الدعوة إلى استعمال
العمية في الكتابة وإحلال محل العربية . فقد كنددوا بالعمية من الأجاب
ومن تبعهم من معكري العرب صلاحيتها للاستعمال الكتابي . بل وانهم زعموا
أنها أصح من العربية الفصحى . هذه المزعم دفعت فريقا من أبناء العربية إلى
دراسة العمية ، للتقريب عن تلك المزيا المزعومة التي جمعت كفتها ترجيح على
كفة الفصحى . وحتى يمكن الاستفادة منها في تطويع الفصحى لا نقادها من

الجود أو الموت المزعوم الذي تنبؤوا لها به .

ثانياً : لقد بحث القدامى في العامية رغبة في تصحيحها وتقويم السنة العامة فقط ، ولكن المحدثين يبحثون في العامية لارغبة في تصحيحها فحسب ، وإنما لاستكشاف مزاياها حتى لقد بلغ من شدة تأثير بعضهم بمزاعم الأجانب عن صلاحية العامية أن اعتقدوا بأن كثيراً من أساليب العامية أبلغ من أساليب الفصحاء ، وقد صرح بذلك كل من فريد أبو حديد وسليمان محمد سليمان . ولا يخفى أن هذه التصريحات مدعاة إلى التشكيك في بلاغة العربية الفصحى التي يقتضينا فهم القرآن وتدبر معانيه دراستها . فمن الأقوال المأثورة عن عمر بن الخطاب قوله للعرب « عليكم بديوان أشعاركم ففيه قرآنكم » .

ثالثاً : إن كل ما قالوه عن مميزات العامية وضروب بلاغتها لا يرجع إلا إلى شيء واحد هو ما شابهت فيه الفصحى أو قربت منها .

رابعاً : إن القول بتصحيح العامية حتى تصير لنا لهجة واحدة نكتب بها وتتكلم كما قال سليمان محمد سليمان في كتابه « العامية في ثياب الفصحى » قول لا يمكن تحقيقه . لأن العامية لغة الكلام ، لغة فجاجية انفعالية والافعال لا تيسر له وقت لكي يعمل الروية في دقة التعبير ، بعكس لغة الكتابة ، لغة الفكر المطبوع على الدقة في التعبير ، فإن لديها من الوقت ما يتيح لها أن تبحث في صلة الكلمات بعضها ببعض وصلة الجمل بعضها ببعض والبحث عن الروابط والعلاقات النحوية بينها . هذا إلى ما أشرت إليه من قبل من أن الاختلاف بين لغة الكلام ولغة الكتابة ظاهرة في كل اللغات على تفاوتها في مقدار هذا الاختلاف ، وليس مشكلة العربية وحدها كما ينزل إلى من يزعمونه . وحقيقة الأمر في ذلك هو أن قرب لغة الكلام من لغة الكتابة مظهر من مظاهر رقي الأمة ونهضتها ، ولكن هذا التقارب لا يأتي عن طريق تلك الوسائل الصناعية التي تقول بتصحيح العامية — كما يقول محب الدين الخطيب في نقده لبحث محمد فريد أبو حديد

«موقف اللغة العربية العامية من اللغة العربية الفصحى» - وإنما يأتي عن طريق نشر التعليم وتعميمه ، لكي تقارب المداو عندئذ تقارب الألسنة التي تعبر عنها ، قبل أن تنتهي من هذا الفصل الذي استعرضنا فيه نماذج من الدراسات التي حظيت بها العامية في العصر الحديث ، لا يفوتنا أن نشير إلى ما أثاره موضوع الصراع بين الفصحى والعامية من اهتمام الباحثين . فاحصل فصولاً وأبواباً في بعض مؤلفاتهم اللغوية والأدبية (١) ، وشغل صحف والمجلات منذ بداية هذا القرن حتى وقتنا الحاضر (٢)

(١) أ - الفصحى والعامية : فصل في كتاب فن القول . تأليف أمين الخولي . طبع مصر ١٩٤٧

ب - هدم اللغة العربية . من فصل تحت عنوان دهوات هدامه . في كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢ تأليف محمد حسين طبع القاهرة ١٩٥٦

ج - قضية اللغة العربية { فصلان في كتاب مشكلات اللغة العربية ، تأليف محمود تيمور العامية والفصحى } طبع القاهرة سنة ١٩٥٦ .

د - الفصحى والعامية . فصل في كتاب قضايا أدبية . تأليف حسين سروه . طبع القاهرة ١٩٥٦ . وقد تعرض لهذا الموضوع أيضاً : مصطفى صادق الرافعي خلال كتابيه «تحت راية القرآن» و«إحراز القرآن» ، وعلى عبد الواحد وفي حلال كتابيه «علم اللغة» و«فقه اللغة» ومحمد هرفه خلال كتابه مشكلة لغة العربية «

(٢) - من هذه المقالات :

أ - اتحاد اللغتين الفصحى والعامية . بمصر . لطنطاوي جوهري

(الجريدة . السنة الثانية ١٥ مارس سنة ١٩٥٨)

ب - اللغة الفصحى واللغة العامية . لعبد الرحيم أحمد

(الجريدة . السنة الثانية ١٦ و ١٧ مارس سنة ١٩٥٨)

ج - اللغة الديمقراطية . لذكريا الحجاوي

(مجلة الفد المدد ٥٤ أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٥٣)

د - عربية الفصحى في حرج . لعبد العزيز الأهواني

(مجلة الاداب البيروتية . ابريل سنة ١٩٥٦)

هـ - العربية الفصحى في خير . رد على مقال عبد العزيز الأهواني . لأديب محوار

(مجلة الاداب البيروتية . مايو سنة ١٩٥٦)

و - قضية اللغة العربية . (عدد خاص من مجلة الاداب البيروتية . السنة الرابعة .

المدد ١١ . نوفمبر سنة ١٩٥٦) هذا إلى جانب ما ذكرته من مقالات نشرت

في الصحف والمجلات مثل الهلال والمتنطف وقد جاءت في مواضعها خلال البحث .

الفصل الثاني

أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العربية الفصحى

رأينا في الفصل الأول نماذج من الدراسات التي تناولت العامية ، وبيننا أثر الدعوة إلى العامية في كثرتها وتنوعها وأهدافها . وسنرى في هذا الفصل أثر الدعوة إلى العامية في الدراسات التي تناولت العربية الفصحى . لقد أتهمها دعاة العامية بأنها صعبة وأرجعوا هذه الصعوبة إلى نحوها وحروفها ، واتهموها بالجمود وقالوا إنها لا تستطيع أن تسير الحضارة الحديثة . فكان من جراء هذه الاتهامات أن اتجه الباحثون إلى الفصحى يحاولون تيسيرها وتبسيطها وإمدادها بما تتطلبه الحضارة الحديثة من كلمات ومصطلحات في مختلف ميادينها . وقد صرح الباحثون أن هدفهم من هذه الدراسات هو خدمة الفصحى ، ولكن بعضهم جاوزوا حدود التيسير والإصلاح فخرجوا عن أوضاع العربية وسنننها وشوهوا صورتها وسلبوها طابعها المميز لها .

فلننظر الآن موقف هؤلاء الباحثين على اختلاف وسائلهم في الإصلاح والهدم ، وذلك في قواعد العربية ، وحروفها ، ومادتها .

تيسير النحو :

أما النحو فقد انقسم الباحثون إزاء تيسيره إلى فريقين :

١ - فريق رأى أن النحو لا عيب فيه ولا صعوبة ، وإنما العيب في طريقة تدريسه وفي طريقة تبويبه وفي طريقتنا التربوية في تعليم اللغة العربية بعامة والنحو بخاصة . وقد حرص هذا الفريق على ألا يمس جوهر النحو في المحاولات

التي قام بها أو اقترحها لتيسير النحو وتذليل صعوباته . فقام حنفي ناصف ونخبة من أساتذة اللغة العربية بتعديل مناهج النحو وتحسينها وتيسير تعلمها ، وذلك في كتب « الدروس النحوية » لتلاميذ المدارس الابتدائية (١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م) والمدارس الثانوية (١٣٠٩ هـ - ١٨٩١ م) وقد اقتصر هذه الكتب على القواعد الضرورية وبعدت عن التفاصيل والمناقشات وأوردت بعض التبرينات العملية . وهذا كله في حدود القواعد التي التزمها النحاة القدامى . هذه المحاولة في التيسير قبلت ودرست كتبها في مدارسنا بعد أن أقرتها وزارة المعارف وصدق عليها شيخ الجامع الأزهر وقتئذ وهو الشيخ الإنابى . وقد اتبع طريقة حنفي ناصف في تحسين طريقة تدريس النحو ، على الجارم ومصطفى أمين في « الكتب التي اشترك في تأليفها ، وهي المعروفة بـ « النحو الواضح » في قواعد اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية . وقد درست هذه الكتب في مدارسنا حتى وقت قريب .

وقام ابراهيم مصطفى بتقسيم النحو وتبويبه على أساس جديد ، أساس المعاني التي تشير إليها الحركات الإعرابية ، منتقدا « نظرية العامل » التي اتخذها القدامى أساسا لتقسيم النحو . وقد شرح فكرته وتبناها في أبواب النحو المختلفة وذلك في كتابه « إحياء النحو » (١٩٣٧) . وخلاصة فكرته « أن علامات الإعراب دوال على معاني .

فالضمة علم الإسناد ودليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها .

والكسرة علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط بأداة أو بغير أداة كما في (كتاب محمد وكتاب لمحمد) ولا تخرج الضمة ولا الكسرة عن الدلالة إلى ما أشير إليه إلا أن يكون ذلك في بناء أو

نوع من الاتباع .

وأما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء ، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد أن تنتهي بها الكلمة كما أمكن ذلك ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة . فللا إعراب الضمة والكسرة فقط وليست باقية من مقطع ولا أثرا للعامل من اللفظ ، بل هما من عمل المتكلم ليدل بهما على معنى في تأليف الجملة ونظم الكلام « (١)

وهذا التقسيم الجديد على ما قيل فيه من تأييد ومعارضة (٢) يطبق الآن في مدارسنا ، وكانت أول تجربة له في العام الدراسي (١٩٥٦/١٩٥٧) في السنة الأولى من المرحلة الإعدادية ، وتقرر بمقتضاه كما هو متبع الآن في تدريس النحو ما يأتي :

- ١ - الاستثناء عن الإعراب التقديرى والإعراب المحلى .
- ٢ - الجملة تتركب من جزأين أساسين ، هما المسند إليه والمسند أو المتحدث عنه والحديث ، وحكما الرفع إلا في مواضع مخصوصة .
- ٣ - كل ماعدا المسند إليه والمسند في الجملة فهو تكملة وحكما أنها منصوبة إلا إذا كانت مضافا إليها أو مسبوقة بحرف من حروف الإضافة فهي مجرورة .
- ٤ - الأبواب التي أتمب النحاة أنفسهم في تخريجها بما لها من خصائص وذلك كالتمجيد والتفضيل والإغراء والتحذير ، تدرس على أنها أساليب لها صورتها الخاصة المحددة .

واقترح محمد عرفه (عضو جماعة كبار العلماء) طريقا لتيسير النحو لا يخرج

(١) انظر « إحياء النحو » . تأليف إبراهيم مصطفى . طبع القاهرة سنة ١٩٢٧ ص ٥٠

(٢) انظر نقد كتاب إحياء النحو في كتاب « النحو والنحاة » تأليف محمد أحمد عرفه - طبع القاهرة لم يذكر تاريخ الطبع .

عن تعديل أساليبنا التربوية في تعليم اللغة العربية بعامة والنحو بخاصة ، وذلك في كتابه « مشكلة اللغة العربية » (١٩٤٧)

فتكلم في هذا الكتاب عن الأسباب العامة لاختلافنا في تدريس العربية ، وأهمها في رأيه اعتمادنا في تعليمها على القواعد والقوانين ، مبينا أن اللغة لا تكتسب بالقواعد فحسب وإنما تكتسب بالتكرار والحفظ ، وأن طريقة تعليم اللغة بالتكرار والحفظ هي الطريقة الفطرية في تعليم اللغات ، وأنها طريقة العصور الزاهرة لسلفنا الماضين . واستدل بأقوال علماء الشرق والغرب في تحبيذ تعليم اللغة بهذه الطريقة . وبين أن وسيلة الاكثار من المطالعة في كتب الأدب وحفظ الكثير من أشعار العرب وخطبهم وأمثالهم ونوادرهم ورسائلهم ومحاوراتهم . واقترح تعليم اللغة بهذه الطريقة .

١ - أن يكلف التلاميذ بأن يبحثوا في دواوين الأدب ، ويختاروا منها ويجمعوا ما يختارون في كراسة ويحفظوه ويفهموا معناها ، وتكون هذه الكراسة بيد التلميذ عند الامتحان فيسأل فيها .

٧ - أن يكلف الطالب بكتابة يطالعها أثناء العام لدراسي في المطالعة الصيفية ويكون لها أثرها في تقدير الدرجات .

ثم بين أثر التكرار والحفظ في اكتساب ملكة اللغة العربية ، وأن اكتساب ملكة اللغة العربية وتكوينها ليس بالأمر المتعذر تحقيقه ، على شرط أن تقاوم العامية التي أقصت العربية عن الأفواه واحتلت أماكنها . واقترح لمقاومة العامية التي تعوق اكتساب ملكة اللغة العربية :

- ١ - أن نجعل أغانينا ورواياتنا المسرحية باللغة العربية .
- ٢ - أن نحتم على الصحافة والاذاعة أن تكون لغتها هي العربية .
- ٣ - أن نبكر في تلقين التلاميذ نماذج من المحفوظات العربية .

ثم أشار إلى النتائج التي يمكن أن ننجيها من تعليم اللغة عن طريق التكرار والحفظ. أمينا :^٢

- ١ - تعلم اللغة بأقل وقت وأيسر جهد .
 - ٢ - تصبح العربية ملكة تفزو العامية وتحلل أما كنها .
 - ٣ - الوقوف على ذخائر اللغة العربية وهي محصول ثلاثة عشر قرنا .
- هذه هي الطريقة التي اقترحها المؤلف لتعليم اللغة العربية . قوامها الاعتماد على الاطلاع والحفظ والمران . وعلى أساس هذه الطريقة رسم طريقته في تدريس النحو . فالمؤلف بالرغم مما ذهب إلى تأكيده من أن اللغة لا تكسب بالقواعد فحسب ، وأن خير طريقة لكسبها هي التكرار والحفظ ، وبالرغم مما أفاض فيه لشرح هذه الطريقة وبيان أهميتها ، فهو لم ينكر أهمية معرفة القواعد ودراستها وذلك :

- ١ - لأنها حفظت اللغة العربية وصانها طوال ثلاثة عشر قرنا .
- ٢ - ولأنها حكم فاصل إذا خانت المرء ملكته اللغوية يستشيرها فتحكم بالصواب ، ولكنه يعيب على القواعد طريقة تدريسها وينقد مؤلفاتها المتأخرة ، مبينا أن سبب انصراف التلاميذ عنها يرجع إلى أنها درست لتلاميذ القسم الابتدائي وهم صغار لا تناسب عقولهم فلما كبروا بقي معهم البغض لدرسها ، وكانت عقدة نفسية . أما عن مؤلفات القواعد المتأخرة فيشير إلى ما أحدثه المؤلفون المتأخرون من مسح القواعد وتشويها حتى ألغوها إلى المتعلمين خالية من عللها وأسباب حكمها طلبا للاختصار واسمجالا للفائدة . وهو يرى أن العلل والأسباب هي التي تجعل الذهن قابلا للقواعد والنفس مشوقة إليها ، وأن هذا يفرض علينا أن نبدأ في التأليف من جديد فنذكر علل القواعد وأسبابها ، لأن سبب إعراضنا عن القواعد وعدم إقبالنا على دراستها ، هو أننا اعتمدنا في

تقافتنا على هذه الكتب المتأخرة ، وعلى الكتب المستحدثة التي أخذت منها
واعتمد مؤلفوها عليها . ويقترح لتدريس النحو :

١ - وجوب حذف القواعد من التعليم الابتدائي والأولى لأنها لا تكسب
ملكاة اللغة ، والاقتصار على المطالعة والحفظ والمحادثة ، وأن يراعى في النماذج
التي تختار للحفظ سن التلاميذ وأذهانهم ، كما يجب أن يعنى بهذه النماذج فتحفظ
صحيحة لا لحن فيها .

٢ - وجوب بقاء التعاليم بالحفظ والمطالعة في مرحلة التعليم الثانوي .
ويزداد عليه قواعد اللغة على أن يراعى فيها الوضوح والسهولة .

٣ - أما في مرحلة التعليم العلي فيجب أن يتعمق في درس القواعد مع
العناية بالحفظ والمطالعة .

هذه آراء الفريق الأول التي لا تمس جوهر النحو ويمكن تلخيصها
فيما يأتي :

١ - رأى يرجع صعوبة النحو إلى مايزحه من تفاصيل وما يخوض فيه
من بحث في الطل وتخريج لأوجه الخلاف . ويحاول تذليل هذه الصعوبة
بتلخيص النحو والاقتصار على الضروري منه الذي يكفي لإقامة الكلام
(حفي ناصف والجارم ..) .

٢ - رأى يعتبر إهمال البحث في علل القواعد وأسبابها بغية الاختصار
هو الذي أفقد دروس النحو عنصر التشويق وجعلها جافة بغيضة ، ويطاب بأعادة
النظر في المؤلفات النحوية بحيث تذكر علل القواعد وأسبابها . ويرجع صعوبة
النحو أيضا إلى فساد أساليبنا التربوية في تكوين ملكاة اللغة العربية ، ويقترح
تعديل هذه الأساليب بالاعتماد على الحفظ والتلقين وتكرار سماع الفصيح .
(محمد عرفه) .

٣ - رأى يرجع صعوبة النحو إلى فساد تبويبه . ويحاول تذليل هذه الصعوبة بتبويب النحو من جديد (ابراهيم مصطفى) .

(٢) أما الفريق الثاني فقد رأى أن الصيب والصعوبة في النحو نفسه ، وأنه يجب لتذليل صعوبته أن نغير ونبدل في قواعده . ونسى هذا الفريق أو تجاهل مصير لغة القرآن والحديث والتراث العربي كله بمختلف علومه وفنونه ، وكيف يكون موقفنا منها وهي قائمة على النحو الذي عيبت قواعده وعولجت بالتر . احتمال نفر منه للخروج من هذا المأزق لكنه أفق بحلول خاطئه .
وتتلخص آراء هذا الفريق على اختلاف معاوئها في الهدم في :

١ - إلغاء الإعراب بتسكين أو آخر الكلمات ^(١)

٢ - إيثار كل لهجة عربية توافق العامية . كما يثار اللهجة التي تلزم الأسماء الخمسة بالألف ، وإيثار اللهجة التي تلزم المثني بالألف في جميع حالاته لأن العامية تنهج في أسلوبها هذا المنهج ، وإيثار اللهجة التي تعرب جمع المذكر السالم إعراب حين لأن العامية تفعل ذلك ^(٢)

٣ - حذف بعض قواعد النحو أو تعديها على غير الطريق الذي نهجته منذ مئات السنين :

(١) وهو رأى قامم أمين ومؤيديه مثل :
سلامه موسى (انظر مقاله « اللغة الفصحى واللغة العامية » في الهلال عدد
يولية سنة ١٩٢٦ . ص ١٠٧٣ - ١٠٧٧) .

وأنيس فريجة (انظر كتابه « نحو عربية مبسرة » طبع بيروت سنة ١٩٥٥
ص ١٨٤ حيث يعتبر الإعراب زخرفاً من بقايا العقلية القديمة في اللغة)

(٢) - انظر مقال سلامه موسى السابق
وانظر مقال نصره سعيد « تطوير اللغة العربية » مجلة الاداب البيروتية
السنة الرابعة . عدد ديسمبر سنة ١٩٥٦ .

كحذف موانع الصرف

جعل العدد من جنس المعدود

إبقاء المفعول به منصوبا في حالة بناء الفعل للجهول والاكتفاء بقلب الفعل
فنكتب (قتل عليا)

إلغاء صيغ جموع التكسير في الأسماء التي يجوز جمعها جمعا مذكرا سالما
وجمع تكسير والاكتفاء بصيغة جمع المذكر السالم ، فنجمع (كافر) على (كافرون)
ونلغى (كفار وكفرة وكوافر) . أما الأسماء التي لا تجمع جمعاً مذكراً سالماً فنبقى
لها صيغة واحدة من صيغ جموع التكسير ، فنجمع (زهر) على (أزهار) ونلغى
(أزاهر وأزاهير وزهور)

إلزام المنادى والمستثنى حالة واحدة من الحالات . فيكون منصوبا دائماً
أو مرفوعاً دائماً .

وقد قدر صاحب هذه التعديلات (١) أنه سيهاجم وأنه سيسأل عن كيفية
قراءة القرآن إذا طبقت هذه التعديلات التي اقترحها ، فأخذ يرد على مهاجميه
بردود لا تقل تهكماً وسخرية وتمويها عما اشتملت عليه تعديلاته . فهو يعتبر أن
هذه التعديلات لا تمس أحكام النحوى الأساسية التي تتمتع بغيرها قراءة القرآن الكريم ،
فجعل العدد من جنس المعدود لا يزيد هذا العدد ولا ينقصه ، وإلزام المنادى
بالصحب في جميع حالاته لا يخرجهم عن كونه منادى ، فإذا ناديت (يا محمداً)
بدلاً من (يا محمد) فيسمع ويبجب ... إلى آخر هذه التهكمات التي يهدف
من ورائها إلى خلق قواعد جديدة لاهى من الفصحى ولا هى من العامية . ويبدو
أنه شعر بغرابة قواعده الجديدة هذه ، وبأنها يعتذر معها فعلاً قراءة القرآن
وتدبر معانيه ، ذلك لأنه عاد يقترح من جديد أن تكون لنا قواعدنا وللقرآن

(١) — صاحب هذه التعديلات هو حصن الشريف . انظر مقاله في تبسيط قواعد اللغة

العربية في الهلال عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ ص ١١٠٨ - ١١١٩ .

قواعده التي ستكون معرفتها وقفا على المختصين في الدين وطلاب الدراسات العالية . ويرى أن جهلنا بهذه القواعد لن يضير اسلامنا لأن هناك مسلمين لا يعرفون اللغة العربية ولا يعرفون قواعدها ، وهم رغم ذلك مسلمون لا شك في اسلامهم يتلقون أحكام القرآن من أساتذتهم وفقهائهم .

هذا الاقتراح الجديد الذي اندفع إليه الباحث لحل المشكلة التي أثارها تعديلاته تجاه لغة القرآن هو توضيح بالقرآن نفسه . فهو يريد أن يباعد بيننا وبين القرآن ويحرمنا من تلك النعمة التي خصنا الله بها ، وهي معرفتنا للغة والقواعد التي تقوم عليها . وفرق بين قراءتنا للقرآن بأنفسنا وتدبرنا معانيه ونجاوبنا معها والتجأنا إلى فقهاءنا لتوضيح ما التبس علينا فهمه مما يرجع غالبا إلى علو الأسلوب ، وبين اعتمادنا اعتمادا كلياً على الفقهاء في معرفة القرآن .

ولتدرد على أصحاب هذه الآراء الهدامة في تفسير قواعد اللغة العربية لا بد لنا من ذكر الحقائق الآتية :

أولاً : القواعد هي قوانين تأليف الكلام . وتأليف الكلام في كل لغة يجري على نظام خاص بها ، لا تكون العبارات مفهومة ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه ولا تزيج عنه . فكل لغة لا بد لها من قواعد تضبطها وتنظم أساليبها حتى العامية التي يقولون بأحلاها محل العربية فرارا من صعوبة قواعدها وجدوا أن صلاحيتها للاستعمال الكتابي تتوقف على ضبطها ووضع قواعد تنظم أساليبها ، فالفوا كما مر بنا كتبنا ضخمة في قواعد العامية وأخرجونا بذلك من قواعد إلى قواعد .

ثانياً : في قواعد أرقى اللغات الأوروبية صعوبات وشواذ لا تقل عما يعددونه من صعوبات في قواعد اللغة العربية .

ثالثاً : إذا بحثنا في مصدر الشكوى من صعوبة قواعد اللغة العربية وعسر

تعلّمها ، لوجدنا أنها ترجع في حقيقة الأمر إلى بعض المستشرقين الذين حاولوا
تعلم اللغة العربية ، وهي شديدة البعد عن لغتهم الأوربية في بناء الكلمات
و نظام التأليف وعادات النطق . وإلى المستعمرين الذين أرادوا أن يتخذوا من
معبوبة قواعد العربية مبررا للعدول عنها إلى العامية حتى يقضوا بذلك على أهم
مقومات الوحدة العربية والوحدة الإسلامية ، واقد كان هؤلاء الأجانب
المستعمرون يحاولون في بدء احتلالهم لبلادنا نشر لغتهم تمكينا لسلطانهم ، بل
إنهم فرضوا علينا أن نعلم العلوم بلغتهم ، لكن العربية لم تلبث أن قاومت وجاهدت
وتغلبت . فلما رجعنا إليها لم نجد الطريق ممهدا لطول ما باعدوا بينها وبيننا ، ومن
هنا أخذ بعضنا يردد الشكوى من صعوبتها والدعوة إلى وجوب تبسيطها ،
و كانت قواعد النحو في مقدمة هذه الشكوى ، وكانت الدعوة إلى تبسيطها مثار
كثير من الاقتراحات التي عرضنا خلاصتها . بعضها تناولت طريقة تدريس النحو
وطريقة تدوينه ، وبعضها تناولت تبويب النحو ، وبعضها تناولت قواعد
النحو وأصوله .

وأبعا : إيمان النظر في هذه الاقتراحات الهدامة يدلنا على سوء فهم لحقيقة
النحو العربية وحقيقة الدعوة التي يقوم عليها وهي نظام الإعراب . كما يدلنا على
تجاهل أصحابها أصالة هذا النحو بالقرآن الكريم أرفع نماذج الأسلوب الفصيح ،
ونجاهلهم للفائدة التي يمكن أن نجنيها من معرفة هذا النحو في فهم القرآن
الكريم وتدبر معانيه .

فأقول بترك الإعراب وتسكين أواخر الكلمات لا يافى الإعراب ، لأن
الإعراب في الفصحى ليس قاصرا على أواخر الكلمات ولسكنه داخل في بنيتها
و تغيره بتغير معاني الكلمات مع بقاء حروفها كما هي .

و لحركة تفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول في مثل (مُكْرِم ومُكْرَم
ومستخرج ومستخرج)

وبين فعل المعلوم وفعل المجهول نحو : كَتَبَ وَكَتَبَ
 وبين الفعل والمصدر في مثل : عَلِمَ وَعَلِمَ وَتَعَلَّمَ وَتَعَلَّمَ
 وبين الوصف والمصدر في مثل : فَرِحَ وَفَرَحَ وَحَسَنَ وَحَسَنَ
 وبين المفرد والجمع في مثل : أَسَدَ وَأُسْدَ
 وبين الفعل والفعل في مثل : قَدِمَ وَقَدِمَ
 وبين الاسم والاسم في مثل : وَضَوْءٌ وَوَضَوْءٌ

والقول بإيثار كل لهجة عربية توافق العامية يفضى بنا إلى أن نسللك
 مسلكين . إما أن نوجه هذه اللهجة ونفرضها ، وبذلك نخطئ لغة القرآن إذا
 جاءت على غير هذه اللهجة . وإما أن نجهزها ونخير بينها وبين غيرها ، وهذا
 لا يحقق الرغبة في التيسير لأننا بذلك سنحى قواعد لهجات بادت واقترضت
 بجانب قواعدنا .

والقول بخلق قواعد جديدة على انقراض القواعد التي حدد لنا النحاة معالمها ،
 قول لا يخلو من غرابة ، هذا فضلا عن استحالة تحقيقه ، لأن قواعد اللغة ليست
 من الأمور التي تبتدع أو تفرض على الناس ، بل تنشأ من إنشاء نفسها وتكون
 بالتدرج . فنظام الإعراب الذي يقوم عليه نحو اللغة العربية ليس من صنع النحاة ،
 وإنما هو عنصر أساسي من عناصر اللغة العربية اشتملت عليه منذ أقدم عصورها
 وقبل أن يوجد علماء النحو . فالشعر الجاهلي قامت أوزانه على ملاحظة نظام
 الإعراب ، ومما لا شك فيه أن هذه الأوزان سابقة لعلماء البصرة والكوفة الذين
 زعم البعض أن الإعراب ليس إلا زخرفاً من بقايا عقليتهم القديمة .^(١) والقرآن
 الكريم وصل إلينا معرب الكلمات رغم تجرده من الاعجام والشكل في عهد

(١) أنظر كتاب « نحو عربية مبصرة » لانيس فريجه ص ١٨٤

الأول ، فالمصحف العثماني يرمز إلى كثير من علامات الإعراب بالحروف مثل (المؤمنون والمؤمنين) وعلامة إعراب المنصوب المنون (رسولا وشهيدا وحسبنا ...) ولا شك أن المصحف العثماني قد دون في عصر سابق بأمد غير قصير لعهد علماء البصرة والكوفة ، وإنما كل ما عمله علماء القواعد حيل (نظام الإعراب) هو أنهم استخلصوا مناهجه استخلاصا من القرآن والحديث وكلام الفصحاء من العرب ، ورتبوها وصاغوها في صورة قواعد (١) وكان الدافع لهم للقيام بهذا العمل ، هو المحافظة على القرآن من أسنة الأعاجم الذين دخلوا الإسلام ومن تأثير ألسنتهم في كلام العرب الفصحاء . وكانت الرغبة في تحقيق هذه الغاية الشريفة هي السبب في دقة ملاحظاتهم وفي حيلتهم وشدة حرصهم في استنباط هذه القواعد ، كما يحدثننا التاريخ عن أخبارهم وما بذلوه من جهد وتعبده من مشاق في تأدية عملهم .

فهذه القواعد إذن هي جوهر اللغة فأية محاولة لهدمها معناها هدم اللغة نفسها .
خامسا : هيئات أن تهدم اللغة العربية عن طريق قواعد التي أتصفت بهذه الدقة والإحكام ، وخاصة بعد أن أدت هذه القواعد رسالتها خير أداء ، وهي المحافظة على القرآن الكريم من المعجمة والضباع . وبعد أن أثبتت صلاحيتها وذلك بانتشار اللغة العربية وانسياقها في الأقطار العربية وانتصارها على كثير من اللغات من غير جهد لنشرها ، وباجتماع العرب على تلك القواعد الموحدة من غير أن تحملهم على ذلك قوة القاهرة . وحسبها من دليل على صلاحيتها أن كل الاقتراحات التي قيلت بشأن تبسيطها عن طريق بتر بعض القواعد أو تعديل البعض الآخر بأخراجها عن أوضاعها ، قد باءت كلها بالفشل رغم الجهود التي بذلت لترويجها .

(١) انظر (الإعراب واختلاف الآراء في صدره) ص ٢٠٤ في كتاب فقه اللغة قد كتور على عبد الواحد وافي . القاهرة سنة ١٩٥٦ .

تيسير الكتابة العربية

والشكوى من الكتابة العربية ترجع بدورها إلى بعض الأجانب في المحاولات التي قاموا بها للقضاء على العربية . لم يكتف هؤلاء بالدعوة إلى العامية لا حلاها محل العربية فحسب ، وإنما دعوا أيضا إلى تبديل حروفها ، لكي يطمسوا معالمها ويقضوا بذلك على جميع مشخصاتها . أما عيب الكتابة العربية التي وصفوها أنها عقيمة معقدة ، فهو في نظرهم خلوها من حروف الحركات .

أثار هذه الشكوى « ولهم سبيتا » سنة ١٨٨٠ في كتابه « قواعد اللغة العربية العامية في مصر » واقترح حلها استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وقام فعلا بوضع طريقة الكتابة بالحروف اللاتينية ، طبعا في كتابة النصوص العامية التي مثل بها في كتابه . ثم رد الشكوى ونادى بنفس الاقتراح كثير من الباحثين الأجانب الذين تناولوا دراسة العامية . فكان من جراء ذلك أن اشغل الباحثون عندنا منذ أواخر القرن التاسع عشر بمسألة تيسير الكتابة العربية ، ولا زالوا يشتغلون بها حتى ذلك الوقت . وقد اهتم مجمع اللغة العربية بالقاهرة بهذه المسألة ، وجعلها مدار كثير من المقترحات والمناقشات ، وأسهم أعضاؤه بدورهم في إيجاد حلول لها ، كما أنه قرر في إحدى جلساته (٢١ من فبراير سنة ١٩٤٤) وضع جائزة قدرها ألف جنيه لأحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية . فقدمت إليه اقتراحات كثيرة لم يحظ أحد من أصحابها بالجائزة .

وحسبنا هنا أن نعرض نماذج من مقترحات أعضاء مجمع اللغة العربية في تيسير الكتابة العربية ، لا لأنها تمثل آراء رجال الفكر والثقافة في مصر فحسب بل لأن فشلها أهم دليل على صلاحية الحروف العربية الحالية .

وقد اختلف أعضاء مجمع اللغة العربية تجاه تيسير الكتابة العربية . فرأى بعضهم استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، ورأى البعض الآخر استبقاء الحروف العربية واختلافوا في علامات الحركة .

اقتراح عبد العزيز فهمي

فاقترح عبد العزيز فهمي استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وذلك في الجلسة التي عقدها مجمع اللغة العربية (٣ مايو سنة ١٩٤٣)^(١) ولم يكن عبد العزيز فهمي أول من فكر في مشروع استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ولكنه كان أول من اهتم بالفكرة اهتماماً جدياً في مصر . أدخل عليها بعض التعديلات وبذل جهوداً كبيرة لتدعيمها لكي يغري الناس بقبولها .

استعمل عرض فكرته بحملة قسرية على اللغة العربية (ص ٣ - ٢) فيما جاء فيها استغرابه البطء كل بلد من البلدان العربية المتفصلة سياسياً في أن يحمل من لهجة أهل لغة قائمة بذاتها نحوها : صرفها . وقوله إننا من أنعم خلق الله في الحياة لأننا لم نعالج التيسير الذي فعله أهل اللغات الغربية . وأننا مستكبرون على أن تكون العربية الفصحى هي لغة الكتابة عند الجميع . وأن هذا الاستكراه الذي يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى . هو في ذاته محنة حادثة بأهل العربية وأن ذلك طغيان وبني . . إلى غير ذلك مما لم يكن غير أسلوب خطابي يحاول أن يخرج منه ليفرض على الناس طريقته الجديدة .

ثم ضرب الأمثلة لعيوب اللغة العربية التي شأت عنها المصعوبات (ص ٣ - ٦) فذكر أن في أفعالها المجرد والمزيد . وأن للمجرد ستة أوزان ، وأن الفعل الثلاثي الواحد قد يتبع أوزاناً مختلفة ، فيكون في الماضي مفتوح العين أو مكسورها ، ويكون مضمومها أو مكسورها . الخ وأكثر من هذا أن الفعل لوأحد له جملة مصادر مما لا شبهة له في أية لغة . وأن الأفعال فوق كونها تنبئ للمعلوم أو للمجهول

(١) انظر اقتراح عبد العزيز فهمي في كتاب « تيسير الكتابة العربية » الذي نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، طبع القاهرة سنة ١٩٤٦ ص ١ - ٤٣ .

فيها الصحيح والمقتل . وبقطع النظر عن الحروف وعن الأفعال ، فإن الأسماء منها المعرب ومنها المبني ، وإذا كان المبني من الأسماء عدداً ضئيلاً لا صعوبة فيه ، فإن المعرب يكاد يشمل كل مفردات اللغة . ولأسماء منها المصروف ومنها المنوع من الصرف ومنها ما هو مقصور أو منقوص ، وثقل من هذا تعدد الجوع في العربية من جمع مذكر سالم إلى ملحق به إلى جمع مؤنث سالم إلى ملحق به إلى جمع تكثير للثقل إلى جمع تكثير للكثرة إلى جمع جمع . ودراسة جمع التكثير لا وقاية لرأس الإنسان فيها من الدوار . وأسماء الذوات الجامدة بتشكيل اللفظ الواحد منها جملة أشكال ... الخ .

وبعد أن ذكر هذه الصعوبات التي تتعلق بنحو العربية وصرفها انتقل إلى التنبيد برسم كتابتها (ص ٧ - ١٠) فهذا الرسم في رأيه هو أهم أسباب مرض العربية وأنه الكارثة الحاققة بنا في لغتنا ، لأنه رسم لا ييسر معه قراءتها قراءة مسترسلة ومضبوطة حتى لخير التملين ، وذلك لخلوه من حروف الحركات ثم أشار إلى استعمال سلفنا علامات الشكل (الفتحة والضمة والكسرة والسكون والمد والشد والتنوين) وادعى أنها لا فائدة منها وأنها مجلبة لكثير من الأضرار ولم يذكر من هذه الأضرار إلا احتمال أن تقع المشكلة قبل حرفها أو بعده لعدم ضبط يد الكاتب الأصلي أو الناسخ أو الطابع ، وزعم أن هذا هو السبب في أن الصحف وغيرها أهمات الشكل ، فأصبح لا يوجد في غير القرآن الكريم ومعاجم اللغة إلا نادراً . ولهذا الاحتمال وحده الذي لم يذكر غيره حكم على كتابتنا بالإفلاس والإعدام .

واختتم كلامه عن هذه الصعوبات بالنهي على اللغة العربية وأهلها كما بدأ في تقديمه لها ، وذلك حيث يقول « وهذه المثقة نحماني على الاعتقاد أن اللغة

العربية من أسباب تأخر الشرقيين لأن قواعدها عسيرة ورسمها مضال . فمن تحدث في نفسه فكرة مفيدة للناس ويحب نشرها فيهم بالكتابة أو الخطابة ، يأخذه خوف انتقاد عبارته فيكتم فكرته في نفسه ويميتها ، أو هو ينشرها بلغة من اللغات الأجنبية التي أصبحت عند كثير من الشرقيين أسير عليهم من لغتهم العربية .

وانتهى إلى القول بوجوب تغيير رسم الكتابة العربية (ص ٩٠ - ١٣) أما الطريقة التي اهتدى إليها بعد تفكير طويل - كما يقول - لأحداث هذا التغيير ، فهي اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية زاعما أن جميع الأمم التي تستعمل حروف الحركة في كتابتها هي الأمم الراقية علميا وصناعيا ، هم أهل أوروبا وأمريكا اطلاقا . أما الأمم التي لا حروف حركات عندها كالصين وإيران والترك (قبل الآن) والعرب فكما من الأمم المتأخرة علميا وصناعيا .

ثم أخذ يشيد بتركيا التي لها فضل سبق في تحقيق مشروعه (ص ١٢ - ١٤) مبينا ماعاته من صعوبات في بدء قيامها باتخاذ الحروف اللاتينية وما أفادته بعد ذلك من تحديد طريقة أداء اللفظ وسرعة زوال الأمية ، مهونا الأضرار التي اعترف بها الأتراك أنفسهم من جراء اتخاذهم للحروف اللاتينية . فكون الحروف اللاتينية لم تضبط طريقة أداء كل الخارج في الألفاظ التركية فترجمه في رأيه إلى الأتراك أنفسهم الذين لم يضعوا لكل نغمة الحرف الصحيح الدال عليها ويأخذوه سواء من العربية أو الفارسية أو غيرها . وكون هذه الطريقة قد قطعت الصلة بين الجيل الجديد وبين مخلفات السلف في العلوم والآداب والفنون فعلاج هذا الضرر الذي لم يسقطع انكاره من أسرها يكون في رأيه ،

و i أو e للكسرة ، أما السكون فلا محل لوضع أية علامة له . وأما الشدة فلا لزوم لوضع علامة لها بل يجب تضعيف الحرف المشدد . وأما التنوين فيكفي لتشخيصه اتباع حرف الحركة بحرف نون صغيرة أمام حرف الحركة من أعلى ، وأجاز أيضا في التنوين أن يرسم بعلاماته العربية المعروفة فتوضع علامة الفهم أو الفتح أمام الحرف المتحرك كذلك وعلامة الكسر أسفله .

ثم تكلم عن مزايا طريقته (ص ٢٨ - ٣٠) فذكر ست عشرة مزية تلخص في :

- ١ - أنها تؤدي جميع لغات الحروف العربية وبحرف واحد لا يشترك غيره معه في أدائها .
- ٢ - لا يكثر فيها النقط ولا تختلف أعدادها ولا وجهات مواضعه .
- ٣ - أن اتخاذ حروف الحركة يضبط كيفية أداء الكلمة ويحصر هذا الأداء في وجه واحد بعينه لا يحتمل شكًا ولا اشتراكًا .
- ٤ - أن الحروف اللاتينية ترسم في المطبوعات كل بأصل هيكله المعين له . وتوضع في الكلمة الواحدة متجاورة فقط لا متصلا بعضها ببعض ولا مجنبا على أصل هيكلها باتصال متعدد الهيئت - كما هو الشأن في الرسم الحالي - ثم هي في المخطوطات اليدوية ترسم كذلك غير متصلة إلا بذنبتها الطرفية مع بقاء جوهر هيكلها سليما محفوظا من كل تغيير مضال .
- ٥ - أن هذه الطريقة التي توجب كتابة كل كلمة قائمة بذاتها مستوفية صورتهم اللغوية فيها كل تسهيل للتعليم والتعلم .
- ٦ - أنها تجنب المعلمين خداع التلاميذ الذين يكتبون الكلمة بطريقة فهم الحالية الحالية من الشكل محتملة لأوجه مختلفة من الأداء .

٧ - أنها تجنب القراء خداع الكتاب الذين يعيشون على حساب سلامة نية القراء .

٨ - أنها تتيح للطفل أن يتعلم القراءة والكتابة الصحيحة في زمن وجيز يلتفت بعده إلى تنمية جسمه وإلى تكريس مجهوده للعلم دون سواه .

٩ - أن هذا الطفل متى تعود من صغره صحة النطق بالألفاظ العربية أصبحت هذه الصحة عادة له في كتابته وقراءته وأمحت من خلايا مخه الأوضاع الخاطئة .

١ - أن الطفل الذي يتعلم على طريقة الحروف اللاتينية يسهل عليه جداً معرفة تعلم أية لغة من تلك اللغات الأجنبية الحية ، وذلك بسبب توحيد أشكال الحروف بينها وبين العربية .

١١ - أن طريقة الحروف اللاتينية تسهل قراءة الأعلام الأجنبية والكلمات العربية ومعها الاصطلاحات العلمية .

١٢ - أنها تسهل على الأجانب تعلم العربية وقد تمنعهم من تشوية أعلامنا وتكبرها علينا .

١٣ - أن بعض النغمات الخاصة بالعربية ما دام لها حرف مفرد واحد ، فالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها لا بد أن يفكر أهلها يوماً ما في اتخاذ حروفنا المفردة بدل مركباتهم المزجية ، فيستعملون t وعليه شرطة ثانية وحرف خ بدل (KH, CH, TH) ويستعملون (ح . ع) فيما ينقلونه من العربية بدل استعمالهم حرفي h, a اللذين لا يؤدبان النغمة وفي هذا تسهيل علينا لفهم ما يقصدون .

١٤ - أن طريقة الحروف اللاتينية تسهل الطباعة تسهيلاً كلياً علينا وعلى

غيرنا ممن يطعمون شيئاً من نصوصنا العربية ، ففيها اقتصاد في العمل وفي الزمن وفي النفقات أيضاً لا شتراك معظم الحروف بيننا وبين غيرنا .

١٥ — أنها تطمئن مؤلفي الكتب الأدبية وتؤمنهم ما يتقون من تصحيف الطابعين والقرئين وتوفر عليهم ما نجد في كتبهم من قولهم تحديداً للنقطة حروف الحركات وحركاتها : (بالنون . بالتاء المثناة . وباء المثناة . وبالباء الموحدة . . .) وقولهم في ضبط كلمة (وضم) مثلاً (بفتح الواو ، تلوها ضاد موحدة الفوقية ، وزان قر) ... الخ .

١٦ — أنها تفي كتبنا الأدبية والعلمية من معرفة الأخطاء الكثيرة والتصويبات التي لا يخلو منها آخر أي كتاب عربي .

هذه هي الست عشرة مزبة التي ذكرها صاحب المشرع ، ويبدو أنه كان مقتنعاً فيما بينه وبين نفسه بأنها غير كافية لتأييد مشروعه ، وغير جديرة بتعويضنا عن الخسارة التي تترتب عن الانقطاع عن معالم الكتابة الماثورة ، كد بعدها أن بعض أعضاء المجمع سيقضون مشروعه وعين أسماهم لأسباب التي يعتقد أنها تحملهم على الرفض ، أما بقية الأعضاء فقد ذكر أن علة إيمان أغلبهم بالخوف من قيامة الناس — لا قيامة الحق — عليهم لو مساوا القدم .

لم يخيب أعضاء المجمع ظنه ، فأخذوا يهاجمون مشروعه هجوماً عنيفاً ونقدوه نقداً دقيقاً مفصلاً . نقبس منه أهم النقاط التي تتعلق بنقد رسم الحروف اللاتينية بما فيها من حروف الحركات ، ونقد طريقته التي لفقها من الحروف اللاتينية والحروف العربية ، ونقد المزايم التي ساقها لتعزيز طريقته وترويجها وهي :

أولاً : طريقة الكتابة العربية بالحروف اللاتينية إن أفادت في قراءة الكلمة

المكتوبة على صورة واحدة ، لا تمنع كتابة الكلمة الواحدة على صور متباينة على حسب اختلاف الكتابين في العلم بصحة الوزن والصيغة والاعراب فتيسر الرسم مهما يكن أمره لا يفنى الطالب عن تعرف الصواب من طريق القواعد النحوية والصرفية على حسب حاجته إليها ، ومع العلم بهذه القواعد لا حاجة إلى الطريقة المقترحة ، ومع الجهل بها لا عصمة للغة ولا للقراء .

ثانيا : الطريقة المقترحة للكتابة بالحروف اللاتينية ليست بأيسر من كتابتنا الحلية ، فهي لا تغنينا عن النقط ولا عن العلامات التي تشبه الشكل ، هذا فضلا عن التشوية الظاهر فيها نتيجة للخلط بين الحروف العربية والحروف اللاتينية .

ثالثا : أنها لا تحقق الفائدة التي يزعمها صاحب الاقتراح من نشر اللغة العربية بين الأجانب وتسهيل تعلمها عليهم لاتحاد الحروف بيننا وبينهم ، لأن الأجانب سيواجهون في هذه الطريقة حروفا عربية غريبة عليهم وعلامات أخرى مضافة إلى الحروف اللاتينية ، لتدل على بعض الأصوات الخاصة باللغة العربية على غير ما ألفوه وعرفوه من هذه الحروف اللاتينية .

رابعا : الحروف اللاتينية التي يريد صاحب الاقتراح أن يحل بها مشكلة الكتابة العربية لا يخلو رسمها من صعوبات في اللغات الحلية لعمدنا ، ولا يستغنى أهلها فيها بالرسم عن ضبط السماع وعن التلقين .

ففي اللغة الانجليزية كلمات يختلف نطقها ورسمها ، فهم ينطقون هذه الكلمات نطقا واحداً وهي مختلفات في الكتابة والمعنى والاشتقاق
Write, right, rite

وفيهما حروف تكتب ولا ينطق بها مثل الباء في climb والكاف

في knot

وفيها حروف تهمل حيناً وتنتطق حيناً بخلاف حروفهم مثل laughter .

daughter

أما حروف الحركة في اللغة الأوروپية التي أشاد بها وبلغ القمة في مدحها فهي ضللة جداً في كثير من أوضاعها .

ففي الإنجليزية مثلاً حرف A يؤدي ثلاثة أصوات على الأقل على حسب الكلمات التي هو بها في مثل : shame , bald , rat , War ,

وحرف u يؤدي خمسة أصوات في مثل : mule , nut , minute :

survey , sure

وحرف e a يؤديان أربعة أصوات في مثل : fear , bread , heart , wear

حرف i يؤدي صوتين في مثل : sir , sin

وحرفا o w يؤديان صوتين في مثل : row , bow

وحرفا o u يؤديان ثلاثة أصوات في مثل : route , round , pour

وحرفا e w يؤديان ثلاثة أصوات في مثل : reward , few , sew

وحرفا o o يؤديان أربعة أصوات في مثل : blood , poor ,

floor , nook

وحرفا i e يؤديان ثلاثة أصوات في مثل : fiend , friend , fiery

حرف e يؤدي ثلاثة أصوات في مثل : here , red , fever

وحرفا e i يؤديان ثلاثة أصوات في مثل : receive , feign , neither

خامساً : رسم الكتابة العربية ليس علة تأخر العرب و المتكلمين

بالعربية كما يزعم صاحب الاقتراح ، لأن هذه لأهم كات أقوى وأرفع يوم

كانت كتابتها أعسر وقرب إلى اللبس والاختلاط لقلة التكلم والاعجام . كما

أن تعليله رقى الأمم باستعمال حروف الحركة يكذبه التاريخ ، فقد كانت أمة العرب في العصور الوسطى من أرقى أمم الأرض حضارة وعلماً وأدباً وسياسة وسلطاناً مع أنها لم تستعمل حروف الحركة أيام هذا المجد الباذخ ، وكانت أوروبا في هذه العصور في ظلمة وليل بهيم تعيش عامياً على ما تترجمه من كتب العرب مع أنهم في ذلك الحين كانوا يستعملون حروف الحركة .

سادساً : لا يجوز لنا أن نقيس أنفسنا بالترك ونحاكيهم في نبذ الرسم العربي واتخاذ الحروف اللاتينية كما يود صاحب الاقتراح ، لأن الكتابة العربية ليست كتابتهم ، ومثل هؤلاء سواء عليهم أن يستعملوا الحروف العربية أو الحروف اللاتينية . أما بالنسبة إلينا فالحروف العربية من صنعنا ولم نستعرها من غيرنا . ولأن الترك أرادوا أن يصطبغوا بصبغة غير صبغتهم الأولى في جميع مظاهر حياتهم فحاولوا تنقية لغتهم من كل عربي . أما نحن فلا نريد أن نحول عن صفتنا الشرقية العربية قيد أنملة . ولأن فرض الحروف اللاتينية على تركيا كان نتيجة حكم ديكتاتوري ونحن غير مستعدين لمثل هذا الحكم . ولأن شأن العربية غير شأن التركية . فالتركية تحمل تراث ماض لا يزيد عمره عن ستمائة سنة ، أما العربية فتحمل تراث العالم الإسلامي كله وهو تراث دام مطرداً خمسة عشر قرناً ، فحسارة تركيا في قطع صلتها بماضيها نتيجة لاتخاذها الحروف اللاتينية لا تساوي شيئاً بجانب الخسارة التي ستترتب على اتخاذنا للحروف اللاتينية .

سابعاً : الحروف العربية ليست ملائمة لبلد واحد من البلاد العربية حتى يمكن لهذا البلد أو ذلك التصرف فيها ، فمشروع كمشروع اتخاذ الحروف اللاتينية من شأنه أن يوقع الأمة العربية التي تتحضر لمشروع التوحيد في هوة من الشقاء والشقاق لا قرار لها .

ثامنا : النتيجة الحتمية لاتخاذ الحروف اللاتينية بدل حروفنا العربية والتي لم يستطع أحد انكارها حتى صاحب الاقتراح ، هي انقطاع الصلة بين سلف الأمة وخلفها وحرمان الخلف من تلك المكتبة الثمينة النفيسة التي تركها أسلافهم وفيها ثمرات عقولهم ونتائج بحوثهم وتواريخ أيامهم ودواوين شعرائهم وبنات أفكار كتابهم ووصف أحوالهم في مجتمعاتهم بجميع ألوانها ومعايشهم وحضاراتهم إلى آخر ما احتوته تلك المكتبة من جميع ثقافات أسلافنا . وفي قطع هذه الصلة ضرر كبير جدا لا تعدله أية فائدة تستفيدها الأجيال المستقبلية من خلوهما ينطقون به من اللحن والتصحيف - على غرض وفاء تلك الطريقة المقترحة بذلك فالتمن إذا غير ربيع والصفقة فيها غبن كبير .

واثن قيل إن أمهات تلك الكتب تنقل إلى تلك الأجيال المستقبلية مصورة بالحروف اللاتينية ، فأى شيء منها ينقل وأى شيء منها يترك ، ومن الذى ينقل وما المفققات التى تلزم لذلك ومن يقوم بها ، وهل بعد هذا يتصل كل فرد من أفراد الأجيال المستقبلية بما يشاء من تلك المكتبة التى أصبحت من آثار الدارسة ؟ .

ثاسعا : أن الحروف العربية برسمها وأشكالها أداة موفية بجميع الغرض المطلوب منها ، وهى التعبير عن مخرج الحروف الموجودة فى اللغة العربية . وأنها لم تحل بيننا وبين الاتقاع بما آل إلينا من علوم القدماء وما وضعناه نحن بصنعنا وقرأئتنا من علوم وآداب . وأنها لا تقل فى شيء من جهة الجمال ومن جهة أداء الوظيفة - إذا أضيفت إليها العلامات المألوفة المسماة بالشكل عند الضرورة لأن - اللبس - عن الحروف اللاتينية .

أن الشكل الذى حاول صاحب الاقتراح أن يشرنا بمصيبته ، إن أوقع

إهماله البعض في اللحن نتيجة عدم استكمال معرفة قواعد اللغة فإنه لا يحول بينهم وبين الفهم والاستفادة .

أن الحروف العربية تعلو على غيرها من الحروف من حيث أنها تعين على الاختزال عند الحاجة إليه بسبب السرعة والاقتصاد والسرعة والاقتصاد قيمتها في هذا الزمن .

أنها استعملت لافي لغتنا فقط بل إن أمما كثيرة اسلامية وغير اسلامية استعملتها أيضا وظلت عليها القرون الطويلة من الزمن ، فاستطاعت أن تدل وتفصح عن أصوات لغات ولهجات أجنبية كثيرة ومتعددة الأصول في مختلف العصور . فلا زال الملايو - من مسلمين وغير مسلمين - يكتبون بحروفنا لغة غير عربية - ولا سامية الأصل أيضا - وهم لا يقل عددهم عن ستين مليوناً . ولا زال الفرس يكتبون بها أيضا وهم راضون عنها ولم يلدوا حتى الآن الأترك فيما عملوا منذ قريب . ولا زال المتكلمون بالأردو في بلاد الهند وهم زهاء المائتين مليون يكتبون بالحروف العربية لغة خليطاً من لغات آرية وسامية . وها هو ذا التاريخ يثبت لنا أن مسلمي الأندلس أقاموا قرنين من الزمان على الأقل على كتابة اللغة الاسبانية بالحروف العربية ، وقد رجع الاسبان الآن في البحث عن أصول لغتهم إلى ما كتبه هؤلاء بالحروف العربية .

وفوق هذا كله فالحروف العربية لطول عهدنا بها قد أصبحت جزءاً من اللغة ، لا ينفك عنها البتة أفناها وأفنتها أذواقنا وتكونت من هذه الألفة عادات ذهنية من الصعب علينا أن نعدل عنها إلى غيرها لغير حاجة قاضية لهذا المدول .

لهذه الاعتبارات كلها رفض اقتراح عبد العزيز فبهي شكلاً وموضوعاً . وقد

أسهمت الجريدة والمجلات في مناقشته وإيضاح خطورته ، وكان أشدها هجومًا على الاقتراح وصاحبه مجلة «الفتح» الإسلامية ، فقام صاحبها ومحررها محب الدين الخطيب بلرد عليه في مقالين قيمتين . تكلم في أحدهما عن خطورة الاقتراح وما يترتب على تحقيقه من خسائر دنية ومعنوية ومالية ^(١) . وتكلم في الأخرى عن منزلة العربية وهي في ممدنها (الخام) نى في بداوتها ، واستشهد بأقوال العلماء والحكماء من غير العرب في فضلها والاعتراف بمنزلتها ^(٢) .

وناصر الدعوة إلى كتابة العربية بحروف لاتينية أقلية ممن عرفوا بعدائهم للغة العربية ، ولا زالوا يعملون لترويحهم حتى الآن رغم اجتماع السواد الأعظم من أبناء الأمة العربية على رفضها . ولذلك لا نكاد نسمع منهم تملوا حتى تتلاشى ^(٣) .
ننتقل بعد ذلك إلى اقتراحات أعضاء المجمع الذين اتفقوا على إبقاء الحروف العربية واختلفوا في علامات الحركة .

اقتراح أحمد لطفي السيد :

وأحمد لطفي السيد من أقدم أعضاء المجمع المطالبين بتيسير الكتابة العربية فاقترح سنة ١٨٩٩ الدلالة بالحروف عن الحركات على أن تدخل هذه

(١) — انظر مجلة الفتح . العدد ٨١٠ السنة ١٧ سنة ١٣٦٣ هـ . ص ٢ الى ٧ . مقالة محب الدين الخطيب تحت عنوان « أربع فوائد هاجلة لكتابة العربية بالحروف اللاتينية »

(٢) — انظر مجلة الفتح . العدد ٨١١ السنة ١٧ . سنة ١٣٦٣ هـ . ص ٣ الى ٩ مقالة محب الدين الخطيب تحت عنوان « القرآن معجزة بين معجزتين »

(٣) — انظر فوائد الكتابة العربية بحروف لاتينية :

في كتاب « البلاغة المصرية واللفظة العربية » تأليف سلامة موسى ص ٢٣٧ طبع القاهرة ١٩٤٥ وفي كتاب « نحو عربية ميسرة » تأليف أنيس فرجة ص ١٨٩ - ١٩٢ طبع بيروت سنة ١٩٥٥ .

الحروف في بنية الكلمة^(١) . فتكتب (ضرب) هكذا (ضارابا) وثبت التنوين ورسمه بالكتابة فتكتب (سـمـد) هكذا (ساعدون) بالرفع و (ساعدان) بالنصب و (ساعدين) بالجر . وتلك الأُدغام فتكتب (محمد) هكذا (مو حـا مـا دـون) في الرفع و (مو حـا مـا دـان) في النصب و (مو حـا مـا دـين) في الجر . ولم يجد هذا الاقتراح قبولا ، لأنه يخالف لنا رسما كما هو واضح في الأمثلة المذكورة يختلف في كثير من الوجوه عن رسما الحالي فيقطع بذلك الصلة بين ماضيها وحاضرنا ؛ ولأنه يلزمنا بإثبات حركات لا تدعو الحاجة إلى إثباتها .

اقتراح على الجارم :

واقترح على الجارم سنة ١٩٤٤ استعمال شكالات جديدة للدلالة على الحركات تكون متصلة بالكلمة ذاتها^(٢) تتضح في الأمثلة الآتية :

الفتحة	أ	مثل	هَيْفَ	(هَيْف)
الضمة	أَ	مثل	كُتِبَ	(كُتِب)
الكسرة	إِ	مثل	كُتِبِ	(كُتِب)
السكون	أْ	مثل	فَتَلْ	(فَتَل)
تنوين المفتوح	ا	مثل	شَرَابَا	(شَرَابَا)
تنوين المضموم	اَ	مثل	شَرَابِ	(شَرَابِ)
تنوين المكسور	إِ	مثل	شَرَابِي	(شَرَابِ)
الهمزة المدودة	آَ	مثل	اَن	(اَن)

(١) نشر أحمد لطفى السيد هذا الرأى في مجلة المورد وومات سنة ١٨٩٩ ، ثم عاد

فاشار إليه في مجلة الشؤون الاجتماعية عدد فبراير سنة ١٩٤١

(٢) انظر اقتراح على الجارم وردود أعضاء المجمع عليه في كتاب « تبسيط

الكتابة العربية » ص ٨١-١١٣ .

وفي الاقتراح استثناءات كثيرة للتقليل من استخدام هذه الشكالات المقترحة أو بمعنى أدق هذه الزعانف المقترحة - حسب تعبير العقاد - وقد رفض الاقتراح لأنه يخرجنا من رسم بسيط إلى رسم مركب معقد ، ولأنه فضلا عن هذا يقطع الصلة بين الجديد والقديم مثل الحروف اللاتينية .

اقتراح محمود تيمور :

واقترح محمود تيمور (سنة ١٩٥١) الاكتفاء بصورة واحدة من صور الحروف ، وهي التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات والتي يسميها أهل فن الطباعة « حروفا من الأول » ، واتخاذ علامات الضبط المتعارفة التي يجري بها الاستعمال ، لأنه في هذه الحالة لا يكون في اتخاذها عسر ولا مشقة بعد تخلص صندوق الحروف المطبعية من الصور المتعددة للحروف الأصلية (١)

ومثل لطريقته بصحيفة تضمنت نص المشروع بدأها بقوله :
أَرِيْدُ أَنْ نَقْدَسَ صُورَ مِنْ صُورِ الْحُرُوفِ عَلَيْهِ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ ،
وَبِذَلِكَ يَكُونُ لَصَانِ دُوقِ الْحُرُوفِ الْمَطْبُوعِيَّةِ عُيُونٌ
لَا تَتَجَاوَزُ الثَّلَاثِينَ عَيْنًا

وقد أجاز المجمع هذا الاقتراح إلا أنه لم يخرج بعد إلى حيز التنفيذ ، لأن فيه خروجاً كما رأينا عما ألفته أعيننا من رسم الكلمات ، ولأن هذا التغيير الطفيف الذي أحدثه صاحب الاقتراح في رسم الكلمات لا تؤمن عواقبه عندها يرجع الجيل الجديد إلى آثار السلف .

هذه هي الطرق المقترحة لتيسير الكتابة العربية ، وهي التي تقدم بها

(١) انظر الاقتراح في كتاب « ضبط الكتابة العربية » تأليف محمود تيمور ، وهو البحث الذي تقدم به الى مجمع اللغة العربية في يناير سنة ١٩٥١ . طبع بالقاهرة سنة ١٩٥١

أعضاء مجمع اللغة العربية وهم مدونة اللغة العربية وحماها وأكثر العارفين بدقائقها وأسرارها . لم تستطع واحدة منها سواء ما مس منها الجوهر ، وما مس منها الشكل أن تفضل طريقتنا الحالية ؛ فما بالكم ببقية الطرق المقترحة وهي أكثر تعقيدا وتركيبا والتي قدمت إلى المجمع ابتغاء جائزة الألف جنيه التي قررها لأحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية ، واضطر إلى إلغائها لما لم يجد بين الاقتراحات المقدمة ما يصح الأخذ به .

هذه الاقتراحات وما دار حولها من مناقشات لم تذهب سدى في رأينا ، فهي إن كانت قد أخففت في إيجاد طريقة أكثر توفيقا من طريقتنا في الكتابة فإنها قد أثبتت صلاحية الكتابة الحالية ، وفتحت المجال للكشف عن المخاطر التي تنطوي عليها مثل هذه المحاولة بما يسد الباب على المحاولات المستقبلية في هذا السبيل ^(١) .

اصلاح متن اللغة عن طريق التوسيع والتبسيط :

وانبعثت الشكوى من دعاة العامية من الأجانب ومن ناصرهم من أبناء العربية مرددة القول بمجمود اللغة العربية الفصحى وعجزها عن مجاراة اللغات الأخرى في وضع الأسماء الدالة على الأشياء المستحدثة وفي وضع مصطلحات العلوم والفنون الحديثة . وتذرعوا بهذا الادعاء أيضا للعدول عنها إلى العامية التي وصفوها بأنها اللغة الحية المتجددة المتطورة التي تسع الجديد من الأسماء والمصطلحات بدون قيد ولا شرط .

(١) وتفرعت من الدهوة إلى تبسيط الكتابة العربية دعوة تيسير قواعد الإملاء . فقالوا بكتابة الكلمات حسب النطق بها . وكان في مقدمة من ناصر هذه الدهوة الدكتور طه حسين .

ولذلك قام الباحثون عندنا منذ أوائل هذا القرن لرد هذه الشبهة واثبات
قدرة الفصحى على التجدد والتماء لا في عهدنا فحسب بل في مختلف عصورها .
فاتجه قسم منهم إلى العمل على توسيع اللغة وتكميل حاجاتها بوضع مصطلحات
لما يتجدد من العلوم والفنون ووضع أسماء لما يتجدد من مقتضيات المدنية الحديثة ،
وهو اتجاه محمود لا ينكر أحد أهميته ولا ضرورته لا بالنسبة إلى اللغة العربية فقط
بل بالنسبة إلى كل اللغات التي تريد الحياة والبقاء . وقد اعترف بأهميته
علماء العربية من قبلنا فأمدوا اللغة العربية بكثير من الأسماء والمصطلحات
المستحدثة لعهدهم .

وأبي القسم الآخر إلا أن يكون هذا التوسيع على حساب العربية نفسها ،
فقالوا بوجوب تبسيطها وإماتة كثير من مفرداتها حتى يتهيأ المكان للمجدد
من الأسماء والمصطلحات بدون أن تزداد المادة اللغوية تضخماً ، وهي ضخمة
بطبيعتها واسمة سمة لا يعرف لها أول ولا آخر . وقد كان هذا التوسيع والتبسيط
موضع خلاف الباحثين .

توسيع اللغة : أما العمل على توسيع اللغة فقد أسهمت فيه الهيئات العلمية
والأفراد . أسهموا فيه نظرياً وعملياً ، ففي بداية هذا القرن تألفت جمعية من
خريجي دار العلوم برئاسة حفني ناصف لخدمة اللغة العربية ، وكان بدء نشاطها
العمل على تطهير اللغة العربية من أدران العجمة والبحث عن كلمات تستعمل
بدل الكلمات الأجنبية وذلك سنة ١٩٠٨ ، وقد ختلف أعضاء هذه الجمعية
في تحديد الطريقة المثلى للدلالة على المحذات ^(١) .

(١) انظر - مجموعة خطب التي أُلقيت في . دار العلوم في موضوع تسمية المسميات
الحديثة - خريجي دار العلوم . طبع القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

بعضهم أرادوا أن يختصروا الطريق فقالوا بالتوسيع في التعريب والاشتقاق من المعرب كما كان العرب القدامى يفعلون في نحو : درهم ومدبرهم ، ودينار ومدنر ، ولجام وملجم .

فندخل في اللغة الترام ونشتق منها أترم ومترم . . . وكانت حبجهم في ايثار طريقة التعريب هي :

١ - أن العرب القدامى قد نزعوا هذه النزعة قبل الاسلام فلما نزل القرآن أقرها بما استعمله من الألفاظ التي عربوها . ثم اتبع العرب الطريقة نفسها فيما ترجموه في العصور الاسلامية .

٢ - وأن الألفاظ الأجنبية موج زاخر هيات أن نرد اندفاعه مما نبذل من جهد .

٣ - وأن بعض هذه الألفاظ عالمية وخاصة ألقاظ العلوم والفنون ، ولا ينبغي لنا أن نزايلها بوضع ألفاظ عربية جديدة تقصينا عن جو العلم ونخرجنا على المنواضع عليه في جميع اللغات .

٤ - وأن اللفظ الذي وضعه واضعه للدلالة على شيء اخترعه أسهل وأتم من اللفظ الذي نضعه بازائه .

٥ - وأن الأسماء الجديدة قد شاعت وذاعت بين العامة وهم السواد الأعظم وكثير من الخاصة ، فمن العبث بل من المستحيل إرجاعهم عنها إلى ألفاظ عربية فصيحة .

وبعضهم رفضوا طريقة التعريب مؤثرين التوسع في استعمال الألفاظ العربية لتأدية المعنى الأجنبي . إما بالاشتقاق من المواد اللغوية العربية مثل : سيارة (اللاتونوميل) ودراجة (البسكلت) ، وإما باحياء الألفاظ العربية القديمة وإعادة استعمالها مثل : المعطف (للباطو) والشطيرة (للسندوتش) ، وإما بترجمة اللفظ

يمرادفه مثل : الصور المتحركة (تسيماتوغراف) وكانت حججهم في ايثار طريقة التوسع في استعمال الألفاظ العربية ورفض طريقة التعريب هي :

١ - الخوف على اللغة العربية من أن تصبح مجرد قوالب وصيغ للألفاظ الأجنبية المتدفقة . إذ كيف يكون مصيرها عندما نقول على مذهب أصحاب التوسع في التعريب والاشتقاق من المعرب (أنزمت إلى أتيل مينا هوس ورجعت متنبلا ..) .

٢ - في اللغة العربية ألفاظ تؤدي كثيرا من معاني الألفاظ الأجنبية عينها ، فمن السهل استبدالها بتلك الألفاظ الأجنبية ، وإمكان شيوعها عن طريق اذاعة الألفاظ الفصيحة بمختلف وسائل الاذاعة ، ولا تهم طول المدة التي تلزم لشيوع هذه الألفاظ ومطاردة الألفاظ الأجنبية .

٣ - اعتبار التعريب حق قصير على العرب الموثوق بعربيته . وهؤلاء لم يلجأوا إليه إلا مكرهين ، بدليل القلة التي نالها فيما ورد من الألفاظ المعربة بالنسبة إلى الألفاظ العربية السليمة ، كما أنهم تقيّدوا فيه بقواعد أخصها أن يكون المعرب على وزن عربي حتى يلائم جرسه جرس الكلمات العربية ، فلا يحس منه العربي نفورا أو يجد منه تنافرا مع ما تلقى من صيغ لغته .

٤ - اختلاف طبيعة اللغة العربية عن طبيعة اللغات الأجنبية ، فما يلائم هذه لا يلائم تلك . فتوحيد لسان العلم ممكن في لغات الأجنبية ، لتقارب أصروها ولا شتراكها في الكتابة بالحروف اللاتينية ولعدم تحفظها بدين أو جنس وليس هذا شأن العربية . ولذلك يجب أن يكون اتجاهنا في أنماؤها وتوسيعها اتجاهها غايته أن تصبح هذه اللغة قدوة على الاستقلال بمصطلحاتها العملية والفنية والأدبية . وبعد نقاش طويل دار بين أعضاء الجمعية في هذا الموضوع اشترك معهم فيه

الأدباء والعلماء وفاحت بوصفه انهار الصحف ، انتهوا إلى هذا القرار : « يبحث في اللغة العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأي طريق من الطرق الجائزة لفة ، فإذا لم يتيسر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ. الأعجمي بعد صقله ووضع على منهاج اللغة العربية ، ويستعمل في اللغة العربية الفصحى بعد أن يعتمد المجمع اللغوي الذي سيؤلف لهذا الغرض » فلما أنشئ مجمع اللغة العربية وافق على هذا القرار وعمل به^(١) .

ومن الأفراد الذين أسهموا في معالجة هذا الموضوع نظريا ، ببيان الطرق التي يجب أن تتبع في العربية للدلالة على الأشياء المستحدثة . وبيان القواعد التي يجب مراعاتها في اتباع هذه الطرق : عبد القادر المغربي . وأحمد عيسى وإسماعيل مظهر^(٢) .

وتبعت هذه الآراء النظرية محاولات عملية لوضع أسماء عربية للأشياء المستحدثة أسهم فيها مجمع اللغة العربية بالقاهرة^(٣) ، وعدد كبير من

(١) انظر لائحة المجمع في الجزء الأول . من مجلته . ص ٢٢ . طبع القاهرة سنة ١٩٣٥

(٢) انظر :

الاشتقاق والتعريب . لعبد القادر المغربي طبع القاهرة سنة ١٩٠٨ .

التهذيب في أصول التعريب . أحمد عيسى . طبع القاهرة سنة ١٩٢٣

تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون . إسماعيل مظهر . طبع القاهرة مهمل التاريخ .

(٣) انظر « الكلمات التي أقرها المجمع في شؤون الحياة العامة » نشر حسن السقا

طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ .

وانظر مجلة المجمع في مختلف أعدادها ، إذ لا يكاد يخلو عدد منها من ثبت بمصطلحات عربية لتختلف العلوم والصناعات والفنون . فنلا مصطلحات القانون التجاري ، والمصطلحات الكيميائية ، ومصطلحات علم التشريح (ج ٦ ص ٢٤٨ و ٢٦٤ و ١٩٨) ومصطلحات علم الأمراض ومصطلحات فن التمثيل (ج ٧ ص ٧٩ و ٩٠) الخ .

المشتغلين بالدراسات اللغوية^(١) بل إن الأدباء أنفسهم كانت لهم جهود موفقة في تسمية الأشياء المستحدثة بألفاظ عربية فصيفة ذاع بعضها بين العامة وعلى ألسنة الكتاب^(٢) .

ولما كان الدخيل في العربية لا يقتصر على الأسماء والمصطلحات فحسب ، وإنما يشمل أيضا على الأساليب . قام بعض الباحثين بدراسة الأساليب الدخيلة . ومن أهم الأبحاث التي تناولت الأساليب الدخيلة بالدراسة ، بحث قيم للشيخ عبد القادر المغربي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة تحت عنوان « تعريب الأساليب »^(٣) عرف فيه تعريب الأساليب بأنه ادخال العربية في أساليبها أسلوبا أعجميا ، وأشار إلى الشروط التي اشترطها الأدباء في قبول الأساليب الأعجمية وهي : ألا تكون مخالفة في تراكيبها لقواعد اللغة العربية ، ولا تكون نافية عن الذوق السليم .

وتكلم عن تاريخ دخول لأساليب الأعجمية في اللغة العربية منذ العصر

(١) - معجم الألفاظ الحديثة . تأليف محمد دياب . طبع القاهرة سنة ١٩١٩

- - اقتراح مقدم من محمد الاسكندري إلى أعضاء المؤتمر الطبي سنة ١٩٣٨ في تسمية

المصطلحات الكيميائية بأسماء عربية . طبع القاهرة سنة ١٩٤٨ .

- - اصطلاحات عربية لفن التصوير . تأليف بشر فرس . طبع القاهرة سنة ١٩٤٨

- - الأسماء العربية لمحدثات الحضارة والمدنية . تأليف حفي نصف . نشر جامعة

القاهرة سنة ١٩٥٦ .

(٢) انظر « ككت احياة السممة » تأليف محمود تيمور . طبع القاهرة سنة ١٩٥٦

(٣) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٤٩ . طبع القاهرة

سنة ١٩٣٥ .

الجاهلي حتى ذلك الوقت ، وعن صعوبة تمييز هذه الأساليب في المصور الأولى ومسهولة تمييز هذه الأساليب في الوقت الحاضر لكثرة المتكلمين باللغات الأعجمية بيننا . وتكلم عن كيفية تسرب الأساليب الأعجمية إلينا في النهضة الحديثة وأرجع ذلك إلى طريقتين :

- ١ — طريق أبنائنا الذين تأثروا بالثقافات الأوربية المختلفة التي تعرضوا بها وتعلموا لغاتها وتقلوا طائفة من أساليبها كل من اللغة التي تعلمها .
- ٢ — طريق الثقافة التركية المنأثرة بالثقافات الأوربية — ولا سيما الثقافة الفرنسية — بأشد من تأثر ثقافتنا بها .

ثم أورد أمثلة متعددة لأنواع الأساليب الأعجمية :

- ١ — منها أساليب لها ما يماثلها في لغتنا ، نشأت في اللغتين نشأة مستقلة من غير أن تستعير إحداها من الأخرى ، لأن منشأ الأسلوبين والباعث عليهما والحافز إليهما في اللغتين واحد . فمثلاً من سرح الدابة بعد أن كان يقودها بزمامها لا يدع الزمام على الأرض ، بل يطرحه عادة على عنقها أو عنقها . العرب يفعلون ذلك في مطاياهم والإفرنج يفعلونه في دوابهم . ثم إن كلاماً من الفريقين من دون أن يتأثر بالآخر ، تقل استعمال تسريح الدابة إلى معنى تسريح الشخص الذي يهمل أمره وتترك له حريته يتصرف كما يشاء . فقالت العرب « أقيمت حبل فلان على غاربه » وقالت مدام دي سيفينييه الكاتبة الفرنسية في معنى جعل قلمها يكتب كما يشاء « اترك حبل القلم على عنقه » *je laisse la corde* sur le cou ومثل ذلك يقال في قولنا في التنويه بالحب القديم « ما الحب إلا للحبيب الأول » وقولهم :

« L'homme revient toujours a ses premiers amours »

وقولنا في طلب شدة الانتباه « افتح أذنيك » وقولهم :
« Ouvrez les oreilles » . الخ .

٢ - ومنها أساليب تسربت إلى لغتنا في العهد الأخير وكانت عجمتها موضع شك ، وقد كثر النزاع حول اعتبارها عربية أو أعجمية . فمن تلك الأساليب المشتبه في عجمتها قولنا « بكى بدموع حارة » وقول الافرنج - « Pleurer à chaudes larmes » قال البعض إن وصف الدموع بالحرارة أسلوب افرنجي مترجم لم يعرفه العرب ، ورد البعض بأن هذا الأسلوب ليس افرنجيا محضا ، لأن العرب إن لم يصفوا الدموع بالفظ الحرارة فإنهم وصفوها بمرادف الحرارة أي « السخونة » إذ هم يتخيلون أن دمع الحزن سخ-ين ودمع الفرح بارد فإذا دعوا لأحد بالمسرة قلوا « أقر الله عينه » و« فلان قرير العين » وإذا دعوا عليه بالمساءة قالوا « أسخن الله عينه » و« عين سخينة » والفرق بين العرب والافرنج أن الأولين ينسبون السخونة إلى العين نفسها والافرنج ينسبون الحرارة إلى دموعها .

ووقع هذا الخلاف في « تبادلا التحيلات » و « وتبادلا الكلمات » وفي « أثر عليه » وفي « قرأت لا مرتين » . . . ريقول المؤلف « ويمكن أن يقل بوجه الاجمال أن هذه الأساليب عربية ، لكن الفصحاء لم يستعملوها استغناء عنها بغيرها أو استعملوها بقلّة ، حتى نهض أبطال الترجمة في القرن الماضي فاضطروا إلى استعمالها توفية لحق الترجمة الحديثة ولا سيما أن تلك الأساليب تتكرر بكثرة مملة في الكتابات الافرنجية ، ومن يومئذ شاعت تلك الأساليب على ألسنة كتابنا وفي لغة صحافتنا ولغة التخاطب بيننا » (١) .

٣... ومنها أساليب لا نزاع في عجمتها وهي كثيرة جدا منها :

Jouer avec le feu فلان يلعب بالنار (أى يمرض للخطر)
L'ignorance regne ساد الجهل

Jouer un rôle فلان لعب دورا أو مثل دورا في هذه القضية
Rire jaune ضحك ضحكة صفراء (أو صفراوية)

إلى غير ذلك من الأمثلة التي أوردتها المؤلف مشيرا إلى ما استحسن منها وما استقبح ، مبينا أن الاعتماد على الذوق في ترجيح بعض تلك الأساليب على البعض الآخر كما هو متبع فيما بيننا ، لا يمكننا من البت في تعيين الأساليب المستقبحة والأساليب المستحسنة ، ولا يمكننا من وضع قاعدة يرجع إليها في ذلك لاختلاف الأذواق وتباين المشارب والثقافات .

ولذلك فهو يقترح على المجامع اللغوية أن تتقص الأساليب الأعجمية الدخيلة فتدونها كما دون من سبقنا الكلمات المعربة ، وتميز الغث من السمين من تلك الأساليب . فما كان منها غثا عملت على إيماته بما لديها من القدرة الشاملة والوسائل الكافية ، وما كان منها رائقا مقبولا هيأته للدخول في المعجم الجديد الذي عينت له لجنة خاصة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

هذا ما تضمنته الأبحاث التي تناولت توسيع اللغة ، وقد رأينا فيها اجتماع الآراء على أهمية هذا العمل وضرورته على اختلافها في وسائل تحقيقه ، وانتهائها آخر الأمر إلى غاية واحدة ، وهي أن يكون الدخيل من الكلمات والأساليب على منهاج اللغة العربية الفصحى .

تبسيط اللغة : وأراد بعض الباحثين أن يكون التوسيع المقترح على حساب اللغة نفسها . فقالوا بوجوب تبسيطها لافساح مجال للكلمات الجديدة في المسميات

التي نحن في حاجة إليها ، لأننا لو أبقينا القديم كما هو واضفنا إليه الجديد لتضخم متن اللغة تضخما يعجز أي متعلم . وكان على رأس هؤلاء أحمد أمين عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وذلك في اقتراح قدمه إلى مؤتمر المجمع تحت عنوان « اقتراح ببعض الإصلاح في متن اللغة » (١) .

قدم الاقتراح بمقدمة حمل فيها على العربية وعلمائها . اتهم العربية بالجمود واتهم علماءها بالترمت والتعصب . ذلك التعصب الذي رآه قد أدى إلى إقفال باب الاجتهاد في التشريع واللغة . فكان من نتيجة اقفال باب الاجتهاد في التشريع الالتجاء إلى التشريع الفرنسي إلا في أحوال نادرة كالأحوال الشخصية وكان من نتيجة اقفال باب الاجتهاد في اللغة ، نمو العامية على حساب اللغة العربية . ورأى أن السبيل إلى إنقاذ العربية من جمودها وانقازها من ضعفها ، هو فتح باب الاجتهاد في اللغة . ثم اقترح لتبسيط متن اللغة التخفيف من كثير من مفردات اللغة وإعدامها لإلزام المعاجم التاريخية . ورأى أن أولى الكلمات بالإعدام هي :

١ - الكلمات الحوشية التي يجعها الذوق ويكرهها السمع . ومثل هذه الكلمات بأيات صفي الدين الحلي التي مطلعها :

إنما الحيزبون والدرديس والطخا والنفاخ والغلطيس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس

٢ - بعض المترادفات الكثيرة ، إذ أننا - كما يقول - لسنا في حاجة إلى أن يكون للمثل ثمانون اسما وللسيف نيف وخمسون وللجنة نحو مائتين وللمصيبة نحو أربع مائة . ثم لم يلبث صاحب الاقتراح أن اعترف بأن كثرة المترادفات لازمة للشعر

(١) - انظر الاقتراح في مجلة المجمع ج ٦ ص ١٧ - ٩٣ . طبع القاهرة

العربي حيث تلزم وحدة القافية والروي في القصيدة الطويلة . فأشار على الشعراء أن يهجروا هذه الطريقة ويأخذوا بطريقة تعدد القافية ، حتى يمكن تنفيذ حكم لاعدام على كثير من المترادفات .

٣ - كلمات الأضداد مثل : ولي (إذا أقبل) وولى (إذا أدبر) ، وقسط (إذا جار) وقسط (إذا عدل) . . . لأنه يرى أن مثل هذه الكلمات تضعف من قيمة اللغة وتفسد القصد منها وهو الإبانة عن المعاني . واقترح أيضا التخفيف بقدر الإمكان من المشترك بين المتخالفين كما هو الحال في كلمة (المين) .

ولم تقتصر طريقته في التبسيط على طرح هذه الكلمات وأمانتها فحسب ، وإنما تناولت أيضا بعض القواعد . فجاء بقواعد لتنظيم باب التذكير والتأنيث الذي يصفه بأنه من أصعب الأبواب وأكثرها خلطا في العربية ، وجاء بقواعد لتنظيم وزن الفعل الثلاثي الذي يصفه بأنه من أشق الأمور على دارس العربية ، وكما مخالفة لما يعرف من كلام العرب . ووعد بوضع قواعد للأبواب المسببة للخلط وللاضطراب ، كباب التعدي والمزوم والعدد والمصادر وجموع التكسير ولو بتضحية .

هو جم هذا الاقتراح في المجمع نفسه ، فرد عليه محمد الخضر حسين وإبراهيم حمروش ، في بحثين مفصلين ناقشا فيهما المزايم التي ساقها صاحب الاقتراح خلال اقتراحه ، وبينما خطورة أنجاهه في إصلاح اللغة (تبسيط اللغة) (١) ذلك الاتجاه الذي أراد أن يجمل منه نموذجا للاجتهاد اللغوي . وتتلخص هذه الردود في :

(١) انظر هذين البحثين في مجلة المجمع اللغوي ج ٦ ص ٩٣ - ١٠٢ وص

أولاً : أن قفل باب الاجتهاد في التشريع واللغة لم يكن نتيجة لتزمت العلماء وتصميمهم ، بل كان نتيجة للضعف الذي أدرك الهمم ، وأن هذا الباب لم يقفل تماماً في وجه الراسخين في العلم . ففي اللغة استمر علماء العربية يناقشون آراء المتقدمين مثل ابن مالك وابن حيان وابن هشام وابن تيمية الذي أدرك صدراً من القرن الثامن فقد كتب مخطوطاً سيديويه في كثير من المسائل . وأن الالتجاء إلى التشريع الفرنسي لم يكن نتيجة لا قفل باب الاجتهاد في التشريع الإسلامي ، بل كان نتيجة لوقوع التصرف في شأن المحاكم في أيدي أشخاص لم يعرفوا كفاية الفقه الإسلامي . وكذلك نمو العامية على حساب العربية لم يكن نتيجة لا قفل باب الاجتهاد في اللغة ، بل كان نتيجة لقلة التعليم وعدم وجود جماعات تسارع إلى أن تضع لكل معنى يحدث اسماً يليق به وتذيعه بين الناس كما فعل أصحاب العلوم فيما سلف .

ثانياً : أن الحكم بالاعدام على الكلمات الحوشية والمترادفات وأسماء الاضداد يقضى باعدام الشعر والنثر الذي يحملها .

ثالثاً : إذا صح النصيح بعدم استعمال الكلمات الحوشية لأنها مخلة بالفصاحة ، فإنه لا يصح لنا أن ننصح بعدم استعمال المترادفات الكثيرة ، وهي مأنوسة الاستعمال خفيفة على اللسان ، جرت في الأدب القديم والحديث منظومه ومثوره . فلو اقتصر على بعض المترادفات لوقع من بعدنا في حيرة عند عروض الأسماء الأخرى في الشعر والنثر . كما أن الدعوة إلى صرف الشعراء عن طريقة وحدة القافية والروى إلى طريقة تعددها باعدام وسيلة وحدة القافية وهي المترادفات ، مسألة لا تسيطر عليها المجامع اللغوية ، وإنما هي متروكة إلى ذوق الشاعر نفسه ، والأذواق تختلف باختلاف العصور والأشخاص ، فما لا يلائم ذوق شاعر قد يكون ملائماً لأذواق كثيرين غيره .

وكذلك لا يصح النصح بترك المشترك بين الضدين والمشارك بين المتخالفين لأنه أثبت في الأدب منظومه ومشوره ، ولأنه لا عجب في المشترك مطلقا ، لأن المشترك قلما يقع في كلام إلا ومعه قرينة المعنى المراد ، فإذا وقع خاليا من القرينة كان مجحولا والاحمال من مقاصد البلغاء ، والأدب نواح في ناحية يكون الإيضاح والافصاح ، وفي ناحية يكون الغموض والابهام . ويجب أن يملك المتكلم وسائل الابهام والغموض كما يملك وسائل البيان والإيضاح ، ليكون كلامه مطابقا لما تقتضيه الأحوال وتتطلبه المقامات . ولا يمتري أحد في أن التورية والابهام لهما أغراض نبيلة وصور من المعاني تسترح إليها النفوس ويزداد بها أدب اللغة ثراء .

رابعاً : أن الاقتراحات التي تقضى باعدام شيء من مميزات اللغة ليست أصلا ، وإنما هي انحراف عن الغرض النبيل الذي نسعى إليه ، وهو المحافظة على سلامة اللغة .

هذه هي أهم المسائل اللغوية التي شغلت الباحثين في العصر الحديث ، والتي لم تكن في حقيقة الأمر إلا نتيجة للبلبل الذهنية التي سببها دعاة العامية من الأجانب ومن ناصرهم من أبناء اللغة العربية ، حتى ليخيل إلى القارىء وهو يستمع إلى مزاعم بعض الباحثين في اقتراحاتهم لتيسير النحو وتيسير الكتابة وإصلاح متن اللغة ، أنه يستمع إلى نفس المزاعم التي رددوها رجال الاستعمار البريطاني من أمثال ولور وويلكوكس في حملتهم على اللغة العربية عندما دعوا إلى العامية .

ولكن مناقشة هذه المزاعم والرد على أصحابها والبحث في مقترحاتهم التي خرجوا فيها عن أوضاع اللغة العربية ، انتهت كما بينا إلى إثبات صلاحية اللغة العربية في مختلف نواحيها ، والكشف عن مميزات التي هي جزء من حقيقةها .

وتصدى للدفاع عن اللغة العربية كثير من أبنائها لا في مصر وحدها بل في مختلف البلاد العربية . على صفحات الكتب والجرائد والمجلات ، وذلك في أبحاث عامة تعرضوا فيها لدراسة تاريخ اللغة العربية وتطورها في مختلف مراحلها التاريخية ، ودراسة نهج الطرق في تدريسها ، ودراسة العوامل التي تساعد على النهوض بها وتعميم نشرها ، ودراسة الأدوية التي ابتليت بها وطرق معالجتها والعمل على تصحيح أغلاط كتابها ، إلى آخر هذه الدراسات التي ردت إلى لغة عربية اعتبارها في العصر الحديث ^(١)

(١) - من هذه الدراسات :

أ - حياة اللغة العربية . محمد الحضر حنين . طبع تونس سنة ١٩٠٩ (ضمن مجموعة)

ب - بحث مستفيض عن اللغة العربية (خصائصها . ثروتها . أسرار جمالها . صلاحيتها للعلم والأدب . ميراثها العلمي والأدبي . أسباب ضعفها . وسائل النهوض بها) لعلامة الأبراشي في كتابه « الآداب السامية » طبع القاهرة ١٩٤٦ .

ج - لغتنا وأثر التطور الاجتماعي فيها { لأنيس المقدسي . مجلة الهلال لغتنا العربية كيف نجعلها لغة عالميه عدد فبراير وعدد مارس سنة ١٩٥٥
د - نحن واللغة العربية من أيام الجاهلية إلى عصرنا الحاضر . للامير مصطفى الشهابي وهي سلسلة مقالات نشرت في مجلة المقتطف سنة ١٩٥١ عدد يناير وفبراير ومارس

هـ - لسان غصن لبنان في انتقاد العربية المعاصرة . لشاكر شقير اللبناني . طبع لبنان سنة ١٨٩١

و - لغة الجرائد . لأبراهيم اليازجي . طبع القاهرة سنة ١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م

ز - رد الشارد إلى طريق القواعد . لجورجي شاهين عطية . طبع بيروت سنة ١٩٢١
ح - تذكرة الكتائب في الغلطات اللغوية الدائرة على السنة الخطباء والكتائب لأحمد داغر . طبع القاهرة سنة ١٩٢٣

ط - أخطاؤنا في الصحف والدواوين . لصالح الدين سعد الزعبلوي . طبع دمشق سنة ١٩٣٩ .

ي - عثرات اللسان في اللغة . لعبد القادر المغربي . طبع دمشق سنة ١٩٤٩

الباب الرابع

أثر الدعوة في انتشار المؤلفات

المدونة بالعامية

الفصل الأول : العامية في كنب المفاكمة والمسامرة

الفصل الثاني : العامية في المسرحية

الفصل الثالث : العامية في القصة

الفصل الرابع : العامية في الزجل

الفصل الأول

العامية في كتب المفارقة والمسامرة

كانت مؤلفاتنا المدونة بالعامية من كتب ومجلات قليلة جدا قبل الدعوة إلى استخدام العامية في الكتابة ، باعتراف الأجانب الذين بشوا هذه الدعوة في دراساتهم للعامية المصرية . فقد أشار « سبيتا » أول من وضع كتابا شاملا في قواعد العامية المصرية (١٨٨٠) إلى أنه لم يجد من المؤلفات المدونة بالعامية سوى كتاب « هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف » ، ومجلة « أبو نظارة » ، وبعض المسرحيات المترجمة عن الفرنسية وأن هذه المسرحيات لم تفده كثيرا في الوقوف على العامية المصرية الخالصة ، لأن المترجمين لم يستطيعوا أن يتخلوا كلية عن بعض التعبيرات العربية الفصحى . وصرح بأن عدم وجود أدب للعامية المصرية كان من أهم الصعوبات التي صادفته في بحثه « لأن اللغة التي ليس لها أدب هي مثل الجسم المعكك ، إذا نظرنا إليه من بعيد ظهر كشيء صلب متماسك ، ولكن إذا حاولنا لمسه ظهر على طبيعته المنداعية التي سرعان ما تنهار من كل جانب » .

وردد الشكوى من قلة المؤلفات المدونة بالعامية كل من فولرس وولور وباول . ولقد قام هؤلاء وعلى رأسهم سبيتا بجمع ونشر آداب العامة في كتبهم التي تناولوا فيها دراسة قواعد العامية المصرية . وتبعهم فريق آخر من الأجانب في جمع آداب العامة ونشرها في كتب مستقلة كما أشرنا إلى ذلك في الباب الأول .

فلما انتشرت الدعوة إلى العامية بفضل جهود دعائها من الأجانب ومن

ناصرهم من أبناء العربية ، كان من أبرز آثارها -ازدياد عدد الكتب والمجلات المدونة بالعامية ازدياد كبيراً بلغ أقصاه في الثالث الأول من القرن العشرين ، أى وقت احتدام المعركة بين الفصحى والعامية . نلمسه في المجلات ، وفي المسرحيات المترجمة والمؤلفة . وفي القصص التي كتبت على شكل مذكرات وأحاديث وأقاصيص ، وفي دواوين الزجل .

ولكى نقف على مدى انتشار هذه المؤلفات وتنوعها ، ونتعرف عن طريق دراستها على طبيعة العامية التي يقولون بصلاحياتها للكتابة ، سنبدأ في هذا الفصل بدراسة كتب المفاهكة والمسامرة . وهي أول ما وصلنا من المؤلفات المدونة بالعامية في النصف الأخير من القرن الماضي ، وكانت نتيجة حاجة الناس إلى التنفيس عن أحزانهم وضيقهم من ناحية ، ولانحطاط اللغة العربية في ذلك الجيل من الناس من ناحية أخرى ، وليست استجابة الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة كتابة . وسنقتصر على كتابين هما : كتاب « هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف » ، وكتاب « ترويح النفوس ومضحك العيوس »

كتاب هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف

فمن أوائل مؤلفاتنا التي دونت بالعامية كتاب « هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف » ^(١) وهو من كتب المفاهكة والمسامرة بين الأصحاب . ألف في عهد الخديو « سعيد » وقد ضمنه المؤلف أشعار أهل الريف وقم بشرحها والتعليق عليها بطريقة مبتذلة ماجنة غايتها الاضحاك . كما ضمن كتابه وصفا شاملا لأهل الريف ، فتحدث عن أخلاقهم وطباعهم وأماثلهم ، وتحدث عن رجالهم ونسائهم وأولادهم وفقهائهم ، ووصف طرق معيشتهم في المأك

(١) كتاب « هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف » تأليف الشيخ يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني . طبع القاهرة سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م .

والملبس والمشرّب، وذكر عاداتهم في الأفراح والمآتم، وأورد كثيرا من النوادر والملح التي تتعلق بهم . وقد أشار المؤلف في المقدمة إلى محتويات الكتاب وإلى طريقته في الشرح والتعليق وإلى هدفه من إصدار الكتاب، وسأورد مقتطفات من الكتاب بلغه المؤلف حتى يتسنى لنا أن نتصور الكتاب بصورة عامة ونتعرف على أسلوبه ولغته .

فموضوع الكتاب يعرفه المؤلف في قوله «إن ما مر على من نظام شعر الأرياف الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف، المشابه في رصه لطين الجوالس، وجرى ذكره في بعض المجالس، «قصيد أبي شادوف» المحاكى لبعر الخروف أو طين الجروف . فوجدته قصيدا ياله من قصيد كأنه عمل من حديد أو رص من قحوف الجريد . فالتمس مني من لا تسعني مخالفته ^(١) ولا يمكنني إلا طاعته، أن أضع عليه شرحا كرش الفراخ أو غبار العفاس وزواج السباح يحل ألفاظه السخيمة ويبين معانيه الذميمة ويكشف القناع عن وجه لغته الفشورية ومصادرة الفشكية ومعانيه الركيكة ومبانيه الدكيكة . ومقاصده العبيطة وألفاظه الحويطة، وأن آتته بحكايات غريبة ومسائل هبالية عجيبة، وأن أتخفه بشرح لغات الأرياف التي هي في معنى ضراط النمل بلا خلاف، وأشعارهم المغترفة من بحر التخايظ واشتقاق بعض كلماتها التي هي في الصفات تشبه ... ^(٢) ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق في القاهرة ومصر وثغر بولاق، وذكر فقائهم الجهال وعلمهم الذي يشبه ماء النخال، وفقرائهم الأجلاف، وأحوال الأوباش منهم والآطراف ^(٣)»

أما شروحه وتعليقاته فيصفها في قوله «ولا بأس بوصف هذا الشرح بأيات كأنها بول البنات .

١ — هو الشيخ أحمد السندوبى كما أشار المؤلف في خاتمه الكتاب .
٢ — كلمة نائية .
٣ — المقدمة ص ٣

كتاب قد حوى فن الولاش كتاب قد أتى مثل الفراش
كتات فيه أوراق وحبر وقول صادق مع قول لاش
وفيه ياأخى من كل معنى إذا ما ذقت طعم العفاش
والفاظ بهم — تحكى لبول عليها رونق مثل الفماش
وفيه مسائل حازت هبالا عليه سابل مثل التماش
وفيه النظم شبه الطوب رصا وفيه مسائل جاءت بلاش
إذ طامته حقا وصدقا فلا تأمن سريعا من طراش

كل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد وحل معانيه التي تحكى قبحوف الجريد ،
فأشارح لا يخرج عن كلام المتن كما هو عادة القطن في هذا الفن والفاظ عن .
فياله من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك ، ولو نقش على عود الصواري
لتحرك ، ولو مس به حجر لتشطر ، ولو ألقي في اليم لتكدر ... فهو شرح عديم
النظير في الكثافة لكونه في معنى أوصاف الريافة ، وليس له شبيه في إثارة
لكونه في وصف ذوى الرذالة . واعلم أن كل شرح لا بدله من اسم يناسبه ويتم
عليه يقاربه ، وقد سميت هذا الشرح هز القحوف في شرح قصيد أى
شادوف ... » (١)

ثم يبين هدفه من اصدار هذا الكتاب في قوله « وطاب من القرينة
الفاسدة والفكرة الكامدة ، الاغاثة على كلام أعرفه من بنات لامكر وسخاره
في الأوراق من فشار ، وأن يكون من بحر الخرافات ولأنور الهبابات
واخلاعة والمجون وشئ يحاكي كلام ابن سودون . فقد يمتد السامع بكلام
فيه الضحك والخلاعة ولا يتبل إلى قول فيه البلاغة والبراعة ، لأن النفوس

الآن متشوقة إلى شيء يسليها من الهموم ويزيل عنها وارد الغموم . وفي هذا المعنى شعر .

ففي مذهبي أن الخلاء راحة تسلي هموم الشخص عند انقباضه
وزماننا هذا لا يعيش فيه إلا من عنده طرف من التمسخر والخلاء والبدبة
والصفاء ، ولهذا قال الشاعر :

مات من عاش بالفصاحة جوعا وحظي من يقود أو يتمسخر
وقد تساق الأرزاق لمن لا يدرك الخط في الأوراق ، ويحرم صاحب البلاغة
ولا يجد من القوت بلاغه ولهذا قال الشاعر :

رزق التيوس يجيئها بسهولة وذوو الفصاحة رزقهم مشجون
إن كان حرمانى لأجل فصاحتى أمنن على من التيوس أكون
..... إلى أن يقول : فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله ويدارى وقته
بما يناسب لأحواله ويكون حذرا من دهره ووصولته ويرقص للقرى دولته ، ويعاشر
الناس على قدر أحوالهم ويدور معهم وينسج على منوالهم ، ويتدرج في مدارج
خلعاتهم ويظهر في مظاهر براعاتهم ، كما قال بعضهم :

دارهم مادمت فى دارهم وحبيهم مادمت فى حبيهم —
واحسن العشرة مع بعضهم يفتك البعض على كلهم
فلسامة فى مداراة الناس وحسن الانطباع معهم بلطف الإيناس ، وأن
يكون الشخص متقلبا فى أطوارهم دائرا تحت فلك أدوارهم ، كما صرحت
بذلك فى بعض الأبيات .

فطورا ترانى عالما ومدرسا وطورا ترانى فاسقا فلفوسا
وطورا ترانى فى المزامر عاكفا وطورا ترانى سيدا ورئيسا

مظاهر أنس إن تحققت مرها تريك بدورا أقبلت وشحوسا (١)

ثم يأخذ المؤلف في التحدث عن أهل الريف قبل البدء في ذكر أشرارهم وشرحها والتعليق عليها . فيتحدث عن كل صفة من صفاتهم يحللها ويعملها . فما قاله في أخلاقهم « أما سوء أخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والأبقار ، ولأزمتههم أشيل الطين والنفار وعدم اكتراثهم بأهل اللطافة وامتزاجهم بأهل الثقافة كأنهم خنقوا من طينة البهائم ... » (٢) ثم يعدد أسماءهم وكناهم وألقابهم من رجال ونساء وأطفال . فيقول عن الرجال « وأما أسماءهم فأينما كأسماء العفاريت أو رقع الشلايت ، فيسموا جنجبل وخليجل وعفر ودعوم وزعيط ومعيط وسلاطة ولطاطة وشقايط ومقلبط وبرغوث ومحمد ومحمدين ... وأما كناههم فأبو عفرة وأبو معرة وأبو شادوف وأبو شكاح وأبو قشقوش وأبو سيس وأبو زعيزع وأبو دششه ... وأما ألقابهم فشحيبر ونظور الباب وكسبر الثقيلة وبربور الهبله » (٣)

ويصف عاداتهم ويذكر وقائعهم وأخبارهم في الريف وعند انتقالهم إلى المدن ، ويورد كثيرا من النوادر المتصلة بهم . فمن النوادر التي رواها المؤلف عن فقهاء أهل الريف ممن كانوا يدعون العلم والمعرفة هذه النادرة . يقول المؤلف : « وكان فقيه من فقهاء الريف يدرس في قرية من جنس القرى ، وكأما سئل عن مسألة أجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ، ولم يتوقف في الجواب أشدة جرأته في الكلام من غير معرفة ، إلى أن حضر جماعة بمجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ، ورأوا سرعة جوابه في أسائل وأتيانه بكلام ليس هو في كتب الفقه إلا

(١) — المقدمة ص ٣ و ٤ (٢) — هز القحوف ص ٥

(٣) — هز القحوف ص ٧ — ٩

أن فيه رائحة المناسبة ، فتلوا أمر هذا المدرس عجيب . فقال رجل منهم أنا
أختبره لكم وأبين لكم صدقه من كذبه . كل شخص منكم يأخذ له حرفاً من
حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها ، فقالوا هذا الرأي صواب فأخذوا
الحروف وجمعوها فصارت « خنفشار » ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من
الدرس قالوا له : يا مولانا رأينا في بعض الكتب خذ « الخنفشار » وما عرفنا ما الخنفشار .
فقال لهم : هذا واضح وهو نبات يطلع في أرض الصين يعتقد به اللبن قال الشاعر :

لقد عقدت محبتكم بقلبي كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم وأراد أن يذكر حديثاً باطلاً ، فقالوا له : امسك مامعك
— قبحك الله — وأما كلامك في حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك في
الكذب عليهم ، وأما الكذب في الحديث فلا نسلم لك فيه . ثم انهم قاموا
عليه وأبطلوه الدرس ^(١) .

ثم ينتقل المؤلف إلى الموضوع الرئيسي الذي أراد معالجته ، فيذكر أشعار
أهل الريف ويقوم بشرحها والتعليق عليها ، وهي أشعار غثة وجدت غناء في
انتقاء أبيات منها لكثرة ما بها من ألفاظ مبتذلة غير مهيبة . ومن الأبيات التي
يمكن أن نستشهد بها على معرفة نوع تلك الأشعار الريفية وطريقة المؤلف في
شرحها هذان البيتان اللذان اعتبرهما من أكثر الأبيات تهديبا وأقلها غثاثة .
وقد قدم لهما المؤلف بقوله : « ومن أشعارهم الفشـعروية البيتان الآتيان ،
وسببهما على ما قيل ، أن جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الأشعار وبينهم
شيء من الخلوى والثمار ، فمر بهم رجل فلاح الهم والخزى على وجهه قد لاح ،
فلما رآهم في هذه الحالة انقض عليهم بلا محالة ، وقال لهم ذكرتموني زمان المشق

للملاح وقولي فيهم بلامزاح ، وأراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض
فقال لهم لابد ما أرى عليكم انقباض أي أفاض بلفظ شعراء الريف ثم أنشد يقول :

والله والله العظيم القادر هو عالما بسريري وخبائطي
إن عاود القلب المشوم ذكر كمو لأقطعوا من مهجتي بصوابي

وقد شرحهما المؤلف بقوله : هذا كلام من بحر الهلطة والم في المشروطة
وتفاعيله متخاطبة متخاطبة . . . وأما شرح معانيه المشروطة وحل مبانيه المشروطة
فقوله : والله والله العظيم القادر يريد القسم ، غير أنه لم يقع الموقع لأنه ذكر
الصفة بالضماد المعجمة لا بالطاء المشددة جريا على لفظة أمثاله من أهل الريف .
فاختل معنى من ذكر الصفة وإن كان الموصوف الذي هو الاسم الكريم .
على حاله وقوله : هذا البيت عالم مع أنه مرفوع ليس على قاعدة التفعيل لأن
لسانه لم يساعده على ذلك لأن لفظة أهل الريف تنصب المرفوع وترفع
المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن ، وهذا من باب مجرنة الكلام
المناسبة لأولاء القوم وقوله بسريري وخبائطي : السراير جمع سريرة وهو يسره
الإنسان من خير أو شر . والخبيط جمع خبيطة على وزن عبيطة . وخبائطي وورن
عبائطي مشتقه من الخبط يقال فلان خبط فلانا إذا ألقاه على الأرض . ومن الخبط
على وزن الضراط ولنظ الضراط أنسب بأنه تم بل هو أولى . قال الشاعر :

الخطب مشتق من الخبط . . . وكذلك الضراط من الضراط
. . . إلى أن يقول :

إن عاود القلب المشوم ذكر كمو لأقطعوا من مهجتي بصوابي

هو جواب القسم ، والقطع هو فصل الشيء . وبعده يقال فلان قطع فلانا إذا
بعد عنه ، والقلب مشتق من القلب . قال الشاعر :

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ولا القلب إلا أنه يتقلب

والمهجة معلومة ، والصواب على وزن الفراع وهو معلومة أيضا
ومعنى الكلام أن هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر على كل شيء ، العالم بسريره
وخبائطه أى ما أسره من الأفعال القبيحة والنيات الخبيثة ، وما يخبطه بالليل
من سرقة الغنم والفراخ والنط في الدور وقرط الزرع وسرقة الجلالة وموالسته
على زرع شريكه وأخذه بالليل ، ونحو ذلك من الخبايط التى يفعلها هو وغيره من
أراذل أهل الريافة . وقوله : إن عاود القلب المشوم أى إن رجع إلى محبتكم
بعد ما قسى همومكم وترككم إياه وهو يتذلل لكم بالحجة ويسرح لكم فى
الغيظ فى الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلالة .. ويسرح لكم بالليل
يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطممكم ، وأنتم تشتغلوا بغيره
وتهجره ولا تعرفوا الجميل الذى فعله ، فهو الآخر إن عاد قلبه المشوم
ووصفه بأنه مشوم لأنه وافقه على محبة قليابين الخير تكوين الجميل . وقوله :
ذكركم بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم أى تحرك
بذكركم . بعد هذا كما لا تقطعو من مهجتي أى أنزعها منها بصوابي ، وفى
رواية بضوافرى والمعنى واحد لأن الضوافر تابعة للأصابع ، فإن قيل إن
القلب لا يتصور قطعه إلا بعد موت الإنسان لو فرض ، ولا يمكن الشخص ودو
فى حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم ؟ . قلنا الجواب إن هذا
قطع معنوى لا حسى بمعنى أنه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث أنه لو صور
بين يديه وخالفه لقطعه بصوابه أو بضوافره كما تقدم ... » (١)

ثم يستمر المؤلف فى ذكر الأبيات التى تضمنت المعنى الذى طرقة الشاعر

ويأتى بمسائل كما يقول « هبالية » .

ويختتم المؤلف الكتاب بأبيات - كما يقول - من « بحر الخرافات » :

تم كتاب الهلس والتخريف	وما جرى في وصف أهل الريف
جماله جزئين باختصاص	فجاء كالبزلة في التيسار
لكنه مع ثقل المعاني	وخطب عشوى يا ذوى العرفان
واقظه الرقيق في المقال	وحشو مسائل الهبـال



فليس يخلو جمعه من فائدة	من نكتة أو قصة مشاهدة
وأصل ما ألتأتى لنفسه	وشرحه ونسخه وتقله
العارف الخبر وحيد الدهر	وعالم الإسلام زاكى الفخر
شيخ إمام مصدر الطلاب	وروضة العلوم والآداب
ومعدن الجود مع المطلوب	أعنى الإمام أحمد السندوبى
جزاه رب العرش جنات النعيم	مع النظر لوجه مولانا الكريم

..... الخ

هذه هي الصورة العامة للكتاب يتضح منها أن الموضوع الذى عالجه المؤلف محلى اقتصر على طبقة الفلاحين ، وأن المعانى التى طرقها ساذجة سطحية ، وأن هدفه من أول الكتاب إلى آخره كان إثارة الضحك ، لأن الضحك فى ذلك الوقت كان وسيلة الشعب فى التنفيس عما يعانونه من ظلم الحكام واستبدادهم . أما أسلوب الكتاب فكان يتأرجح بين الفصحى والعامية وإن كانت عامية قليلة تفألت على قصده . وقد تضمنت كتابته

- ١ - كلمات محرفة شوه التحريف معالمها وأبدها عن أصولها الفصيحة بعداً كبيراً مثل (الفشورية والفشكية) ، وكلمات أخرى لا تجرى على أصول ثابتة معروفة أو مسموعة في الاشتقاق مثل (لريافة) من الريف (وهبالي) من الهبل .
 - ٢ - وكلمات مرتجلة لا أصل لها في العامية نفسها مثل كلمة « خنفشار » .
 - ٣ - وكلمات مبتذلة غير مهذبة يبدو أن الرأي العام كان يستسيغها ولا يجد حرجاً في ذكرها بسبب انتشار الجهل وما ترتب على ذلك من انحطاط الذوق .
- فإنه الكتاب العامية تمثل مرحلة من أحط المراحل التي وصلت إليها العامية وهذه ظاهرة طبيعية لأن رقي العامية وانحطاطها متوقف على رقي الفصحى وانحطاطها ، ولم تكن الفصحى في ذلك الوقت بأحسن حالاً من العامية ، فجميع النصوص التي وردت إلينا من آدابها في تلك الفترة تدل على ما كانت تعانيه من ضعف وانحطاط^(١) .

كتاب ترويح النفوس ومضحك العبوس :

ومن الكتب العامية التي ظهرت في مصر في أواخر القرن التاسع عشر كتاب « ترويح النفوس ومضحك العبوس »^(٢) للشيخ حسن الآلاتي . ظهر في الوقت الذي بدأت فيه الدعوة إلى استخدام العامية في الكتابة نشق طريقها إلى الانتشار . وهو من كتب المفاكهة والمسامرة بين الإخوان . هدفه الاضحاك مثل كتاب « هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف » وإن كان يختلف عنه في الموضوع ويختلف نوعاً من الاختلاف في اللغة .

(١) انظر أدب تلك الفترة في رسالة للماجستير للمؤلفة بعنوان « البارودي - حياته وشعره » في فصل تحت عنوان « الشعر قبل البارودي » الرسالة مخطوطة في مكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية .

(٢) الكتاب ثلاثة أجزاء في مجلد . طبع مصر . الجزء الأول والثاني طبعاً سنة

١٨٨٩ م ونشأت طبع سنة ١٨٩١ .

فكتاب « ترويح النفوس ... » يشتمل على ما كان يدور في « المضحكخانة الكبرى » ، وهي إحدى مقاهى شارع الخليفة بالقاهرة ، وقد اتخذها حسن الآلاتي وصحبه مقرأ لاجتماعهم حيث يتبادلون الخطب والأشعار والأزجال والواحد والأغاني ، ويستعرضون ما يرونه إليهم من نتائج من انضم إلي صحبتهم من أنحاء القطر المختلفة ، وكان على رأس هؤلاء الشيخ « رمضان حلاق » في الإسكندرية . وقد بين المؤلف في مقدمته الكتاب « الشباب » الذي دعت به إلى تأليف الكتاب وإلى الاجتماع في تلك القهورة التي تطبق عليها اسم « المضحكخانة الكبرى » ويصف أعضائها ، وروادها وكيفية تكوينها ويرى أنها تحتاج في ذات المقدمة بقوله : « اعلم أن الباعث لي على تأليف هذا الكتاب وصرفي في تأليفه ثلاثة أيام من عنفوان الشباب ، هو أني كنت مع جماعة من الإخوان أصلح الله لي ولهم الشأن وأسكنني رؤياهم جنات مكان ، وكنا نكسر في بيوت بعضنا السهر ونفوص في بحور أفكارنا لطلب نفائس الدرر ، وكان منا السهبر والنديم والندبه والفهم والفاضل والجاهل والمناقير والكمال والألكم والصحيح والمريض والصحيح والشجاع والجبان والمزين والمذنب . وكانت ميته الاجتماعية وجلستنا الاختراعية مشتملة على صائر التزين من معنول ومنقول وسند وبجون . ولما زاد عددنا وكثر مددنا وضاقت علينا البيوت كثرنا في كثير من البيوت ، اتخذنا مركزاً أميناً وحصناً حصيناً وهي قهرة الطائفة في شارع الخليفة . ولما تم الانتظام ورضينا بهذا المقام سمينا هذه الجلسة « الغدا » بالمضحكخانة الكبرى ، وشاع صيتها في البلاد واشتهرت بين العباد وصارت تأنيها للناس من كل فج ، وكل من أهل البلاد بهذا الاسم لطج ، وربما كان يأتي الأمير في زى الضعيف الفقير فيمنظر منا كل عجيبة ويسمع كل غريبة » ^(١)

ثم يذكر كيف اختير رئيساً للمضحكة ، وكيف طالب منه أن يختار لكل عضو وظيفة ، وكيف أشار عليهم بأن يكتب كل منهم رسالة ليتمكن بعد دراسة أسلوبه من تحديد الوظيفة التي هو جدير بها . ثم يأخذ في سرد نماذج من هذه الرسائل وكلها من النوع الفكاهة الساخرة ، ويكفي أصحابها بوظائف مختلفة يذكر أنواعاً منها في قوله : « فمنهم الشيخ العارف وظيفته بوظيفة ناظر مقاطف والآخر تخرجي قلايط والآخر مخزنجي تراب شايط وآخر بلطاجي ونشاب وآخر ناظر مغيبات وآخر باش مفتري وآخر مخزنجي موبقات . . . وهكذا من تلك الوظائف المطيفة والمناصب الشريفة . ثم أوصيتهم بحماية اللازمة بعدم الإهمال وفلة الأشغال وترك ما أمروا به من الأعمال حتى يكونوا قائمين بأشغالهم ومنعكهم عن أعمالهم » (١) .

ثم يفتتح المضحكة بصفته رئيساً بخطبة من خطبه اجتمع في أن تكون مثيرة للضحك . وكان من وسائله في الإضحاك العبث باللغة ، فعمد إلى تحريفها وتشويهها حتى ليجد القارئ صعوبة في فهم الانبساط وهل لها وجود حقيق في اللغة أم اخترعت اختراعاً . بدأها بقوله : « فلقد باضت على رؤوسكم أفراخ أفراخ بميش درويش الانبساط وفاضت على نفوسكم بمغناطيس كاييس به عيسيس أشد أهدما يكون البقساط ، وصاح قرنايط الملك في زنجبار السرور وتقلعت زناويل الحظوظ في مصان الوابور ، وقد فرست لكم في هياض بياض حياض التنكيت أجمعها حصيراً فصرتم تكرون كرون الدنانير وتفرون فر الزناوير وكنتم قوما سيلقون حميراً وابستم من المودة ثوبا مخيطاً فلا أنتم في السماء

ولا في الأرض وكانت جهنم بكم محيطا . ولقد صدق الشاعر الجعفي المسمى
بالشبيبي حيث مدحكم وقال :

أنتم كرام رام لا نظير لكم في الحكش والعكش والسودان والبعض

..... الخ

وهي قصيدة طويلة يختتمها بقوله :

لا تشربوا الخمر إن الخمر عادته صفك الدماء وهلاك المال والبدن

تجنبوا البسط والمعجون لأنهما أسباب ضيعة عقل الحازم الفطن (١)

ثم يبدأ المؤلف في عرض آثاره وآثار أعضائه المضحكخانة ، في مختلف
قنون القول : الرسائل . الأشعار . المواعيل . النوادر . الألفاظ . الأزجال

نموذج من رسائله : فمن رسائله التي أرسلها إلى صديقي في دمنهور يعده فيها
بالزيارة تلك الرسالة التي جاء فيها .

« سلام مضمحل وشوق مشتعل حمار وحلاوه محش شياطين وأباريه أدق من
قفل سعودي وأرق من قفطان يهودي . أمر من سكر فرشوط وأحلى من ملوحة
أسيوط . نخس حضرات منكتين المديرية ومفتتين حيطان المديرية ، من إذا
ركعوا صاموا وإذا سجدوا عاموا وإذا اشتغلوا بلطوا وإذا بلطوا شغلوا . ثم
نخص منهم الخبر الهام الغسيم في النشر والنظام قنصل الأولياء وصهرج الانقياء
الصادق في خلاف الوعد حضرة شيخنا وسنيورنا ومعلمنا مصطفى أفندي سعد متع
المسلمات بتخيريه وأدخلهم في إحدى طافات مناخيريه . بينما أنا في سيري وحاطت

شوكتى فى قفا غيرى إذ دخل على رجل نمباعى وراح ماسك صباهى فرأيتہ رجلاً
محترم فرحت قاشطة حنة قلم وقلت له من أين أتيت يا سقطة فقال لى من على
سطح البوسطة وأعطاني جواب كبير يطلع الدلو من البير فشرمطنا الجراب وعملناه
عتبة للباب ولحسنا الكتابة والقرمنا الاجابة ولا بد إن شاء الله تعالى من الحضور
وتفانظرونا يوم الجمعة عند سليمان أفندى الوابور ، ولما فرغنا من العمل شرعنا
لكم فى قطعة زجل وهى قطعة طويلة نقتطف منها هذه الادوار :

المطلع

سر يا نسيم أول شعبان بلغ سلامى للاخ--وان

دور

خد دى السلام الجب--امى من قبل ما أعدل راسى
على حبيبي وتاج رامى بدر البدور هين الاعيان

♦♦♦♦♦

يا صاحب الراى الصايب يالابس الم--بن الرايب
شوقك ملا ست زكايب دا هجر والا ودن حصان

♦♦♦♦♦

أقسم بمن زخظ الورش--ة وغمس العيش بهارشه
ونف نزل ميه هاشه لابسين تنظ واكياس دخان

♦♦♦♦♦

إنى أجيبك ممتعنى بالشرط ما تسأل عنى
وإن هود الليل تاكفى تبقى جدع شيخ الجدعان

لك رجل في المضحكة خاتمة وأمشير ونص السلخانة
بكره أجيب لك خشخانة تقطع بها عين الشيطان

تم

السلام عليكم عليكم السلام كاتبه بخطه الذي لا يعرف يرى القلم من قطعه ،
كناس خموم البندور والمراکز حسن أفندي على الآلات الهاجز . (١)

نماذج من أزجاله : ويشتمل الكتاب على كثير من أزجال حسن الآلات
وهي متعددة الأغراض ولكنها متحدة في الغاية التي كان يهدف إليها المؤلف ، وهي
إثارة الضحك وإشاعة السرور . فمن هذه الأزجال زجل أرسله إلى صديقه
"شفيح رمضان حلاوة ويتضمن - كما يقول - عزيمة اختراعية " .

ومطالعته

يا أخا نتور والبغاشة والغباوة نظ سلم لي على رمضان حلاوة

دور

نظ نظه روح اسكندرية بلغ اخواني العزاز عنى التحية
قل حسن باعت لكم قطعة صيفية والطعام معجب بتيهه والزهاوة

دور

والطعام متقون وفاضت له روايح لا تقل عنبر ولا مسك الفوايح
حضر "سلطان قوام" واكتب لوايح للفواكه واليميش من غير بطاوه

دور

وانفوط ويا السكاكين والمعاليق والشوك لأجل المشاوي والمساق
سكت الشورية اذا جاءت تخانق بالجار والمستهكة زادت حلاوة

دور

بعد ما انشال يحبي لك يا بني ودي صحن باميه بس سيب دي وكل دي
بعدها كل من فطورات ابن هندي والكباب اللي استوى بعد السلاوة

دور

بعد أكلك في المكباب يا ذا اللطافة شد عزمك للقطايف والكنافة
والمحاشي صنعه أرباب الظرافة واقصد الديك تلقية صاحب عتاوة
ويظل يدعوه إلى تناول مختلف أصناف الخضروات واللحوم والأسماك
والخاوي إلى أن يختم تلك القطعة الزجالية بقوله:

اغسل الأيدي وقم حضر سجاير وتهاوى بالسكاكر والمباخر
أكرم الضيف والطفيل والمسافر لأجل كل الناس يقولونك براوه (١)
ومن أزعجته الت مزج فيها بين الجد والهزل هذا الزجل الذي مطلعته:
قل لأهل الجرد والتكريم تحضر عرس الست نسيم
وفيه يقول:

دور عاقل

لورادك خير رب الحافظ يجعلك من نفسك واعظ
كم تسمع قرآن ومواعظ لكنك في اللهم وتهم

دور مجنون

شفت البرغوت لابس جزمه والقملة بتم بتم بتم بتم بتم بتم بتم بتم
والفرخ الناموس له عزمه شال باريش وداها ابريم
..... الخ

وهكذا يستمر هذا الزجل الذي يختوى على أكثر من عشرين دورا بين دور
عاقل ودور مجنون. (٢)

نموذج من قصائده : بهذه الروح العابثة نظام حسن الآلاتي قصائده . فمنها قصيدته التي مدح بها الشيخ رمضان حلاوة والتي وصفها بأنها « قصيدة في مدحه مشهورة بقدحه » وهي :

إذا رمت المكارم والمفاخر	عليك بمدح الشيخ المهاجر
هو الأستاذ رمضان المسعى	حلاوه وهو أكل المراير
له في العلم باع أى باع	له جهل تضيق به الدفاتر
له في الحرب إقدام وبأس	ولكن في لهروب أجل شاطر
له جود كموج البحر عدا	عظيم البخل ليس له معاصر

..... إلى أن يقول :

أحب إلى من خالى وعى	وربات الحلاخل والأساور
ولما عاد قل لأنس أهلا	وسهلا بلذى هدم المجاذر
رشيق القد معسول السنايا	كبير الأنف معلوم الأظافر
له وجه ككدر النجم باه	له عينان أوسع من مقابر

ومدة رحلة الأستاذ أرخ غلادستون حج مع ابن طاهر^(١)

هذه النماذج التي مثلت بها المحتويات الكتاب من خطب ورسائل وأزجال وأشعار تدل دلالة واضحة على أن غرض المؤلف الأساسي وهدفه الأول من إصدار الكتاب هو النفس . ولاشئ وراء هذا الهدف ، أعني أنه لم يكن يهدف من وراء هذا الشعار الذي اتخذ كتابه إلى التعرض لشئون البلاد السياسية أو الاجتماعية كما فعل غيره من الكتاب الذين كتبوا بالعامة مثل صاحب مجلة

أبى نظارة وصاحب مجلة حارة منبى مثلاً . وإنما كان هدفه الاضحاك فقط وفي سبيل هذا الهدف أباح المؤلف لنفسه استخدام العامية ، ولم يكتف باستخدامها كما ينطقها العامة بل عمد إلى تشويها وتحويلها زيادة في التمكن والتظرف .

وتختلف عامية هذا الكتاب عن العامية في كتاب «هز القحوف» فلاولى تمثل عامية أهل المدن والثانية تمثل عامية أهل الريف . كما أن العامية في كتاب «ترويح النفوس» قد خاضت إلى حد كبير من الألفاظ البذيئة التي لم يتورع صاحب كتاب «هز القحوف» من التصريح بذكرها ، واشتملت على بعض ألفاظ أجنبية مثل كلمة (سنيورنا وبرائة أى برافو) ، وهذه الألفاظ سيكثر كتاب العامية من استخدامها وستكون وسيلة من وسائلهم في الاضحاك كما سنرى ذلك فيما بعد .

ويمكننا بعد دراسة هذين الكتابين « هز القحوف » و « ترويح النفوس » وما ألف بعد ذلك على نمطهما ^(١) من المؤلفات العامية التي استمر ظهورها حتى أوائل القرن العشرين أن نقرر أن موضوع المفاكهة والمسامرة هو أول موضوع طرقت به العامية ، ثم أخذت العامية تطرق مختلف المواضيع وتستخدم في مختلف الفنون الأدبية ويكثر التأليف بها سواء في الكتب أم المجلات .

وكان للدعوة إلى العامية التي روج لها الأوروبيون وتبجح فيها بعض المصريين أثر في هذا الاتساع والتنوع . كان من أول مظاهره رواج المجلات العامية رواجاً عظيماً في الثلث الأول من القرن العشرين أذكر منها .

(١) مثل : كتاب « روضة أهل الفكاهة » تأليف وجمع أحمد الشبراوى . طبع مصر

سنة ١٨٩٥

وكتاب « السالى فى سهرات الليالى » تأليف وجمع الدكتور هلال فارحى

طبع القاهرة سنة ١٩٢٧

- ١ - المسامير : السيد عارف : (١٩١٠)
- ٢ - السيف : الحسين علي : (١٩١١)
- ٣ - المكشكول : لسان فوزي : (١٩٢١)
- ٤ - أبو قردان : محمود رمزي نظيم : (١٩٢٤)
- ٥ - البغيفان : محمود حسني : (١٩٢٤)
- ٦ - ألف صنف : ابدع خيرى : (١٩٢٥)
- ٧ - أبو شادوف : محمد شرف : (١٩٢٦)
- ٨ - ابن البلد : السيد يومى سلامة : (١٩٢٩) (١)

وقد سجلت بعض أسماء هذه المجلات كما سجلت أسماء أخرى لمجلات عامة في زجل قبل في تحية مجلة « البغيفان » جاء فيه :

بحر الفكاهة والطرب	في « البغيفان »
فيه كل أنواع الادب	غير البيان
« الناس » بتفرح لظهورك	بين الجرائيل
والورد فرع في سطورك	يا بو « الزغاليل »
« والسيف » كلامك وبحورك	أنهار « النيل »
« والمطرقة » سرورها بزورك	كسر السندان
فيك « الف صنف » وفتوته	أزجال وأشعار
وفكاهة تشبه حدوته	فرايدها كبتار
ونقد واقع ع « النوتة »	بيلاب نزار

(١) - أطلت على هذه المجلات في مكتبة دار الكتب الملحقة بالقلمة - القسم الخاص بالدوريات

وفطيرة بلزيت ملنوة	والاحـمـ	كان
قربت أصولك في ادارتك	عجبتني أصـول	
وشفت نقدك وفكاهتك	صحف « كشكول »	
وحسن ذوقك ونعمتك	تشبه « أرغول »	
ماحد زيك في فصاحتك	حتى « أبو قردان » ^(١)	

.....الخ

وقد استتبع كثرة هذه المجلات انحطاطا في مستواها، إذ أصبح أكثر كتابها من العامة لمحدودي الثقافة .

وفي الواقع أننا نجد فرقا كبيرا بين بعض كتاب تلك المجلات العامة في ذلك الوقت وبين من سبقهم ممن استخدموا العامة في كتاباتهم مثل : يعقوب صنوع في مجلته « أو نظارة » ، ومحمد النجار في مجلته « الأرغول » ، وعبد الله نديم في مجلته « الأستاذ » و « التنكيت والنبكيت » فهؤلاء كتبوا بالعامة مع مقدرة على الكتابة بالفصحى وذلك بدافع من الرغبة في تثقيف العامة . أما الآخرون فقد كتبوا بالعامة عجزا عن الكتابة بالفصحى واستغلالا لتلك الظروف التي سوت الكتابة بالعامة وشجعت كل من له إلمام بالقراءة والكتابة على أن يشتغل بالصحافة بل ويؤسس لنفسه صحيفة طالبا للسكسب .

(١) مجلة « البهقان » العدد الأول . السنة الأولى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٤

الفصل الثاني

العامة في المسرحية

لم يقف أثر الدعوة المفروضة عند كثرة المجلات العامة وتنوعها بل امتدت إلى ألوان من فنوننا لأدبية سندرس كل منها على حدة . وفي هذا الفصل سندرس المسرحيات التي كتبت بالعامة ونبين الموضوعات التي طرقتها ومدى صلاحية العامة في معالجتها ، ونعرف الأسباب التي دفعت بكتاب هذه المسرحيات إلى استخدام العامة .

مسرحيات يعقوب صنوع « أبو نظارة » (١٨٢٩-١٩١٢)

يعتبر يعقوب صنوع « أبو نظارة » مؤسس للمسرح العربي في عصر أول من كتب مسرحيات بالعامة ، واستطاع خلال سنتين (١٨٢٠-١٨٢٢) أن يقدم للمسرح ثلاثين و ثلاثين مسرحية أكثرها من تأليفه ^(١) لم يبق منها سوى مسرحية واحدة هي « مولير مصر وما يقاسيه » .

مولير مصر وما يقاسيه

يسلط صنوع في هذه المسرحية التي استوحى فكرتها من مسرحية « مولير » « رنجال فرساي » L'impromptu de versailles ^(٢) المتاعب التي قاساها في إنشاء مسرحه والتجارب التي مر بها أثناء عمله في المسرح . وقد عرف في

(١) انظر كتاب « أبو نظارة » للدكتور ابراهيم عبده ص ٢٧ .

(٢) انظر أوجه التشابه بين المسرحيين في كتاب « المسرحية في الادب العربي الحديث » للدكتور محمد يوسف نجم طبع ببيروت سنة ١٩٥٦ ص ٤٣٢

مقدمتها بالموضوع الذى طرقه وذلك حيث يقول : « أهديكم ياسادتي سلامي وتحيتي واحترامي . وأتمنى لكل أفندي ومسيو وسنيور العز والهناء والسرور . وأرجوكم يا أعز إخواني من مؤمن واسرائيلي ونصراني ، المحشي من حبكم فؤادي ، المحبوبين عندي كأولادي ، أن تسامحوا كل الفاظ التي تجددوه في دي الرواية وربى يرزقكم في الملايين بالمائة . فالآن رخصوا لي أن أقص عليكم يا كرام ماقسيتة في انشاء التياترو التي أسسته منذ أربعين عام على أيام اسماعيل التي في ذلك الزمان كنت عنده من أعز الحلان . تارة تضحكوا وتارة تشكروا وتارة تشكوا . من الرواية الآتي شرحها يا حضرة القاريء ترسو على حقيقة التياترو العربي وكيفية أفكارى ... »^(١)

وقد حاول المؤلف بعد ذلك في متن المسرحية أن يطلعنا على الظروف التي مر بها مسرحه في مثل قوله : « فلما أنشأت التياترو العربي الناظر المكار على باشا مبارك منى غار » وعلى مشكلات الممثلين في مثل قوله « وبدعم من الميرى تعيين ماهيات لأن الي بيدخل لهم من التياترو ماهوش كثير » وعلى رسالة المسرح في قوله « وإذا لم تكتب روايات تذكر فيها لفظ حرية وحب وطن ومحاربات وإلا قل على التياترو العربي يارحم يارحيم » .

وتعتبر هذه المسرحية مرجعا تاريخيا لأول مسرح عربي أنشئ في مصر . وقد اعتمد عليها كثير من الباحثين الذين أرخوا نشأة المسرح العربي بصفة عامة ومسرح يعقوب صنوع الذي ذهب معظم أخباره بصفة خاصة . أما مسرحياته الأخرى التي اندثرت آثارها فقد وردت بعض أسماؤها وموضوعاتها في بعض

(١) مولير مصر وما يقاسيه . بقلم يعقوب صنوع « أبو نظارة » طبع بيروت سنة ١٩١٢ . مقدمة المسرحية

المراجع (١) منها :

غزوة رأس نور (تسخر بالمداهنين أصحاب المظاهر) وشيخ البلد (تدعو الآباء إلى الأخذ بآراء بناتهم حين زواج) زوجة الأب (تحمل على الكهول الذين يتزوجون من صبيات صغيرات) زبيدة (تنقد تقليد الشرقيات للفرقيات دون وعى أو تفكير) والبورصة والبربرى والحشاش والصدقة وغندور مصر والضرتان وأنسة على الموضة والوطن والحرية (والمسرحية الأخيرة تنقد انحطاط الاخلاق الذي تدهورت إليه السراى) .

ولقد اتي مسرح صنوع نجاحا كبيرا لأنه كان يعتبر في ذلك الوقت بدعة جديدة يتوق كل فرد إلى مشاهدتها . ولأن المسرحيات التي كان يقدمها كانت من النوع المحلي الذي يعالج أدواء البلاد الاجتماعية والحقيقية والسياسية فوجد فيها الشعب متفهما لآلامه . ولأن هذا المسرح قد حظى في أول عهده بتشجيع الخديوي اسماعيل الذي منح صنوع بعد أن شاهد مسرحيتين من مسرحياته (آنسة على لموضة وغندور مصر) لقب « مواير مصر » فكان لهذا اللقب أثر كبير في نفوس عامة الناس وخاصتهم .

لكن هذا المسرح لم يعمر طويلا رغم ما صادفه من نجاح وذلك عندما تنكر له اسماعيل بسبب ما أثره صنوع في بعض مسرحياته من موضوعات تمس حياة اسماعيل وبطائنه مثل : موضوع تعدد الزوجات في مسرحية « الضرتان » ، ونقد الادارة الحكومية في مسرحية « الوطن والحرية » . فما كان من اسماعيل إلا أن أمر باغلاق المسرح . واستمر في اغلاق كل باب يطرقة صاحبه حتى انتهى به الأمر إلى أن أمر بنفيه من مصر .

(١) كتاب « أبو نظارة » للدكتور ابراهيم عبده ص ٢٧ .

وكتاب « المسرحية في الأدب العربي الحديث » للدكتور محمد يوسف نجم ص ٨٨

اتجاه مكتوب صنوع إلى الكتابة بالعامية :

لم يتجه صنوع إلى الكتابة بالعامية بسبب المعجز عن الكتابة بالفصحى كما أشرت إلى ذلك في الباب الثاني ، حيث تكلمت عن أهداف الكتاب الذين استخدموا العامية قبل انتشار الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة للكتابة والأدب ، وبينت أنه لم يكن يستهدف من الكتابة بالعامية إلا تنقيف الشعب الذي كان لا يزال حتى ذلك الوقت يرزح تحت وطأة الأمية . هذه الرغبة قد لازمتها في كتابة مسرحياته كما يتضح ذلك من أسماء ما عرفناه من مسرحياته وموضوعاتها . وهي تدل على المهمة التعليمية التي اضطلع صنوع بالقيام بها . هذا إلى أن صنوع يعتبر أول كاتب مسرحي في مصر عالج فنا مستحدثا لا في مصر وحدها وإنما في الأدب العربي عامة ^(١) عالجها في وقت لم تكن دراسته قد استوفيت ولم تكن أصوله ولغته قد حددت بعد . وقد صارت لغة المسرح موضع بحث كثير من النقاد والأدباء ولا زالت الآراء مختلفة في تحديد ما حتى يومنا هذا كما سأشير إلى ذلك فيما بعد .

مسرحيات محمد عثمان جلال . (١٨٣٨—١٨٩٨)

ومن المسرحيات التي كتبت بالعامية مسرحيات محمد عثمان جلال التي قام بنقلها عن الفرنسية وأرجعها إلى الزجل باللهجة العامية المصرية ، والتي قام بتأليفها مستلهما فكرتها من البيئة المصرية والحياة المصرية .

(١) لم يخل الأدب العربي القديم وخاصة في مصر من محاولات أولية في الأدب المسرحي ولكنها لا تمت بصلة إلى فن المسرحية الذي ظهر في نهضتنا الحديثة تحت التأثير المباشر لاتصالنا بالآداب الأوربية .

انظر مقال «ابن دانيال ومسرحياته» مجلة الهلال يوليه سنة ١٩٥٢ لأحمد أمين
انظر كتاب «المسرحية : نشأتها وتاريخها وأصولها» طبع مصر سنة ١٩٥٤ . ص ١٢
لعمر الدسوقي

نقل جلال عن الفرنسية أربع مسرحيات هزلية « لموليير » جمعها في كتاب بعنوان « الأربع روايات من نخب التياترات » وهذه الروايات هي :

- | | |
|---------------------|---------------------|
| Le Tartuffe | ١ - الشيخ منلوف |
| Les Femmes savantes | ٢ - النساء العالمات |
| L' école des Maris | ٣ - مدرسة الأزواج |
| L' école des Femmes | ٤ - مدرسة النساء |

وقد حرص جلال في ترجمة هذه المسرحيات التي نقلها إلى الزجل المصري على تصوير البيئة المصرية الشعبية في مختلف مظاهرها ، في روحها وعاداتها وتقاليدها فأدخل فيها كثيرا من الفكاهات والحكم والأمثال الشعبية . وقد اضطره إيمانه في إبراز الروح الشعبية إلى التردى أحيانا في فاحش القول^(١) ، وإلى طمس معالم بعض الشخصيات كما فعل في مسرحية « النساء العالمات » فقد كانت أبرز صفة في شخصية « النساء العالمات » اللاتي كرسن حياتهن للبحث عن شئون اللغة ، التأنيق في الحديث باختيار أغم لألفاظ وأروع التشبيهات والاستعارات . هذه الصفة لم يستطع جلال أن يبرزها كما فعل موليير في مسرحيته ، لأن العامية التي استخدمها جلال لم تقو على التفريق بين لغة النساء العالمات ولغة الأشخاص الآخرين في المسرحية . فجاء حديث النساء العالمات في مسرحية جلال مثل حديث الآخرين وبذلك فقدن أبرز صفة من صفاتهن .

(١) انظر « الأربع روايات من نخب التياترات » . الطبعة الأولى . طبع القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٨٩ م . رواية الشيخ منلوف ، (ص ٧ و ٨ و ٩ و ١٠) .

وقد وثق جلال إلى حد كبير في المسرحيات التي كانت ملائمة بطبيعتها للمجتمع المصري معبرة عن أهم مشكلاته في ذلك الوقت أي في عصر جلال ، مثل مسرحية « مدرسة الأزواج » التي تروج للدعوة إلى سفور المرأة ، وقد كانت وقتذاك فكرة ناشئة لم يكتب لها الذيوع والانتشار بعد . ولما كانت هذه المشكلة التي أثارها المسرحية من مشكلات البيت المصري حتى وقت قريب ، فستخذها مثالا لبيان طريقة جلال في التعبير .

مسرحية مدرسة الأزواج : قدم جلال هذه المسرحية بيتين ضمنهما هدف المسرحية :

إن تكن المرأة ذات خفة ولم تكن أصيلة في العفة
فحبسها وحجزها لا ينفع لأنها من كل باب تطلع
وتتلخص المسرحية في أن ظريفة وبدور أختان يتيمتان تركهما أبوهما في رعاية الأخوين أمين وأدهم ، فعاهد أمين نفسه على الزواج من ظريفة وعاهد أدهم نفسه على الزواج من بدور . وكان أمين محافظ يرى في إبقاء المرأة في المنزل وتشديد الرقابة عليها أنجع وسيلة لصيانتها . أما أخوه أدهم وبقية أشخاص المسرحية فكانوا يخالفونه هذا الرأي . وتتضح وجهات نظرهم فيما دار بينهم من حوار . فيشرح أمين (المحافظ) لأخيه وجهة نظره في قوله :

وأنا بشوف واخـبرك	بصوت عالي أنصحك وأدبرك
أنت تريد تمشي على رأى الحريم	وتجيب لها واحد أغا واسمه كريم
ونجيب لها كيخا وتخرج كل يوم	ويفوت عليها الليل وهي ماتشوف نوم
وتقول حرية وتفضل في الكسل	وانت على قلبك أهو أحلى ملعل

تعرف خلاصك يا أخى لكن أنا
تفضل أميرة عاقلة ومؤدبة
تقدم تنقى قمح وتطبق غسيل
لا تستمع قالوا وقلنا ولا
أحسن كان يحصل كده ولا كده
وتكون سبب لي في لزعل أو الجنون
حيث انها هيا بقت في ذمتي
واجب على انى أراقب ربيها
وتعارضة حسنه (الخادمة) في قولها :

والحبس دا كان ليه هيا أذنبت
دا جنسنا رد البدع ويا الدمن
هو الاحتراس يا عم ينفع للنسا
وإن كان للواحدة غرض تحصله
ما يفر كوش يا رجال كتر الغفر
ما حد في الدنيا نفع غير الأمان
وإن حد خونهم يتنه في عذاب
ما يحفظ النسوان إلا نفهم
تقنه الواحدة إذا منعتهما

و يؤيدها أدم في معارضتها لرأى أخيه أمين في قوله :

والله كلامها يا أخى عين الصواب
لا الحبس ينفعهم ولا كتر العذاب

وإن كان هيا بنت أو كانت مره
الحبس والتضييق عليها مسخرة
والعرض من نفسه إلى نفسه يصون
وايش بعمل التحكير في القلب الحرون
ما دام يبيل لك قلبها وتماكه
اطلق سراح الجسم برا واتركه
زى الحمامة اللي تكون ولفتها
ترجع ترفرف إذا ما فتها^(١)

ولكن أمين يصر على رأيه في معاملة المرأة ، تلك المعاملة التي أثارت
سخط ظريفة التي أراد أن يتخذها زوجها له . فسعت إلى التخلص منه واستطاعت
بدهائها وحيلها أن تتخذة رسولا لحبيبها نصير ، ويظل أمين في غفلته حتى
وقت عقد قرانها على نصير . فيحتفل الجميع بهذا الزواج تاركين أمينا
يندب حظه .

وتختتم المسرحية بقول حسنه (الخادمة) للجالسين :

وانتوا كان اللي تكون به وسوسة يحى حدانا نعلمه في المدرسة

الروايات المفيدة في علم التراجيدية

ونقل جلال عن الفرنسية أيضا ثلاث مآس « لراسين » ، نقلها إلى لوجل
المصري وجمعها في كتاب بعنوان « الروايات المفيدة في علم التراجيدية » موقعة
بالحروف الأولى من اسمه وهذه المآسي هي :

١ - استير Esther

٢ - أفغانية Iphigénie

٣ - الاسكندر الأكبر Alexandre le Grand

وقدم هذه المآمى بقوله : « إن من الروايات الجارية تمثيلها في أوروبا ما يسمونه بالتراجيده ، وهي عبارة عن وقائع تاريخية أو حربية أو عشقية . وقد اشتهر في فرنسا رجل يسمى راسين وكان في عهد لويس الرابع عشر الذى نشر المعارف وأعان الشعراء على حسن الاختراع ورقيق الابتداع ، فاخترت من كتابه ثلاث روايات وسميتها « الروايات المفيدة في علم التراجيده » وهي أشبه شيء بالفرج بعد الشدة وبلوغ الفرح بعد مدة . واتبعت أصلها المنظوم وجعلت نظمها يفهمه العموم ، فإن اللغة الدارجة أنسب لهذا المقام . وأوقع في النفوس عند الخواص والعوام .. » (١) .

وهنا يجدر بنا أن نتساءل هل كانت العامية مناسبة حقا لهذا المقام وفي مثل هذه المآمى بالذات ؟ وهل استطاعت أن تضطلع بالمهمة التى أراد جلال أن يكلفها بحملها ؟

لقد استخدم جلال اللغة الدارجة في تمصيره لمسرحيات مولير فكان أكثر توفيقا منه في مسرحيات راسين ، وسبب ذلك أن مسرحيات مولير كانت جميعها من نوع الملهاة ، واللهجات الخاصة كانت ولا زالت عنصرا من عناصر الضحك في مثل هذا النوع من المسرحيات . وقد استخدمها مولير نفسه في بعض مسرحياته . أما مآمى راسين هذه فقد أفسدت اللغة الدارجة جوها الصارم وأخرجت أبطالها العظام الذين انحدروا من التاريخ عن وقارهم التاريخي .

(١) الروايات المفيدة في علم التراجيده . لمحمد عثمان جلال . طبع مصر ١٢١١ هـ ١٨٩٤ م . المقدمة ص ٢ .

فلننظر كيف انطلق جلال هؤلاء الأبطال في أخرج مواقفهم .

وفي المسرحية الأولى (استير) : التي يعرفها جلال « بأنها امرأة من بنات اليهود ، وكن احشوارش ملك الفرس مجوسيا فتغلب على مملكة اليهود وقتل ملوكهم وأسروا رجالهم ، فمات أبو استير وأمها ولم يبق لها من أهلها إلا عمها مردخاي . فانفق أن ملك الفرس طرد امرأته وأرسل رسله في بلاد المشرق يطلب جميع البنات الأبنكار ليختار منهن واحدة يتزوج بها ، فأخذ مردخاي ابنة أخيه استير وأدخلها ضمن البنات على الملك فأعجبته وتزوجها وجعلها ملكة . وكن هامان وزير الملك من أظلم خلق الله وكل الناس تسجد له إلا مردخاي ، فاغتاظ منه ونوى على قتله وتحصل من الملك على أمر بزيح كل من كان يهوديا . وأبى الله إلا أن ينتصر مردخاي وأن يقتل هامان وأن يؤمن الملك ويتبع دين اليهود .

نجد في مشهد من المشاهد « مردخاي » يخبر استير بما أصدره الملك من أوامر تقضي بقتل اليهود قائلا :

اقري وشوفي دا الملك أمره صدر بموجبه دم اليهود صبح هدر
فتجيبه استير ملكة الفرس قائلا :

يا حسرة الشوم جتني اتلبشت وجلدة الرأس من كلامك كشكشت (١)

وفي المسرحية الثانية « أفغانية » : التي يعرفها جلال « بأنها مأخوذة من تاريخ قدماء اليونان . ومضمونها أن ملكين من اليونان وهما غامنون

(١) الروايات المفيدة في علم التراجيدة ص ٥

ومنيلاس تزوجا بأختين وهما كليتامستر وهيلانه. فاتفق أن ملكا آخر من مدينة في آسيا تسمى ترواده واسمه باريز اختطف هيلانه زوجة منيلاس ، فاجتمع من اليونان عشرون ملكا وولوا عليهم أغاممنون امبر طورا وتجهزوا للحرب ترواده لخلاص هيلانه، وساروا لها في البحر بألف سفينة فأمسكت الريح عن تلك السفن فوقفت في باءة تسمى أوليده ، فسألوا المنجم الذي فيها أن يفيدهم عن سبب إمسك الريح عنهم مدة ثلاثة أشهر ، فاخبر أنها لا تنطلق إلا إذا قربوا للهيكل قربانا بذبح ابنة أغاممنون المسماة أفغانية »

نجد في مشهد من المشاهد : أغاممنون ، يصف الصعاب التي واجهته في حرب ترواده قائلا :

<p>وحن قلبي له ومنه اشتكا لحرب ترواده، وكان الريح شديد وقلب أعدانا من الهم انجرح ولا بقافية للقلوع أدنى نفس ورجالنا في المقاديف بلطت يعرف بعلم الغيب ومنه متلى لدى الولي والقلب منا في وجل برهة وحجر لي وقشعر جبهته وبالامارة اسمها أفغانية لو كنت تدعى من المساء إلى الصباح بوقتها الأرباح بابها يفتح^(١)</p>	<p>الحزن إلى بان عليا والبكا ما تفكر لما اجتمعنا في أليد والناس في ضجة عظيمة من الفرح ما نشمر إلا الريح بلط وانحبس وقفت مركبتنا قوام وأربطت قالوا هنا في البر واحد ولي خرجت أنا ومنيلاس وأوليس بالمجل فضل الولي يقرأ ويقلب سبخته قال لي انت عندك بنت حلوة وغالية ما تنطلق إلا على رأسها الرياح إن جبتها قربان هنا وتندبح</p>
--	--

(١) المرجع نفسه ص ٤١

ونجد في مشهد آخر «كليتاستر» زوج أغاممنون تقول عندما علمت
باصرار ابنتهما «أفغانية» على أن تقدم نفسها قربانا من أجل لوطن .

تعبت يا أخواتي وراحت قوتي الهم غلبني وفرتك سوتي

ياموت ريحني تعالى بالصجل اليوم ما ينفع بقا طول الأجل ^(١)

وفي المسرحية الثالثة «الاسكندر الأكبر» التي تصف رحلة الاسكندر
الأكبر إلى الهند وما جرى له مع ملوكها وملكاتهما .

نجد في مشهد من المشاهد «بوريس» وهو أحد ملوك الهند الذين أصروا
على محاربة الاسكندر يقول لزوجته «اكسيان» يذم «كليوفيل» أخت «تكسيل»
وهو ملك آخر من ملوك الهند، لأنها انفقت مع أخيها على عدم محاربة الاسكندر
لعلاقة كانت بينهما وبين الاسكندر .

وليه تروحي تسمى منها كلام دالزانية دالفاجرة بنت الحرام

وكان أخوها ليه بقا تكلميه هو غشيم في المكر رايحه تعلبيه ^(٢)

ونجد في مشهد آخر «اكسيان» زوجة بوريس تقول «تكسيل» بعد هزيمة
زوجها، وكانت تعلم أن «تكسيل» يهيم بها حيا وأنه كان يريد لزوجها هذه
الهزيمة حتى يستأثر بها .

طيب وانتا ليه ما أرسلتش مدد من عسكري لاجل المحافظة عليك
مش كنت ترسل عسكري علمهركة تحمي عشيقتك وتصون المملكة
وتساعد المسكين الى انفسه وقوته في حملته راحت هدر
روح عند اسكندر بقا واخدمه وإن كان معك شيء غير اخذك قدمه
هيا الى خلت لك مع اسكندر مقام تامر بقا فينا خلاصها والسلام

(١) المرجع نفسه ص ٨٧ . (٢) المرجع نفسه ص ٩٩ .

سلمت في خصمك وفي احكم كان
لكن بوريس البطل ولو انهزم
ازداد ركنه في قوادي ما انهم
هو التي احبه لكن أنت أكرهك
روح شوف بقا لك قط أسود غمضه^(١)

من هذه الناذج التي عرضنا فيها ألوانا من الحوار الذي دار على ألسنة أبطال راسين في مآسيه الثلاث ، والتي نقلها جلال إلى لزلج المصري ، ينضح أنا أن اللغة الدارجة التي وصفها جلال في مقدمته لهذه المسرحيات بأنها أنسب في هذا المقام من العربية الفصحى ، قد فشلت في معالجة هذه المآسي وشوّهت بما تضمنته من أساليب هابطة مسفة مظاهر العظمة والبطولة ونبالة المحدث والمتصد التي اتصف بها أبطالها ، وأنزلتهم إلى مستوى الدهماء الذي لا يلائم ما لهم من مكانه ووقر في التاريخ . فهل يليق باستير ، ملكة انفرس أن تقول (جتي اقلبشت) و « باغا ممنون » ملك اليونان أن يقول (ولا بقافية) و « بكليتا مستر » ملكة اليونان أن تقول (اللهم غابني وفرتك سوتي) و « اكيان » ملكة الهند أن تقول (روح شوف بقا لك قط أسود غمضه) ؟

رواية المخدمين : وألف جلال بجانب ما قام بنقله وتمصيره عن الفرنسية من ملاحى مولير ومآسى راسين « رواية المخدمين » وهي ملهة أخلاقية صاغها في قالب زجل ، وعالج فيها مشكلة من مشاكل البيت المصري لا يزال يعانيها حتى ذلك الوقت وهي مشكلة الخدم . فعرض ما يقع بين الخدوم والخدام والمخدم ، وكشف عن حيل المخدمين وخداعهم ووقوع الخدم تحت سيطرتهم كما جاء في ذلك الحوار الذي ساقه على لسان الخدام (سيد) عندما سأل

اليك ، عن وصايا المخدم له .

قال لي إذا أعطاك مخدموك فلوس
والا عطاك تشتري لحمه وخضار
تربط على خمس الفلوس اللي معك
وان شبعوك في البيت تجيب شيت أو حرير
اسمى الى البقشيش من اللي راحت له
مع ابنهم إن شبعوك خليك لطيف
واغريه على طاب الفلوس وسلطه
لو قرش تعرفه عطاه خذ مايمين
وان اشترى سيدك بنفسه حاجته
بس انت طير في خشب وفحم كوك
وعور القربة وقطع في سلب
إن كان ثمن للشمع أو حتى الفلوس
والا العليق اللي يجيبه للحمار
واوعى تقول حاجة لواحد يسمعك
إن كان قليل اللي انطلب والا كثير
لا بد يمطيك شيء لما تسأله
حين يدخل الكتاب خذ منه رغيف
لجان إذا قابل أبوه يورطه
هيا الفلوس امال تجي تجرى منين
أوعى تجيب سيرة والا تحمته
واوعى لنفسك يا جدع لا يمكوك
وكل يوم اطلع لسيدك في طاب^(١)

ويستمر المؤلف في سرد حيل الخدمين ونواذرهم ، وتصوير حيرة
المخدوم في العثور على خادم بسبب فساد أخلاق الخدمين خلال فصول ملهاته التي
وصفها العقاد بأنها « باكورة في وضع الروايات المصرية وتمثيل البيت المصري
والمجتمع الوطني يندر ما يقرأها في بابها بين روايات هذا الجيل يحرق يسمى محمد
عثمان جلال أبا المسرحيات الوطنية في العصر الحديث »^(٢) .

(١) رواية الخدمين . محمد عثمان جلال . طبع القاهرة — ١٣٢٢ — ١٩٠٤ م
ص ١١ .

(٢) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي . تأليف عباس محمود العقاد . طبع
القاهرة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م ص ١١٧ .

كما وصف مؤلفها وما يتميز به من روح مرحة تنعكس فيها البيئة المصرية
وذلك في قوله :

«... وكان مصر يا بذكرك بمصر كلها من أقصى شمالها إلى أقصى جنوبها. ويمثل
فيه خاق الحضري الرقيق الحاشية كما يمثل فيه خاق الريف المطبوع على البساطة
والطيبة والحكمة ، وعنده من المرح وخفة الروح ما عند ساكن القاهرة وساكن
الساحل وساكن الصعيد ، ومن حضور البديهة وسرعة اللسان بالمثل السائر
ما عند أذكى الفلاحين خاصة وأبناء هذا البلد عامة ، وكان مولده في «وينا القس»
إحدى قرى بني سويف ومنشؤه في القاهرة متمين لقسطى الروح المصرية فيه من
جانب القرية وجانب البداوة . فهو بين أدباء الجيل الماضي مثل هذه الروح
الذي لا يدانيه مثال « (١) ».

اتجاه محمد عثمان جلال إلى الكتابة بالعامية :

اختلفت الآراء في تحديد الأسباب التي دفعت محمد عثمان جلال إلى
الكتابة بالعامية . فطه حسين يرى أن محمد عثمان جلال اتجه إلى الكتابة
بالعامية لضعفه في العربية الفصحى ، وذلك عند كلامه عن تغير الذوق الأدبي
في أواخر القرن التاسع عشر . يقول « .. فأخذ الذوق يتغير وكان تغيره قويا ظهر
في مظهرين مختلفين : أحدهما إثار اللغة العامية على لغة الأدب المصري ، والآخر
إثار اللغة القديمة والأساليب القديمة على لغة هذا العصر وأساليبه . ورأينا
رجلا كعثمان جلال قد أعجبه الأدب الفرنسي وأراد أن ينقل إلى قومه صوراً
منه ، ولم يكن من الأدب القديم على حظ قوي ورأى أن الأدب المصري أدنى
إلى الموت من أن يحتمل هذا الأدب الفرنسي الحي ، فيترجم لقومه أو قل

(١) المرجع نفسه ص ١١٢ .

ينقل إلى قومه تمثيل مولير في الزجل العامي لا في الشعر العربي» (١)

أما عمر الدسوقي فيخالف طه حسين في هذا الرأي ، ويستبعد أن يكون اتجاه عثمان جلال إلى الكتابة بالعامية بسبب ضعفه في العربية الفصحى مستدلاً على ذلك بترجمة محمد عثمان جلال لـ « بول وفرجينى » بأسلوب عربي فصيح (٢) وبما قاله من الشعر باللغة العربية الفصحى .
ثم أخذ عمر الدسوقي في ذكر الأسباب التى يمكن أن نرجع إليها هذا الاتجاه منها :

- ١ - عظم تأثيره بالروح المصرية فى كل شئ ، وتمصبه لهجة العامية التى هى لغة جمهرة الشعب .
- ٢ - كساد سوق الأدب الرفيع فى ذلك الوقت وإقبال الجمهور على الكتب التى تكتب بالعامية .
- ٣ - إقبال الفرق التمثيلية على المسرحيات المؤلفة بالعامية دون سواها ، ولا سيما بعد أن أغلقت أبواب الأوبرا التى كان يشجعها اسماعيل ويهب الممثلين فيها والمؤلفين لها بعض المال ويشهد هو نفسه الروايات . وكان التأليف حينذاك باللغة الفصحى ، فلما أغلقت الأوبرا أبوابها إذ عد التمثيل ترفاً واسرافاً وانشئت الفرق الخاصة واعتمدت على الجمهور اضطرت إلى مجاراته فى لغته وإلى التأليف له بالعامية حتى يقبل على مسارحها .

(١) حافظ وشوقى . تأليف الدكتور طه حسين . الطبعة الثانية . طبع مصر سنة ١٩٥٣ .

(٢) انظر تحليل قصة « بول وفرجينى » التى ترجمها محمد عثمان جلال عن الفرنسية بعنوان « الأمانى والمئة فى حديث قبول وورد جنة » فى كتاب « فى الأدب الحديث » تأليف عمر الدسوقي ج ١ الطبعة الثانية . طبع مصر سنة ١٩٥١ ص ٩٣
وأنظر مقارنتها بالأصل الفرنسى فى كتاب « الفن القصصى فى الأدب الحديث » تأليف الدكتور محمود حامد شوكت . طبع القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٧٤ - ٧٦

٤ - مجاراته المصلحين في نزولهم إلى مستوى الشعب حتى يكون لـ كلامهم أثره في النفوس .

٥ - تقليده أدباء الغرب في انطاقهم أشخاص رواياتهم بلهجاتهم المألوفة .

٦ - عمالاته للانجليز في حماهم على اللغة العربية وترويجهم للغة الدارجة ، لأنه كان إبان عصر القوة - عصر إسماعيل - يكتب بالفصحى ، فلما انقضى هذا المهد ورأى المختارين يشجعون اللغة العامية ويعاضدهم المبشرون والمستشرقون اندفع إلى الكتابة بالعامية (١) .

قد يكون لكل من الأسباب التي ذكرها عمر الدسوقي أثر في اتجاه جلال إلى الكتابة بالعامية . ولكنني أرجح منها سببين معتمدين في ذلك على ما عرفناه من نزعة جلال الأدبية ومن الظروف التي كتب فيها بالعامية .

فالسبب الأول هو تعصبه لمصريته ذلك التعصب الذي دفعه إلى السعي إلى خلق أدب مصري متميز الطابع في الموضوع وفي اللغة . وقد بينا في الباب الثاني كيف كان تمصير اللغة جزءاً متمماً لحركة تمصير الأدب التي تزعمها جلال وجهها: شغل حياته الأدبية الرئيسية .

أما السبب الثاني فهو وقوعه تحت تأثير دعاة العامية من الانجليز الذين دعواهم . وهذا السبب لدينا أدلة كثيرة تؤيده وتدعمه ، فقد مرت بهذا المساعي التي بذلها دعاة العامية سواء من الانجليز أم الألمان في تشجيع المصريين على الكتابة بالعامية منذ «سبينا» سنة ١٨٨٠ إلى تأليف هيئة من كبار العلماء في مصر لوضع قواعد للعامية لكي تكون صالحة للاستعمال الكتابي .

(١) كتاب « في الأدب الحديث » تأليف عمر الدسوقي . ج ١ الطبعة الثانية . طبع بالقاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٩٣ - ٩٤ .

ثم جاء من بعده «ولكوكس» فأغرى المصريين سنة ١٨٩٣ بالمكافآت المالية لكي يتباروا في الكتابة بالعامية . وناشد «ولور» سنة ١٩٠١ أصحاب الصحف أن يبدأوا بالكتابة بالعامية ودعا أصحاب الحل والعقد في مصر إلى تأييدهم .

فلا عجب إذن أني نراهم يشجعون أدبيا مثل محمد عثمان جلال له تلك الموهبة الفذة في نظم الزجل وعنده هذا التعصب الشديد لكل ما هو مصري . ويبدو أن ولكوكس كان في طليعة هؤلاء المشجعين . وليست محاولة جلال في نقل مسرحيات راسين إلى الزجل المصري في رأيي إلا نتيجة لتشجيعه ، لأنها ظهرت في السنة نفسها التي حاول فيها ولكوكس نقل قطع من مسرحيات شكسبير إلى العامية أي سنة (١٨٩٣) كما أثرنا إلى تلك المحاولة في الباب الأول .

وقد واصل المستشرقون من بعد تشجيعهم لكتابنا الذين استخدموا العامية مثل محمود تيمور وتوفيق الحكيم ، وذلك واضح من تقاريرهم لمؤلفات هذين الكاتبين التي استخدموا فيها العامية^(١) .

مسرحيات محمد تيمور (١٨٩٢-١٩٢١)

تزعّم محمد تيمور حركة التمصير بعد محمد عثمان جلال ، وكان تمصير المسرح أهم شاغل له في حياته الأدبية . وقد خدم محمد تيمور المسرح عن

(١) انظر مقتطفات من هذه التقارير في خاتمة « الشيخ صيد العبيط » تأليف محمود تيمور طبع القاهرة سنة ١٩٢٥ ، وفي مقدمة « عودة الروح » تأليف توفيق الحكيم طبع القاهرة . الطبعة الثالثة ١٩٥٥ (الطبعة الأولى كانت سنة ١٩٢٣ أما تاريخ تأليف القصة فكان سنة ١٩٢٧) .

طريق التمثيل والتأليف والترجمة والنقد^(١) . أما المسرحيات التي قدمها فكان أغلبها من تأليفه ، لأنه كان يؤثر التأليف على ترجمة المسرحيات الأجنبية . يقول مترجم حياته شقيقه محمود تيمور « كان تيمور من أنصار ومؤسسى مذهب الروايات المصرية أو كما يسميه البعض « المسرح المصرى » وهو تأليف الروايات المصرية المصرية ذات الألوان المحلية واحلال هذه الروايات محل المعربة ذات الحوادث والمناظر الأجنبية ، لأنه كان يرى أن نهضة التمثيل فى مصر لا تأتى إلا من هذه الوجهة . وقد كتب عن تدهور التمثيل الفنى فى مصر فذكر من الأسباب المهمة التى أدت إلى هذا التدهور ، هو إهمال الأجواق تمثيل الروايات المصرية فقال فى ذلك : (والآن نريد أن نبحث عن أسباب تدهور التمثيل الفنى . وأول هذه الأسباب هو تهافت أجواقا الفنية على تمثيل الروايات المترجمة التى لا يفهمها المصرى ولا يرى فيها شيئا من أخلاقه وعاداته . ليس التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات افر نكية قيمة ومحبوكة الوضع ، ولكن التمثيل هو أن تقدم للجمهور روايات تبحث فى شؤونه المصرية ليأخذ منها درسا يستفيد منه . .) أما الروايات التى عربها مثل رواية « الأب ليونار » فلم يهربها إلا للإلحاح صديقه عبد الرحمن رشدى الذى كان عازما على إخراجها فى احدى مواسم الأوبرا . . وروايته « الغز » عربها شعفا بها فحسب^(٢) .

ألف محمد تيمور ثلاث مسرحيات هى « العصفور فى قفص » و « عبدالستار

(١) انظر نقده فى المسرح فى كتابه « حياتنا التمثيلية » طبع مصر ١٩٢٢ .

(٢) وميض الروح . تأليف محمد تيمور . طبع مصر سنة ١٩١٢ . المقدمة

أفندي « و « الهاوية » ، ومصر عن الفرنسية « العشرة الطيبة » وقد كتبها كلها بالعامية .

العصفور في القفص :

مسرحية ذات أربعة فصول . مثلتها فرقة عبد الرحمن رشدي لأول مرة بمسرح برنتانيا سنة ١٩١٨ ، وتتناول موضوعا اجتماعيا يمالج مشاكل التربية التي تقوم بين الآباء والأبناء ، وتبين أن الشدة والقسوة والتقتير ليست مظهرًا من مظاهر التربية الحقة ، بل هي مظهر من مظاهر الخلق والجهل اللذين طالما سببا الشقاء الدائم لأفراد الأسرة . بطلها « حسن » طالب من أبناء الباشوات اشتد أبوه في معاملته وقتر عليه . ويصف لنا حسن معاملة أبيه له في حوار دار بينه وبين ابن خالته « محمود » :

حسن : إلا قوللي ما شفتش صورة الأهرام اللي رسمتها ؟

محمود : لا وريها لي يا أخي .

حسن : (يذهب للصوان ويحضرها ويعطيها إليه) شوف . لكن قبله لازم تقول لي رأيك بصراحة .

محمود : إنت تعرف إني ما اعرفش في حياتي غير الصراحة .

حسن : طيب شوف .

محمود : (بعد أن يتأملها) جميلة جداً في غاية الإبداع . ما يبقاش أحسن من كده .

حسن : يا سلام يا ابن خالتي لازم تغالي في الكلام ؟

محمود : لا والله صحيح بس كان لازم انك تلونها .

حسن : بقى ما انتش عارف ياسى محمود ، والله العظيم ما عندى عن
أقلام الرصاص .

محمود : يا أخى أبوك يدبك كام قرش .

حسن : (مقاطعا عليه) بالله يا سيدى ما نكلمنيش عن أبويه ، أدبى راضى
بجالتى والسلام .

محمود : يا أخى برضو أبوك ويحبك ، يشفق عليك ولو كان يعنى بيده شويه
(يشير بيده علامة البخل) لاسكن معلىش .

حسن : ياريت يا سيدى كان بخيل بس ، إلا ما تأخذنيش لو قلت لك
يعنى إنه ثقيل .

محمود : اخدشى يا حسن .

حسن : بس إيه تقول فى واحد باشا يصرف زى ما انت عاوز فى الكماليات
عشان الناس تقول عليه انه غنى . أما فى الضروريات فيستحيل
إنه يبرز بقرش تعريفة .

محمود : يا سيدى معلىش .

حسن : معلىش إيه يا شيخ ، معلىش إيه وأنا عايش فى سجن ، كل
ما يقابلنى الأقيه مبوز دايمًا زعلان معايه ، تقولش يا أخى أنا بينى
ويينه نار .

محمود : موش للدرجة دى بقى أنت ياسى حسن ...

حسن : طيب اسمع . تعرف جرى إيه أول امبارح ؟ طلعت الأول فى
امتحان نص السنة . قمت يا سيدى دخلت فى السلامك قال عشان
أبشره بالنتيجة . قمت لقيته مع كبشة فلاءين جاينين يأجروا عزبة

أبو حمد . قلت له وأنا فرحان : بابا أنا أول الفصل . تعرف قال إيه؟
انفضل بره ياسى حسن انت موش شايفنى قاعد اتكلم مع
البهوات دول .

محمود : وبعدين ؟

حسن : ولا البين . دخلت فرحان وخرجت مكسوف . يا شيخ دا محرم
على كوني آكل معاه آكل عيب إن الابن يا كل مع أبوه (١) .

ضاق حسن بتقدير أبيه وسوء معاملته ، فاتصل بخادمة أجنبية كانت
تعمل فى المنزل لأنه وجد عندها الحب والحنان . فتبادلا الحب وزلا فى حبهما
فحملت الخادمة ، فلما اكتشف الأب هذه العلاقة طردها من المنزل . خرج حسن
من منزل أبيه وتزوج الخادمة وعاش معها فى شظف من العيش إلى أن تمكن
أحد أصدقاء الأب من التوفيق بين الابن ووالده فاجتمع شمل الأسرة
من جديد .

وقد أورد المؤلف الحكمة التى أرادها فى روايته على لسان أحد أشخاصه
(عبد العزيز رضوان باشا) حيث جعله يحادث الجميع قائلا « آه آدى غلطة
الأبها ، غلطتنا نشد الخناق على أولادنا حتى لما يعصونا نطردهم » .

ولم يقتصر المؤلف على ذلك بل استنكر تصرف الابن ولم يقره على ماأنه
ليعلم الناس أن ما فعله الفنى كان لحكم الضرورة وقسوة الظروف فجمل (عبد العزيز
باشا رضوان) يخاطب (محمود بك وأمين بك) رفيق حسن بالنصيحة الآتية
« ماتظفوش يا محمود بك ويا أمين بك إن حسن عمل طيب ، الظروف كانت قاسية

(١) كتاب « المسرح المصرى » تأليف محمد تيمور . طبع القاهرة سنة ١٩٢٢ ص ١١

عليه جدا ، فانصحكم انكم ما تتجوزوش إلا من جنسكم « (١) .
عبد الستار أفندي :

مسرحية ذات أربعة فصول مثلها فرقة منيرة المهدية لأول مرة بمسرح
دار التمثيل العربي سنة ١٩١٨ . وتدور حوادثها حول خلاف بين الزوج (عبد
الستار أفندي) وهو رجل عامى وزوجه (نفوسه) في تزويج ابنتهما (جميلة) .
الزوج يختار لابنته شابا مهذبا (بليغ) ولكن زوجته وابنه يرفضان هذا الشاب
ويعتارون آخر سىء الخلق (فرحات) . ولقد جاهد عبد الستار لاقاع زوجته وابنه
بعدم صلاحية الشاب الذى وقع عليه اختيارهما ، ولكن جهوده ذهبت سدى
بسبب سيطرة زوجته وابنه وشراستهما . ولم يرجعهما عن رأيهما إلا تلك الثروة
المفاجئة التى هبطت على الشاب المذهب الذى اختاره الأب ، كما جاء فى ذلك
الحوار الذى دار بين الأب وعائلته عندما ذهب يزف إليها نأى الثروة التى هبطت
على (بليغ) .

عبد الستار : بليغ أفندي بقى صاحب ثروة .

نفوسه (الزوجة) : (مندهشة) وازاى بقى ؟

عبد الستار : عمه مات امبارح .

نفوسه — : وعمه دامين فى البلد يا عبده ؟

خليفة (البواب) : بلا قافية راجل مشهور قوى .

نفوسه — : موش تسكت يا راجل وتسد .

عبد الستار : سبحان الله يا خليفة جرى إيه ؟ (لنفوسه) دا عمه راجل

عنده ١٠٠ فدان ويحوى ٤٠٠ جنيه فى البنك وما لوش حد

يورثه غير بليغ .

- نقوسة : صحيح باعبده الكلام الى بتقوله؟
- عبد الستار : وحياة راس أبوك كلام جد
- نفوسة : ويعنى صحيح بليغ أغنى من فرحات (الشاب الذى كانت تؤثره على بليغ)
- عبد الستار : يا شيخه اعطى واعرفى إن فرحات دا راجل بطل ولا حاتوس حاجة أبدا .
- جميلة (الابنة) : وحياتك يامه إنه راجل بطل
- خليفة : والله العظيم دا بلا قافية راجل ميسويش بصلة
- نفوسة : انت مش حاتنسد ياراجل ؟
- عبد الستار : ده من بتوع الأزبكية الى يمشوا ورا أولاد الذوات
- نفوسة : وبليغ بقى غنى قوى
- عبد الستار : خمسين جنيه شهرى ، وموش ناوى يعمل الزقة بالطبل
- البلدى زى فرحات لا أبدا بالمزيكة الميرى .
- خليفة : دا بلا قافية مافيش زيه فى البلد أبدا
- نفوسة : طيب ياخويا وعمه مات صحيح
- عبد الستار . ودفنته النهارده الصبح
- نفوسة : (تحتد) بنت يا جميلة ماتت مش مجوزة إلا بليغ^(١)
- ويستطيع بليغ بثرائه الجديد استمالة الأم ثم يخلو له الجو عندما يأتى أحد رجال الشرطة ليقبض على الشاب الآخر (فرحات) لتهمة نسبت إليه .
- وفى هذه المسرحية لم يمن تيمور بابرز مغزى معين ، وإنما غنى فقط بالتحايل النفسى لأشخاص المسرحية ، وبعرض صورة للأخلاق المصرية فى طبقة العامة .

مسرحية ذات ثلاثة فصول . مثلت بمسرح حديقة الأزبكية سنة ١٩٢١ .
وهي آخر مؤلفات تيمور إذ توفي قبل ظهورها على المسرح . عرض فيها المؤلف
حياة مدمنى السكوكاين وبين عاقبة إدمانهم على تعاطى هذا السم القاتل ، الذى
يمرض أسرهم إلى الانحلال و ثروتهم إلى الضياع وصحتهم إلى الفساد الذى
يؤدى إلى الموت .

فأمين بطل الرواية شاب من عائلة كبيرة وورث عن أبيه ثروة عظيمة .
شغف بتعاطى السكوكاين واندفع فى طريق الفساد ، طريق السهر والمقامرة
والنساء وصحبة رفاق سوء . هذا المسلك الشائن الذى سلكه أمين أفقده ماله
وشرفه وحياته . إذ خائته زوجته التى أهملها مع صديق من أصدقائه ، ولم يكتف
هذا الصديق بتلويث شرفه بل أراد أن يقضى فى الوقت نفسه على ثروته ، فانتهاز
فرصة افلاس أمين والحجز على إحدى عذبه وسعى لشراؤها بثمن بخس ، وهو الذى
كان يمد يده لأمين بالأمس . وتمضى الحوادث هكذا مبينة عبث لزوجة وعبث
الصديق وأمين لاه عنهما فى سمه المخدر ، ثم تأتى اللحظة التى يقف فيها أمين على
الحقيقة ويكتشف خيانة زوجته وصديقه ، وتضطر الزوجة إلى الاعتراف له
بخيانتها مبررة أسبابها . وهنا يستطيع المؤلف أن يضمن دفاعها مغزى المسرحية .

« أنا أعترف بأنى مذنبه . أعترف بأنى ارتكبت جريمة استحق عليها الموت
لأن الست التى تحاول انها تخون جوزها أقل ما تستحقه الموت . ولكن اعرف
إنى مانئش أنا المجرمة الوحيدة ، فيه شخص تانى كان يدفعنى بايديه للهوة العميقة
اللى كنت رايحة أقع فيها . واعرف أنك أنت الشخص ده . . . عمرك ما خلتنى
أشعر بأنك جوزى . صحيح أنا كنت طايشة وما كنتش عارفة أقدر حق الزوجية ،
لكن ربنا ماد نيتس زوج يهدبنى ويوربنى الواجب ، كان واجب عليك إنك

تهديني وترشدني للصواب بدال ماتسبني أهوى وتروح تخبص وتلمب قمار وتسكو
وتعمل كل موبقة تزري بشرفك وبقيمتك . . . أنا ما عرقش شفيق لا في
الدكاكين ولا في الجزيرة ولا في مصر الجديدة ولا في التيارات ، عرفته هنا في
بيتك وقدام عينيك . ومين اللي قدمني له ؟ حضرتك زوجي العزيز اللي شيفاه
قدامى دلوقتى يبكى على شرفه وعرضه . » (١)

لم يكد أمين يسمع كلام زوجته حتى اتأبته نوبة اختناق حادة فسقط على
الأرض فاقد الحياة . وتنتهى المسرحية بقول خال أمين واطعاً متحسراً « آدى
آخرتك يالى تمشى فى السكة الى ما يرجعش منها حد » .

العشرة الطيبة :

مسرحية هزلية غنائية ذات أربع فصول . مصرها محمد تيمور عن المسرحية
الفرنسية الهزلية « ذو الاحية الزرقاء » Le Barbe Bleu ووضع أزجالها بديع
خيرى ولحنها الشيخ سيد درويش وأخرجها عزيز عيد . ومثلت لأول مرة فى
فرقة الكازينو دى بارى سنة ١٩٢٠ . وتعتبر مسرحية « العشرة الطيبة » أول
عمل قام به محمد تيمور للمسرح الهزلى الذى اضطر إلى الكتابة له نزولاً على
رغبة الجمهور كما يقول مترجم حياته شقيقه محمود تيمور ، لأن الجمهور لم يكن
يستسبغ فى ذلك الوقت سوى المسرحيات الهزلية المأجنة ، ولأنه لهذا السبب لم
يقدر مسرحيته « العصفور فى قفص » و « وعبد الستار أفندى » حق قدرهما
لخلوها من الأغاني والمجون والحلاعة التى ألفوها فى المسرحيات الهزلية . فقام
محمد تيمور بكتابة « العشرة الطيبة » محاولاً أن يلبي مطالب الجمهور من ناحية

وأن يعمل على رفع مستوى المسرحيات الهزلية من ناحية أخرى، بأن يتوخى فيها بعض أصول الفن وأن يجعلها ذات موضوع. (١)

وتعرض المسرحية صورة عن الحياة المصرية في عهد المماليك . أما حوادثها فتدور حول فتى قروي (سيف الدين) تنازعت حبه فتاتان قرويتان (نزهة . وست الدار) أما « سيف الدين » فقد بادل « نزهة » حبا بحب لافتتانه وهيامه بها ، واضطر إلى مجارة « ست الدار » في حبها خوفا من شرستها وبطشها لأنها كانت كما تصف نفسها :

إن كان صغار ولا كبار	يشفوني هجروا بالمشوار
حتى لسان فشر النعبان	في الردح قوة ألف حصان
ضرب البرطيش . غيره	ما عنديش اللي له بخت ما يعرفنيش
ما حدش يا اخواتي غلبني	على الشناكل لعبني
غير مذهب الكلب ده هو	اللي ملتح هنا هو
دايبه في هواه قال موش عجباه	وحياة ده لنا مورياه (٢)

(تشير إلى الشعر المدلى على صدغها)

ثم تكشف لنا الحوادث عن مصير الفنانين . فيقع الاختيار على « ست الدار » لكي تصبح زوجا « لحاجي بابا حص أخضر » من زعماء المماليك ، وكان رجلا مزواجا لا يكاد يتزوج بواحدة حتى يملاها ويأمر بقتلها ثم يرسل أتباعه ليبحثوا له عن غيرها . أما « نزهة » فيتضح أنها بنت الوالي حاكم مصر ، كانت أمها قد تخلصت منها عند ولادتها خوفا من أبيها الوالي الذي كان يريد غلاما . ثم تعود « نزهة » بعد فراق عشرين عاما إلى قصر أبيها الوالي مصطحبة

عشيقتها « سيف الدين » ، وفي قصر الوالى تفترض العشيقين « نزهة » التى أصبحت الأميرة « جابهار » و « سيف الدين » عقبات كثيرة تنهى بانتصار حبهما وتويع هذا الحب بالزواج .

وقد عرض المؤلف خلال حوادث المسرحية أوانا من انحلال الأخلاق وفساد الحكم فى مصر فى عهد المماليك .

أما انحلال الأخلاق فيصوره فى الحوار الذى دار بين زوجة الوالى وعشيقتها « عبد الله بلطجى » .

عبد الله بلطجى :	(داخلا) لا حول ولا قوة إلا بالله
زوجة الوالى :	شوك خاين . والله شوك خاين . خاين
عبد الله :	وقعت بأعبد الله وقعت والسلام
الزوجة :	زرار يوك . اركم اركم
عبد الله :	حاضر
الزوجة :	عفو واحسان وصفح استرسن
عبد الله :	بتقول إيه بس ؟ ايفت أفندم . ايفت أفندم
الزوجة :	بكى بكى أفندم . عبد الله بلطجى صفحننا عنك
عبد الله :	أوب بنا أفندم بوس بوس والله بوس
عبد الله :	ما تيش خايفه إن صاحب المجد والجلال يدخل
الزوجة :	علينا وتبقى مصيبة مالهش أول ولا آخر
عبد الله :	هو أفندم صاحب مجد وجلال . أنا كان أفندم
عبد الله :	صاحبة مجد وجلال
عبد الله :	طيب يامسى الأمر لله

الزوجة : عبد الله بك يا حبيبي يا روحى . يا نور عيني . تعالى
او تر برده

عبد الله : يعنى أقعد هنا . لا . لا . ياستى . أوترايه بس وأنا قد المقام
الزوجة : عبد الله بك بلطجى او تر برده

عبد الله : ياستى ما اقدرش أبدا أقعد هنا . أخف يجى صاحب
المجد والجلال والأبهة جوزك تبقى مصيبة ياستى

الزوجة : عبد الله بك بلطجى او تر برده

عبد الله : (مجلس إلى جانبها) حاضر حالا

الزوجة : آه يا عبد الله أحبك . أحبك يا عبد الله بن سناشوك
سيفرم أفندم . . .

وتظل زوجة الوالى تناجى عشيقها بهذا الكلام المبتذل ، وهذه اللهجة التركية
التي قلب عليها الألفاظ التركية ، حتى تشعر بدوم لوالى فتقول عشيقها والى قادم .
بوس بوس قوام . (١)

أما فساد الحكم فيصوره المؤلف في الحوار الذى دار بين لوالى وسناجق
البلاد . سناجق العدل وازراعة والمالية والحربية و . . . ما يصوره تصويرا
ساخرا تغلب عليه الدعابة وتخرجه في بعض الأحيان عما هو معروف من الحقائق
التاريخية ، كما جاء في الحوار الذى دار بين لوالى وسناجق لزراعة .

لوالى : زراعت باش سناجق

سناجق لزراعة : أفندمز

والى : أخبار يوك أفندم ؟

سناجق : الأخبار يا مولاي كثيرة جدا : أولها اصدار قرار بمنع زراعة

القطن واستبداله بشجر الأبو فروة ، وثانيها رى الأراضى بمياه
البحر الأحمر بدل مياه النيل ، وثالثها تحريم استعمال السباح
البلدى واستبداله بسباح الأبو فروة .

والى : ورابعها .

سنبقى : ورابعها تحريم الصيد فى الغيطان وتحليله فى الشوارع والخارات^(١)
فالقطن لم يكن معروفا أيام المماليك ، لأن محمد على هو الذى أدخل
زراعته فى مصر .

ولكن المؤلف لم يلتفت إلى هذه الحقيقة التاريخية لأن هدفه الأول كان
إثارة الضحك ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف أباح لنفسه تشويه الحقائق
والعبث باللغة .

أما الأغاني التى تضمنتها المسرحية والتى قام بتأليفها بديع خيرى فقد جاءت
بدورها تافهة موضوعا ولغة كما يتضح لنا فى تلك الأغنية التى دارت بين
« سيف الدين » ومحبوبته « نزهة » عندما كانا يمرحان فى القرية قبل تعقد
الحوادث وتشابكها :

سيف الدين :	على قد الليل ما يطير	مسترضى بهرى ونوحى
فى حبك يالى م الأول	ما اشوفك تترد روى	
سنين وايام دايب فىكى	بزمارتى أصحى—كى	
طول ما انت فى الدنيا دى	طظ فى أدلى وأجدادى	
ح أروح على فىن وانت	قص—ادى . . .	

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٩ .

نزهة : (تطل من النافذة) آه يا ترى يا ربى ده هو والا لأ محبوبى .

سيف الدين : يا عين الحبوب من جوه يا سبب وعدى ومكتوبى
يا كتا كيتها

نزهة : يا ننوسه

سيف الدين : يا قطاقيطها

نزهة : يا خنتوسه

سيف الدين : أنا فى انتظارك م النجمة

نزهة : أدينى نازله

سيف الدين : أما نهارك أبيض من طبق النقشطة

نزهة : (تنزل وتلفت يمين وشمال) أوع يكون حد شايف طبفى .

سيف الدين : حطى فى بطنك بطيخة صبنى .

شفقى بتا كلنى أنا فى عرضك خابها تسلم على خـدك

نزهة : يوه يا دين النبى تلك ساج ماشبعنش من ليلة امبارح

سيف الدين : ما تفـكر نيش أما دى حقه كانت ابلة فى غاية الرقة

نزهة : فاكر وأنا حاطه ايدى فى بطاطك قبلى الترة

على غفلة ملت على ما قدرتش أقولك أوعى

سيف الدين : قمت أنا بصيت يمين وشمال ، ساعة ما لقيت ، ما فيش عزال

طبل طبل ، وزمر زمرى ، شقى بقلى ، عنها ودغرى

خدتلى عضه لسكن صنعة^(١) .

من هذا العرض الذى ألمنا فيه بموضوع العشرة الطيبة وحوادثها وأغانيتها ،
يمكننا أن نتصور إلى أى حد كان كتاب المسرحية الهزلية يلقون الحوادث
ويقتلون النيكات ويعشون باللغة فى سبيل الاضحاك . وإذا كانت هزلية
محمد تيمور التى أراد أن يرفع بها مستوى المسرحيات الهزلية ويصور فيها عصرًا
من عصور مصر ويجعلها ذات موضوع على هذه الحالة التى وصفناها ، فما بلنا
ببقية المسرحيات الهزلية التى لم يكن لأصحابها من هدف سوى الاضحاك ؟

اتجاه محمد تيمور إلى الكتابة بالعامية :

كتب محمد تيمور مسرحياته التى ألفها والمسرحية التى نقلها عن الفرنسية
وصبغها بالصبغة المحلية بالعامية . فما هى الأسباب التى دفعته إلى الكتابة
بالعامية ؟ هذه الأسباب يمكننا أن تبينها على ضوء ما عرفناه من اتجاهاته الأدبية
ومما خلفه لنا من آثار أدبية ، ومما وصلنا من تاريخ حياته .

لم يكتب محمد تيمور بالعامية بسبب عجز عن الكتابة بالفصحى ، لأن
ما خلفه لنا من آثار منظومة ومثورة فى غير الفن المسرحى يدل على تمكنه من
الفصحى وقد أشرت إلى مراجعها فى الباب الثانى ، بل إنه كتب أولى مسرحياته
« العصفور فى قفص » بالعربية الفصحى ومثلت بهذا الشكل ، ولكنه أعاد
كتابتها بالعامية لأنه وجدها - فيما يزعم - أكثر مطابقة للحقيقة والواقع من
اللغة العربية الفصحى^(١) . أما إشارته للكتابة بالعامية فيرجع إلى :

١ - انتصاره لفكرة تمثيل الآداب تمثيل الموضوع واللغة بحيث تصبح مستقلة

(١) كتاب « وميض الروح » ص ٥٦ .

عن اللون العربي الخاص والصبغة الفريية الدخيلة ، وكان متأثراً في ذلك بنزعة
التصير العامة في عصره والتي شملت الفنون بمختلف أنواعها من أدب وموسيقى
والحان ورسم ..

٣ — اتباعه المذهب الواقعي . يقول مترجم حياته شقيقه محمود تيمور
معلقاً على اتباعه لهذا المذهب « وكان رأيه في مشكلة اللغة أن يكتب المؤلف
بالعامية إذا كانت لرواية مصرية عصرية . وباللغة الفصحى فيما عدا ذلك
كتأليف الروايات العربية والمصرية القديمة (الكلاسيك) وتعريب الروايات
من اللغات الأجنبية وهلم جرا . ونظريته هذه غايه في الصواب ، لأن الكتاب
« الرياست » لم يتبع المذهب الحقيقي إذا كتب رواية مصرية باللغة الفصحى
كان هذا العمل مخالفاً للحقيقة التي يستلزمها . لأن بغية من كتابة هذا النوع من
الروايات هو عرض مشاهد حقيقية من الحياة المصرية . عرض أشخاص
يتكلمون بلغتهم ويمشون في جوهم ، عرض حقائق لا عرض خيال . وقد
دل هذا العمل على جرأة تيمور وشجاعته في الإفصاح عن رأيه . لأننا لا ينبغي
إذا قلنا إنه أول من كتب المسرح الجدي روايات فنية باللغة العامية » (١) .

وقد التزم محمد تيمور بهزاز واقعية لغة في مسرحياته . ولذلك اختلف
مستوى العامية من ناحية الرقي والخطاط . اختلفت مواضيع التي تناولتها هذه
المسرحيات . بلغت مستوى راقياً مذهباً في مسرحية « العصفور في قفص »
و « طوية » وخاصة في هذه المسرحية الأخيرة لأن شخصياتها من الطبقة العليا
المثقفة ، والتحدث إلى مستوى شعبي في مسرحية « عبد الستار أفندي » لأن

(١) « وميض الروح » ص ٥٦ .

أشخاصها من العامة ، ثم بلغت أقصى درجات الانحطاط في هزلته « العشرة الطيبة » حيث اتخذ المؤلف من العبث باللغة وسيلة من وسائل الإضحاك فضمنها ألفاظا مبتذلة تركيبة كثيرة وألفاظا مبتذلة مما يدور على ألسنة السوقة في دعاباتهم .

٣ — ويمكننا أن نضيف إلى هذين السببين اللذين أرجعنا إليهما سبب كتابته بالعامية وهما المصرية والوقعية سببا آخر ، هو رضوخه لمطالب الجمهور وذوقه . الجمهور الذي لم يكن يستسيغ من المسرحيات حتى ذلك الوقت سوى النوع الهزلي العامي . وما كتابته « للعشرة الطيبة » إلا محاولة منه لإرضاء مطالب الجمهور .

وتبع محمد تيمور كثيرون في تأليف مسرحيات محلية وكتابتها باللهجة العامية المصرية ، وكان للدعوة إلى العامية وتمصير العربية أثر كبير في انتشار هذه المسرحيات وتنوعها . اتجه بعض المؤلفين إلى النوع الجدى الذي يهدف إلى تثقيف الجمهور عن طريق معالجة أدوائه أو حل طرف من مشكلاته . واتجه البعض الآخر إلى النوع الهزلي الرخيص الذي لم يكن له من هدف سوى إضحاك الجمهور بمختلف وسائل الإضحاك ، من تلفيق الحوادث وخلق المفاجآت التي تأخذ بلب المتفرج واصطناع النكات المبتذلة ووضع الألحان الخفيفة المأجنة والعبث باللغة ... كما رأينا في هزلية محمد تيمور « العشرة الطيبة » والتي تعتبر من أحسن ما قدم للمسرح الهزلي .

فمن كتاب النوع الأول (الجدى) :

ابراهيم رمزي : ومن مسرحياته (بنت اليوم ، عقبال الحبايب)

وأنطون يزبك : ومن مسرحياته (الذبائح ، عاصفة في بيت ، الغربان)^(١)
وعباس علام : ومن مسرحياته (الشريط الأحمر ، شقاء العائلات ، الالامود)
وحسين رمزي : ومن مسرحياته (الضحايا ، طريد لأسرة) .

ومحمود تيمور : ومن مسرحياته (المملوك ، أبو شوشة ، الموكب) وقد
أعاد كتابة أبو شوشة والموكب باللغة العربية الفصحى . ولحمود تيمور تجارب
في استخدام العامية والفصحى ، ورأى في لغة المسرحية سائبينه في موضعه .

وتوفيق الحكيم : ومن مسرحياته (الزمار) كتبها سنة ١٩٣٠ في أول
عده بمعالجة فن المسرحية ، وقد مارس الحكيم كتابة المسرحية وخرج من
طول المراس بتجارب كثيرة زاول فيها الكتابة بالفصحى وبالعامية ، وانتهى
إلى طريقة للتوفيق بينهما ، كما سابين ذلك في موضعه .

ومن كتاب النوع الثاني (الهزلي) :

أمين صدقي : ومن مسرحياته التي قبل إنها تزيد عن المائة^(٢) (خلى
بالك من أملي ، يا ست مائشيش كده ، زى ما انت راسي ، ابقى قابلي ،
ادبلو جامد ، هز ياوز ، خليك ثقيل ، كشكش في باريس ، احم احم ،
حاتا بانا كاتا ، حمار وحلاوة ...) .

وبديع خيرى : ومن مسرحياته (على كيفك ، كله من ده ، ش ، لو ،

(١) وجدت من هذه المسرحيات . مسرحية الذبائح . طبع القاهرة ١٩٢٥ م .
(مكتبة البلدية باسكندرية تحت رقم ٥٤٤٢٣) .

(٢) انظر مجلة التياترو . لصاحبها محمد شكرى . الممدد الخامس . فبراير
١٩٢٤ ص ٣٠ .

قولولو ، رن ، دقة المعلم ، انت وبختك ، على علمك ، الشاطر حسن ،
الفلوس (١).

ومحمد شكرى (صاحب مجلة التياترو) : ومن مسرحياته (أم شولخ ، شم
النسيم فى باريس ، رمسيس فى الكرنك) (٢).

هذه المسرحيات إن كانت قد اندثرت - لأن كتابها لم ينوا باخراجها
مطبوعة إذ كان غرضهم الأول تقديمها للأجواق التمثيلية لتقوم بتمثيلها على
المسرح - فإن ما وصلنا من ألحانها يعطينا صورة عن تفاهتها وسخفها ومقدار
عبث كتابها باللغة . مثل قولهم فى مسرحية « عثمان حايخش دنيا » :

مين زينا احنا ارتست مفرشتت منعشتت
فى كل دكة وهيصه تلاقينا حتى الملقن والميكانيست (٣)

وقولهم فى مسرحية « الطنبورة » :

(رجال) بتاتيه (بنات) باتاتاه (رجال) لا ميلوه (بنات) لاميلاه
رجال : من السنة للسنة لما يجينا يوم زى ده تفرح له بلادنا
نجلى مزاجنا ونسكر طينة احنا ونسونا وأولادنا
بنات : راح تاخذ ايه يا عبيط من الدنيا غير طنطيط
وملاعبة وزمر وطبط (رجال) من حيث كده يالله نطيط (٤)

(١) المرجع نفسه عدد يونية سنة ١٩٢٤ .

(٢) المرجع نفسه عدد أغسطس سنة ١٩٢٤ ص ٣

(٣) كتاب « الألحان » مجموعة لكشكش بك وعلى الكسار . لم يذكر اسم
جامعها ولا تاريخ طبعا ص ٢ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٥

وقولهم في مسرحية « ناظر الزراعة »

الأستاذ : يا حليمة يا حليمة ولا فيش

كده جوليا جاتيه حفلة

الجميع : يا حليمة يا حليمة ولا فيش

كده جوليا جاتيه حفلة

عثمان : يا حليمة يا حليمة بزيادة

بقي جاتك نيـلة

الجميع : يا حليمة يا حليمة بزيادة

بقي جاتك نيـلة

عثمان . أما عروسة الماظيـة

خـدها فشر التفاحـة

الجميع : يا حليمة يا حليمة ولا فيش

كده جوليه جاتيه حفلة (١)

هذا النوع الهزلي الرخيص من المسرحيات إن كان للجمهور أثر في رواجه كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، فإنه لا يخفى ما كان للدعوة إلى العامية من أثر في هذا لرواج . لأنها شجعت بعض الممثلين من أصحاب الفرق الصغيرة الذين لم يكن لهم أي إلمام بالفن المسرحي على تأليف هذه المسرحيات . اسد حاجة فرقة مثل : فوزي منيب . وفوزي الجزائري . وأحمد المسيري . وغيرهم من كتاب المسرحيات الهزلية الذين احتفظت مجلة « التيانرو » بأسمائهم .

الفصل الثالث

العامة في القصة

للقصة تاريخ طويل في الأدب العربي لا يمكننا أن نلم به في هذا الفصل^(١). وحسبنا أن نشير إلى أن القصة بأصولها المعروفة اليوم تعتبر من الفنون المستحدثة في الأدب العربي. عرفت عن طريق الاتصال بالآداب الأوربية في العصر الحديث. وكان من نتيجة هذا الاتصال أن رأينا في مصر جماعة من الأدباء المثقفين الذين عادوا من أوروبا أو الذين تمكنوا من الاطلاع على النشاط الفكري الغربي وهم مقيمون في مصر، يؤلفون القصص بأنواعها المختلفة على نمط القصة الغربية. نذكر من طلابهم محمد حسين هيكل في قصة «زينب» التي ألفها (١٩١٤)، ومحمود تيمور في مجموعات أقاصيصه «الشيخ جمعه» و«الشيخ سيد العيسط».. التي ألفها (١٩٢٤)، وتوفيق الحكيم في قصة «عودة الروح» التي ألفها (١٩٣٣) وقصة «العوالم» التي ألفها (١٩٢٧). هؤلاء الأدباء الذين درسوا الفن القصصي ووقفوا على أصوله سنتكلم عنهم في غير هذا المكان، لأن لهم في لغة القصة تجارب وآراء. وإنما خصصنا هذا الفصل لدراسة القصص التي كتبت بالعامة نتيجة لانتشار الدعوة إلى الكتابة بالعامة. فقد جرأت هذه الدعوة كثيرا من العامة وأشباه العامة ممن لم يستكملوا دراساتهم على تأليف القصص وكتابتها بالعامة. وراجت قصصهم لأنهم وجدوا للعامة أنصاراً من رجال الفكر والثقافة في مصر، ولأنهم وجدوا

(١) انظر نشوء القصة وتطورها. لمحمود تيمور. طبع القاهرة سنة ١٩٣٦.

تشجيعاً من أصحاب الصحف الذين كانوا على نشر نهجهم في الصحف حين
وفي كتب مستقلة حين آخر .

وإزداد رواج هذه القصص في الثلث الأول من القرن العشرين أي
وقت حثام الحركة بين الفصحى والعامة ، ثم أخذ عدد ها يقل مع كتابها
ينقرضون حتى كادت تتلاشى في الوقت الحاضر بسبب فشل الدعوة إلى امامية
وزوال دواعيها .

ظهرت في ذلك الوقت أي في الثلث لأول من القرن العشرين قصص
عامة كثيرة . كتب بعضها على شكل مذكرات مثل :

مذكرات فتوة ، ومذكرات نبال ، ومذكرات عربجي ، ومذكرات
وصيفة مصرية ، ومذكرات خالتي أم سيد (١) .

وبعضها على شكل أحاديث مثل :

الحاج درويش وأم اسماعيل ، حديث خالتي أم ابراهيم ، حديث خالتي
أم اسماعيل (٢) .

(١) مذكرات فتوة . تأليف المعلم يوسف أبو حجاج . طبع القاهرة . الطبعة
الثانية ١٩٢٧

ومذكرات نبال . تأليف عبد العزيز النص طبع القاهرة ١٩٢٧
ومذكرات عربجي . تأليف الاسطى حنفي (أبو محمود) طبع القاهرة ١٩٢٢
ومذكرات وصيفة مصرية . تأليف زينب محمد طبع القاهرة ١٩٢٧
ومذكرات خالتي أم سيد . تأليف أحمد عبد الحميد علي طبع الاسكندرية ١٩٣٧
(٢) الحاج درويش وأم اسماعيل . تأليف حسين شفيق المصري . طبع القاهرة ١٩٢٩
حديث خالتي أم ابراهيم وحديث خالتي أم اسماعيل كان ينشره حسين شفيق
المصري في مجلة « الفكاهة » سنة ١٩٣٦ .

وبعضها على شكل أقاصيص ، وهذه كانت اغتها خليطا من الفصحى والعامية في الوصف ، وكانت العامية في الحوار ^(١) .

وسأكتفى من هذا النتاج الغزير بدراسة قصتين هما « مذكرات فتوة » و « مذكرات عربى » لأبين لغة طائفتين من العامة ، وأعطى نماذج للعامية التى يقولون بصلاحيتهما للكتابة ، والتى لو اطلع عليها الباحثون الأجانب الذين درسوا قواعد العامية ودعوا إلى استخدامها فى الكتابة وشاهدوا بأنفسهم أثر دعوتهم التى جرأت كل حامل قلم على أن يكتب بلغة طائفته ، لوقفوا حيارى إزاء تلك المصطلحات الغريبة التى عثرت عليها ، ومظاهر التحريف العديدة التى نالت من الكلمات العربية الأصيلة والدخيلة على حد سواء . مثل (التلموذ والتلاموذ) أى التلميذ والتلاميذ و (ذالك وهاذوها) أى ذاك وهذه و (الأترمبيل) أى (الأنومبيل) . . . الخ ولأبين من ناحية أخرى أثر التعليم ولا أقول التعليم المنظم فحسب وإنما التعليم القائم على الاطلاع والمجهود الشخصى فى تهذيب اللغة وتقويمها ، لأن المؤلفين اللذين تعرضت لدراستهما وإن كانا من العامة إلا أن لغة كل منهما قد اختلفت عن الأخرى بسبب اختلاف حظ كل منهما من التعليم وبسبب اختلاف الوسط الذى نشأ فيه كل منهما .

مذكرات فتوة :

مؤلف هذه القصة « يوسف أبو حجاج » رجل عامى من الطائفة المعروفة بين العامة « بالفتوات » . ألفها وأملاها على صاحب جريدة « لسان الشعب »

(١) انظر « أحاديث وقصص » (٢١ قصص) لحسين سمودى . طبع القاهرة ١٩٢٦
« وإحسان هانم » (مجموعة أقاصيص عصرية) لمبى هيد . طبع القاهرة ١٩٢١

حسنى يوسف وطالب منه نشرها في جريدته، فنشرها وحافظ فيها على لغة مؤلفها .
ثم خرجت القصة في كتاب مستقل . (١) وهذه القصة صورة جلية من أخلاق
جماعة « الفتوات » وعاداتهم واصطلاحاتهم .

بدأها مؤلفها بالحديث عن مولده وأصله والحي الذي نشأ فيه وتربيته الأولى
وحياته في الكتاب وخروجه منه قبل أن يستكمل دراسته لأسباب يذكرها
في قوله « وفارقت الكتاب الملعون بعد ما تعلمت أنى أفك الخط واكتب
اسمى واقرأ سطر فى الجرنان فى ساعة قول فى اثنين . أخذنى أبويا معاه فى
الدكان وفضلت فيه لحد ما نسيت الحبة القراية الى اتعلمتها وزيادة . نهـايته
هو ضنا على الله فى تعبنا وشقانا . وحقبى يا جدعان إن الدوى عالودان أمر
من السحر ، لأن والدى - الله يرحمه ويجعل قراره الجنة - كان يقول لى ليه
يا خويا أوديك الكتاب ؟ بلا كتاب بلا هباب هو اته حاططلع صاحب
وظيفة ؟ أبو كانوا . والا حتجيب لى الفار من ديله . ادى احنا عندنا الكام
راس والجوز العجول والدكان ويحلبها خالق الخلق ربنا . يعنى يا جدعان أبويا
هــو الى كان السبب فى خسارتى وعسدم تعليمى . سلمت أمرى لله وقلعت
الطربوش ولبست بداله طاقيه ولاسة وقايضت عالجزمة ببلغه كعبتها ولبستها
وبقيت واد بندى على دين ذوقكم » (٢) .

(١) من المحتمل أن يكون الناشر نفسه هو مؤلف القصة وأنه نسبها إلى هذا الفتوة
ليضمن عليها لونا واقصيا .

(٢) مذكرات فتوة . تأليف يوسف أبو حجاج . الطبعة الثانية طبع القاهرة
١٩٢٧ . ص ٥

ثم يتحدث عن مسأله في الحياة بعد موت أبيه ، فيصف كيف باع محل
الجزارة الذي ورثه عنه ، وكيف عاش متعطلاً مكتفياً بالعشرة قروش التي كان
يقتصبها يومياً من والدته ، وكيف أعد نفسه لكي يكون جديراً بلقب
« فتوة » يخرج في طليعة كل زفة لكي يحميها ، ويسهم في كل معركة بل
ويحاول إثارة الممارك حتى في الأيام التي كان يخرج فيها للنزهة .

يقول « نزلنا على الدقي شدينا كام تعميره وانبسطنا على آخر استيم وخذنا
الترماي لحد ما وصلنا للعتبة . نزلنا ومشينا لحد ما جينا للحتة اللي ورا البوستة
وقفنا . وقلت لاشلة ايه رأيكم أنا اشتقت للتحطيب والحتة دي واسعة ويمكن
قالوا وجب . وعندها اتلمت الناس تفرج تقولش توت حاوي . فزت على اثنين
ولكن الثالث حب بتاً نزع ادم الناس . صد ورد وخرج عن الحد وراح
ناتشني نبوت مكن جه في المليون ، ضحكت عليه الناس وظنوا أنه كسبني وأنا
اتلبخت . ولعب بعقلي الشيطان وعنها رفعت نبوتي ورحت نازل ضرب في
كل ال واقفين علشان أبرهن اني واد ماجدع ما تهمنيش السكرة . انفر كشت
الناس واتصدر لي واد من الحسينية وراح لاعن لي أبو خاشي رحمت مطوقه راح
نازل على أسنانه اتخرشم . جت المسكر وراحوا ضاربين حلقيه على العبد الفقير
أخذونا على قسم الموسكى وأخذوا اقوالى وأقوال المضروب وكتبوا لنا المحضر
وحطوني في الحجز لحد قرب المغرب ضمنوا عليه وخرجت » (١) .

وكانت هذه الأعمال تعرضه عادة للحبس لدى لم يكن يبلى به « هيه
الفتونة بلاش دا الحبس للجدعان » فيأخذ في الحديث عن موقعه من القضاة
وحنكا كه بهم ودخوله السجن ، ويصف حياته في السجن وما كان يشهده
هناك من الممارك فيقول « دخلت السجن أنا والواد بالحة وعنها راحوا مقامينا
هدوونا ووزنونا على الطرناطة ، تقولش احنا خرفان و إذا نقص وزننا نحاسبهم
على فرق الميزان ، بعد كذا جابو لنا الأسطى المزين حلق لما شعرنا جابط وجه
الحكيم كشف علينا ودخلونا الحمام تقولش جوزة ، وسلموا الكل واحد منا
قميص ولباس خيش بلدى ، وخطوا الكل واحد منامة على صدره وقعدوا كل
اتنين من إيراد^(١) اليوم فى زنزانة ، وصادف أن بلحة راح مع واحد غيرى
وجه زميلى واد بأف ابن كلب رزل . قعدت أنا وهو سكا بكما ، جابوا الكل
واحد رغيف عيش لونه زى الأرض وطورتين فول مدمس فوقهم ولا أربعين
سوسه وخمسة وعشرين زاطه ، بصيت للأكل المؤرف ده وحببت اضرب عن
الأكل ولكن الجوع كافر . نهايته اكلتهم وأنا مغمض . وفى تانى يوم جاني واحد
سجن بأف وقل فى عقل بله أدى مسجون جديد لنج استابخه وأتأصل عليه ،
وعنها وراح خبطنى رزه على قفايه وقل لى انت يا ولله يا مجرم قلت له بقول إيه
يا بن . . . (٢) يا جلف قال لى أنا ابن . . . يا ابن الفرطوس . رحت مناولة
كف راح مزعق جات السجانة على زعيقه . وخدوني على المأمور دخلت عليه
هوشته وقلت له هو بقى فيه عدل هو بقى فيه آنون هو القاضى لما حكم على

(١) يسمون فى اصطلاح السجون فى مصر المساجين الجدد (إيراد اليوم) والذين
يفرج عنهم (منصرف) .

(٢) كلمة خير مهذبة .

بالحبس قال شهِز مع الشغل والاهانة ؛ أبدا ما قلش كده ، فما كان من حضرة
المأمور إلا أنه قام وراح ناتشنى حتمه شلوت حيث أناوله أخوه بس ياخسارة
كنت حافى ومجرم زى مايقولم . قلت له بقى انت كان يا حضرة المأمور يا لى
متربى بتعمل كده زى الجلفات دول . قل لى حقيقى انت واد ابن كلب مجرم .
قلت له . وانت الصادق يا سمادة البيه يصح برضه لانيك ما ننش الوظيفة دى
إلا بالتباحة . فقال المأمور للكاتب ناوانى دفتر المحاضر . والله يا ابن البعيد
الكلب لأسجنك وأوديك الانفرادى . . . »^(١) .

وكما كان يدخل السجن فى ، ظاهرة كان يخرج منه فى مظهره ، مظهره
من أهله وأصدقائه المختلفين بالافراج عنه يصفها فى قوله :

« وخرجت مع المنصرف ووصات للباب البرانى واقبت لك الست والذى
ومعها ولا تلتين مرة من الشلق الى على الكيف . فراحت كمانى وبإيسانى
والحمد لله على السلامة يا بنى . قلت لها الله يسلمك ولا كن الأحسن إنك ترقى
إنت وجوقك وأنا محصلكم ، فمشيت هى ومظاهرتها . . . وطابنا تا كسى
(يريد هو وأصحابه) وركبنا ومحسوبكم ركب فى الوسط زى العريس ودارت
السجاير المحشية بالحماس^(٢) وفضلنا نفنى لحد ما وصلنا للجنة نزلنا ودفع بلعة
أجرة التا كسى ، وسابونى تنى رايح على البيت قابلونى بقى بالهوسة اياها بئاعة
النسوان فعدت اتغديت غدوة لكن مكن^(٣) . »

ولم يكده يخرج من السجن حتى أخذ يستمد للالتقام من خصومه والترتيب

(١) مذكرات فتوة ص ١١ . (٢) اسم يكنى به عن الحبش .

(٣) مذكرات فتوة ص ١٤ .

معارك جديدة ، وهنا يصف لنا وقوفه أمام اقضاة من جديد ورجوعه إلى السجن . لكنه كان في بعض الأحيان يزهد حياة التشرد ويتوق إلى الاستقرار ، فيبدأ بعمل في الجزيرة من جديد ، ويقع في حب امرأة من المتردات على محله صرعان ما يزهد حبها . اسمه يزجر نفسه عن الانغماس في الحب الذي يتعارض وشيم الفتوات الذين يأبون الرضوخ لامرأة يقول : « آه وآه أنا مالي ومال الحب ، يا قلبي انت السبب تستاهل عذاب الحب . آه لو كان الحب راجل لكنت قتلتها ، لأنه هو الذي فالتنا وجاب لنا الأذى . مسكين يا الله بتحب وربنا عذرتك يا أخ ، شغلت نفسي على الفارع البطل واديني قاعد اهتوس مجنون ؟ لا أمال ايه محسوبكم يجب . . . (١) يا أم عامر . عجائب اشتقت قوى ومش قدر أخبي ، خزوق في عرضك يا حب حل عني . دهنه يا واد دوس بلا حب بلا اندله . بقي أنا كل بطولي وعرضي وامشي تحت جناح مرة . لأصهين وأكم وعنها وبقيت كل ما تجيني صاحبتنا ما اديهاش وش زى العادة ، اغاية ما قالت لي انت ليه مش زى عادتك . قلت لها أزمس أطبل أرقص ، هو انت ما عرفتيش . قالت إيه اللي عرفته . قلت لها مش التجوزت وبقت في رقبتي مرة وما يصحش أخونها ، لأن اللي يخون مراته لازم يوم تخونه طبت ساكته (٢) » واستمر في هذه الحياة الصاخبة بآمالها وآلامها إلى أن جاءت ثورة ١٩١٩ فأسهم في مظاهراتها واشغل بها عن معاركه الخاصة وعن خصومه الكثيرين . فأخذ يروي ذكرياته عنها ويصف مواقفه مع الجنود الانجليز ويصور وحشيتهم في مطاردة المتظاهرين . فيقول في وصف إحدى هذه المظاهرات :

« . . . قلت لتحيا التلاميذ ردوا لتحيا التلاميذ ، قالت ليحيا سعد زغلول

(١) كلمة غير مهذبة .

(٢) مذكرات فتوة ص ٢٦ .

باشا العترة قولا ليحيا سعد زغلول باشا العترة . وقفنا زى ما احنا شلة واحدة ومشينا من القهوة واحنا نزعق بالكلام الى بالك فيه . وشوية أبص الأقي وسطا شوية تلاموذ معرفش جم منين ، أنا قلت والله العظيم جدعان تنتننا ماشين على باب الفتوح على الغورية على باب الخلق . استلمونا المساكرو هات يا ضرب رحنا رافعين الشوم ورحنا هاجمين واتصدرنا . الله مسكو تلهوذ من وسطنا . حكم لازم نسيبه . الله عيب هو ماشى فى وسط نسوان داحنا رجاله »

وبعد أن خلاص التلميذ فر من المعركة مبينا أسباب هذا الفرار فى قوله « ساعها أنا قلت هات يا جرى ، لأن أيامها كانت السلطه انجليزية لافيا محامى ولا كفالة ولا ضمانة ، وحرام انسجن أو انطه عشان يحيا ويعيش ... » ثم ذهب يجمع رجاله ليخوض المعركة من جديد « لميت لك رجاله تسد عين الشمس وحتة دين مظاهرة استشاعت لها الدنيا ولخت الخيـ الة الى زى البهلونات ، طب ولفه عال لحد ماوصلنا المديح زاد العدد . إلا وابص الأقي عسكر انجليز جاينين فى أترميل ، وقفنا ونزلم كل واحد معاه بندقيته . وجون . قربت عليهم وقلت لهم جون إيه وسخام إيه هى الحكاية عافية دا الصلح خير . تخونكم مية النيل الى طفحتوها . أنا قلت كده وراح واحد منهم راقعنى بكعب البندقية قلت له اختشى يا جوني ^(١) أحسن بعد الهزار يبقى جد . راح مناولنى الثانية خدتها وسكت لأن العمر مش بعزقه ... »

ثم يصف اشتداد هذه المعركة التى ذهب ضحيتها كثير من إخوانه المصريين ، وكيف وقف يتأملهم وهم مضرجون بدمائهم متحسرا متألما ، وكيف فاجأه

(١) — اسم يطلقه المامة فى مصر على جنود الانجليز .

جندی انجلیزی و هو فی وقفته هذه وکاد أن یقضى علی حیاته ویلحمته باخوانه
الشهراء ولا تحایله للنخایس منه . یقول « .. ویدنا أنا سارح فی أفکاری لا واد
عسکری نجلیزی جای جری نحیتی وراح راقعی حته تنفة شلت فی السیان .
رحت دتس البندقية بتاعته علی طول ہما مسکه من حلید . وقت له شوف
بقی یاجونی أنا قدر أسخطک ، ولكن أتم ضیوف وعبیب نهینکوا وأتم فی بلادنا
اختشر وسیبوا البلد . کل ده وأن بردک مساک البندقية لاحسن یقل عنه ودا
واد ابن خطبه ومغفل ومخبطنی رصاصة أروح دوشار وأنا لسه مداخلش
دنیا ولا فرحتش بشی . وبصیت للعسکری وضحکت من غابی وزعلی وقت
له وحیة غریبک : جونی آمان وان قدرت علی لأذی فلا تفعل لأذی ورحت
سایب البندقية وقت له أنا وقسمتی یأمت جنب أصحابنا یانفت بعمری . قل
لی جون قلت الحمد لله هی رست علی جون . بس قلت له جون قوی دانت جود
وانص لمحدوبت من قدامه .. وتنی زائق علی الیتیم والذی منه والنصح قمت
لشغلی . وعزمت ونویت أني ما اصدرش فی مظاهرة تانی ، لأن الکلام ده
للجماعة أهل العلم والفنن ومحسوبکم واد هلملی غیر مقلم » .^(۱)

لمکنه لا یلبث أن یعود إلى حیاته لأولی ، حیة الممارک والمجون حیة
النشرد والعربدة . فیصف ترددده علی دور الذسوة الساقطات ، وترددده علی
الحانات ومواقفه فی المحاکم وحیانه فی السجون .. وأخیرا یصف لنا کیف مل
هذه الحیة ، وعزم عزمة صادقة علی النوبة والنزول إلى میدان العمل . فیشتغل
بالتجارة ویترزوج ویبنی أسرة ویمرف معنی الهدوء والاستقرار ویساعد أصحابه

من « الفتوات » على أن يحيا حياة شريفة . ويختم القصة بقوله « واهو ربنا قاب علينا كلنا وعوض صبرنا خير ، وعرفنا ان الشقاوة مافيش منها فايده ولا عايده ، والمشي الطيب مافيش أحسن منه ، وعلى رأى المثل يابخت من بات مغلوب ولا باتش غالب » .^(١)

هذا موجز لمذكرات فتوة الممنا فيه بموضوعها وعرضنا فيه نماذج من أسلوبها ولغتها . هذه اللغة التي تضمنت طرائف الكلمات والعبارات والاصطلاحات مثل : « شدينا كالم تعميره ، وانبسطنا على آخر استيم ، راح لاعن أبو خاشي ، انخرشم ، راح خابطنى رزه على قفاته ، سكما بكما ، حته تنفة شلوت فى المليون ؛ أروح دوشار ، حته دين مظاهرة ، واد مجدع ، واد بأف واكم وعنها ، راحت كمانى ، استشاعت لها الدنيا ، وتنى زاقق على البيت ، السجاير المحشية بالحاس ، غدوة مكن ، العترة ، التلاموذ ، أنرميل . . » إلى غير ذلك من الكلمات التي تعذر على فهمها فى كثير من الأحيان ولم يرض على تدوينها سوى ثلاثين عاما . فاذا كنت أنا المصرية التي أتحدث باللهجة المصرية لم أستطع فهم لهجة طائفة من عامة المصريين تعيش فى قلب القاهرة نفسها وليس عهدا بعيدا ، فكيف يكون موقف أبناء العربية فى الأقطار المختلفة من فهمها ؟ وكيف يكون موقف الأجيال المستقبلية فى مصر منها بعد أن تنقرض جماعة الفتوات وهى فعلا آخذة فى الانقراض ، وبعد أن تندثر معهم عاداتهم وأخلاقهم وتذهب تبعاً لذلك عباراتهم واصطلاحاتهم ، وبعد أن تتطور العامية التي يبدو مما عرضته أنها معرضة للتطور السريع جدا لئلا تتعرض

له اللغات الأصلية العربية التي بلغت حد النضج وأصبحت لها قواعد منظمة ؟
أبطل هذه اللغة المتغيرة ندون آدابنا ؟

مذكرات عربجي :

مؤلف هذه المذكرات « حنفي أبو محمود » حوذي ورث مهنة الحوذية عن أبيه ، وخرج من ممرسته هذه المهنة بتجارب وذكريات ضمنها مذكراته التي نشرت مسلسلة في أول الأمر في مجلة الكشكول ، ثم جمعت في كتاب قدمه فكري أبظه بمقدمة أشاد فيها بالمؤلف ومواهبه وأسلوبه ، وألحقها بمنحة مائة تعينه على طبع المذكرات كما صرح المؤلف في صدر الكتاب حيث يقول : « رصني المبلغ قدما وقدود يامي فكري مش جايب الكرم من بره والعرق دساس ياأستاذ » . (١)

وقد عرض المؤلف في مذكراته أصناف الركاب الذين أقلهم في عربته ، وأشار إلى قدرته على التمييز بينهم بسبب الخبرة والمران ، وأورد أنواعا من الأحاديث التي كانت تدور بينهم ، وكشف عن الأسرار التي اطلع عليها من خلال أحاديثهم وتصرفاتهم ، ووصف الحوادث التي تعرض لها أثناء قيامه بعمله والتي عرضته للأخطار وكادت تؤدي بحياته ، وبين ما أفاده من مهنته ، وأخيرا توجه بالنصح إلى الركاب وإلى زملائه الحوذية .

وقد استخدم المؤلف في كتابة هذه التجارب والمذكرات . العامة الخالصة

(١) — اعتقد أن المذكرات من تأليف فكري أباطة نفسه ، وأنه نسبها إلى ذلك الحوذي تماما لاصباح الجو اوراقى عليها . وما يقوى هذا الاعتقاد عندي تشابه أسلوب المذكرات وأسلوب فكري أباطة . أسلوبه المشهور في الخلط بين الفصحى والعامية والذي يكشف عن عن سعة درايته بالساسة وتحليله لرجلها وصغريته بهم .

في بعض المواضع وخاصة في الحوار ، والعربية المشوبة بالعامية في بعضها وهي اللغة الغالبة على المذكرات ، والعربية الخالصة في أدوع أساليبها في مواضع قليلة لأن المؤلف - كما يحدثنا - قد حظى بقسط من العلم اكتسبه عن طريق الاطلاع ومزاولة الكتابة وهو يشير إلى ذلك في قوله : « صحيح إنني نشأت في وسط كاه عربات وخبول » بلدي ومسكوفي ، وجولا نسمع فيه إلا طرقة الكرايبج وإصلاح « الحداوي » ولكن ذلك لم يمنعني أن أنشأ ميالا إلى الأدب والكتابة والمطالعة وقراءة الاخبار السياسية فلا أنسى أن ابتاع مع شعير البهائم وبرسيمها جرائد كثيرة ، بل أكثر من ذلك أيها القارئ طالما فتني في كثير من الأوقات زيارتي متع لا تشغلي بالسياسة والأدب في الموقف بينما رفاقي عيونهم متطلعة تصطاد الزبون من آخر الشارع ^(١) .

هذا الاطلاع كان له أثره في تهذيب لغته وفي اتساع مداركه وفي قدرته على التغلغل في أعماق النفوس وكشف خباياها .

استمع إليه يعرض أصناف الركاب الذين أقامهم في عربته .

منهم الموظفون وهم أصناف « وكم في النهار يأسيدنا من حوادث وروايات ، ففي الصباح نشغل على سيادنا الموظفين (السقع طبعا) ، وهؤلاء فيهم الجواد الذي بهطيك فوق ما تستحق ، وفيهم المدقق الذي يدفع لك بالمليم وإن تكلمت كات الداهية السوداء ويتداخل عسكري البوليس وتنتهي المسألة على أخذ الأجرة من عسكري النقطة أقل من الأول لأن الفرق أخذه جناحه قيمة أنهاب ، وفيهم من يناديك بكل كبرياء وعجرفة وهو لا يملك في جيبه الأجرة . فكم

(١) — مذكرات عريجي : تأليف حنني (أبو محمود) طبع القاهرة ١٩٢٢ ص ٤

حصل كثيرا أن يركب معي بعض هؤلاء، ويأمرني بالسير إلى المالية أو الحفانية، وفي الطريق يصطاد هذا الوجيه الذي أحس بأطراف حذائه في نصف ظهري موظفا آخر يكون سائرا على قدميه، وفي حله، فيدعوه للركوب معه، وبطريقة غريبة ينتقل معه من حديث إلى حديث إلى حديث إلى أن يدعوه بطلب جنينه (ساف؟ الله) وإن اعتذر فنصف، فريال، فنصف ريال هو أجرتي طبعاً. وأنا في هذه الآونة متردد بين السير إلى وزارة البيك أو إلى القسم وفي الوقت نفسه أدعو بالخير لمن دفع. والله يعلم إلى أي نتيجة كانت المسألة تصل لو لم نصادف «لجني عليه» في طريقنا (١)

ومنهم رجل السياسة : وهاهو ذا يعرض شخصية رجل من رجال الأحزاب لا يدين ببدا ولا يقر على حل فيقول «... جمعني الصدف بالأستاذ (القطب) تشريفاتي استقبالات معالي الرئيس (٢) وسكرتير لجنة استقبال دولة الرئيس (٣) وخطيب وفود دولة الرئيس (٤). هل عرفته أيها القارئ؟ إنه (مثل انوة الشحنة من غير إرادة سابقة) لم تعرفه بهد؟ هيه إنه أحمد بك الشيخ بطل مجلس المديرية في إقليم الغربية، ظهر صاحبنا على ما ظن في الأيام الأخيرة، ولدته الأيام فوصل إلى رتبته من طريق مجلس المديرية، وعرف كيف يظهر على صفحات الأهرام (بالث والعجن) وأخيرا بالدخول في غمار (ايحيي الاستقلال) ابتدأت حياته السياسية (بلا رئيس إلا سعد) ثم تحول قليلا إلى صيخته (عدي فوق الجميع) ثم ظهر في خطبته بعد ذلك أن (لا حياة إلا ثروت) وهنا وقف لأن (الثالثة ثابتة) والله أعلم أن المسألة تنتهي على ما يرى نظري القصير (بلا رئيس

(١) — مذكرات هريجي ص ٨

(٢) — سعد باشا

(٣) — عدي باشا

(٤) — ثروت باشا

إلا ما تقتضيه الأحوال) . ركب معي من بار اللواء وقد كان خارجا من إدارة
الأنهرام بعد أن (تمطع) طبعا وسخ الجمهور مقالة من أفكاره ... قال بصوته
الرنان الذي يصلح لترتيل سورة البكف يوم لأحد -- فاضى بأعرجى سوق
على بيت سعد باشا ، وسكت هنيهة ثم نظر إلى بنان وقل بسرعة بلا مفيش
وقت . فلهايت الخبل برفي أقل من لمح البصر ككت أمام بيت الأمة . نزل إليك
بدون أن يدفع الأجرة وانتظرت أنا . وهنا يحلو الحديث ولم -- امرة وموت
ساعة بدون أن يخرج فضيلته وضاع مني زبائن كثيرة . وأخير طلبت واسطة
أحد الخدم أجرتي لا تصرف على الأقل ، فأخبرني أن أحمد بك ليس له ثرى
بيت الأمة . كيف خرج بل كيف زاع ؟ هذا لا أدريه بالرغم من أنى لم أنم
مع وجود عرجى الدكتور محبوب نائما بجانبى لأنه على ما قول لى أوصل سده
متأخرا ليلة البارحة . وأخيرا خرج فرانس معالى الرئيس ودفع الأجرة أكثر
مما استحق ، وهكذا كان بيت الأمة يدفع من مل الأمة (الجدة) التضيعة
الوطنية حتى أجرة عرباتهم . تصادف بعد ذلك أننى أركبته مرارا ،
وأذكر من أطيبها موقفا أيام كان الخلاف بين معالى سعد باشا ودولة عدلى
باشا ، وأحمد بك معروف فى دوائرنا نحن أنه سعدى صميم . نادانى فى ميدان
الأوبرا وقد كان ساهما مفكرا وقال لى بصوته الرخيم . سوق على بيت سعد
باشا يا أسطى ، لا يا أسطى بيت عدلى باشا ايوه أنا قلت لك سعد باشا . فظننت
ولست من أولياء الله أنه يريد بيت الأمة ولم أعلم أنه يسمفهم منى بسؤله الأخير ،
فما وقفت أمام بيت سعد إلا وأحمد بك قد رفع الكبروت وهو يقول بصوت
واطى ولكن بمدة يا ابن ... أنا قلت لك بيت عدلى باشا مش بيت سعد باشا
سوق بلاش فضيحة الله يفضحك ياغبى . فسرت وأنا أضحك فى سرى لأن
وجود هذه الشخصيات الجوفاء على مسرح السياسة فى كل أمة لازم لتفريج
الهم عند نزول الضيق « (١)

وكان من ركاب عربة الشاق : ولحم عنده مواقف مشيرة وذكريات كثيرة
في مختلف المناسبات . وكانت تخزيم تزداد في شهر رمضان تحت ستار اباحة
السهر في هذا الشهر الكريم .

فيصف موقفنا من تلك الموقف في قوله . . . وكان مدفع رمضان على وشك
أن يؤدس لعباد الله الصائمين بلا فطار . فركنت بجانب كوبرى شبرا وغيرت
ريق على اللى فيه النسيجة وبعد النسيجارة صعدت متنهلا جسر شبرا ووقفت
بجانب محطه الحرو . وما مرت دقائق حتى شعرت بحر كبرى تنهز قليلا والتفت
رؤيا بآسه من التلى يصعدن التلى عر بقوله .

صونى جمالك عنا اننا بشر من التراب وهذا الحسن روحانى

أمرتنى بالمسير قليلا إلى أن اكتنفنا الظلام تحت شجرة كبيرة وأمرتنى
بالوقوف . ولم يمض علينا أكثر من عشر دقائق حتى رأيت شابا يقرب منها
متنهلا ويده مبرجة كبرمان (واخذ باللك) آل يعنى خارج من تراويح إلى
تراويح وقفز بجانبها (ولا سأل عن محسوسك أو غيره) وبصوت الأمر أصدر
إرادته السكرية بالذهاب إلى الجزيرة . ووقفنا قليلا لتأدية واجب الزيارة للبار
الصغير بجانب سمر عيس تبادلنا فيها مقدمة الحديث على رنين الكأس ، وسرنا
بعدئذ على بر كيه ورنات القبلة لأولى فى أول تحوارة بعد الكوبرى والابل
هادى ساكن ، وسمعت تنهيدة خرجت من قلب ستى لخطبات كيانى وأردت
أن استعيد مركزى فسرعت الخيل وقال جنبه : على مهلك يا أسطى احنا مش
مستعجلين . العارف لا يعرف يابيه بس الخيال جامدة شوية ومش على
بعضها . آه .

فتها مسا وضحكنا ورنات القبلة الثانية . فقت فى نفسى قسمتك يا محمود .

والى مكتوب على الجبين تسمعه الودان . وقضا أخف من قضا . فدار بينهما الحديث والحديث شجون ، فكان يلتقيها بتوتو وهى تناديه بسوسو . ويستولى عليهما عفريت الحب والغرام إلى أن يلحها خفيرا أو شويشا ، فينتلب الحديث توا إلى القطن والعزبة والناظر الجديد ومركز الوزارة وقانون التضمنات إلى أن يمر الخطر فأسمع منها - هـ . هـ . ويعودان لتوتو وحبوب وأنا سايح (شفيها) بحكم المركز والوظيفة . متأكد أن أبى - رحمه الله - رأى أضعاف ما رأيت ولكن ما باليد حيلة . المسألة وراثية . وتنبت من حلمها اللطيف نصف الليل وأنا من شارع إلى آخر في الجزيرة والزمالك وسمعتها تقول له ترجع قى أحسن بابا يرجع قبلى يمكن يزعل . فقلت فى نفسى كأنى أرد عليها والله ياستى لا يزعل ولا حاجة يبنى هو ش عارف . وبالاختصار وقفنا فى ميدان الأزهار فانتقلت إلى عربة أخرى (كالعادة طبعا) فأوصات البطل إلى مأواه . قصدت منزلى توا ، لأن السحور منتظر وأبو محمود مسلم يصوم رمضان ويشرف فيه العجب وكله مقدر يازباينى الأفاضل ^(١) .

هذه المواقف الغرامية لم تنقطع أبدا فى عربته حتى فى المناسبات الوطنية . وها هو ذا يروى مهزلة من تلك المهازل الغرامية التى دارت فى عربته عندما سافر الوفد المصرى لأول مرة . « يرجع مرجوعنا ياسيدى القارى ، إلى ميدان الأوبرا أيام سافر الوفد لأول مرة ، والقاهرة قد أخرجت من بيراتها مجموعات مختلفة من سيدات وعذارى وعيال وبنات وخلافه . وتصور محسوبك بعربتى فى وسط الخليط من أوتومبيلات وعربات ملاكى ، ومعنى عالمة مكونة من أربعة أنفار من الجنس اللطيف طبعا والعلم المصرى يرفرف علينا ونحن نسير

بكل بقاء بين الهاتف المتواصل والمظاهرات المختلفة وابتدأت لاشدت
والإبتسامات الإسلامية بين شاب من الشباب الداهض وأحدى زبائن ورشته
وقد اقترب بسرعة البرق حتى صار بجانب عربتي ، وانتهز فرصة مرور مظاهرة
أخرى ، وفي أثناء الحيف الذي كان يصم الأذان كان (الشاطر محمد) يندى مع
الهاتفين بصوت عال ويتكلم مع ست الحسن والجمال بصوت واطى بالشكر آتني :

ليحي الاستقلال التلم

عاوز أكلم عاوز أشوفك

لتحي السيدة المصرية

كاهني في التليفون

ليحي الوفد المصري

نمرة التليفون كام

ويظهر أن الوالدة اتبعت أن هناك مظاهرة أخرى بجانبها فاقطع تيار الحديث
ثم سمعت الأنسة تقول بكل بساطة لشدة حبها : لله شوفي يا أبله نمرة العربي زي
نمرة تليفونك بس بدال الخمسة نلاته . وبهذه الطريقة نظر صاحبنا إلى نمرتي
وأبدل الخمسة ثلاثة بالطبع وانتهت مهمة بعد أن كتب النمرة لأنه يفخر عليه
أنه (غبي) ما يقدرش يذكر نمرة ، ونظر إلى بعينه الجميلة السوداء كأنه يشكرني
بمناسبة نمرتي . فقات في نفسي الحق مش على الحق على لحافضة الى جابتلي
تهمة مش نمرة (١) .

ورصف المؤلف خلال هذه الذكريات بعض أدوائنا الاجتماعية الخطيرة ،

وكان أخطرها في نظره داء « الكوكايين » . وقد بلغ منه التمجس منتهاه في وصف هذا الداء وبيان أعراضه . وارتفع أسلوبه في هذا الوصف إلى العربية الفصحى في أجمل عباراتها وأروع تشبيهاتها فقال :

« هل رأيت الزهرة كيف تذبل أوراقها وتسقط قتموت ؟ وهل شاهدت العاصفة في طريقها تقلب الأرض ظهر البطن وتنال من باسقات الشجر وتودي بمجمل الزهور وتنهى حياة يانع الثمر ؟ ألم تر ولو بريشة مصور كيف يفترس الثعبان فريسته ، يضيق عليها الخناق إلى أن تقع مستسلمة لكهرباء عينيه فتلقي حثفا ؟ تلك النهايات مجتمعة أقل أثرا في نفسي وأخف روعة في قاي من الموت بالكوكايين . الشباب الناضر والحدود اللامعة والعيون البرقة والقند المعنل والذكاء الفياض والنفس التي تسيل حنانا والوجه الذي يستحي أن يراق مرؤه . كل هذا يأسدى القارىء ، ينقلب إلى شيخوخة في سن الثلاثين ووجه بهارى اللون وعيون غائرة وعود أضته الليالي السوداء ، فأورثه البلاء والمعجز وأبدله الحياة بصفقة والحنان بقلب قد من حجر أو نحت من صخر . وما هو (القاسم المشترك لأعظم) في كل هذه المصائب ، هو هدية أوروبا لنا (الكوكو) يا أسيادنا » (١)

ثم يستمر في سرد وقائمه مع مدني « الكوكايين » الذين كانوا يجوبون بعربته مختلف الأمكن في أحياء القاهرة للبحث عن هذا السم القاتل ، وذلك في أسلوبه المعتاد المبطن بالعامية . يقول : وأقسم لكم اني كثيرا ماوقفت بزبائن لي على دخاخنية ومحلات منى فانورة وقهاوى تباع بها هذه الماده السامة

جور نهارا . ادفع الثمن تأخذ الجرام . والحكومة تسمع وترى ، لكن المين بصيرة واليد قصيرة . وكما حدثت أزمات كالأزمات الوزارية مثلا . يكون العثور فيها عن جرم أصعب من وجود رئيس وزارة . فنظل نبحث أنا ومن معي من الشباب الناهض . نظرق بيوتنا نام سكانها وغدا أهلها ، فيكون ثمن الجرام مضاعفا إذ يضف اليه حضرة البائع المحترم مبلغ بسيط هو بدل إطلاق الراحة . وينزل اليك فضا يده على بغيته ، على الزجاجة البيضاء وهو يقول : ذنوتت لو احد بقدر . يتنفس بسهولة . دنا دماغى كانت فضية ياناس . . فيجيبه زميله قائلا : متع متع ، ثم تفتح لزجاجة ويدور السم القاتل فلا تسع إلا حركة شمم وعيم يتلون ذلك الموت الباطل . يدخل في فتحتى الأنف الضيقتين كما يتسرب الضاعون من مربوط إلى أهل بلد آمن سطمشن جالبا معه الخراب والدمار فملوت . . . (١)

ثم يصف المؤلف بعد هذه التجارب التي مر بها وخرج منها : أنهم معادق للحياة ومعرفة لحقائق النفس البشرية ، الحوادث التي تعرض لها أثناء قيامه بالعمل وكادت تودي بحياته . كان مبعثها عبث سيارات السلطة العسكرية واستهانها بالأرواح والمنشآت أثناء سيرها . وهاهي ذي واحدة منها تصدمه صدمة قوية تحول بينه وبين مزاولة مهنته فيصفها في قوله :

« . . . دهمنى بدون انذار ولا تغير بسرعة الدهشة أنا وعربى والجوز الخيل ، ذلك البيت المتحرك الثقيل الظل ، الذى يثير التراب ويغسل الطريق على المارة . ويهدد المنازل (الى بتشاور عقلا يهدد مستعجل) . وإذا اصطدم أى متحرك أو ثابت طواه تحت عجله الذى لا يرحم ، ويذكرنا بدوشته ورزاة شكله شبح السلطة بأوامرها ونواهيها ، ولما تلاقينا كما قال الشاعر ، كانت

(١) مذكرات عربجي ص . .

النتيجة أن الجوز الأصيل ماتا على الأثر ، فتهشم العربية فأصبحت (عربة يد) وتشوه جسد محسوبكم فلم استفق إلا وأنا على سريرى نمرده بالقصر العيني»^(١) وفي المستشفى يصف مشاهداته وما لمسه من أخلاق المرضى والممرضين والأطباء ، وهؤلاء ، كان أكثرهم - كما يقول - من الانجائز الذين يتقنون التحدث بالعربية كأناء القاهرة في حي (الصنادقية) ، ويصف العملية الجراحية التي انتهت ببتار أصابعه ، ويصف خروجه من المستشفى أو كما يسميها (الأشله) .

وأخيرا يختتم مذكراته بتوجيه النصيح إلى السادة الذين يستخدمون العربات في تنقلاتهم ، وإلى زملائه من الخوذية الذين يشاطرونه متاعب المهنة التي قضى منها الكثير .

أما الركاب فما قاله في نصيحهم « ... إذا ركب أحدكم عربة فلضع بين أصابعه قليلا من عصير (الرحمة) لتحذوا على العربجي المسكين المشغل في غلبة الشعب المصري الساحقة وهم الفقراء . الحنو والبر والانسانية من صفات الكرام . كونوا آدميين قبل كل شيء »^(٢) .

وأما زملاؤه الخوذية فيقول في نصيحهم وتوجيههم « أما زملائي العربية . رفاق الهناو (التقصيع) وضرب الزنق ، وإخوان المحاضر والتهام والمحاكم ، فاحيهم بكل احترام كما يحبب الموظف إخوان مكتبته بعد سن الستين من المعاش . أرجوهم قبل كل شيء أن يتعففوا مع ما يقاسونه من ألم ومهانة ، كم أتألم وانضايق حينما أسمع أحدهم ساعة يرى زونا مارا ويقول له (آحى يا به) (آحى وإلا لا) (آحى أو صااك) ثم لا يجد ردا على جوابه حتى ولا قوله

(هـ نستفشد يا سطى) لكل إنسان كرامة يحافظ عليها ، فلما لا نكون نحن أيضا
لذ كرامة نرفعها ولا نختمنها . دعوا الزبائن يتمتعون بحريتهم ، إن أردوا
أركوب معكم فعلى الرحب والسعة وإلا فكل على هواه . لماذا لا نعاملونوا جميعا
على حياء هذه الصنعة التى تكاد تموت بهم لكم ، وأمام هذا السيل الجارف
من مراكات (الفيات ولرولس رويس والرينو) . أنعرفون الطريق إلى ذلك ؟
نظنوا عربكم وطعموا خيولكم وكوههم شعير مس كرايج أما الزائر فسيتم
فى الوقت اللازم وتشددوا حينما تستدعى الحالة ذلك . لا تدعوا صفة أو كيرة
تمر دون أن تعرفوها فان صنعتنا تطلب منا أكثر من ذلك . القاهرة (حالة
وأنتم مغرقها) لا يجب أبدا أن يكون جواب واحد منا لزبون (معرفش) .
نحن كتلوج البلد المتحرك المعارف بأسماء شوارعها وحواريها ، قهاوبها ومطاعمها ،
مطابعها وادرات صحفها وبيوت الوجها ، خصوصا بإزملائي إن الأجرة يمكن
أخذها مضاعفة إذا أخذت الباشا مثلا أو سعادة البية من النيوبار إلى منزله
بدون أن يدلك هو على مقره . وقتئذ يصح (الباف) والأونطة وتخرج من
لمركة فائزا منتصرا « (١)

هذا موجز « مذكرات عرجي » ألمنا فيه بموضوعها وعرضنا فيه نماذج
من أسلوبها ذلك الأسلوب الذى يتردد بين الفصحى والعامية . بين العامية
المهذبة التى يتحدث بها المتعلمون من أبناء القاهرة . وقد ظهرت مسئلة فى الحوار
وهى تخف عن العامية السوقية فى « مذكرات فتوة » حتى لا تكاد نلمح فيها إلا
القليل من الكلمات والمبارت الخاصة بطائفة الحوزية مثل (زبون سقم وزبون
مفلس دافى لزبون على الرصيف واطلع يا برنجى واوعى الماف يا جدد ...) .
ونحن نرى بعض الأمثلة العامية الشائعة حسب مقتضيات المهنة مثل (الى مكتوب
على الجبين تسممه الودان ...)

وبين العربية الفصحى المبطنة بالعامية وهو أسلوب السرد الذي يغلب على
المذكرات . وبين العربية الفصحى الخالصة التي ترتفع في بعض مواضع الوصف
إلى أجمل وأرقى الأساليب الفصيحة مثل وصفه لأعراض داء « الكوكباين »
التي أفنن في وصفها للدرجة تشكك القارئ . في إمكان نسبة هذا الأسلوب إلى
حوذى . وأرى أنه من الراجح أن يكون فكرى أبظه الذي رد للمذكرات
اعتبارها بنقديه لها ، والذي أعان المؤلف ماليا على طبعمها ، هو الذي كتبها
بنفسه وأنه نسبها إلى ذلك الحوذى ليضفي عليها لونا من الواقعية ، وزعم أنه
مشتق لنزىل ما قد يثار في ذهن القارئ . من شك عندما يتتبع أسلوبها . كما أن
الأسلوب الفصيح المبطن بالعامية هو نفسه أسلوب فكرى أبظه الذي عرف به
في مقالاته في الصحف وفي أحاديثه التي يلقها في المذيع ، وهذا الأسلوب
إن استساعة البعض فهو يعد من أخطر الأساليب التي لجأ إليها دعاة العامية
لإباحة اقحامها في الاستعمال الكتابي دون نبذ الفصحى نبذا تاما ، لأن
خطره يخفى تحت ما يطعمه من خفة الظل التي تحببه إلى القارئ ، ولأن مزجه
بالعربية الفصحى يخدع الناس عن حقيقة ما يهدف إليه من تطويع هذه الفصحى
والإتماد بها عن منابعها ومسح خصائصها .

الفصل الرابع

العامية في الزجل

كان الزجل في بدء نهضتنا الأدبية يسير مع الشعر جنبا إلى جنب ، يماثله في موضوعه وفي لغته ، وذلك قبل أن ينهض به البارودي ويسمو بموضوعه ولغته . كانت مواضعه بسيطة ساذجة لا تتعدى الوعظ والنصح والمدح والغزل والدعابة ، وكانت لغته ترزح تحت وطأة المحسنات البديعية وتتردد بين الفصحى والعامية ولا يمكنها أن تنزل إلى لغة السوق . كما أن بعض زجالي تلك الفترة مثل عبد الله الفحام الذي عاصر بدء عهد محمد علي كان يؤثر استخدام الفصحى في أزراله ، حتى أنك لا تكاد تلمح فيها من مظاهر العامية سوى التحرر من قيود الإعراب وبعض كلمات عامية قليلة مثل قوله في الغزل :

في بحر حسنك والغرام والجمال

كام في محاسن منهلك من هلك

وإن كان عذولي شبيهك بالهلل

يا بـــــدر من لا يعرفك بجهلك

في بحر عشقك زاد شجونى شجن

من مدمعى بحر الجوى قد وفى

وجهه منادى الشوق على سأل

بالوجد والبلى والوطال واكتفى

ونبت أشجاني لب به هـــــواك

وصرت غارق في الجاج الهلك

وإن كان عذولي شبهك بالهلال
يا بدر من لا يعرف مجهلك (١)

ثم أخذت لغة الزجل في أواخر القرن التاسع عشر تقترب من لغة العامة ، وكان للموضوع الذي يطرقه الزجالون والهدف الذي يرمون إليه أثر في تحديد مسافة بعد لغة الزجل عن الفصحى واقترباها من لغة العامة . فقد رجعت كفة العامية في الأزجال التي لم يكن لأصحابها من هدف سوى الاضحاك ، مثل أزجال حسن الآلاتي في كتابه « ترويح النفوس » وقد عرضت نماذج منها في الفصل الأول من هذا الباب . ورجعت كفة الفصحى في الأزجال التي كان لأصحابها رسالة اصلاحية تهذيبية وكانوا يهدفون إلى تثقيف العامة عن طريق النصيح والارشاد والوعظ والنقد ، مثل محمد النجار صاحب مجلة الأرغول . فمن نصائحه وحكمه التي صاغها في أحد أزجاله قوله :

اصحى تقول إني قادر	على العمل من غير اخواني
من غير مساءد يا شاطر	في شبرمية تكون غرقان
عنتر بنفسه كان عنتر	لكن بناسه عنتر عيس
والمرء باخوانه يكثر	وان استقل بنفسه هاس
اخدم وخلي لك آثار	من قبل رميك في رمسك
وايه حياتك في دى الدار	غير خدمتك أبناء حنسك

(١) كتاب « تاريخ أدب الشعب » لحسين مظلوم ريان ومصطفى محمد الصباحي

ذو الفضل لا يخفى أمره ولو يكون أخفى علمه
كالمسك لو يكتنم شمره لا يمنع الريحة كتمه (١)

ولسكن كان بمض هؤلاء الزجاليين المصلحين مجمعون بين النقد والفكاهة
ويبالغون في التفكه والسخرية مما يضطرونهم إلى التردى في فاحش القول وفي
العبث باللغة في سبيل الإضحاك ، مثل يعقوب صنوع صاحب مجلة أبي نظارة
ومحمد توفيق صاحب مجلة حمارة منبتي . ولهذا الأخير زجل في نقد أحوال
البلاد السياسية سماه « زجل حلفاوى عربى على فرنساوى » (٢) ضمنه كثيرا
من الكلمات والعبارات الفرنسية وكتبها بحروفها اللاتينية ، فجاء زجله معرضا
لغة الفرنسية وفيه يقول :

هو بة فقهى مله
بمد حرق لزوع جـبهه
قل لى مال المنخ قله
والدماع قد الكبيرة
انت ليه من غير مؤاخذه
Ton courage دون الطفيف (٣)
همتلك على الأرض را كزة
Sans tappage ذى الرغبة (٤)

(١) الأرغول . العدد الأول . سنة ١٨٩٦ ص ١١

(٢) مجلة حمارة منبتي . العدد ٣٥ السنة الثانية ١٨٩٨/٥١٣١٦ م - ١٣١٧ هـ

١٨٩٩ م ص ٥٥٤

(٤) بدون ضجة

(٣) شجعتك

كيف يجولك من بلادهم
يصلحوك يا بن الحلال

وادی دول حاطین عددہم
فوق قفـاك جنب العزال

(١) comme il faut لو طر مشدود

لأ وبكرة تشوف كـان

(٢) Et mile faux ملايالى السود

لما يخذوك خـمـروان

ابن اخوك والشيخ يوحـنـه

(٣) ont l'honneur d'être انجلیز

قال وضوغرى مامـشـنـة

(٤) de leur encêtre لباریز

(٥) Mon cher enfant خدلى بالک

من وحمـاید المستشار

(٦) il y a long temps و انت حالك

زى حال الخنفـشـار

(٢) اف خطأ

(١) كما يجب

(٣) اهم الشرف أن يكونوا انجلیز .

(٤) الصحيح Ancêtre لا encêtre ومعناها جدد . أسلاف

(٥) يا بنى العزيز .

(٦) منذ وقت طويل

عمرنا ما شفتنا أمة

عقلها (١) du cop à l'âne

يظهر انه انصاب بحممة

جت لها (٢) d'une touche de canne

إلا دي الأمة الحايمة

الى نوابها انجليز

والوطن مالوش مزيمة

والبشاير دايره (٣)

ويستمر محمد توفيق في التديد بحالة البلاد السياسية وسلوك الانجليز في
مصر وبالمصريين الذين يرضخون لأوامرهم . . . وأخيرا يختم هذا لزجل
الطويل بأبيات فرنسية ركيكة مثل قوله :

Q'est-ce que c'est que cette surdité (٤)

Qui nous embête de bonne heure

Et nous sommes en quantité (٥)

Mais plutôt et sans valeur.

Ni membres ont des oreilles

Ni du charbon dans la tête (٦)

. الخ

(١) عقلها مثل عقل الديك أو الحمار (٢) لمسة عصا

(٣) كلمة نابيه

(٤) ما هذا الصمم الذي يضايقنا منذ مدة

(٥) عددها كثير ولكن بالأحرى بدون قيمة

(٦) الأعضاء ليس لهم آذان وليس في رؤوسها وقود .

من هذا النموذج الطريف يتضح لنا كيف كانت الفكاهة والسخرية كثيرا ما تأتي في الزجل على حساب اللغة ، وجعلها معرضا للغات الأجنبية التي كانت لنا مع أهلها علاقات ، فقد رأينا يعقوب صنوع - من قبل محمد توفيق يضمن أزجاله كلمات وجعلا انجليزية ، مثل قوله في زجل عن الحركة المهدية يعرض فيه برجال الانجليز من ضباط الجيش وسماه « دور عن الجنرال جوردون »

يا محملا لـ انجليزية	أم عين زرقا وشعر اصفر
يا خسارة د الممبية	في جرزها العسكري الاحمر
شفقتها امبارح يا سيادي	ما كانش حـولها انجليز
فقلت لها يا ميلادي	<u>جيف مي أكيس ايفيراليز</u> ^(١)

..... الخ

ورأينا من بعدها محمد عبد المنعم (أبو بشينة) يضمن أزجاله ألفاظا إيطالية وفرنسية ، مثل قوله في زجل عن (ضياع جفوب) وفيه يخاطب موسولينى قائلا :^(٢)

<u>بنجورنو سنيورينا</u>	<u>محاسبكم جنتلمان</u>
انتها واحد فينا	قوة ثمانين حصان
ما حناش كبشة خرفان	
ايه يا سنيور موسولينى	مالك متفرعن ليه
محك مكرونة ودينى	<u>باردون</u> مانتش جانتية
ما تقول لي قصدك إيه	

(١) -- ترجمتها . قلت لها يا سيدتى امنعيني قهوة من فضلك .

(٢) — أزجال ابو بشينة . محمد عبد المنعم . ج ٢ طبع مصر سنة ١٩٢٩ م ص ٢٨

وبعد أن يتكلم عن طغیان موسولینی وبعیره بما قالته إيطاليا أيام الحرب العالمية الأولى ويبين كيف اغتصبت منا واحده جنوب ، يأخذ في تحذير موسولینی من التادی فی الطغیان قنلا :

طلعت یازم، یو جنتی
اون به چرمس کومی ()
و جبرائیل منقذ اظہر
دورہ حسن زی : تصنیف
فی حرب ۷۷ : شادریں

این نسبت حاصل از رئیس
رئیس مشتمل بر هیئت
لازم تستی کوئیس
عادل و نیکو (۴)

يكثر من استخدام الكبار ولما الأجيال (٤) جردية

هذه نظرة خاطفة في تاريخ الزجل في بلاد المغرب
والطامية ، فلما أخذت الدعوة إلى الغمينة ، لا ينتشر كان ذلك شره في ربيع
الزجل وفي تطوره من ناحية الموضوع ، وفي اختلاف موقف الزجل
من قضية النسخ والنسج ، منهم من أدعى بانيه الزجل ، ومنهم من ادعى
بالسحر بالغة حتى تترب من الغمينة .

- (١) — شرحها المؤلف في الموشى بقوله (بدين يا كوك)
 (٢) — شرحها المؤلف في الموشى بقوله (فتوة)
 (٣) — شرحها المؤلف بقوله هادى أو رزين)
 (٤) — انظر زجلاله من هذا النوع أيضا في مجلّة حارة منبى العدد ٢٢ السنة لايف
 سنة ١٣١٥ هـ — ١٣١٦ هـ ص ٣٤١ كتبه احمد بنى له اسمه ميغيل ابنى قاله
 فى مظلّمه

يا مشيل الزوجد زاد بي
 يا ترى مسكين يا قلبي
 في هواك
 مين رماك
 la tr's bonne heure
 dans cette douleur

وأول ما نلاحظه في ذلك الوقت رواج فن نرجل فلم يعد يكتب بشغل صفحات في المجلات فحسب ، بل خرج في دواوين مستقلة نشرت تتارا واسما في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد اطلعت على كثير من هذه الدواوين ^(١) وفتت لي إلى مدى متاعب فن نرجل في تلك الفترة ، فوجدت عليه في المجلات المصرية نشاطا كبيرا ، فالتفت إلى فن نرجل من تطورات شملت لغته ومعضده .

-
- (١) أ — أزجال نظير : خليل نظير . طبع مصر سنة ١٩٢٠ م .
 ب — أزجال نظير : د. رزق نظير (أبو رزق) طبع مصر ١٩٢٣ م .
 ج — أزجال يونس (متنوخ) السليبي . طبع مصر / ح ٣ طبع مصر ١٩٢٣ م .
 د — ديوان يونس : طبع مصر سنة ١٩٢٠ م .
 هـ — أزجال أبو بنة : لمحمد عبد المنعم (أبو بنة) طبع مصر ١٩٣٩ م .
 و — أزجال ابن مصر : لرزق حسن رزق طبع اسكندرية ١٩٢٥ م .
 ز — ديوان عزت صقر : لعزت صقر طبع مصر ١٩٣٣ م .
 ح — أزجال أبو فراج : لفرج السيد فرج (أبو فراج) طبع مصر ١٩٣٣ م .
 ط — أزجال مصر : لميلاد واصف طبع اسكندرية ١٩٣٣ م .
 ي — أزجال أبو كمال : لكامل أيوب طبع اسكندرية ١٩٣٥ م .
 ك — وحي الوطن . لميلاد واصف . اسكندرية ١٩٣٦ م .
 ل — أزجال الخولى . للسيد متولى الخولى . اسكندرية ١٩٣٧ م .
 م — القصص الزجلية . لفرج السيد فرج (أبو فراج) ج ١ اسكندرية ١٩٣٧ م .
 ن — الاغانى المصرية . لكامل الخلقى . طبع مصر ١٩٢٢ م .
 س — المغنى المصرى . لمحمود حمدى البولافى الآلاتى . طبع مصر ١٩٢٧ م .
- كل هذه الامثلة طبعت بعد الحرب العالمية الأولى . ومن الواضح أن للقومية المصرية التي كان دعايتها يمارسها في مصر إلى اتصالها من العرب ، فاستلهموا منها خلاصتها من نشاط دعاة الكتابة باللهجة المصرية .

فقد اتسع موضوع الزجل . عالج مشاكل الأسرة (الزواج . الطلاق . المحال
 زوجة الأب . الأولاد وطرق تربيتهم . الخلافات الزوجية ونصيب الحماة من
 إكثرة هذه الخلافات . الخدم . نصائح في التدبير المنزلى . . .) . عالج أدواءنا
 الاجتماعية (الخمر . السكوكاين . الميسر . سفور النساء . وتبرجهن) . تحدث
 بالعادات والتقاليد المشهورة مثل (إقامة الزار وخروج النساء في الجنائز وزيارة
 الأضرحة) . وتكلم عن مشاكل السياسة (السياسة الاستعمارية . تعدد الأحزاب
 تسجيل كبير من الحزب الوطنية) . وأسهل في الإشادة بمصر وتنفى بطبيعتها
 وحريها وخبراتها . أشادها . رأسهم في المذكرات الأدبية التي شغلت بها مصر . فكان
 له موقف في الضيقة التي نثرها كغيب « في الشعر الجاهلي » لطله حسين ، فنظم
 محمد يوسف زجلا عنه « يا شيخ الزندقة » عرض فيه بمؤلف الكتاب
 وفيه يقول :

كل الباطل يهتك	وفاقيش جريدة مدحك
ولأمة رخره كرهتك	وكله كان من عملك
عمله سبب في هتك	بيتك يا وحشتك
بطل يا شيخ زندقة	بقي هو أكل الملعقة

يعمل كده يا شيخ حسين

بذمتي مالك نفاير	في مصر . أو في كوم بكير
هو المسمى في النفاير	والا الجرمس زى النفاير
برو ورو يا شيخ	يا شيخ يا شيخ

وبهـدوك وبهـزوك وآخر المنمة يطردوك
وتقول هناك يا ليل يا عين (١)

واستخدم في الدعايات الصحية مثل زجل « فلفل وفلفلة والقلملة القانلة »
وأخذ يتنزل في موضوعه حتى استخدم في الاعلان عن الماء كولات والمشروبات (٢)
وحاول بعض الزجالين الدخول في تجارب جديدة فطرقوا فن القصة
والمسرحية تقليدا للشعراء ولكن محاولاتهم كانت بسيطة ساذجة . استمدوا
موضوعاتهم من البيئة المحلية رصاغوها في قالب قصصي أو مسرحي بالاهجة
المامية .

من هؤلاء فرج السيد فرج (أبو فرج) فقد أخرج سنة ١٩٣٧ مجموعة
من القصص الزجالية تعالج مراضيع اجتماعية وعائلية . ففي قصة « دموع
المداري » (٣) يثير موضوع الخلاف السن بين الزوجين وما يترتب على ذلك
من مشاكل وآلام .

بطلة القصة فتاة جميلة متهذبة وحيدة أبويها ، يزف إليها أبوها نبا خطبتها إلى
ابن عمها . فيسعدنها عند النبا كما يسعد ابن عمها .

لولا بنت حسين افدى بنت حيلة عند أبوها وأنها ما نيش خلافها

(١) — مجلة « أبو شادوف » العدد ٢ السنة الاولى سنة ١٩٢٦ ص ٢

(٢) — مجلة « الف صنف » العدد الاول . السنة الاولى سنة ١٩٢٥ ص ١٧

(٣) — القصص الزجالية . تأليف فرج السيد فرج (أبو فرج) ج ١ طبع الاسكندرية

سنة ١٩٣٧ ص ١٢

من خيالها تنكشف حرة أصيلة
مستعجلاً وانظر بنظر راسخها
بنت تملأ الأدب راقية جميلة
جس من صبور به طائر انتزاعها
يا جمل الشعر وعيونها السكينة
والحدود راقية والريح خفيفة
جه أيتها فيهم وقل شوقاً ليله
بدلاً من أناس في كنفك
يمزى مشى الأدب وهز اليلة
يقف في حجابها من كنفك

السور من شدته زود شعراً لها
الأمل نجماً كان يريح اليلة
والحيا من دمه خضب لك حدودها
والفؤاد اتى على حكم الارادة

وكن من عظماء من عظم الخط
الشيخ في شيخنا في عظماء من عظماء
لا تريا، فغتر أباها بآله عزمها
لا تريا، فغتر أباها بآله عزمها

جاءت في عظماء من عظماء
في عظماء من عظماء
والعبر في عظماء من عظماء
عظماء من عظماء
الغرض كان اتفق بعد الديباجة
والتحيا لآله عزمها
وأنه وقت وأبوها في كنفها
في عظماء من عظماء

فما علمت فذة بخبر تزويجها من هذا الشيخ أخذت تبكي وبدأ جسم
يهزل ونضارتها تنطفئ، لئلا تم تعارض أشدة حياها، وإنما أزمعت على
الانتحار ليلة زفافها لتخلص من هذه الزيجة التي أجبرت عليها.

لقت لايام وجت ليلة زفافها
زينوها للعريس ليلة دخوله
قلبه هام بالبنت من ساعة ما شافها
وابتهج من زفته سمين في طوله
المعروفة التي رت من الجرازة
التي رت من الجرازة

أخرجت من بين ملابسها قزازة فيها سم وشربة يادى المعيبة
ماتت المسكينة ما بين ١٠ صبية وارتدت على الارض ترقى فى الأمانى
فاضت لروح الشريفة والبنية فى ثياب العرس ما بين الاغانى

وفى هذه الاشياء التى بنى عليها رماله كانت قد بعثت برأيه . الم وقف
على سر الشاعر . ثم بينا أنباء الذى ضمن به فى سبيل
بدوره الى الشاعر ليحقق بها .

بهذه رمزي عرف سر الجناية والتقى عمه حقيقى نذل جاحد
انحدر مسكين وشرف الى النهاية ضوم لفتين ياروسى قلب واحد
هذه قصة تسمى «سبب» التى وردت فى بحر نازك .
من الدخيلة الفخرية . أما قصصه الأخرى التى تسمى «الخطبات» و«الغيرة» و«الزواج» و«الزوجة الساقطة» . وكان المؤلف بين قصة وأخرى يسوق نكته او نادرة فى قالب زجلي .

وحاول محمود بيرم التونسي وضع مسرحيات هزلية قصيرة فى قالب زجلي
باللهجة المامية ، مثل رواية «الزربية» التى ساق حوارها على ألسنة الحيوانات (١)
وتابعه فى هذه المحاولة محمد عبد المنعم (ابو بئينه) فى رواياته «العالم لروحاني»

(١) — انظر مجموعة أرجال بيرم التونسي «منتخبات الشباب» جزء طبع فى سنة

«قص الفراخ» ، «شم الذبم» ، «بنت التركية» (١)

هذا عن موضوع لزجلى ، أما لفته فقد أصبحت العامة بمخالف لهجاتها ، لأن الزجاليين لم يقتصرُوا على استخدام اللهجة القاهرية فحسب ، وإنما استخدم بعضهم لهجة أبناء لريف فى الوجه البحرى ولهجة أبناء الصعيد . وتهدى بعضهم اللهجات المصرية إلى لهجات الأقطار العربية ، فنظموا أزجالهم باللهجة النوبية واللهجة السورية حتى صار لزجلى مسرحا لمختلف اللهجات . من ذلك قصـول أبو بئنه ، فى زجلى عن مة عب الفلاح (٢) . يبدأ لفلاح فى حث ابنه على العمل فيقول :

جور احلب يا بنجيت البهيرة واسجىها وخذها على الفيط (٣)

الجمى الجميز تحت الشجرة وعادرت زى السجيط

لدينا اتضحت يا بنجيت

خدها وعلجها فى الساجية واسجىها الشجة البيرية

واعزج يا بنى الحنة الباجية حتى تملى لأرض طرية

واعمل لك همة يا بنجيت

من بعد ما تسجى الله يعينك سرحها فى الحلبان ترعى

ما تجوم ما تفدش فى عينك واغسلها يا بنجيت م الترة

دى تفتح خالص يا بنجيت

ثم بأخذنى الشكوى من متاعبه فيقول :

(١) — أزجال أبو بئنه ج ٤ ط القاهرة ١٩٣١ ص ٣٢ و ١٦١ و ١٨٣ .

(٢) — زجل أبو بئنه ج ٢ ط مصر سنة ١٩٣٠ ص ١١٧ .

(٣) — زجل أبو بئنه ج ٢ ط مصر سنة ١٩٣٠ ص ١١٧ .

والجفن مطين في السروج والحالة زفت وخطران
والفلاح كل منه خزوج بدى ارهن يا بنحيت فدان
رح تا كل من فين يا بنحيت

الدودة بتاكل تلتينه والنلت ياخذ السمسار
وبنحيت مسكين تطلع عينه ويخدم فيه ليل ونهار
يا خسارة تعبك يا بنحيت

نروي الطين من دمع عيوننا وفلوس الميرى تسددها
محصوله مايسد ديوننا لو كنا نحسب تعددها
والبنك ح يحجز يا بنحيت

ناكل مش جديم في غدانا وفطورنا جنبه وجلوين
وعشانا لو شفت عشانا حد الله بسفين بسفين
برضك تتمدل يا بنحيت

العري بادوب مالجاش حاجه ألبسها وانا باكمى الناس
خضرة غلبانة ومحتاجة ومبارك لم عنده لباس
وجيصى اتجطم يا بنحيت

ويفلج قلبي ويحلمنى لما المأور يطلب منى
للحزب فلوس ويهدلنى وان جلت له لع يشندلنى
للجهادية يخذوك يا بنحيت

والعسكر تمسك في خناق ولزغد يطرم لى سناني
واخاف على عيشنى وأرزاجى وأولادى ويبنى وأطيانى
دفع واتصعب يا بنحيت

وقول محمود رمزي نظم (أبو الوفا) في الحنين إلى سعد زغلول بلهجة
أبناء الصعيد (١).

جلبي من حزنه أنجطم	وانتم ما بترحوش (٢)
وجفون عبوني السهرانه	وجهت منها الرموش
الاس راحله مرتاحه	دفيانة في النوسية
لوانس ييجي جياحه	وضميري يزعط فيه
اللي يمشج ما ينامش	والعشاج ما يناموش
عمار جب طيف محبوبى	الى شرح ولا جاش
يوم فرجنى فـ جلبي	حسيت به وهو ماش
يامفارج ناس أو طانك	بعدك ما بيتنوش
جلبي كله بيريدك	يا جريب وانت بعيد
وله بتجبل ايدك	يا محبوب الصعيد
امتن ترجع وتزوره	وتتلاجى الوشوش
انت ممشوج أو طانك	وانت ساحر جدعانها
يامنجسى عاشانك	ياما نجاسى عاشانها
يامنور بين رفاقك	غيرك ما نعبروش
يا بوى أوعى تنسانا	أوعى الغربة تنسيك
انت بجنبك تموانا	ما فيش حاجه تجيبك
لوما حب الحرية	لكنتم ما اتغربوش

(١) - أرجل نظم . نظم محمود رمزي نظم (أبو الوفا) ضبع مصر سنة ١٩٢٣ ص ٦

(٢) - عبر عن (القاف) (بالجيم) القاهرية كما ينطق بها أبناء الصعيد .

يا بتوعات السياسة
خلى فيكم كياسة
وفج بنانا ما يتمش
في بلاد الانجليز
سعد الأمة عزيز
مادنا مانشوفوش

ونظم أدهم زجلا باللهجة العامية كما ينطقها أهل النوبة وفيه يقول: ^(١)

يانور أيوني اسمأي
وان كنت جوتني اشباي
وهدرى لي الفطير
وهطى ويكه كثير
كلام محمد كرى
حسن هبيك هرى
وللهوم همرى
وطبلى وزمى

..... الخ

وقد امتلأ هذا الزجل ببذى الألفاظ .

ونظم أبو بشينة زجلا باللهجة السورية بمناسبة الثورة السورية التي كان
يرأسها زعيم الدروز سلطان باشا الأطرش ، وفيه يقول : ^(٢)

الثوار كوكيه والكوكيه
الأطرش كوكيه يا بر الشام
بنجاهد طول الأيام
الثوار كوكيه والكوكيه
الأطرش شفتنا القلب في أيامكن
والباشا كان خدامكن
الثوار كوكيه والكوكيه
تحي الثورة السورية
كلاننا إيلك خدام
نشر دم بلاش ميه
تحي الثورة السورية
دوستورنا باقدامكن
مثل النعجة البنية
تحي الثورة السورية

(١) — مجلة السيف . العدد الاول . السنة الأولى ١٩١١ م ص ٣

(٢) — أزجال أبو بشينة ج ٢ طبع مصر سنة ١٩٢٩ ص ٢٧

الأطرش إن كان عندك طيارة
يافرنسا ياغدارة
الخراط بتطير نضربها رصاصة
تعمل حالها غواصة
الثوار كوكيه والكوكيه
الخراط جوفيل عامل قبضايه
لا تحسب إلينا نهاية
الثوار كوكيه والكوكيه
تحيى الثورة السورية

الأطرش يبخروا بلادنا ويقولونا نحبيكم
الأطرش نضرب رصاص فيكون من شان نرقمكون - الثوار شفقوا
الخراط دخلك بفترجك يارب قويننا
الخراط ويعيش لنا الأطرش يحمي أراضينا - الثوار عنهن
الجميع كوكيه والكوكيه
تحيى الثورة السورية

هذه الفرضى التي طرأت على لغة لزجل أو بمعنى أدق على عاميته ، أخذت تتلاشى شيئا فشيئا كلما أشرفنا على نهاية الثالث لأول من القرن العشرين . ذلك لأن المشتغلين بلزجل انقسموا على أنفسهم ، فنادى فريق منهم بأن تكون لغة الزجل هي العامية صرفا ، ونادى فريق آخر بوجوب ترقية لغة لزجل حتى تقترب من الفصحى .

أما الفريق الأول الذي نادى بأن تكون لغة لزجل هي العامية الخاصة ، وأنه ليس على لزجل أن يعتمد على الألفاظ العربية ، فأكثره من العوام وأصحاب الحرف والمال الذين لم يتزدوا بشيء من الثقافة الأدبية أو الفوقية ولا يعرفون سوى القراءة والكتابة . وقد جهد هؤلاء لترويج دعوتهم

لا لسبب إلا عجزهم عن استخدام الفصحى وتمشيقهم للألقاب وحبيهم للشهرة ،
حتى إن بعضهم هجر صناعته التي يتعيش منها ليقول كلاماً لا يمت للزجل بسبب .
وكان على رأس هذا الفريق محمد عبد المنعم (أبو بئينة) وكان عاملاً يصف
الحروف بالمطامع . وقد أبدع حسين شفيق المصري الذي يقال إنه كان ينظم
الأزجال ويذيلها بتوقيع أبي بئينة في جريدة السيف في الوقت الذي كان فيه
أبو بئينة يمرن نفسه على نظم الأزجال ، حتى استطاع أن يصل بنفسه إلى نظم
المقطوعات الأسبوعية التي ينشرها في المجلات ^(١) . وقد بلغ من تأييد حسين
شفيق المصري لأبي بئينة أنه شبهه بدتي ودعا لزجالين إلى اتباع منهجه ، وذلك
في المقدمة التي قدم بها ديوان أبي بئينة حيث يقول : « وكأني بأبي بئينة وقد
فعل بالشعر القديم في مصر ما فعله دانتي في إيطاليا : وعلم الطبوعين على الشعر
كيف ينسجون على منوله في اللعب بالألحان وإيقاد نار الحاسة في القلوب
وتزيين الحياة الدنيا بالأخلاق ، في أزجال كالخديقة الغناء الجامعة من كل فكة
أطيبها ريحاً وأجملها منظراً وألذها مذاقاً . ففي هذا الديوان ما شاء الأدب من
أخلاق وعادات وبحث في النفوس وحاسة وسياسة ، كشأن العرب أيام كوا
يقولون الشعر بالسليقة على البداة في هذه الرقة الحضرية التي يحسدونها عليها
عظماء رجال البيان . فإذا كثرت اللمبذه ومريدوه وهذه جموعهم تتضاعف كل
يوم ، كان لمصر أن تقطع الشوط الذي قطعت أوروبا في سبيل المدنية بعد أن
هجر شعراؤها اللغة اللاتينية واللغة اليونانية القديمة . فتكون مصر أداساً أخرى
يتطور فيها الشعر تطوراً آخر يجعل فهمه والانتفاع به من حق العالم والجاهل
والقاري والأعمى والفصيح والأعجم ، فيشيع أدب الأدباء ويتيسر لكل
ذئ موهبة أن يكون شاعراً ، فتعزز الأمة بهم ويظهر فيها أمثال الذين ظهروا في

(١) انظر ترجمة حياة أبي بئينة في كتاب « تاريخ أدب الشعب » ص ٣١١ — ٣١٦

فرنسا وانجلترا وإيطاليا من الشعراء المصريين الذين يخاطبون أممتهم على اختلاف طبقاتها . « (١)

وقد شتم أبو بشينة أو «داني مصر» كما يسميه حسين شفيق المصري -
الأسايب رخيصة المبذلة التي تدور في أحط طبقات السوقة . كقوله في زجل
السكر (٢) :

ياو عقل تخين ياللي مضيع	رقك في قعاد الحمار
مرست في أبيت ح تفرقع	وبشحت من أهل الحارة
ليه قعد في البار وبسكر	ماقوم تنيل وتروح
سيف من شباك بيت	جى وش الفجر بتطوح
الحلة يارجل مرهونة	عى حقه بخمسة حدا مربى
أرجل عقل ياميل	ياخربى منك ياخربى

..... الخ

هذه هي مسبقة أن عرضناه من مظاهر عبثه بالعامية كاستخدامه الألفاظ
الاجنبية ومخالف اللهجات العربية

والله يق الله ندى ندى بوجوب ترقية لغة زجل فيمتلكه لزجلون المتقنون
وكان على رأسه محمود رمزي (نظيم) (بو الوفا) وحسين مظنوم رياض . وكان من
رأى هذه التفرقة أن يختم الزجل الفصحى عن طريق الارتفاع بالعامية « على
زجل أنه در أن يدخل في زجل من الألفاظ العربية ما سهل نظمه وخفف سمعه .

(١) طرأ رحل أبو بشينة ج ٢ ضبع مصر سنة ١٩٢٩ . المقدمة

(٢) زجل أبو بشينة ص ١٨

حتى يستطيع أن يرتفع بالعامية إلى طبقة أعلا من لغة الشارع ويقرب مسافة
الخلاف بين اللغة الفصيحة واللغة الدارجة»^(١).

وقد قام هذا الفريق بتجارب عملية للارتفاع بلغة الزجل ، ولغة سائر
الأوزن الشعبية الأخرى من موشحات وأراجيز .

فقد قام حسين مظلوم ببعض الترجمات رباعيات الخيام إلى زجل . معتمدا على
الترجمات العربية للرباعيات مثل ترجمة (الصواف ، والسباعي ، والبستاني ، ورامي)
ومحافظي لغة مهارة جوت وسطا بين المصحح والعامية . يقول فيها :

أول الشهوة تكون في النفس غاية
تبقى زى الضيف خفيف عند البداية
تقلب حاكم مسيطر في النهمـــــــــــــــــاية
واحتلال في النفس دايماً في الشعور والجسم حاكم
كام ضيفـــــــــوف باتوا وصبحوا مالكين
ونخبة زهرة في بستان الغم
أصاها غرس الارادة في القــــــــدم
لغز سمره الأجل سر القلم
نور جبين ملول ضاب شهره كان فوقه حجاب
زى ما غطي الأجل نور الجبين^(٢)

(١) انظر رأي حسين مظلوم رياض في رسالة الزجل في كتاب أدب الشعب ص ٧١

في مقدمة كتابه رباعيات الخيام ص ٢٣

(٢) رباعيات خيام . نظم حسين مظلوم رياض . طبع مصر . لم يذكر تاريخ الطبع .

عاشوا كل شئ عبيد شهوة وعادة
 كلهم تتهبهم بغير نقص وزيادة
 إلا نوع ممتاز بشيء اسمه الإرادة
 ينزل من ربيع كنهه قبل ما ينزل ترابه
 مت وحي وغيره أحياء ميتين
 ولأردة والهو دايما خصوم
 زى ضلين أو تقيضين ع العموم
 واحدة موت التنية مجيها تدرم
 هم لتنين في صراع تحت أسلحة الدفاع
 واللى تحيا أختها في الهالكين (١)

وهكذا استطاع حسين مظلوم رياض في هذه المحاولة التي تعد لأدلى من
 نوعها (٢) أن يقدم للشعب غذاء عقليا وروحيا صحيحا دون أن يسف بالغة
 وينزل بها إلى العمامة الرخيصة المبتذلة . وهو في هذه المحاولة يثبت لنا أيضا
 أن العمامة إذا خرجت عن الحيز المحلي إلى آفاق واسعة في الطبيعة والحياة جاءت
 مواضع أدبية رفيعة سمت إلى الفصحى ، لأنها لا يمكن أن تقوى بفرددها على
 معالجة هذه المواضع .

أما محمود رمزي ظيم (أبو الوفا) فقد أخرج مجموعة من مؤشحاته سنة

(١) المرجع نفسه ص ٣٩

(٢) ترجم الرأيات إلى الرجل مدح من مظلوم رياض أحد أعضاء رابطة زجالي لاسكندرية
 وهو رشدي عبد الرحمن .

١٩٢٩ بلغة فصيحة توخى فيها السهولة حق لا يصعب فهمها على العامة . فيقول
في موشحة تحت عنوان « غمات مشجيات »^(١) .

ذهب الحب بقلبي وانطأ — موت تلك البشاشة
إنما الحزن سراج وف — وادي كالفراشة

إن أنسى بحبيبي م — لا القلب سرورا
أجد الدنيا ظلاما وأرى وجهك نوراً
أيها المعرض تيه — ودلالا ونف — ورا
أنت في بعدك غنى زدت قربا وحض — ورا

ثم يأخذ بعد التغنى بالحب ووصف الطبيعة والخمر وشاربيها ونشوتها قد
التحذير من الدنيا والانغماس في ملذاتها :

أيها الغافل ليس ال — عيش لهوا وشراب
إنما العيش ع — راك واجته — اد واغتصاب
إن من يله — و مراب قد مشى فوق التراب
فدع الحصباء واطلب في السماوات ش — باب

صرخة للمجد تدوى بين أركان الوجود
تبث النيل فتيا وشبابا من جديد

(١) موشحات نظم . نظم محمود رمزي نظم (أبو الوفاء) طبع مصر ١٩٢٩

أيها النجوم هبوا ليس في الكون رقود
ودعوا اليأس صريحا إنما اليأس جحود

واعشقوا مصر جميعا بفـرم وهـمـام
واتركوا كل خلاف وعـمـاد واقـسام
وإذا نحن خالفنا فعلى الدنيا السلام
ليس حبا من آثر نطلب المجد ونام

..... الخ

وأخرج سنة ١٩٤٧ مجموعة من راجيزه نظمها بغة فصيدة نوحي في
السهولة مثل موشحاته . يقول في أرجوزته « بدائع الكون » (١) :

ملكة النبات

ومن بديع ما صنع مستودعا كل البـدع
ملكة النبات مذهبة الصفات
زاهية الألوان معجزة الفنان
ريحتها فـوح تحيا به الأرواح
والورد فوق الغصن حـز جميع الحسن
كم زهرة كـكـس عـطـرة الأنفـاس

(١) كتاب الأراجيز : عبير نوادي : تأليف محمود رمزي خليه (جو نود) طبع
مصر سنة ١٩٤٧ ص ٢٣ .

تهتز فوق غصنها من طيبها وحسها
داعبها النسيم كاشق يهيم
من طيبها تعطرا في خلعة ثم جرى

ويقول في إيالة الهجرة النبوية^(١) :

تذكر الناس أن ديننا	قد جعل الناس مسلمينا
دين هو الحب والوفاء	ورأس أخلاقه الخيام
دين به قامت الحدود	بشرعه يسعد الوجود
يوحد الله في العبادة	وحسبه النطق بالشهادة
ما قام إلا بمؤمنينا	قد وحدوا ربهم يقينا
وآمنوا بالقلوب حقا	واعقدوا في النبي صدقا
فأيدوه وآزرروه	وكان فرضا أن ينصروه
وقدموا المال في سخاء	والنفس في ساحة الفداء
وطهروا النفس حين صاموا	وحالفوا الحق واستقموا
والحق ما قام في الحياة	إلا بـئـذل وتضحيات

ويقول في ثورة الشرق^(٢) :

اطردوا من أرض هـ	هذا الشرق قوما دنسوها
أهلها الأحياء لا بد	لهم أن يحكموها

(١) كتاب الأراجيز ص ٤٧

(٢) كتاب الأراجيز ص ١١٠

خبيته الله على كل النداب أو وصاية
خبيته الله على كل احتلال أو حمية

كها جرت على الشر ق وأهليه الوبال
فاحذروا إن هي دامت احذروا سوء المال

الح . . .

هذه هي اللغة الفصيحة السهلة المألوفة التي دعا إليها المشتغون من الزجالين .
واستطاعوا أن يرفعوا لغة لأوزان الشعبية من موشحات وأراجيز وزجل ،
وهذا الوزن الأخير هو الذي فضّلنا في تتبع تطوره لأنه أكثر الأوزان الشعبية
ذيوعة وتشارفاً في الوقت الحاضر .

وقبل أن نختم الكلام عن تطور زجل أنوه بعامل آخر كن له أثره
في رقي لغة زجل ونسموه بعنصره . ويرجع إلى نزول شعراء العربية الكبير
في طريق باب زجل مثل : أحمد شوقي ومحمد عبد الحفيظ وأحمد
زي ، وكان على رأس هؤلاء أحمد شوقي .

فقد نظم شوقي الزجل الغناء لا لأنه كان يعتقد أن الشعر العربي لا يصلح
سوى يتغنى به وهو الذي ألف عددًا قصيد فصيحة للغناء غناها عبد الوهاب
وذاع صيتها :

مثل غنية : مضحك حفاة مرقده وبكاه ورحم عوده
وغنية : علموه كيف يجفوا فجفا ظلم لاقيت منه ما كفى

وأغنية : يا جارة الوادي طربت وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك

وإنما وضع شوقي أغانيه في قالب زجل في أخريات حياته لكي يتدرج بالجمهور الذي ألف في غنائه المواويل والأزجال حتى يستسيع الغناء الفصيح . وقد اشتهرت أغاني شوقي التي نظمها في قالب زجل اشتهار أغانيه التي وضعها في قالب سمري ، ذلك لقرب لغتها من الفصحى ولما اشتهت عليه من صور طريفة ومعان رائعة وموسيقى عذبة صافية . مثل أغنية « في الليل لما خلى » و « النيل نجاشي » .

ويقول في الأولى في وصف مطلع الفجر :

الفجر شأشأ وفاض على سواد الحميلة
لمح كالمح البياض من العيون السكبيلة
والليل سرح في الرياض أدهم بكرة جميلة

هذه الأزجال كان لها أثرها فيما نلاحظه اليوم من استساغة الجمهور للأغاني الفصيحة وفي مقدمتها قصائد شوقي (نهج البردة ، وولد الهدى) التي تتغنى بها أم كلثوم ويرددها الجمهور في مختلف طبقاته في لذة وطرب .

وأخيرا يمكننا أن نخصص نقاش ما قمنا به من دراسة تطور زجل في العصر الحديث فيما يأتي :

١ — سائر الزجل الشعر العربي موضوعا ولغة في بدء نهضتنا الأدبية الحديثة .

٢ — ثم أخذ يقترب من العامة في أواخر القرن التاسع عشر . واختلف في قرب من العامة حسب المشتغلين به وتجاهاتهم وأهـم فهم وألوان المواضيع التي كانوا يطرقونها .

٣ - وتطور تطور حقيق في أوائل القرن العشرين من راحة موضوع
واللغة . وكان الدعوة إلى أهمية من تفسير العربية أثر كبير في هذا التطور .
أنسج موضوعه فتميز بخلاف لأرض رافضون . ونحطت منه حتى صارت
أهمية الصيغة . وانزعجت نزوحين بينا أهمية حتى أصبحت يعرف بخلاف
الفت لأوربية وانزعجت العربية .

٤ - ثم أخذ يتسارع في باقي في نهاية القرن الأول من القرن العشرين
عندما خبت ثورة داء في ميادين شتى من علومها وأدبها .

٥ - وكان لرقى نزحل والسمو موضوعه وأغته أسباب أهم
نرجالون مثقفون الذين ثبوا أن يكون نزحل لخدمة أهمية .
تتمراء العربية الذين عالجوا نزحل .
خروج نزحل من الحيز المحلي إلى طرق مرنعة ذرية رفيعة .

هذه المؤلفات مدونة بأهمية التي وقفنا في هذا الباب على مدى انتشارها
وتنوعها عقب الدعوة إلى الكتابة بالعامة ، أخذت تقل تدريجياً بعد الثلاث
الأول من القرن العشرين مما يدل على أنها لم تكن إلا صدى للدعوة إلى
الكتابة بأهمية . وحدثت ثلاثي في لوقت الحاضر بسبب زوال الدواعي إلى
الكتابة بأهمية . فقد زال الاستمر الذي جعل رجاله من ختلاف لغة الكتابة
عن لغة الحديث مشكلاً رموا بأثرته إلى القضاء على الجامعة العربية والجامعة
الاسلامية عن طريق نقض على أهم ربطة من روابطها . وهي اللغة العربية
الفصحى لغة تفكر ولأدب بين العرب ولغة القرآن والحديث والفقه بين
المسلمين . واللات لأمية التي اتخذها البعض ذريعة يبررون به استخدامهم
للعامية . وقوى الشعور بأهمية العربية بسبب تقارب البلاد العربية وزيد

روابطها السياسية والاجتماعية والثقافية . فكان من أهم مظاهر هذا الشعور
الحرص على اللغة العربية الفصحى والعمل على نشرها والنهوض بها .
وتعتبر المؤلفات العامية في كثرتها وتنوعها - فضلا عن كونها أثرا من
آثار الدعوة إلى العامية - من أهم وسائلنا لادخاض الدعوة إلى استخدام
العامية في الكتابة . فهي توفقنا على تطور العامية السريع الذي لا تتعرض له
اللغات الأصلية العريقة التي بلغت حد النضج وأصبحت لها قواعد منظمة ، كما
تكشف لنا عن عدم قدرة العامية على التعبير عن الأفكار العالية والمعاني الرفيعة ،
وأنها إذا تطلعت إلى التعبير عن تلك المعاني والأفكار سمت إلى الفصحى
واقتربت منها .

الباب الخامس

التجربة ترد ثلث فصحي اعتبارها

الفصل الاول : في الشعر

الفصل الثاني : في النصة

الفصل الثالث : في الأقصوصة

الفصل الرابع : في المسرحية

الفصل الأول

في الشعر

لا يعدم المتأمل في النصوص الأدبية في عصورها المختلفة شواهد تصـور
تأثر الأديب — شاعرا كان أو ناثرا — بالتعبيرات والأماليب الشائعة على
ألسنة العامة التي في البيئة التي نشأ فيها ، مثل ما نجد من الأمثال المحلية في شعر
البهاء زهير حيث يقول :

كل ما يرضيك عندي فـلى رأـى رأـى وعـى

من لى بنوم أشكو ذا السهاد له فهم يقولون إن النوم سلطان

أيـك يدري حديثا بيننا أحد فهم يقولون للحيطان آذان^(١)

هذه التعبيرات والأمثال المحلية كانت قليلة في آثارنا الأدبية القديمة . كانت
تأتى عن غير قصد أحيانا ، وعن ضعف أحيانا أخرى ، وكثيرا ما كانت تأتي
في باب الغزل والدعابة بقصد التفكه والاضحاك . وكان القدماء لا يستعملون في
كتاباتهم وأشعارهم مما يشيع على ألسنة العامة إلا ما طبق لأصناف الفريسة
الفصيحة ووافق قواعد اللغة .

فإذا دخلنا في مستهل القرن التاسع عشر وجدنا العامة تطفئ على الأدب
شهره ونثره ، بسبب الضعف الذي عانته البلاد في مختلف نواحيها السياسية

(١) ديوان البهاء زهير : طبع مصر ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م ص ١٢١ - ١٢٤ .

والاجتماعية واثرة فية في العصر العثماني . وضحت العربية - لغة الثقافة - في
هذا الضعف حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث قبض الله لها شعر ، وكتبها
مجددين من أمثال البارودي و الشيخ محمد عبده ، فمفوضوا عنها غبار العصور السابقة
عصور الانحلال والندهور ، فخصت من قيودها البديعية وارتفعت عما كانت
تتردى إليه من مهوى العمية . ثم أخذت العامية تسفر كافة مقصودة لذاتها في
أوائل القرن العشرين ، وذلك عندما انتشرت الدعوة إلى استخدامها في
الكتابة والأدب . وسارت هذه العامية تتعمم مختلف الفنون الأدبية . فوجدت
رواجا مؤقتا في بعض ولقيت مقاومة شديدة في البعض الآخر .

لما لرواج فقد صادفته في القصة بأنواعها ، وأما المقاومة فقد وجدت في
الشعر . وكان لذلك أسباب سنوضحها في كلامنا عن موقف كل من الشعر والقصة
من قضية الفصحى والعمية ، وفي تتبعنا للمحاولات التي قام بها بعض رواد
أدب الحديث لاستخدام العمية والنتائج التي كشفت عنها تلك المحاولات .

موقف الشعر من قضية الفصحى والعمية

يتضح لنا موقف الشعر من قضية الفصحى والعمية في تتبعنا للتطورات
التي مرت بها لغته منذ بداية نهضتنا الحديثة التي نؤرخ لها بدخول لجنة
الفرنسية إلى مصر حتى ذلك الوقت . وهذه التطورات يمكننا حصرها في
مراحل ثلاث :

- ١ - المرحلة التي مر بها الشعر قبل البارودي .
- ٢ - المرحلة التي وجه فيها البارودي الشعر .
- ٣ - المرحلة التي سار فيها الشعر بعد البارودي في مدارسها المختلفة بين
محافظة ومجددة .

١ - المرحلة التي مر بها الشعر قبل البارودي :

اطلعت مصر في بداية القرن التاسع عشر على صورة مشوهة سقيمة للشعر العربي الذي خلفه العصر العثماني ، تتضح في مثل ديوان عبد الله محمد الشبراوي ، فهو يعطينا صورة واضحة عن حالة الشعر في ذلك الوقت وما أصابه من ضعف وما آل إليه من تدهور وانحطاط . كان الشاعر يقرأ بعض القصائد السابقة وخاصة ما كان منها قريباً إلى عهده (كقصائد ابن مطروح والشاب الظريف) فيمارضها أو يربعها أو يخمسها أو يسبعها . . . فيأني بنماذج لأرواح فيها ولا جال ، ويحاول أن يستعمل ألوان البديع فلا يوفق في هذه الصناعة اللفظية التي فقدت دورها بريقها ورونقها في هذا العصر .

ظل الشعر في هذا الإطار العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر على الرغم مما أفاده الشعراء من النهضة التي غمرت البلاد في مختلف نواحيها العمرانية والثقافية منذ دخول الحملة الفرنسية إلى مصر . فقد عبروا عن مظاهر النهضة في أشعارهم ولكن طريقتهم في التعبير لم تختلف عنها في العصر السابق ، بسبب بطء تطور الذوق الأدبي من ناحية ، وصعوبة التخلص من طابع العصر ومقاييسه الفنية من ناحية أخرى .

تقرأ ديوان اسماعيل الخشاب ، والسيد علي الدرويش ، ومحمد شهاب الدين ، ومصطفى سلامة النجارى ، وعلى أبي النصر ، وعائشة التيمورية فتجد مواضع خاوية من الروح قد صيغت بلغة ركيكة مقيدة بمختلف ألوان المحسنات البديمية . أما من ناحية الموضوع . فقد قالوا الشعر في الموضوعات القديمة مثل المدح والغزل والرثاء والوصف ولكن هذه الموضوعات هانت في أيديهم وانحط شأنها بسبب تكلفهم ومبالغاتهم السخيفة ، وبسبب إراقه ماء وجوههم في

الملاح ومجونهم في الغزل الذي كان أكثره في المذكر فيمن يدعي حسن وفيمن يدعي إبراهيم . . . ووصفوا الأشياء المستحدثة كالقطار البخارية ومطبعة بولاق والقطار والبرق، والسكنى لم يبينوا في وصفهم الأثر الذي حركته هذه الأشياء المستحدثة في نفوسهم، وإنما اكتفوا بتعديد أسماؤها وذكر تاريخ إنشائها كل منها والإشادة بمنشئها العظيم . فأشعارهم في هذا الموضوع تتعاون هي والتاريخ في تسجيل معالم النهضة في العصر الحديث، أما قيمتها الفنية فتكاد تكون معدومة لخلوها من العاطفة مصدر الشعر وأهم عناصره والتي يفقد بفقدانها جميع مميزاته وخصائصه .

ونظموا الشعر في الدعاية التي قلما يخلو منها ديوان من دواوينهم ، وفي دعائياتهم ظهر الطابع المصري بروحه وعاداته وتعبيراته . ونظموا الشعر في تعريف العلوم ومزجها وتبسيطها . وكثيرا ما كانوا ينظمون الشعر لمجرد الزخرفة والزينة تنظم أبيات لتكتب على قصر أمير أو على قبره وأخرى لتكتب على مائدة الطعام أو على لوحة في وليمة أنس أو على بطاقة دعوة .

هذا عن موضوع الشعر الذي كان يعيش بلا روح ولا عاطفة ، يعيش على هامش الحياة لأنه لم يستطع أن يتبع سيرها ويلحق بركابها . كان يمسها أحيانا ولكنه لم يكن ليتجاوز سطحها ، فسارت الحياة في جانب ووقف هو في جانب آخر .

أما لغته : فكانت ركيكة تتردى إلى العامية وترزح تحت وطأة المحسنات البدعية التي تطالعك في أسماء الدواوين مثل :

ديوان : الإشعار بمحميد الأشعار (قيسيد على الدرويش) .

وديوان : نظام المذائح السعيدية في أعجد الدولة الخديوية (لمصطفى سلامة النجارى) .

وديوان : الدر البهي المنسوق بديوان ابراهيم بك مرزوق (لا ابراهيم
بك مرزوق)

وتطالعك في أسماء القصائد مثل :

قصيدة : منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ محي مصر (لعبد الله أبي السعود)
وقصيدة : عقد الماض في سمو الخ—ديو عباس (لأحمد أبي علي
الأزهري المصري)

وقصيدة : نفح الرياض في مدح رياض (لأيوب عون)

وهذه المحسنات البديعية لا تكاد تحصىها أو تلم بها داخل القصيدة ، فقد
افتنوا في استعمال البديع ولم يتركوا لونا من ألوانه إلا ألبسوه شعرهم مثل التأريخ
والنظمين ، والتطريز والتشطير ، والتصحيح ، والتورية ، والجناس ، والألغاز
... إلى غير ذلك من ألوان الرياضة الذهنية كقصيدة منفصلة الحروف وأخرى
مرتبة على حروف الهجاء ... الخ

ظل الشعر مقيدا بتلك القيود البديعية التي ورثها عن عصر الضعف والركود.
وخلل موضوعه خاوباً من الروح والعاطفة ولغته ركيكة تتردد بين الفصحى
والعامية، حتى جاء البارودي في منتصف القرن التاسع عشر فعظم قيوده وبما
يموضوعه ولغته وأزال عنه غبار العصور الماضية وردده إلى مصادره الأولى في
أزهى عصور الأدب. (١)

٢ - المرحلة التي وجه فيها البارودي الشعر :

(١) انظر « البارودي . حياته . وشعره » رسالة ماجستير مخطوطة. للمؤلفه في مكتبة كلية
الاداب جامعة الاسكندرية

حصل تحت عنوان « الشعر قبل البارودي » صفحة ١٧٨-٢٢٦

استطاع البارودي بما أوتي من ملكة شعرية، وبما زود به من ثقافة عربية قديمة
وعا كان يتمتع به من مكانة اجتماعية عظيمة أتاحت له فرصاً لم تنح لغيره من
الشعراء المعاصرين : مكتته من اقتناء مكتبة تضم أمهات الكتب العربية وخاصة دور
الشعر العربي القديم التي مازال بعضها مخطوطاً إلى اليوم ، ومكتته من لا يحصل
بكبار رجال اللغة والأدب في عصره وفي مقدمتهم حين الرصافي ، وصرفته
عن اتخاذ الشعر وسيلة للتكسب . استطاع بفضل هذه العوامل أن يخير مجرى
حياة الشعر وأن يشق له طريقاً جديداً لم يعده الشعراء المعاصرون . ذلك
بإحيائه للتراث الشعري القديم في أوج مجده وعظمته . فنرجع القديما في
بناء قصائدهم وفي استخدام قوالبهم وفي طرق موضوعاتهم وفي تناول مآلهم
وتشبيهاتهم وألفاظهم وفي محاكاة أساليبهم وفي تمجيد مثلهم وفي معارضة كبار
شعرائهم الذين تزود بمثل أدواتهم . وقد أشاد البارودي في قصيدة عارض بها
قصيدة عنتره التي مطلعها

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
أشاد بفضل الشعراء المحدثين وامكان تفوقهم على انقدماء ، مستشهداً بنفسه
وبما أبداه من نفوق في ميدان الشعر وميدان القتال وفيها يقول :

كم غادر الشعراء من متردم	ولرب تل ذشأ أو مقدم
في كل عصر عبقرى لا يفي	ينـرى الفري بكل قول محكم
وكفائي جلا إذا اعتقل النهي	بالصمت أو رصف السنان بعند
نحييت أماس القريض بمنطقة	وصرعت فرسان المعاج بلهزمي
وقرعت ناصبة العلى فضائل	هن الكواكب في النهار المظلم
سأل مصر عني إن جهلت مكاتي	تخبرك عن شرف وعز أقدم
ثم أخذني الفخر بما بذله لإحياء الشعر العربي ، مدينا كيف أصبح	

اعوجاجه ، وكيف مهد طريقه وذال غواريه ، وكيف فتح آية حق أصبح كل طارق يجد فيه حاجته :

والرمح ليس يروق غير مقوم	قومته بعد اعوجاج قناته
يقظ البديهة في القريض محكم	أحكمت منطقته بلهجة مفاق
ويذم شقشقة العتيق المقوم	يبتذأهبة كل فارس بهمة
وخطمت منه موارنا لم تخطم	ذلت منه غواربنا لا تمتطي
لم تجتمع قبلي لحي ملهم	شعر جمعت به ضروب محاسن
وإذا نأمت ذعرت كل ملهم	فاذا نسبت فنت كل مقنع
والغبل تسمع منه زارة ضيغم	كالروض تسمع منه نغمة بلبل
وشأوت فيها كل أعيد مستم	أدركت قاصية المحامد والعل
لا غرو من سلف الأكارم أتمى	فانا بن نفسي إن فخرت وإن أكن
إن كانت الأبناء خور الأعظم ^(١)	والفخر بالآباء ليس بنافع

في مثل هذه الصياغة القوية الرائعة، وبمثل هذه اللغة الجزلة الرصينة الناصعة استطاع البرودي أن يعبر عن خليجات نفسه وعن حياته الخاصة والعامة، وعن أحوال بلاده وطبيعتها وآثارها وأمجادها الغابرة . أي أن تقليده للشعراء القدماء لم يمح شخصيته فظهرت قوة بارزة في شعره .

هذا الشاعر الذي نعتبره باعث نهضة الشعرية الحديثة قد تأثر أسلوبه العربي الفصيح في بعض الأحيان بأساليب العامة ، ولكن تأثيره بأساليب العامة كان نادرا لا يتجاوز أبياتا قليلة من شعره معظمها في الدعابة والفرل . ذهب فيها مذهب النظرف وأراد به مجازاة ما عرف عن شعراء عصره من النظرف الذي

كان صفة لازمة لكل شاعر في ذلك الوقت الذي كانت وظيفة الشاعر الأولى فيه المنادمة والمسامرة ، وذلك في مثل قوله :

يا بانه من لي بضحك	يا زهرة من لي بشمك
يا بنت سيده النساء	ترفقي بحياة أمك
ما في منبت شعرة	إلا به أثر لدمك
كلا ولا في مهجتي	من طول صدك غير همك
أصبحت عمتع الكرى	لما جفاني بدر تيك
إن لم تحودي باللقا	على الحب ولا لتيك
قد امهي لي مسرة	حتى أفوز بأشم كك (١)

ومثل قوله في عادة شبره

مرت على تهادي	مثل المهابة بشيرة
فقلت يا نور عيني	مالي على الصبر فبري
فتبت وجنتيه	يد الحباء بحميرة
وقالت اسكت وإلا	تصير في الناس شريرة
فقلت هل من وصال	يكون للحب أسيرة
فاستضحكت ثم قالت	على الخديعة بكرة (٢)

وكان من مظاهر مذهبه هذا أن تسربت إلى شعره بعض الألفاظ الرومانسية والتركية التي كانت شائعة في عصره ، وذلك في قوله :

أنسيم سرى بنفحة رند؟	أم رسول أدى قحبة هند
أطربني أنفاسه فكأنني	مات سكران جر همن (برندي)

(١) ديوان البارودي المخطوط

(٢) - ديوان البارودي صبعة وزارة المعارف ج ٢ ص ١٠٨

فاهد منى له تحية صدق وتلطف بمحالى يا (أفندى) ^(١)

وكان من مظاهر هذا المذهب كذلك مجاراته لشعراء عصره في استخدام ألوان البديع كالتأريخ والطباق والتورية والاقتباس والجناس .

والكن هذه المسحة العامية وتلك السمات الفنية العصرية، كانت قليلة جدا في شعر البارودى لا يكاد يلمسها إلا الباحث المدقق، ولذلك لم تستطع أن تشوه شعره ، فجاء شعره فى جهانه قويا ناصعا وأصبحت قوة الصياغة وروعيتها وجزلة اللغة وفخامتها الطابع المميز لشعر البارودى ، ذلك الشعر الذى أثبت فيه قدرة اللغة العربية الفصحى على التعبير عن مشاعرنا وحاجتنا وحاجات عصرنا

المرحلة التى سار فيها الشعر بعد البارودى

جاء بعد البارودى شعراء نهضوا بالبحث الذى بدأه وساروا فى نفس الطريق الذى سلكه، ولكنهم كانوا أسعد حظا منه إذ وجدوا الطريق ممهدا بفضل جهود من نحية رفصل النهضة التى رخصت أسسها فى بداية القرن الماضى وأخذت تؤتى أكلها فى عهدهم، فغمرت البلاد فى مختلف نواحيها السياسية والاجتماعية والثقافية . كان فى مقدمة هؤلاء الشعراء شوقي وحافظ ومطران . وهؤلاء حافظوا على المادة اللغوية القديمة لكنهم لم يجدوا إزاء النماذج القديمة فجددوا وأبدعوا . لبو مطالب الجمهور السياسية والاجتماعية والدينية . وأدخل شوقي الشعر التمثيلي ونظم أشعارا على أسنة الحيوان ، قلدا لأفوتين فى حكاياته، وأدخل مطران الشعر القصصى ونظم أشعارا وجدانية قوية (رومانسية) ، كل ذلك فى حدود التمسك بالصياغة العربية لرائمة والمادة اللغوية القديمة حتى إن

حافظ الذي كان أكثر الثلاثة نزولا إلى الشعب وقربا منه لم يتبدل ولم يسف
بلغه أشعاره في تعبيره عن آمال الشعب وآلامه ومشكلاته لم يتمم حقيقة
في معانيه ولكنه عني بالألفاظ وانتقاء فحومها وأجزائها .

وهكذا استطاع هؤلاء الشعراء الثلاثة هم ورائدهم لأول « البارودي » أن
يثبتوا لنا أن لغتنا ليست ضعيفة ولا جامدة ، وأنها تحمل مختلف المعاني دون أن
يستعصى عليها مع لجة فن من الفنون ، وأن البديع لدى خنقهم والضعف لدى
صبرها كان علة عارضة عرضت لها في عصور مختلفها وضعفها ، وأن وميلاتها في
الوقوف على حقيقتها وثمراتها ، وكيفية استخدامها في التعبير عن مطالبنا
ومطالب عصرنا ، لا تكرر إلا بالتقيد من مناهجها الأصيلة .

لقد استخدم هؤلاء الشعراء الثلاثة ألفاظا وعبارات عامة لكنهم اقتصروا
في استخدامها على أشعار الدعاية . وقد نشر أكثر هذه الأشعار في الجرائد
والمجلات وكتب الفكاهة . وكان الشعراء كانوا يخرجون من نشرها في دواوينهم
ولا يرونها جذيرة بنشر والخلود ، وإنما اندفعوا إلى نظرها رغبة في مداعبة
أصدقائهم في مجالس السمر .

فن هذه لأشعار قصيدة لشوقي لم تنشر في ديوانه ، نشرتها حريرة لأهراء
(٨ / ١٩٥٥) قالها على لسان الدكتور محبوب ثبت في مناسبة خلاف بينه وبين
سليمان فوزي صاحب مجلة (الكشكول) وكان قد دأب على مهاجمة في مجلته . قال فيها :

أيشتمني سليمان بن فوزي	(ويبي) في يدي ومعي (تباقي)
وتحت يدي من المال جمع	يشمر ذيله عند التلاقي
ولسنا في البيان إذا جرينا	لأبعد غاية فرسي سباق
تفاقي ذقنه من غير بيض	ولي ذقن تبيض ولا تفاقي
وتحلاق الألحى ما كان رأي	ولا قص الشوارب من خلاقي

أنا الطيار رجل في دمشق
أنا الأسد الغضنفر بيد أنى
ألا (طنز) على العمهور (طنز)
بقارعة الطريق ينال منى
إذا اشتدت ورجل في العراق
تسيرنى الجآذر فى الرباق
وإن أبدى مجاملة الرفاق
ويوسمنى عناقا فى الزقاق^(١)

ومن ذلك أيضا أبيات لحليل مطران قلها فى وصف أصلع :
يا معجباً تاه على صحبه
فنصفه الأعلى به أجرد
يا حسنه من (بتيناج) به
يبرطم (البرغوث) فى ساحتها
برأسه بورك من رأس
عارولكن القفا... مكى
تمشى القباقيب بلا حس
ويشرد المسكين لا يرمى^(٢)

ومنها قصيدة لحافظ. قلها فى حفل أقامه أعضاء نادى طنطا لتكريم حنفى
ناصف لانتقاله من القضاء إلى التقديش بوزارة المعارف ، وهى قصيدة طويلة تتخللها
الفاظ وأمثال عامية كقوله :

لولا الحياء ولولا
لقلت فى يوم (حنفى)
دينى وعقلى وسنى
أدعو لسكرة (بنى)^(٣)

هذه نماذج من الشعر الفكاهى الذى أباح شعراء البعث لأنفسهم استخدام

(١) وردت هذه القصيدة بأكملها فى كتاب « الفكاهة فى الأدب » لدكتور أحمد محمد
الحوفى ج ١ طبع القاهرة ١٩٥٦ ص ١٣٣-١٣٤

(٢) مجلة أبولو . عدد أبريل سنة ١٩٣٣ ص ٨-٩

(٣) ديوان حافظ ج ١ طبع مصر سنة ١٩٣٩ ص ١٨٠

ويقول أحمد أمين - ناشر الديوان - فى المقدمة (ص ١٧) إن حافظا رغم حبه للمرح والدعابة
لم يكن يدخل كثيرا من الفكاهة فى شعره ، وإنه كان إذا قال شعرا فى فكاهة أو مزح
عده من سقط متاعه ولم ينظر إليه عندما يتخير شعره للنشر أو للتدوين .

العامية فيه. وهذه العامية كما رأينا لم تطف على هذا اللون من أشعارهم وانما جاءت في لفظة أو عبارة أو مثل على سبيل النظرف والدعابة. وأما أشعارهم في الموضوعات الأخرى فكان أهم ظاهرة فيها التمسك بالصياغة الرثة والحرص على سلامة اللغة وانتقاء أفخم العاظها وأجود أصليها.

موقف شوقي وحافظ ومطران من قضية الفصحى والعامية :

ولقد عاصر هؤلاء الشعراء الثلاثة معركة الفصحى والعامية وهي في شدة احتراسهم فوقفوا في جانب الفصحى . لم يكتبوا بما قدموا للفصحى من خدمات تجت في تمكنهم من آدابها القديمة وفي قيامهم بإحيائها في نفاذ الغزير ، وإنما تصدوا للدفاع عنها في قصائدهم وكتابتهم . فنظم حافظ قصيدة على لسان اللغة العربية سنة ٩٠٣ عقب الضجة التي أحدثها كتاب «ولمور» الذي حمل على العربية واتهم بالضعف والعجز عن أداء حاجات العصر . ذراع حافظ في قصيدته هذه من الاتهامات التي رجحت إلى العربية . مشيدا بأجودها الفبرية وبجملتها تخمين . مستحشا أبناءها إلى مرحلة جلودهم لإحيائها . وفيه ما يتطوى عليه الدعوة إلى العامية من خطر . يقول فيها :

وسعتُ كذاب لله لفظا وغية	وما ضقت من آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة	ونذيق أسماء تخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن	فهل سألوا الغوص عن صدفتي
فيا ويحكم أبلي وتبلى محسنى	وهمكم ومن عز الدواء أسأت
فلا تكلوني للزمان فإني	أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال العرب عزاً ومنعة	وكم عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنت	فيا لينكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادى بوأدى فى ربيع حياتى ؟
ولو تزجرون الطير يوما علمتم بما تحمته من عثرة وشتات
إلى أن يقول منددا بالمصريين الذين رددوا دعوة العامية وبالأجانب
الذين بثوها وروجوها ، مبينا حقيقة هذه العامية المتعددة اللهجات الناقبة لأحوال
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا من القبر يدنبنى بغير أناة
وأسمع للكتاب فى مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاى
أيهجرنى قومي - عفا الله عنهم - إلى لفة لم تتصل برواة
سمرت لوثة الا فرنج فيها يكاسرى لعاب الأفانى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعة رقة مشكلة الألوان مختلفات^(١)

ودافع حافظ عن اللغة العربية أيضا فى مقدمة كتاب «الأسماء» . فعرض فى
سخريه بالأدباء الحديثين الذين عجزوا عن وصف ما جد من المخترعات الحديثة
على حين استطاع البدوى أن يسبق على ناقته أباح العيفات ، مبينا أن تخلف لغتنا
عن وصف المخترعات الحديثة لا يرجع إلى قصور ذاتى فى لغتنا وإنما يرجع إلى
الجهل بها . يقول :

« تباركت اسمائك اللهم ! أيدعى البعير - وهو ذلك المركب الخشن -
بهذه الأسماء التى تضيق عنها بطون الكتب ، وهذه مراكب البخار والكهرباء
لا تكاد تجد لأسمائها مرادفا فى هذه اللغة ؟ فما عسى أن تكون حاشا بجانب ذلك
العربى الذى يقول فى وصف عيشه

الأبيضان أبردا عظامى الماء والفت بلا ادام

(١) ديوان حافظ إبراهيم ج ١ طبع القاهرة سنة ١٩٣٩ م ٢٥٣ وقد نشرت القصيدة فى
مجلة الهلال عدد يونيه سنة ١٩٠٣

وهو فوق رحمة ظالم على قتب يكاد يدمى عجانه تحت شمس تكاد
تأكل ظاهها في مفازة .

إذا أردته على أن يصف تلك الراحلة المعجزة، فأرشف بالقول وسرد من
أوصف ما يبلغ حداً لا عجز . وأردتنا على أن نصف ونحن نستطيع من صنوف
الطعام ما يضيق به صدر الخوان وتنبوا أريكة « الأتوموبيل » تحت ذلك الظل
الظليل في محارف ضفاف النيل على فرش وثير وتكأ من حرير بين سيج عليل
ومسلسيل ، ذلك المركب الذلول الذي لا تلحق به صافنت الخيول فوقفنا
أمامك موقف الخائر لا نعرف له اسماً يدل على مسماه ولا مرادفا في اللغة يؤدي
معناه . فخذوا أيها القادرون على الاصطلاح بيد اللغة وانظروا كم أدخل فيها
آباءكم من كلمة فارسية . وهذا كتاب الله بين أيديكم يأذن لكم بما ندعوكم
إليه . وهذا باب الاشتقاق وباب النعت لا يزالان بحمد الله مفتوحين لم يصعبهما
ما أصاب الاجتهاد فادخلوا منهما آمين » (١)

وأشاد شوقي باللغة العربية في شعره وخاصة في قصائده التي كان يتغنى
فيها بالعروبة . فالعربية لسان العرب المبين عن رقيهم القديم ، وبها نزل لوحي وآي
الذكر الحكيم ، وما زالت ترجمان العرب والرابطة القوية التي تجمع شملهم في
مختلف الأقطار . (٢)

أما مطران - وكان أكبر الشعراء الثلاثة نزوعاً إلى التجديد - فقد شرح
في مقدمة الجزء الأول من ديوانه منزعه الجديد في توجيه الشعر ونظمه ، مؤكداً

(١) كتاب الأبوساء . تأليف فيكتور هيجو . تعريب محمد حفظ إبراهيم ج ١ طبع مصر سنة
١٩٠٣ . لمقدمة (كلمة في التعريب) ص ٧

(٢) انظر الشوقيات ج ١ ص ٢٢٢ وج ٢ ص ٩٠ ر ١٢٥

حرصه - فى كل ما نزع إليه - على مراعاة أصول اللغة إلا ما فات علمه من معرفة تلك الأصول. وذلك حيث يقول :

« . . . فشرعت أنظمه لترضية نفسى حيث أتخلى أو لترية قومى عند رقرع الحر دث الجلى . متابعها عرب الجاهلية فى مجارة الضمير على هواه ومراعاة الوجدان على مشتته ، موافقا زمانى فيما يقتضيه من الجرأة على الألفاظ والتراكيب لأخشى استخدامهما أحيانا على غير المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب . ذلك مع الاحتفاظ جهدى بأصول اللغة وعدم التفريط فى شئ منها إلا ما فاتنى علمه أو تجاوز إدراكى فهمه » (١) .

وصرح مطران بثناء اللغة العربية فى مفرداتها وآدابها وكفايتها للتعبير عن حاجاتنا ، وذلك إجابة عن سؤال وجهته إليه مجلة الهلال عن مدى كفاية الأدب العربى واللغة العربية للأديب المصرى ، ولكنه نصح بتعلم لغة أجنبية لزيادة المعارف .

يقول : « كل لغة تغنى أديبها ولو كانت لغة أمة متوحشة ، لأنها تكفيه لى يعبر عن أشواقه وأفراحه وأتراحه ، وتعطيه الإبداعات التى تبلغ النهايات فيها . ولكن إذا كنت تريد أديبا عالما وليس أديبا فقط فلا بد عندئذ من تعلم لغة أجنبية . فهذه التورة مثلا تعد من أجهل الشعر وأقدمه وقد طرقت جميع الموضوعات التى احتاج الناس إلى بحثها فى ذلك الوقت ، وذلك مع أنها كتبت بلغة لو قبلت باللغة العربية لعدت ناقصة ليس لها أصول ولا تقاليد ولا قواعد ولا آداب . فكيف يمكن أن يقال إن لغتنا لا تكفى الأديب وهى من حيث

(١) انظر ديوان الحليل . ج ١ طبع القاهرة - لم يذكر تاريخ الطبع المقدمة صفحة ٥

مفرداتها وآدابها من أغنى لغات العالم . وليس معنى قولي انى أنهى الأديب عن تعلم لغة أجنبية فإنها ضرورة إذا أراد الكمال وزيادة مهارفه « (١) .

هذا التقدير الذى أكنه مطران اللغة العربية . وهذا الحرص الذى أبداه فى التمسك بأصولها يتضح أيضا فى حملته العنيفة على العامية التى تهدد كيان اللغة العربية وتكاد تودى بوحدتها أبنائها . وذلك حيث يقول فى مقدمه رواية عطيل :

« فتأ لله لو ما كنت تلك العامية لقتلتها بلا أسف ، ولم أكن بقتلى إياها إلا منتقما لمجد فوق كل مجد ، نزلت من هيكله الذهبى الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزيئين القذرتين فهو فوقهما متداع وبهما مشوه ، منتقما لآمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التى مزقتها فى الشرق والغرب كل ممزق ، منتقما للضعافة نفسها وأية فصاحة فى خسارة لا نصيب فيها من تبرالأصل إلا وقد تلوثت بذريات لآنحصى من أوضار الرطانات بأنواعها » (٢) .

وهكذا استطاع شوقي وحافظ ومطران إشاعة فصيح اللغة العربية فى نتاجهم الغزير ، وإثبات قدرتها على معالجة الفنون المستحدثة بما أدخله شوقي من الشعر التمثيلي ومطران من الشعر القصصى ، والذود عنها أثناء معركتها مع العامية كما رأينا فى موقف حافظ ومطران من هذه المعركة .

فاذا اتلنا إلى أول مدرسة من مدارس التجديد فى الشعر ، وهى مدرسة عبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى ، والتى نشأت فى مصر فى بداية هذا القرن

(١) مجلة الهلال . عدد يولييه سنة ١٩٢٨ ص ١٠٣٦

(٢) رواية عطيل لشاعر ولیم شكبير . تعريب خليل مطران ، طبع القاهرة ، لم يذكر تاريخ الطبع . المقدمة ص ٨

وجهت بين الثقافة العربية القديمة والآداب الأوربية الحديثة وخاصة الأدب الانجليزي الذي توغلت في دراسته واستلهمته ونقلت منه إلى لغتنا، نجدها تختلف مع المدرسة السابقة مدرسة شعراء البعث في بناء القصيدة: طالب شعراؤها بوحدة القصيدة العصرية حتى تكون جسدا بدلا من وحدة البيت واستقلاله . وتختلف معها في موضوع القصيدة: عاب شعراؤها على شعراء المدرسة السابقة شعر المناسبات والمعارض ونزعوا في شعرهم نزعة ذاتية. وتختلف معها في القافية المطردة في القصيدة: حاول شعراؤها أن يتحللوا منها على قدر قدر فدعوا إلى الشعر المزدوج والمتجاوب والمرسل . وقد أوضح شعراء هذه المدرسة اتجاهاتهم في مقدمات دواوينهم وفي مقالاتهم وفي دراساتهم النقدية ، مبينين أوجه الخلاف بين مدرستهم وبين المدرسة الأولى .

لكننا نجدهم يتفقون مع المدرسة الأولى في الحرص على فصيح اللغة ولهمك بمرعاة الفوائين اللغوية . وها هو ذا العقاد أحد شعراء المدرسة يصرح باختلافه مع ميخائيل نعيمة وشعراء المهجر حول الأصول اللغوية التي عرفوا بتسميهم في مراعاة قوانينها النحوية والصرفية (١) ، فيبين في المقدمة التي قدم بها كتاب الغرانيب لبخائل نعيمة أسباب هذا الاختلاف رغم ما بين مدرسة

(١) — انظر مسألة التفريط اللغوي عند شعراء المهجر في :

(أ) الفصل الذي كتبه ميخائيل نعيمة عن مقام اللغة في الأدب تحت عنوان « نقيض الضناوح » ص ٧٤ — ٨٧ في كتابه « الغرانيب » طبع مصر سنة ١٩٥١ .

(ب) وفي مقال لجبران خليل جبران تحت عنوان « لكم لفتكم ولي لفتي » ص ٥٣ في كتاب بلاغة العرب في القرن العشرين . لمحي الدين رضا طبع مصر سنة ١٩٢٤

(ج) وانظر تحليل أسباب التفريط اللغوي عند شعراء المهجر ص ٨٩ في كتاب « الشعر العربي في المهجر » . تأليف محمد عبد الفتاح حسن طبع القاهرة سنة ١٩٥٥ .

ومدرسة ميخائيل نعيمة من اتفاق في فهم الشعر وتوجيهه وطرق تجديده . يقول :
« سينحل الناس كلامه وسيقولون فيه كثيرا من الحق والباطل ، ولكنني ضامن
له أنه سيقبى له في أوسع غرايبهم التي ينخلونه بها قيمة لا ينكرها عليه منصف
ولا يبغض قيمتها عارف . فسيشهد الخالون من الغرض أنه عمل في تصحيح
كثير من مقاييس الأدب فأفلح وأفاد . ومن صحيح مقياسا للأدب فقد صحح
مقياسا للحياة . وبخلاق تصحيح مقاييس الحياة أن يكون أمل أمة لا أمل أديب
أو طائفة من الأدباء .

سيقولون كثيرا ألم أقل ذلك ؟ نعم وسأقول أنا كلمة من هذا الكثير .
أما كلمتي أنا ففي خلاف صغير بيني وبين المؤلف لا أعرضه المناقشة إلا لأن
الاتفاق يتنا في غير هذا الموضع عظيم وزبدة هذا الخلاف أن المؤلف يحسب
العناية باللفظ فضيلا ، ويرى أن الكاتب أو الشاعر في حل من الخطأ مادام
الغرض الذي يرمى إليه مفهوما واللفظ الذي يؤدي به ، معناه مفيدا . ويعن له
أن التطور يقضى باطلاق التعريف للأدباء في اشتقاق المفردات وارتجائها . وقد
تكون هذه الآراء صحيحة في نظر فريق من لزلاء الفضلاء ، ولكنني نظري
تحتاج إلى تنقيح وتعديل ويؤخذ فيها بذهب وسط بين التحريم والتحليل .
فأرى أن الكتابة الأدبية فن ، والفن لا يكتب في بالافادة ولا يغنى فيه مجرد
الإفهام . وعندى أن الأديب في حل من الخطأ في بعض الأحيان ولكن على
شروط أن يكون الخطأ خيرا وأجلا وأوفى من الصواب . وأن مجازة التطور
فريضة وفضلة ، ولكن يجب أن نذكر أن اللغة لم تخلق اليوم فنخلق قواعدها
وأصولها في طريقنا . وأن التطور إنما يكون في اللغات التي ليس لها ماض وقواعد

وأصول . ومضى وجدت القواعد والأصول فلماذا نهملها أو نخالفها إلا لضرورة قاسرة لا مناص منها ؟ ^(١)

وكل ما طالبت به هذه المدرسة (مدرسة عبد الرحمن شكرى . والعقاد . والمازنى) فى لغة الشعر هو الدعوة الى تيسيرها وتوخي السهولة والوضوح فى انتقاء ألفاظها ، فهى لا تحتفل مثل المدرسة الأولى بفجوة الكلام ولا تنفى بالتأنيق فى اختيار الألفاظ ولا تسعى إلى روعة الصياغة ورصانتها ، وإنما حسبها من اللفظ أن يكون سهلاً واضحاً مألوفاً معبراً فى صدق عن الحاجات النفسية والمشاعر الإنسانية .

فبعد الرحمن شكرى يعيب على الشعراء ولوعهم بالغريب ، مبيناً أن أجمل الشعر العربى هو الشعر الذى لم تكلف فيه الغرابة ، وذلك حيث يقول فى مقدمة الجزء الخامس من ديوانه .

« ... والأدباء فى مصر يخلطون فى الكلام عن الأساليب خابط كثيراً فهم يتنافسون أن أجمل الشعر العربى وأفخمه وأجزله وأسيره وأكثره نفعا وتوكيد البقاء اللفظ ، هو الشعر الذى لم تكلف فيه الغرابة »

ويستشهد بنوعين من الشعر العربى القديم : الشعر الساس الذى يجمع بين حسن الديباجة والفخامة مثل شعر الشريف الرضى . والشعر المتروع بالغرب مثل شعر الحريرى . مبيناً ما ناله النوع الأول من شهرة ومكانة ، وما عرّضه النوع الثانى من جهال وما أصابه من نسيان . ويعلل ولوع بعض شعراء بالغريب بأنه رد فعل سببه ولوع شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب

ثم يبين أن كثرة استعمال الكلمة لا يضع من مكانتها كما أن قلة استعمالها وعدم ألفتها لا يرفع من قيمتها ، وأنه ليس للشاعر بد من استعمال الكلمات المستعملة إذ أن ثلاثة أرباع لغة من هذا القبيل ، وأن ما أثر من شعر القدامى كانت عباراته كثيرة لاستعمال ، وفي ذلك يقول :

هـ وجلت بعض الأدياء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة ، ويحسب أن كل كلمة كثرة استعمالها صارت وضیعة وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة ، وهذا يؤدي إلى ضيق الذوق وفوضى الآراء في الأدب ... فانهان الكلمة أو العبارة الكثيرة استعمالها ترى غير رجيح . فلهذا نجد أن الشعر كانت عباراته كثيرة الاستعمال فتريد أن نحذف ونهتن كل ما كان من نوع قول المتنبي :

ما كل ما يعنى البراء يتركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن
أو قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا بيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
أو قول أبي نواس :

خفف الوطأ ما ظن أديمه أرض إلا من هذه الأجساد

من يرى أنه يرى في سبب م ذكرنا شيئاً غريباً : كلا ولكنه بالرغم من ذلك أهل : فنحن نروى لأسباب . فإذ قوهم نروى في الغريب هـراء المتكلمين الوزنين الذين يسرقون معانيهم ، وجمعهم حسن الدباجة في الغريب مغالطة تكذبها كل دواوين شعر العرب . فمن أشعر الكبير يأتي بالأشملوب

رائعا جميلا من غير تكلف للغريب . أما المبتدىء فهو الذى يتكلف الغريب كي
يخفى به ركاكه عباراته ، وكذلك الوزن يتكلف الغريب كي يخفى به جهود طبعه
وقلة معانيه . »

وهو يندد مع السهولة المتانة ، ولذلك يأخذ فى التفريق بين الغرابة والمتانة
فيقول : « وقد تكون العبارة المملأى بالكلمات الغريبة أخس أسلوبا وديباجة
وأقل متانة من العبارة السهلة التى ليس فيها غير المألوف من الكلمات . فينبغى
للشاعر المبتدىء أن يتطلب المتانة وأن لا يخلط بينها وبين الغرابة ، كي لا تضله
الغرابة عن المتانة فيقنع بها ، انظر مثلا قول المتنبي :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا فلما ذهتني لم تزدني بها علما
هذا أسلوب فخم جزا ، رائع متين ولكن ليس به غريب . »

ويتمى عبد الرحمن شكرى بعد إسهاب فى نفي الضعف عن الكلمة التى
كثرت استعمالها إلى القول بأن الكلمة الوضيعة هى التى تحجب المعنى والعاطفة ، وأن
الكلمة الشريفة هى التى تدل على المعنى وتقع موقعها الخاص بها من الشعر .^(١)
هذا القول يردده كل من المازنى والعماد

يردده المازنى فى كتابه « حصائد المشيم » حيث يضيق بعبد د الألفاظ .
فيصرخ قائلا : « يا ضيعة العمر أقص على الناس حديث النفس وبشهم وجد
القلب ونجوى الفؤاد ، فيقولون ما أجود لفظه أو أسخفه كائن إلى الانظ قصدت !
وأنصير من نبوتهم مرآة لاهياة تريهم لو تأملوها نفوسهم باقية فى صفة لها فلا

١ - ديوان عبد الرحمن شكرى . ج ٥ طبع الاسكندرية . المقدمة « فى الشعر ومذاهبه »
صفحة ٤

ينظرون إلا إلى زخرفها وإلى طارها، وهل هو مفضض أم مذهب وهل هو مستملح في الذوق أم مستهجن؟ وأففى إليهم بما يعي أحدهم التماسه من حقائق الحياة، فيقولون لو قلت كذا بدل كذا لأعيا الناس مكان نذك ! ما لهم لا يعيبون البحر بأعوجاج شطآنه وكثرة مخوره؟ يا ضيعة العمر .» (١)

ويردده المقاد في «وحى لأربعين» حيث يقول: «لا تقول إنه يصح وضع معجم للألفاظ الشعرية . فكل لفظ مذهب صادق الدلالة يلاً موضعه في النظم ولا يتنافى موسيقياً مع بيئته اللفظية ولا يشذ في عرف الذوق الفني لعصره . هو لفظ شعري في مكانه والعكس بالعكس . وقد تختلف لأذواق والأحكام باختلاف العصور ، وإنكنا إذا قلنا لغة شاعر في عصر ما وجب علينا أولاً أن ندرس الذوق الفني للمام في ذلك العصر قبل نظيره في عصرنا» (٢) .

هذا التيسير اللفظي الذي نادى به شعراء هذه المدرسة في دراساتهم النقدية ظهر واضحاً في أشعارهم . لكن هذا التيسير لم يهبط بلغة أشعارهم إلى الأسف أو الابتذال، وإنما ارتفع بها إلى السلامة والوضوح وصدق الأدب، حتى في تعبيرهم عن مشاهداتهم اليومية المادية، كما فعل المقاد في ديوانه «عابر سبيل» وكما فعل عبد الرحمن شكري في بعض قصائده، كقوله في قصيدة تحت عنوان «حمام الكازينو» والكازينو هي الكلمة الدخيلة لو حيدة في القصيدة .

ماذا دهي القلب من الـ أشجان يوم الأحد
حيث الفواني فتنة آخذة بالجلد

(١) حصود المهشم الطبعة الرابعة . طبع القاهرة ١٩٥٤ ص ١٥٧

(٢) وحى الأربعين لعماد المقاد . طبع القاهرة ١٩٣٣ = المقدمة .

حالية كأنها	آتية عن موعد
خاطرة في مهل	كشية المقيد
تمتز في مشيتها	كعزة المسود
باسمة ضاحكة	كالبلبل المفرد
خصورها خافية	كأنها لم توجد
ضعيفة ناحلة	كالزاهد المقصد
ثيابها خافقة	كالنفس المردد

الخ... (١)

كما أن هذا التيسر لم يقاطع المادة اللغوية الفديعة ، لأش شعراء هذه المدرسة وإن كانوا في دراساتهم ، ثمديعة قد حملوا حملة عنيفة على الشعر القديم إلا أنهم لم يغفلوا عما فيه من مميزات ولم ينكروا فضل دراسته وقد زودوا أنفسهم بها . كما أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا تماما من آثاره ، فكان أبرزها في أشعارهم الفاظه . كقول المازني في قصيدة بعنوان « ثورة النفس » .

تراغمي الأحداث حتى كأنني	وجدت على كره من الحدثان
فلاعى تصمى القلب متى إذا رمت	ولا ترعوى يوما عن الشأن

.....

أدور بهين حير العيش لحظها	وأرجعها محمرة كالشقائق
كأن فؤادي بين شجوة وترحة	أديم تفريه أكف الخوالق

..... الخ (٢)

(١) ديوان عبد الرحمن شكرى ، ج ١ الطبعة الثانية طبع الاسكندرية ١٩١٤ ص ١٠ وانظر قصيدته يصور فيها بعض الماديات المهرية تحت عنوان « الزوجة المهجورة يتعالج الشعر » ج ٢ من ديوانه طبع الاسكندرية ١٩١٣ ص ٥٧

(٢) ديوان المازني ج ١ طبع مصر لم يذكر تاريخ الطبع ص ٣٠

فذكرني ومن كان قد نزع في قصيدته هذه نزعاً وجدانية . ووضعها في قالب جديد من القافية المزدوجة ، إلا أنه استقى لغتها من المنبع القديم الذي استقى منه الشعراء القدماء لغة أشعارهم .

قادت حركة الشعر بمد هذه المدرسة « جماعة أبولو » التي أنشأها أحمد زكي أبو شادي ١٩٣٢ وأصدر مجلة باسمها ظلت حتى سنة ١٩٣٥ . أوضح في العدد الأول من أعدادها غاية الجماعة، وهي السمو بالشعر وترقية مستوى الشعراء أدبياً واجتماعياً ومادياً . وقد استطاعت فعلاً أن تخاق في مصر جواشعاً واسع النطاق ، كما أنها أتاحت فرصة الظهور للشعراء الناشئين بما كانت تنشره من قصائدهم في مجلتها .

لكن هذه الجماعة لم يكن لها هدف شعري محدد ولا مذهب أدبي معين . يتضح ذلك فيما كانت تنشره مجلتها من قصائد لشوقي ومطران ومصطفى صادق الرافعي والعقاد وناحي وعلي محمود طه وشيخوب ومحمود عبد الغني حسن ومحمود حسن اسماعيل وغيرهم من شعراء تونس والعراق والمهجر . ويتضح أيضاً في إنتاج رائدها أحمد زكي أبو شادي الذي يشبه دائرة المعارف شعرية . فيها نماذج متعددة الألوان والاتجاهات ، من قصائد وطنية واجتماعية ووجدانية وتأملات فلسفية ومشاهدات يومية في الأسواق والمواكب والمنزل . ومن قصص ومسرحيات شعرية ، وجاءت لغته مثل مواضعه ليس لها طابع مميز . كان يحافظ على الأسلوب التقليدي أحياناً ، ويتخلى عنه أحياناً أخرى مستخدماً أسلوباً ضعيفاً يحشوه بكلمات عامية .

ولغة أبي شادي التي وضع فيها أشعاره جذيرة بالدراسة السببية :

تولاً : لأن لأبي شادي رأياً في لغة الشعر . فقد كان يميل إلى تمصيرها ، وقد

صرح بذلك في مقدمة ديوانه «الشعلة» التي كتبها عن «فلسفة الشعر»، حيث يقول في آخرها «... فلا بد من كفة عن لغة الشعر، وخيرها عندي ما نسب المقام لفظاً وجرساً، بحيث يكون اللفظ والمعنى وحدة متماسكة في تأدية لاحتساس الشعري ونقله إليك، ولذلك أؤثر في كل بيئة لغوية الشعرية التي توافق روحها، ويعلم القراء أنني لست من أنصار اللهجة العامية، وليكن ارتياح إلى تصوير العربية أو تعريب المصرية، بحيث يظهر في أدبنا المصري روح هذا الوطن الرقيق الوديع الذي يمثل شهر البهاء زهير أصدق تمثيل، وقد يمثل شعر ابن قلاقص وابن الفقيه وابن نباتة أحياناً، وثم الرجوع بنا إلى طليعة العصر لأشوى والعصر العباسي فليس من التجديد ولا من إنصاف يثنتنا في شيء، وأرى بيتتنا المصرية الحاضرة متفرجة فلا يمكن تجريد شعرنا المصري من روح التفريج، وإن يخاف ذلك إلا كل متصنع يحنى — خدعاً أو جهلاً منه بفلسفة الشعر — وراء الغيرة على اللغة حينما هو يسعى بذلك إلى لغته وشعره»^(١)

ثانياً : لأنه لم يحقق هذه الرغبة إلا في نطاق محدود جداً، لعدم استطاعته الخروج عن الذوق اللغوي في الشعر وكان يميل توجه عام إلى النصحى، فإذا درسنا ديواناً من ديوانينه وليكن ديوان «الشعلة» الذي صرح فيه برأيه في تصوير لغة الشعر وفرحتها — على حد قوله — لا نكاد نجد فيه من القصائد التي تليها مسحة العامية سوى قصيدتين فقط هما : قصيدة «حلمي العرس» وهي مداعبة إلى صديقه الشاعر عبد الله بكري بمناسبة عرض أخيه، وفيها يقول :

أخي العزيز بحق أخيك لا تنس فالعـرس قريب
يكفيك يا أُملي يكفيك أني أبشـك شعر حبيب

وصية...تى أن تستدعى حالا (أبادرش) (١) الغالى
الذى بهي للجمع — (ترم ترالا ترالاسى)
... الخ (٢)

وقصيدة «المصائب» وهى جزء فى مزح، قالها بمناسبة صدور قانون مزاولة
الطب فى مصر سنة ١٩٢٨، وفيها يصور فزع بعض الأجانب المحتالين الذين كانوا
يستغلون الفوضى الطبية فى مصر أسوأ استغلال ملء جيوبهم بالمال على حساب
الجمهور الغفل (٣)

أما بقية قصائد الديوان فقد صاغها لغة فصيحة، بل إننا نجد بعضها يتكلف
الفجالة فى الأسلوب، وذلك فى مثل قصيدته «الناسخ والمنسوخ» التى قالها
سنة ١٩٢٨ فى نكبة الدستور المصرى بمناسبة ذكرى ١٣ نوفمبر.

فرد الكوت ولم يسكن له البلد ؟	ولوعند أين ؟ فمهد الحر ما يهد
من ذاقه — ول بنسخ اليقين بلا	عهد جديد به المنسوخ يطرد
ما كان يصدق فى الأديان قاطبة	هيمات يكذب فى دين ويفقد
(مصر) ارتضت منه فرقة زاهزتها	واليرم نشده بجحا فلا نجد
ولا عزاء لها من دين نهضتها	من بعد ما هذه فى حقه الأسد
من تحسبوها على صفو وفى طرب	فإن ذلك لو أدركتم الجلد
زجر الوعد فيها وهى صائمة	ويسكب الفيث فيها وهى تنقد
تقرون عليها جد راشدة	واليوم يزعم غر ما بها رشد

(١) صديقه مصطفى حسن البناوى (٢) ديوان نشمة، ص ١١٢ (٣) المرجع نفسه
ص ١١٢

لو أنها فضت الصبر الذي أدرعت به لضغم ولم يصمد لها أحد
 ليس الدبا ^(١) أهلها كلا وليس لكم قدر الشاربخ ^(٢) مطواع لها الأبد
 وما تمهاون يوما معشر صبر في الحق ما دام إيمان لهم بقدر
 الأسد تقبل ذل الحمص ^(٣) راضية وليس يقبل ذل المهجة الأسد
 . . . الخ ^(٤)

وهي قصيدة طويلة تكلم فيها عن البطولة والتضحية، وأشار فيها إلى ظروف
 إلغاء الدستور، وندد بالزمان وأهله، واختتمها بسداء النصيح إلى مواطنيه . كل
 ذلك في أسلوب يتكاف الفحولة ولا يخلو من الكائنات الغريبة نجد فيها
 الخرض (الضعف) والمضبطان (الخائف) والسبيغ (السيد الموطأ لاكتف)
 والتكس (الضعيف) الخ، أي أنه لم يخرج عن الإطار التقليدي الذي ثار
 عليه في مقدمة الديوان .

هذا الطريق غير المستقر الذي سلكته جماعة أبولو في توجيه الشعر
 وصياغته، لا يزال شعراؤنا حتى اليوم يسرون عليه وأكثرهم ممن تخرجوا فيها،
 فهم لا يستقرون في اتجاه ولا يثبتون على صياغة فبينما نجد بعضهم يحافظ على
 الإطار التقليدي في اللغة مثل « عزيز أباطة وباكثير » نجد بعضهم الآخر يميل
 إلى السهولة، سهولة جمعت بين المتانة والفصاحة نجد في شعر « صلاح الدين
 عبد الصبور » وسهولة أدت إلى التفكك والتردي في استخدام الالفاظ

١ = الدبا = أصغر ما يكون الجراد والنمل (٢) الشاربخ = رؤس الجبال
 (٣) الحمص = الجوع . (٤) ديوان الشمة ص ٩٨ .

العامية ، نجدتها في بعض قصائد المجموعات الشعرية الأخيرة مثل (أغاني الزاحفين ، والشعر في المعركة) ولكن هذه الألفاظ العامية لا تأتي بقصد إشاعة العامية ، وإنما تأتي من العجلة ومن الجهل بالعربية - ثرائها وقواعدها وأساليبها - وقصور اللمة عن بذل الجهد الذي يحتاجه تحميل كل هذه المعارف .

يتضح فيما عرضه من مراحل تطور شعرنا الحديث أن لغته كانت ومازالت العربية الفصحى . وأن العامية لم تجد رواجاً في ميدان الشعر . وأن ما دام من مظاهره في شعرنا فرحمته إلى الأسباب التالية :

١ - الضعف الذي كانت تعانيه العربية في عصور مجتباها وانحلالها ، كما أشرنا إلى ذلك في بداية نهضتنا الحديثة .

٢ - الجهل بالعربية وقصور اللمة عن بذل الجهد في دراستها ، كما أشرنا إلى ذلك في أشعار بعض شعر ، هذه الأيام .

٣ - الرغبة في التفكه والدعابة ، كما أشرنا إلى ذلك في شعر البارودي وحافظ بشوقي ومطران . وقد اقتصرت مظاهر العامية في شعر هؤلاء على على الفزل والدعابة . كما أن الرغبة في التفكه قد أدت ببعض الشعراء إلى البحث بروائع القصائد العربية فمارضوها في لغة تغلب عليها العامية ، كما فعل محمد توفيق صاحب مجلة « حجارة منبقي » في معارضته للامية العجم في قصيدة سماها « لامية لحارة »^(١) وفي معارضته لمعلقة زهير في قصيدة سماها « معانة الحارة »^(٢) وفي معارضته لقصيدة لأبي فراس قدم لها بقوله (آدى شغل ولاد

(١) مجلة حجارة منبقي . العدد الرابع من السنة الثمانية ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م —

١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ م ص ٥٣

(٢) مجلة حجارة منبقي . العدد الخامس من السنة الثمانية ص ٢٢٣

الناس في قصيدة أبو فراس^(١)، وكما فعل حسين شفيق المصري في معارضته للمعلقات في قصائد سماها « المشعلات »^(٢) ولكن هذه المعارضات لم يكن الغرض منها تغيير لغة الشعر إلى العامية، وإنما كان الغرض منها الجمع بين النقد والفكاهة التي اعتبرت العامية لونا من ألوانها.

٤ — محاولة تمثيل لغة الشعر، ولكن هذه المحاولة كانت فردية. تزعمها محمد عتيان جلال فترجم حكايات لا فونتين إلى الشعر العامي وسماها « الهبون اليوقظ في الأمثال والمواظظ » ولكن سرعان ما آتت محاولته بالفشل، ورددها أبو شامى لكنه لم يستطع تحقيقها وإشاعتها كما أثرنا إلى ذلك، فظلت الفصحى لغة الشعر.

أسباب عدم رواج الدعوة إلى العامية في ميدان الشعر :

وترجع أسباب عدم رواج الدعوة إلى العامية في ميدان الشعر في رأيي إلى الأسباب التالية :

أولاً : أن لنا في الشعر أصالة عريقة يشهد بها تراثنا الشعري القديم .
ثانياً : أن هذا الشعر الموروث ليس شعراً ضعيفاً ساذجاً، وإنما هو شعر غنى في أوصافه عميق في تأملاته صادق في حكمه وأمثاله . ظل رغم تغير الأحوال وتقلب الظروف متعباً للعقل والقلب، ولم تفقده القرون المتطاولة روعته

(١) مجلة حمارة منبى . العدد العشرون من السنة الثانية ص ٤٧١

(٢) انظر كتاب (أبو نواس الجديد) مجموعة من مختارات حسين شفيق المصري نشره

أبو شينه . طبع مصر . لم يذكر تاريخ الطبع . ص ١٤ - ٣٠

وقد استطاعت أساليبه مع ذلك أن تسير مختلف الحضارات وأن تسع كل ما
حتاجت إليه حياة العرب من أغراض .

ثالثا : أن نهضتنا الشعرية الحديثة قمت على بهت الشعر العربي القديم
فستطاع شعراء البعث أن يردوا إلى الشعراء الحديثين ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم
على محاكاة القدماء . وأن يثبتوا أن العربية الفصحى ليست قاصرة عن التعبير
عن مشاعرنا وحاجتنا وأحداث عصرنا ، كما أنها لا يستعصى عليها معالجة الفنون
مستحدثة التي لم يعرفها الشعر القديم ، وذلك بما أدخله شوقي من الشعر النميلي
ومطران من الشعر القصصي .

رابعا : وأن الشعراء المجددين لم يخرجوا فيما أحدثوه من تبحر جديد في
موضوع الشعر وقوالبه عن القوانين اللغوية . ملأوا إلى اللغة السهلة التي لا تبعث
كثيرا عن اللغة المألوفة المتداولة ، وانسهولة لا تنهض مع الفصاحة ، فإن أجل
الشعر العربي وأسيره — كما قال أحدهم وهو عبد الرحمن شكري — هو الشعر الذي
لم تتكلف فيه الغرابة

خامسا : وهناك سبب آخر يرجع إلى طبيعة الشعر نفسها . فالشعر لا يقنع
بتسجيل مظاهر الحياة كما هي ، وإنما يرنو إلى المثل العليا معبرا عن أسمى العواطف
والأفكار . والمامية لا تقوى على التعبير عن مثل العليا والعواطف السامية . فهي
تقف دائما عند سطح الحياة تباي مطاب الناس في أحاديثهم وعملاتهم ولكنها
لا تستطيع التحليق إلى آفاقها العالية

الفصل الثاني

في القصة

استطاعت العامية أن تشق طريقها في ميدان القصة والمسرحية وهما من الفنون المستحدثة في أدبنا العربي ، عرفا عن طريق اتصالنا المباشر بالآداب الأوربية في العصر الحديث . ونحن لو تتبعنا اتجاها في كل من القصة والمسرحية لرأينا العامية تسفر كافة مقصودة لذاتها ، وتثير في ظهورها حيرة الكتاب الذين مارسوا استخدامها ، والنقاد الذين اختلفوا في اقرارها ورفضها ، والجمهور الذي انشق على نفسه في تأييدها ومعارضتها .

أما في القصة فقد اتفقوا على أن يكون السرد بالفصحى ، أما الحوار فكان موضوع الخلاف أيكون بالفصحى أم بالعامية ؟ كل ما أثير من مناقشات حول هذا الموضوع لم يحسم الخلاف ، ولكن التجربة وحدها هي التي بنت فيه برأي حاسم . وانتهت بعد محاولات قليلة من كتابة الحوار بالعامية إلى نبذ العامية وإثبات أن الفصحى لا يستعصى عليها معالجة الحوار .

ولكي يتضح لنا ذلك سأعرض نماذج من بواكير اتجاها القصصي الذي كتب حوار به بالعامية ، لأبين المراحل التي مرت بها تجربة ممارسة العامية والنتيجة التي انتهى إليها الأدباء الذين مارسوها .

ولنبداً بقصة « زينب » لـ **أحمد حسين هيكل**

١ - لأنها أول محاولة جادة في تأليف قصة بالمعنى الغربي الحديث

في مصر .

٢ - ولأنها أول قصة استخدم فيها المؤلف العامية في كتابة الحوار .

٣ - ولأن مؤلفها من تلاميذ أحمد لطفي السيد الذي آمن بفكرة المصرية وكرس حياته لتميمها في حياتنا السياسية والأدبية واللغوية ، داعياً إلى التزود من ينابيع الثقافة الغربية .

٤ - ولأنه سار على تعاليم أستاذه فتمثل الثقافة الغربية وخاصة الفرنسية وجاهد في الدعوة إلى خلق أدب مصري قومي . تتضح فيه ذائتنا وكياننا الأدبي المنسقل عن أجدادنا القدماء وجيراننا المعاصرين من العرب .

٥ - ولأن قصة « زينب » جاءت ثمرة إيمانه بفكرة المصرية وولوعه باللغة الفرنسية وآدابها ، كما يصرح بذلك في مقدمته حيث يقول : « لقد كنت في باريس طالب علم - كما ذكرت من قبل - يوم بدأت أكتبها وكنت ما أفتأ أعيد أمم نفسي ذكرى ما خلفت في مصر مما لا تنع عيني من - ك على مثله ، فيما ودني للوطن حنين فيه عذوبة لذاعة لا تخو من حنان ولا تخلو من لوعة . كنت ولوعاً يومئذ بالأدب الفرنسي أشد ولع ، فلم أكن أعرف منه إلا قليلاً يوم عذرت مصر وبضاعتى من الفرنسية لا تتجاوز الكلمات عدا . فلما أكتب على دراسة تلك اللغة وآدابها رأيت منها غير ما رأيت من قبل في الآداب الانجليزية وفي الآداب العربية . رأيت سلاسة وسهولة ورأيت مع هذا كله قصداً ودقة في التعبير والوصف وبساطة في العبارة لا نأتى إلا الذين يحبون ما يريدون التعبير عنه أكثر من حهم ألفاظ عباراتهم . وأختطفني نفسي ؛ لى بهذا الأدب الجديد عندي بحيني العظيم إلى وطني ، وكان من ذلك أن همت بتصوير ما في النفس من ذكريات لأما كن وحوادث وصور مصرية . وبعد محاولات غير

غير كثيرة انطلقت أكتب « زينب »^(١) .

والقصة كما يطالعنا عنوانها « مناظر وأخلاق ريفية » تصور حياة الريف المصرى ومشاهد طبيعته وأخلاق أهله وميولهم وعاداتهم وعقائدهم وأوضاعهم الاجتماعية . أما موضوعها فيدور حول صراع بين الحب والتقاليد ، ويتلخص في أن حامدا أحد أبناء أعيان الريف وهو شاب يتلقى العلم في القاهرة يعود إلى القرية في عطلة السنوية فيلتقى بزينب ، وهى فتاة ريفية جميلة تعمل أجيرة في مزرعة والده . وسرعان ما يقع في حبها وتبادل الفتاة حبا بحب . ولكن الفرق الاجتماعية التى بين أميرة الفتى وأميرة الفتاة تقف عائقا في طريق حبهما فيذهب حامد ينشد الحب عند ابنة عمه عزيزة ، وهى فتاة ريفية محمجة نالت قسطا من العلم . ولكن التقاليد تحول بينه وبين الاتصال بها ، فلم يكدهمهد الطريق للاتصال بها وإطلاعها على حبه حتى فوجئ بخطبتها إلى شخص آخر لم يكن لها يد في اختياره . وعندئذ يدرك حامدا اليأس ، فيترك أهله عائدا إلى القاهرة ساخطا على التقاليد التى صدمته في عواطفه مرتين .

أما « زينب » فتحب ابراهيم رئيس العمال ريبادها ابراهيم الحب ، ولكنها تفاجأ بأبيها يقبل تزويجها من حسن وهو مزارع ميسور الحال . فتدفع الفتاة لرغبة أبيها لأنها لا تستطيع معارضة ، وتقبل مرغمة الزواج من حسن وتعيش معه فى عذاب مبعثه حرمانها من الحياة مع ابراهيم الذى رهبته قلبها ، وسفر ابراهيم إلى السودان حيث استدعى للخدمة العسكرية ، وشعورها من ناحية أخرى

(١) قصة « زينب » . الطبعة الثالثة . طبع مصر سنة ١٩٥٣ المقدمة ص ١١ .

بتقصيرها نحو زوجها الذي منحها الحب والعطف . هذه العوامل مجتمعة كانت سببا في إنهيار صحتها . فسرعان ما وقعت فريسة لمرض السُّل الذي أودى بحياتها .

هذه هي الخطوط الرئيسية لقصة « زينب » ، وفي خلالها عرض المؤلف لوحات بديعة لطبيعة الريف المصري في جميع فصولها : في الربيع والصيف والخريف والشتاء . وفي جميع أوقاتها : في الفجر والظهر والأصيل والمساء . كان منها هذه اللوحة التي وُصف فيها اجلساء على شاطئ الترع في ليلة مقمرة . وفيها يقول : « جلسوا جميعا على جسر التربة مسطوحا تحت النور ، ويديه وبين الماء الذي ينساب وتلوى على سطحه موجاته - لامعا عليهم . عاشق السموات يبدع صورته - يقوم الحشيش الأخضر ناعما بعضه على بعض جوف الليل ومستحما بالماء تحته والنور فوقه . جلسوا يتحداثون وفردو^(١) مامهم بعض فكهة وحلوى مما يأكون . والكور من حولهم ساكن أخرس لا صوت فيه ولا رنين . وكل شئ ممتع بتلك الساعة ظامدة وان بعينه لعين القمر »^(٢)

ورسم صورة الشخصية ريفية ربما دقيقا صادقا ، كتلك اللوحة التي رسم فيها أبا حسن زوج زينب : رأسه الكبير قد ابيض شعره ، وذقنه الطويلة تلمس صدره المفتوح يزينه بصيبه من الشعر الأبيض كذلك ، وعمامة على طافية من صنع ابنته تقوم فوق جبهة مفتوحة خُطت عليها الأيام عدة خطوط غائرة

(١) هذا مثل من تمثيل امرية الذي يقوم على تضيق النصحي بالعامية فكامة « فرد » بهذا المعنى غير عربية ، والسكن كتاب يريد ادخلها في امرية لشيوعها في اللهجة المصرية

(٢) قصة زينب ص ١٧٦

ظاهرة ، وحواجبه الثقيل قد كاد يخفى لونها الذهبي الأصفر تحت غطاء المشيب
تسقط قليلا فوق عيون الغائرة الزرقاء ، وشنبه ^(١) المقصوص تحت أنفه القصير
الحاد يغطى شفاها الرقيقة . وكان من يرى ذلك الوجه المجوز يحسب فيه شيئا
من الدم المغربي . ثم يحمل ذلك كله عنقه الغليظ القصير قام فشوق قفص قوى
عاش كل هذا العمر وقابل الصعاب والمظالم وما مرض يوما ولا عرف الألم ،
ثم بطنه الكبير وسيقانه القصيرة المكسوة خير كساء بشعرها . ولكنه مع ذلك
كله أقرب للرجل الربعة القصير منه للسمين الغليظ . ومع أنه مستور الحال معدود
في بلده من الناس الطيبين فقد جعلته سنة يثبت على ما به وزبه القديم فيقدم
بذلك خير مثل لفلاح اسماعيل والاقدمين . وكل ما هان عليه أن يتنازل عنه
هو أن يستعيز عن ثوب القطن ثوبا من البفتة ، وإن كان زعبوطه ^(٢) هو
الزعبوط لا يعرف ابنة ايان يبتدىء تاريخه ^(٣) »

ووصف حياة الفلاح وعمله الشاق الذي ألفه بطول العهد ، فيقول : « لا
عندما يشير إلى تفوق « حسن » زوج « زينب » في مهنة لزراعة التي ورثها عن
آبائه وأجداده .

« إن تلك المهنة التي يعيش منها ملايين بني وطنه ما هي إلا أشغال شاقة
أخرى بها الأسير المستعبد من الحر العزيز . وتلك الخطى البطيئة يقضى فيها
الفلاح طول نهاره وراء ثورته تحت حر الشمس يلفح الهجير وجهه ولا يتأفف ،
يصب الله عليه النار من أعلى السماء فيلقاها صامتا صاغرا . يروح ويرجع ويرجع

(١) و (٢) - كلمات عامية

(٣) - قصة زينب ص ٦٠

ويروح وراء محراثه أويحني ظهره الساعات الطويلة في نكش^(١) الأرض أويسوخ إلى أفخاذها في تلويحها^(٢) ويممل غدا ما عمله اليوم وبعد غد ما يعمل في الغد ، وإن اتقل فمن شقاء إلى شقاء ويرجع في المساء - إن رجع - إلى بيته مهملود القوى منهوك لا غيا فيطعم زقوما وعلقما ثم يرتى على مهاد ليس أقل خشونة من الأرض التي ينام عليها الدواب وقل أن يجد دثارة . ويحيط به في قاعته^(٣) الضيقة عن يمينه ويساره وفوق رأسه وتحت رجليه الكثيرون من نتاجه وأهله ومن فوقهم سنف واط^(٤) تكاد تصله أيديهم وهم نيام إلى أن تفرج عنهم أيام الصيف فتنبذهم قاعتهم بالعراء . هل هذا كله إلا ذلة شردلة ؟ ولكنه في ذلك ككل إخوانه العمال على ظهر البسيطة . والمصيبة إن تعم تم . وتقادم العهد يعطى الفساد طمأ تألفه الأجيال أبا عن جد ، ويكسر الكذب رداء الحق ، والخضوع والقنوع لباس الطاعة والطيبة^(٥) .

وكان ينقد من وقت إلى آخر عقائد أهل الريف المذمومة وأوضاعهم الاجتماعية البائسة وخاصة في الزواج . وخرج على التكاليد فدعا في صراحة إلى وجوب قيام الزواج على المحبة وعدم إكراه الفتاة على الزواج بمن لا تريد .
لغة القصة :

كتب هيكمل قصته في لغة فصيحة سهلة تقرب من لغة الحياة الريفية ، تنطلق في مدبره وتنمض أوصاف رائعة تنساب في غير جهد ومشته . لكنه حاول أن يصوغ بالصيغة المصرية تحقيقا للدعوة أستاذة أحمد لطفي السيد ، فزج فيها بألفاظ وعبارات عامية وخاصة العامية الريفية . كان ينبغي إليها أحيانا بوضوحها بين

(١) و (٢) ر (٣) و (٤) - اصطلاحات مصرية

(٥) - قصة زينب ص ٨٨

قوسين ، أو يشرحها في الهامش ، وفي كثير من الأحيان كان يتركها تجري مع
الفصيح جنباً إلى جنب كأنها جزء منه . فمن ذلك قوله :

جلست العائلة حول المشنة ص ١٤ وabor الصبح ص ١٤
لمضة خمس شمعات ص ١٠ كارتات معايدة ص ١٦٨
أدوار « الملية » (شرحها المؤلف في الهامش بقوله : تحويل الماء من التربة) ص ١٢
طرد طاب (شرحها المؤلف في الهامش بقوله : احدى الألعاب الريفية) ص ٦٧
البيت (شرحها المؤلف في الهامش بقوله : لباس من الصوف يلبسه
الربى فى مصر) ص ١٤٥
الإسلامية (شرحها المؤلف في الهامش بقوله : آلة موسيقية ريفية) ص ١٤٨

وكان أحيانا يستعمل تعبيرات مصرية توافق الفصحى وتطابقها كقوله :

لقد العجوز صاحباً من أمثاله عجنوا الدهر ونخبزوه ص ١٢٩

حسن قد وجد ساعة غطت الشمس ص ١٢٩

مصروفة منحوسة وبخت مائل ص ١٨٤

هذه الكلمات أو الأساليب العامية التي وردت في لغة السرد كانت قليلة
فلم تطغ على الفصيح .

أما الحوار فقد ساقه بالعامية الريفية ليناسب البيئة التي وردت فيها حوار
القصة ، ولكن المنتع لهذا الحوار يشعر بتخرج المؤلف من كتابته بالعامية . يتضح
ذلك من قصص فقرات الحوار ، لم تكن تزيد عن سطر أو بضعة أسطر قليلة لا في مواضع
قليلة جداً ، وكان أطول تلك الفترة التي دار فيها الحديث بين زينب وأُمها

وهي على فراش الموت ، حيث تسأل الأم ابتها عن حالها فتشكو زينب سوء حالها ناصحة أمها ألا تذكره أخواتها على لزواج بمن لا يرغب في لزواج منه . « حالي زي ما انت شايفه بدى أموت قريب وكه من تحت يديكو . فضات أعيط وأقوالك يامه ما بديش أجوز . تقولى كل الناس أبوهم يجوزهم على غير كيفهم وبعدين يصبحوا ويا جيرانهم زي العسل . انى ويا جوزى زي العسل ما قلتش حاجة ، لكن أدبى حاموت وتخاص العيشة اللي بينا وبين بعض . بكره والابعد حاموت ياما ووصيتكو اخواتى ، لما تيجوا تجوزوا حد منهم ما تجوزهمش غصب عنهم لحسن دا حرام » (١)

ويتضح هذا التخرج أيضا في تردد المؤلف في نشر قصته لأول مرة ، وفي عدم تصريحه باسمه في الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩١٤ قبل الحرب العالمية الأولى تحت اسم « مصرى فلاح »

وقد أشار المؤلف في الطبعة الثالثة إلى هذا التردد وإلى العوامل التي دفعت إلى التלב عليه ، وكان أهمها ظهور فكرة المصرية عقب الحرب العالمية الأولى . وذلك حيث يقول :

« فلما انتهت الحرب وقامت الحركة الوطنية وظهرت فكرة « المصرية » واضحة محترمة ، ثم لما تركت المحاماة إلى الصحافة وشغلت بالتحجير والكتابة ، طلب جماعة من أصدقائي إلى أن أعيد طبع « زينب » ليطلع عليها ناشئة هذا الجيل الجديد وليروا فيها قصة مصرية تصف لهم ناحية من حياة بلادهم وتدلم على صور من الجمال فيها لم يسبق الكتاب إلى وصفها . وترددت في إجابة طلب أسعاني ،

كما ترددت أول مرة في تقديم القصة لطبعتها الأولى ، حتى إذا رأيت الاستاذ محمد كريم يطلب إلى اخراجها على لوحة السينما ثم رأيت بعد ذلك عناية بهذا الاخراج لم يبق للتردد في إعادة الطبع محل ، كما لم يبق سبب لمحو اسمي من الرواية بعد أن كتبت الصحف وعرف الناس جميعا أنها لي ^(١) .

والنتيجة التي كشفت عنها التجربة هي أن «زينب» قد خرجت إلى الجمهور ووجدت منه من رد إليها اعتبارها مما شجع المؤلف على إعادة طبعها والتصریح باسمه . لكن ذلك النجاح الذي أحرزته وقت رواج فكرة «المصرية» والدعوة إلى تعميمها في الأدب واللغة لم يدم طويلا ، فقد رجع الكاتب إلى الأسلوب الفصيح في كل ما ألفه بعد زينب .

قصة «عودة الروح» لتوفيق الحكيم :

قصة « عودة الروح » من تجارب توفيق الحكيم الأولى في التأليف القصصى . يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ١٩٢٧ . بدأ كتابة جانب منها بالفرنسية ثم أعاد كتابتها بالعربية ونشرها سنة ١٩٣٣ في جزأين .

وهذه القصة ثمرة تأثره بالوعي القومي المستحدث في عصره ، والذي كان يسعى لإحياء الآداب القومية إحياء جديداً تتميز فيه الشخصية المصرية . فقد

(١) مقدمة القصة ص ٩ . وهذا التخرج نلمسه عند كتاب آخرين ممن استخدموا العامية .

— منهم محمد عثمان جلال . فهو لم يفصح عن اسمه بل رمز إليه بالحروف الأولى ثم عرج في الروايات التي نقلها عن الفرنسية وكتبها بالعامية .

— ومؤلف قصة « يوسف طوبل الأمر على نظم المواويل الحمر » لم يفصح عن اسمه ولم يرمز إليه .

— ومؤلف رواية « في بيوت الناس » سنة ١٩٠٤ وقعها باسم شاب فقير .

ونلمس هذا التخرج أيضا عند بعض الكتاب الذين دافعوا عن العامية وقت بدء انتشارها فكثيرا ما جاءت مقالاتهم موقوفة باسماء مستعارة مثل « الممكن » و « البديع » .

واصل فيها توفيق الحكيم تقاليد الفن القصص الذي بدأه هيكل سواء من ناحية الموضوع أم من ناحية اللغة.

موضوع القصة : والقصة مستمدة من صميم المجتمع المصري . أجمع النقاد على أنها تحكي حياة توفيق الحكيم أيام طفولته وفي صدر شبابه . ويتأخص موضوعها في أن « محسن » وهو طالب بالتعليم الثانوي يترك أسرته التي تتكون من أم تركية الأصل وأب مصري من أعيان الفلاحين في دمنهور ، ويذهب إلى القاهرة ليلتحق بإحدى مدارسها الثانوية . وهناك يعيش مع أميرة والده وهي أسرة ريفية نزحت إلى القاهرة ، تسكون من أعمامه وهم ضابط متقاعد ومدرس بالإنجليز الابتدائي وطالب جامعي بكلية الهندسة . ومن عمته المانس « زنوبة » التي جاءت تدبر شؤونهم المعيشية ، يساعدوها خادم طيب القلب وفي ، ثم ظهر به حياة لأميرة فتاة جميلة « سنية » ابنة طبيب ضابط متقاعد . فيتميز بها محسن وعمه . كل واحد من هؤلاء لم يستطع نظرها ويثيره . وكان محسن كثيرهم نعمة ورائد بهم . أما عمته « زنوبة » فكانت تسعى لاجتذاب جار لهم لكي تزوجه ، سنية . بالسحرة وانجبهن . . . وفي لجز الثاني من القصة يعود محسن إلى لرفه عطلة نصف السنة . وهناك يدون ذكرياته وشهده . ويعتقد في قلوبهم لمهندس ري انجازي وعلم أثر فرنسي ، ويورد في حوار دار بينهم دفعات قوية باقية عن عرته اللاح المصري . ثم يرجع محسن إلى القاهرة بعد انتهاء عطته وهو شغوم يكون اشتياقا إلى « سنية » ، ولكنه يفاجأ باستعدادها للزواج من جار لهم ، هو نفس الجار الذي كانت تسعى عمته للزواج به . فيصدم محسن صدمة عنيفة في عواطفه بسبب زواج سنية وتلك الصدمة تقوده عن مواصلة دراسته ، وتثور عنه بسبب غيبتها من سنية التي

سلبتها الرجل الذي كانت تسعى لاجتذابه ، فيتعكر صفو الأسرة ويضطرب حالها ولكن عندما تنشب الثورة المصرية ينسى كل فرد من أفراد الأسرة متاعبه الخاصة ويتحدون جميعاً في مثل أعلى هو الجهاد في سبيل الحرية .

هذا هو موضوع القصة وفي خلالها عرض المؤلف آراء اصلاحية اجتماعية واخلاقية .

أما لغتها فتعتبر تجربة واسعة في استخدام العامية . كان الحكيم أجراً من هيكمل في استخدام العامية سواء في السرد أم في الحوار ، حتى طفت العامية على القصة إلا جوانب قليلة منها كتبها بالفصحى . ففة القصة إن أردنا تحديد ها على وجه الدقة هي العامية المصرية .

ففي السرد أبحر لنفسه استخدام الكثير من ألفاظ العامية وعباراته لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات القصة التي يربو عددها على الخمسة وتقع في جزأين فهو مثلاً يصف جاسة لعنة « زنوبة » في خلوة مع نفسها بعد الهرب من الغداء فيقول : « ولثت أنت زنوبة وحدها في البيت لمدة عما يماكر صفو خلوها إلى نفسها . فذهبت إلى سجرتها الصغيرة وتعدت على « الشلثة السكرابي » ساهمة طوال النظر في أوراق « الكوتشينة » التي صفحتها أمامها فوق « الكليم » لأحرار بهت . » (١)

ويقول عندما يروي ذكريات البطل عن راقصة كان لها تأثير في طفولته ، هي « ليبيبة شخام » صاحبة نخت متنفل كانت تزور نزة والده صيف كل عام

(١) - عودة الروح ، تأليف توفيق الحكيم ، الطبعة الثالثة . سنة ١٩٥٥

« أصل الحكاية من الطباخة الحتمية مرضت ذات يوم ، فاقترحت الأسطى
ليبية في جد وإلحاح أن تحمل معها ، وقالت وأكدت أن الطعام الذي يخرج من
يدها لم يذق أحد أشبه منه . وأوصت الجميع بالحذر حتى لا يأكلوا أصابعهم
معه من فرط قوته . وزعمت بأنها في طهي السمك أسطى من الطبقة الأولى . .
وأخيرا الكذبت لها كم طبق وخرجت من المطبخ يتصبب منها العرق وفوطتها
البيضاء يتصبب منها هباب . » (١)

ويقول عندما يصف متهى متواضعا كان «مصطفى» جار سنية يضطر إلى
التردد عليه ليتزود بنظرة من سنية التي استطاع في النهاية أن يظفر بها .

« للمرة الأولى خطر لمصطفى فكرة احتقار تلك القهوة . وإذا هو يفتح عينيه
حواليه وينظر نظرة المتقد المشتم إلى موائد الخشبية وكراسيها القديمة وذلك الصباح
الكبير « الكلوب » المتدلى فوق « يافطة » فدحهاها التراب والزمن ، فلم يبق
من « قهوة النجاح الكبرى » لصاحبها شحاته محمد سوى كلمة شحاته وكلمة
قهوة .. وألقى نظرة شاملة داخلها من خلال العوارض الزجاجية المكسور
أغلبها ، فرأى الزبائن الجالوس وضجيجهم وصوت حجر « الطارلة » و « الضمنو » ،
فدهش كيف أنه استطاع طول تلك المدة الجلوس بجوار هذا المزاج الخايط بين
أفندي ومعمم وملبد ، كما هم من أهل الطبقة الصفري . وإذا صوت المعلم شحاته
يصبح في الداخل « ولعه للشيشة يا جندع » وإذا أحد الصبيان يمر أمامه لا يسا
« العنتري البلدي واللاسة » ، وأبكي يبرهن على رقي القهوة أضاف إلى هذا الزي

(١) - عودة الروح ج ١ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

« فوطه » ووضع في أذنه اليسرى وردة وقطعة من العتر الأخضر . وحانت
من مصطفى التفاته إلى ما فوق المائدة أمامه : الصينية الصفيح وعليها كوب
مرسوم عليه أزهار ملونة محاها كذلك القدم وكثرة الغسيل ، ثم زجاجة « سباتس »
المرعومة . فأيقن أنها قهوة « شاق » صحيح ، ولكنه ذكر قرب القهوة من منزله
فأدرك سبب اختلافه إليها ^(١)

وكان الحكيم أثناء السرد كثيراً ما يستمد تشبيهاته من البيئة المصرية دون
أن يمس سلامة اللغة ، وهذا ما لا يعترض عليه أحد ، لأن الأديب مرآة
بيئته ، ولا حرج عليه أن يسجل ما تمليه عليه البيئة من صور وتشبيهات مادام ذلك
في حدود مراعاة الأصول اللغوية . فمن أمثلة ذلك قوله :

« كانت زنوبه تسير أمامه مجسماً المهز المترنح في تؤدة وتمهل
كأنها المحمل » ^(٢)

وقوله : « جاءهم مبروك يجرى ويفمز بعينيه مشيراً إلى حجرة زنوبه قائلاً إن عندها
ضيوفاً وفيهن ضيفة ثم قبل أطراف أصابعه » ^(٣) (كناية عن الإعجاب)

وقوله : « واصطف عم مصابيح الغاز على جانبي الطريق الموصل إلى المنزل كأنه
طريق الكباش الموصل إلى معبد الكرنك » ^(٤)

وقوله : « وكانت السميمة من المتحمسات يحطن بالتخت كما يحيط الهلال بالنجمة
فوق العلم المصري » ^(٥)

(٢) - عودة الروح ج ١ ص ٦٠

(٤) - « » ج ١ ص ١٥٧

(١) - عودة الروح ج ٢ ص ١٢٦

(٣) - « » ج ١ ص ١٠٠

(٥) - « » ج ١ ص ١٦٨

وقوله : « و تقدمت شغلح حتى بلغت منتصف الصلة وهي ترقص بجسدها
الذين الرشيقي ووسطها يلعب كأنه قد من الملبس^(١) » .

وقوله : « أخذ مجلسه أمامه منتفخا كالديك^(٢) »

أما الحوار فقد ساقه بالعامية ، وأطال فيه حتى كان الحوار في بعض
المواقف يستغرق صفحات بأكملها . يقف المؤلف خلالها ، وقفه في حجرة يصف
المسكن أو الشخصيات ليهيء للقارئ معرفة الجو العام له . كما فعل في
وصف زيارة العمة « زائبة » العانس لبيت المنجم الشيخ سمعان الذي أرادت
أن تستعين بكراماته على اجتذاب جار لها كانت تسعى للزواج منه . بدأها
بوصف موجز لحجرة الاستقبال في منزل الشيخ سمعان ، ثم ساق حواراً طويلاً
بين زائبة وإحدى لوات ، حتى إذا جاء دور زائبة وصفت بيتها ليصف
حجرة الشيخ سمعان ثم أخذ ساق حواراً طويلاً بين زائبة و
زوج الشيخ سمعان الذي كان قد أتوه بطور لوسيلة بين الشيخ و زائبة
ساعات المعجوز بصوت متزن خافت

شاورت نفسك ؟

فسكنت زائبة لحظاً ثم تحت في تردد .

أيوه . لكس بس . . .

فقطبت المرأة بينهم الذي تكاد تخفيه قمطه لمديل الكحل ثم قالت

لكن بس إيه ؟

(١) - عودة الروح ج ١ ص ١٧٠ (٢) - عودة الروح ج ٢ ص ١٢٧

فأجابت زنوبة في خجل

جنيه ... غالى ...

فرسمت المرأة على شفيتها ابتسامة احتقار وقالت

غالى .. جنيه واحد غالى .. علشان اللى فى بالك تنوليه ؟ أمال لو كنت

قلت لك خمسة جنيه زى الست اللى لسه خارجة قبالك .

فقلت زنوبة بصوت خافت

والله لو كنت غنيه ما كنت أتأخر ...

فقلت امرأة الشيخ في رفق

صلى على النبي يا أخو .. بيتي فكرة الملوس دي أنا طلائعها الفدى ؟ فافكرة

دي حمة زينة تدخل حيا .. أبدا وجوة راسك . احنا ش محتجين بعض

اشمر . يا مال يا ختى ربحك نشترى لك به اسم الله عليك

خروف . ش من ميراث دة . ونرجحه على اسمك هنا على ابوب دة ندهر

العتبه بدمة . ش بركة الأسياذ اللوسا عينا يفتح لك باب السند والله

فندق .. جنة لكلمين الأخيرتين . وخفضت نظاردها نظرة في

حياء ثم عادت نظرها .. كينة ، فاخرجت منديلها من صدرها وقالت عفا ،

طرفه ويا وانا سانة من بين قود أخرى بامدبل ووضعتة على الحوز الصغير

يد مر مجفه وهي تقول :

بس خروف ؟ مفيش حجاب ولا حاجة ؟؟

فأجابت امرأة الشيخ وهي ترمق الجنيه على الخوان بطرف عينا :

'أمال يا ختى أمال . حجاب ونخور وتبييت أتر . اذا عارفة بنخورك ماتخافيش

فسيوخ وشبة وجنارة وعثروت وفرارة ورمش عين الجان . لازم لك حجاب
تلبسيه دايما ولا تقاعيه أبدا . حاكم إنت اسم الله سلطاني دقنك خفيفة . اصبري
كمان ما أسأل لك الشيخ

وقربت فمها من السكوة أو الباب الذهبي ووددت

ياشيخ سمحان

وعندئذ سمع صوت ضعيف كأنه جثة مقبوره في يوم الحشر ينبعث خافتا
من أعماق الضريح المظلمة فالتفتت المرأة إلى زنوبة بسرعة وسألها
قولي لي قوام اسمك واسم أبوك وجدك ؟

فردت زنوبة على عجل

اسمي زنوبة بنت رجب بن حمودة ..

فمادت المرأة إلى الضريح وصاحت

ياشيخ سمحان .. اسمها زنوبة بنت رجب بن حموده

وسادسكون هائل عميق دام لحظة .. ثم فجأة .. عاد ذلك الصوت الضعيف
البعيد غير الجلي ، وأصقت المرأة أذنها على الباب الذهبي وجملت تنصت بانتباه
وأخذت زنوبة في اهتمام تتبعها بهيون تنم عن صبر نافذ ، وقدمت عنقها ووجهت
أذنيها هي الأخرى عليها تسترق بضع كلمات . ولم تلبث المرأة أن فرغت وتركت
باب الضريح وأقبلت على زنوبة تفضي إليها بالنتيجة .

اسمعي الشيخ يقول عايز أتر من شعره .. بس على شرط يكون من صحن
الرأس عند مفرق الشعر ، فقدمت زنوبة بصوت خافت في خجل واضطراب

شعره بين؟؟

فنظرت إليها المرأة في خبث وقالت
شعر مين ؟ شعر اللي في بالك
قدمدمت زنوبة مرددة وكأنا تقول لنفسها
أتر من شعره ؟
فأضافت امرأة الشيخ مؤكدة

من صحن الرأس عند مفرق الشعر . إياك تنسى . إن كنت شاطرة قولي
للزين اللي بيحلق له واغمزيه يجيب لك طلبك . اسمعي كان يا اختي • الشيخ
بيقول يلزم لك كان قلب هدهد يتيم .
فسألت زنوبة مستفسرة بصوت ساذج
قلب هدهد ؟

فقالت المرأة مؤكدة
يتيم . قلب هدهد يتيم . أوعى تنسى
فسألتها زنوبة

وبس خلاص ؟

فأجابتها امرأة الشيخ

هاتى دول الأول . الحجاب المعمول من دول عمره ما يجيب . الشيخ قال
من تحت ، وهو أعلم بالسرو والسكرامة . كل من كان راجل ولا حرمة لبس
دى الحجاب يصبح يلقي اللي في باله تحت رجله .
فاقتنعت زنوبة وتورد وجهها ^(١) .

وهكذا أطال الحكيم في الحوار مما دعاني إلى اعتبار لغة القصة عامية مع أن السرد كان بالفصحى ولكنه كما يأت قد أقامه بالعامية .

النتيجة التي كشفت عنها التجربة :

أولاً . أوقفنا الحوار في هذه القصة على مفارقات عديدة في العامية :

١ - فالعامية تتغير في الحى لواحد من أحياء القاهرة بسبب اختلاف الأسر التي تسكن هذا الحى . أسرة نشأت في القاهرة وواصلت فيها حياتها ، فلهجتها هي اللهجة القاهرية (أسرة سنية) . وأسرة نزحت إلى القاهرة من لوف ، فهي تمزج اللهجة القاهرية باللهجة لريفية (لأسرة التي عاش فيها محسن بطل القصة) .

ب - والعامية تتغير في الأسرة لواحدة بسبب اختلاف جيل كل فرد من أفرادها واختلاف حظه من العلم . ففي أسرة « سنية » نجد لغة الأم تنزل إلى مستوى شعبي فيتردد في حديثها مثل هذه الألفاظ (السخامة البوضة (ص ٩١) في عين العدو (٩٥) ٠٠) وسنية ابنها تكثر من استخدام الألفاظ الأجنبية الشائنة ، مثل (مرسى أو بونجور وبنسوار واوروفوار .. الخ) أما الأب وللسنية الدكتور حتى الضابط المتقاعد فهو في حديثه يقترب كثيراً من الفصحى . يتضح ذلك في الحوار الذي دار بينه وبين أصدقائه الموظفين بالمعاش ، عندما كان يروي لهم ذكرياته في السودان حيث كان يعمل طبيباً بالجيش (ص ٣٤٩) .

وفي أسرة محسن نجد لغة « زنوبة » الريفية الجاهلة غير انغمست في لغة المتعلمين . نسمع منها الخبص وخبص ، النبي باسم عليه ، يا دلعدي ، يا زدمه ، رجلى فلانتي خباص) كما نورد الباب على أمه أقوالاً بذيئة فحشة ، مثل (بيت الدكتور

حلمى أبو ... (ص ٨٢ ج ٢) (بيت سنية ... ص ٨٢ ج ٢) (مصطفى قلب البيت ... ص ١١٢ ج ٢)

ج - والعامة تتغير باختلاف المهن ، فلكل مهنة اصطلاحات خاصة بها .
فقد أطلعنا الحكيم على لغة عمال المقاهى (ص ٥٢ ج ١) ولغة السحرة والمنجمين (ص ٦٧ ج ١) ولغة الخوذية (ص ٧٣ ج ٢) ولغة الباعة فى الأسواق (ص ٦٤ ج ١) ولغة طائفة « العوالم » (ص ١٤٤ - ١٧٣ ج ١) ... الخ .

ثانيا : لم تستطع العامة معالجة القضايا المهمة التى تعرض إليها المؤلف خلال القصة ، مما اضطره إلى استخدام الفصحى فى بعض مواقف الحوار ، وذلك فى دفاعه عن الفلاح المصرى فى الحوار الذى ساقه بين الزائر الفرنسى « عالم الآثار » والزائر الانجليزى « مهندس الرى » اللذين أقام لهما والد محسن - بطل القصة - مأدبة غداء فى منزله (١) .

ثالثا : رجوع الحكيم إلى الفصحى عندما لمس عجز العامة عن التعبير عن الأفكار العالية ، فكتب بها قصته « عصفور من الشرق » التى تعتبر تكملة لقصة عودة الروح وتؤلف معها حياة توفيق الحكيم (٢) .

لم تنته تجريبه الحكيم فى استخدام العامة عند قصة عودة الروح ، فقد قم بها فى أقصر قصة « العوالم » وهى من تجاربه الأولى فى التأليف القصصى ، إذ

(١) انظر الحوار فى عودة الروح ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠

(٢) « عصفور من الشرق » تأليف توفيق الحكيم . طبع القاهرة ١٩٢٨ وهى تصنف حياة « محسن » - وهو توفيق الحكيم نفسه - فى فرنسا ، وتشير إلى اصطدامه بألوان من الحياة الغربية الواقعية ، فيها يعقد المؤلف مقارنة بين الشرق والغرب ويبين محاسن كل منهما وعيوبه

يرجع تاريخ تأليفها إلى السنة نفسها التي ألفت فيها قصة « عودة الروح »
(١٩٢٧)^(٢) . وقام بها أيضا في تأليفه المسرحي الذي وجه إليه معظم جهوده
ولذلك ستكون لنا وقفة أخرى مع توفيق الحكيم عندما نتكلم عن المسرحية .
ونبين ما قيل في لغتها من آراء ، وما أجرى في ميدانها من تجارب كان للحكيم
أكبر نشاط فيها .

(١) نشرت أقصوصة « العوالم » في كتاب أهل الفن ، تأليف توفيق الحكيم .
طبع القاهرة ١٩٣٤ .

وهي تصف حركات تحت متنقل كان لصاحبه أثر كبير في حياة المؤلف ، ولذلك جاءت
القصة مهداة إليها « حيث يقول المؤلف في المقدمة » إلى الأسطى حميدة الاسكندرية أول
من علمتني كلمة الفن »

الفصل الثالث

في الأقصوصة

ننتقل بعد ذلك إلى القصة القصيرة « الأقصوصة » لأن لكتابها مواقف في قضيتنا . نقتصر على عرض موقف اثنين من كبارهم هما : محمود تيمور ، و ابراهيم عبد القادر المازني .

أقاصيص محمود تيمور

استخدم محمود تيمور المامية في محاولاته الأولى في تأليف الأقصوصة ، وكان متأثراً بأخيه محمد تيمور في نزعته إلى خلق أدب مصري وفي اتباعه للمذهب الواقعي . فجاءت محاولاته الأولى ثمرة تعاليم أخيه التي آمن هو نفسه بها وصار من دعايتها . ولقد اعترف في مقدمه مجموعته القصصية الأولى « الشيخ جمعه » ١٩٢٥ بأنها محاولة لخلق أدب محلي مصبوغ بالصبغة المصرية ، وذلك حيث يقول « إني لا أنجح فأقول إن هذه المجموعه بلغت درجه الكمال الفني والكتابي ، بل اعترف لك في صراحه أنها محاولة مني لاجاد أدب محلي مصبوغ بصبغة بيئتنا المصريه »^(١)

كما أنه دعا الكتاب والقراء إلى تشجيع الأدب المصري القصصي قائلاً : « عار علينا ونحن في بدء نهضتنا أن لا يكون لنا أدب مصري يتكلم بلساننا ويمهر عن أخلاقنا وعواطفنا ويصف عوائدنا ويبتنا أصدق وصف ، هذا الأدب

(١) -- الشيخ جمعه وأقاصيص أخرى . تأليف محمود تيمور . الطبعة الثانية طبع القاهرة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م تحتوي على مقدمة الطبعة الأولى والثانية ص ٤-٥

في نظري أهم شيء يجب أن نتفت إليه ونعيده مجودنا الكبير في نهضتنا الجديدة
لأنه المرآة الصادقة التي تنمكس عليها صورتنا الحقيقية ، بل هو أكثر من ذلك ،
هو كل شيء يمثلنا جسما ونفسا وعواطفنا ، هو نحن لا أقل ولا أكثر ، في الأدباء
عامه من فتيان وشيوخ أوجه ندائي هذا صارخا من أعماق قلبي : أن تألبوا على
بهاض ذلك لأدب الجديد ، وادخلوا غمارة قارئين ومؤلفين . . . وارزوا في
الميدان مئات وآلاف حتى لا نستحي إذا ما ذكرنا مؤلفينا القصصيين وعددهم
على أصابعنا ؟ وإذا ما أردنا أن نتكلم عن أدبنا المصري القصصي لا نقف واجبين
لا نحير جوابا . يجب عليكم أن تثبوا إلى الميدان زرافات زرافات ، ولتحمّلوا
« عام المصريه » الخفاق إلى الأمام دائما وأبدا » (١)

وأكد في مقدمة هذه المجموعة أيضا إيمانه بالمذهب الواقعي ، شارحا
حقيقته ، داعيا إلى افراح الطريق أمامه حتى يأخذ مكائده التي يستحقها ، وذلك
حيث يقول « إن أصحاب هذا المذهب يعدون من واجبههم الحق الانصاح عن
كل ما في الحياة بلا غلو أو إجحاف ، فالزذيلة في عرفهم يجب أن تعرض بقدراتها
والفضيلة يجب أن لا يغالى في تنميتها . فالأدب للأدب والفن للفن . والمذهب
الواقعي في الكتابه مذهب جري لا يرحم . يكشف الحقيقه عن الحياة مهما كانت
قاسيه ، ويرضا للناس عارية كما هي لا كما أراد بعضهم أن يجعلها ، لأن الكاتب
لواقعي يكتب عن حقائق موجوده لا عن أمور خياليه ليست إلا في مخيلته . فمذهب
كهذا يجب أن يقابل بالترحيب ، لأن العيوب إذا ظلت خافيه كبرت واستعصى
على الناس استئصالها ، وقذارة الحياة إذا ظلت مستورة خلف ستار كاذب يبالغ
بمض الكتاب في تلوينه بالألوان الزاهيه تعفنت وعم مصابها . فواجبنا أن

نفسح الطريق لهذا المذهب بينما ليأخذ مكانته التي يستحقها . فنحن في حاجة لمن يصدقنا القول عن حياتنا ونفوسنا مهما كان القول شديدا ومرا ، لا من يصوغ لنا الأوهام الكاذبة عن بيئتنا فيقدمها لنا جميلة خداعه تدخل الغفلة على أنفسنا وما أحسن ما قاله الكاتب الفرنسي الشهير « إميل زولا » حينما عاب عليه بعضهم شدة تمسكه في كتاباته بالمذهب الواقعي حيث قال « نظفوا بيوتكم أنظف قلبي » (٢) فالرغبة في خلق أدب مصري والتمسك بالمذهب الواقعي كانا هدف محمود تيمور في بدء إنتاجه القصصى ، فى القصة والأقصوصة والمسرحية ، وخاصة فى الأقصوصة التى نحن بصدد الكلام عنها ، والننى تفرق فيها تيمور تفوقا كبيرا حتى أصبح بحق رائدها الأول فى مصر .

ظهرت محاولاته الأولى فى تأليف الأقصوصة رهى التى استخدم فيها العامية سنة ١٩٢٥ ، فى مجموعات أربعة ، كل مجموعته فى كتاب يحمل اسم الأقصوصة الأولى ، وهى : « الشيخ جمعه » ، « وعم متولى » ، « والشيخ سيد العبيط » ، « ورجب افندى » .

وقد استلهم تيمور مادة هذه الأقاصيص من البيئة المصرية فى الريف والمدينة . فصور حياة الشعب المصرى فى مختلف طبقاته وخاصة الطبقتين الدنيا والوسطى « فالشيخ جمعه » خفير فى ضيعه المؤلف ، و « الشيخ سيد العبيط » مزارع أصيب بالبله اثر حادث فاعتقد الناس أنه ولى ، و « عم متولى » بائع متجول و « أم الخير » خاطبه ، و « أم ريان » عجانه وكان يبدأ كثيرا من هذه الأقاصيص بوصف مسهب للبطل أو الأبطال : وصف أشكالهم ومظهرهم وملايسهم

وخلفهم وعاداتهم وتاريخ حياتهم. وكان يعرض خلال أقاصيصه مشاكل المجتمع: مشاكل الأسرة والطلبة والموظفين والسيدات والفتيات والشباب، ومشاكل أخرى تتعلق بالمعتقدات والعادات.

وانتجه تيمور في كتابه أقاصيصه هذه إلى العامية. فافترض منها في لغة الوصف الفصيحة، وأجرى بها الحوار، لأنه كان يرى كما صرح في مقدمة مجموعته القصصية الأولى «الشيخ جمعه» (١٩٢٥) أن لغة الحوار في الأقاصيص يجب أن تختلف عن لغة الكتابة اختلافاً يزيد أو يقل حسب ما تستلزمه الحقيقة ويتطلبه الواقع. لكنه لم يلبث بعد عدة تجارب استخدم فيها العامية أن عدل عن العامية إلى الفصحى، لأنه لمس تناقضاً في استخدام لغتين واحدة للوصف (الفصحى) والأخرى للحوار (العامية).

وقد أشار إلى هذه النتيجة التي خرج بها من ممارسته للعامية في كتابة الحوار في الطبعة الثانية لتلك المجموعة (١٩٢٧)، حيث يقول في مقدمتها:

«كان في عزمي أن أعيد نشر مقدمة الطبعة الأولى بنصها من غير تصليح والكنني أرتأت أخيراً أن أدمجها في مقدمة هذه الطبعة فيكون الكتاب مقدمة واحدة عرضاً عن مقدمتين، إذ وجدت في المقدمة السابقة بعض آراء لي اعتقدت بخطئها اليوم، فرأيت الفرصة سانحة لحذفها وإقرار صحتها. وليس في تغيير الرأي من عيب، إنما الأصرار على الخطأ هو العيب كله. فاعادة نشر رأيي لا أعترف بصحته الآن ليس بأعمل الصائب. والمؤلف مادام حيافله كل الحق في تغيير ما يريد تغييره في طبقات كتبه مما لا يتفق وآراءه الحالية. لذلك أخذت على عاتقي أن أصلح في طبقات كتبي الجديدة التي ستظهر بالتتابع عد هذا كل

ما أجده لا يتفق وآرائى الحالية ، وبذلك أكون قد أرضيت ضميرى ،^(١)
وكان من هذه الآراء التى اعترف بخطئه فيها وعدوله عنها رأية فى وجوب
كتابة الحوار بالعامية ، وذلك حيث يقول : « كنت مقتنعا أولا أن لغة الحوار
(أى الأحاديث) فى القصص يجب أن تكتب باللغة العامية ، لأن ذلك أقرب
للواقع فى الحقيقة . وقد كتبت فعلا حوار كثير من أقاصيصى بهذه اللغة ، ولكننى
عدت فعدلت عن هذا الرأى بعد تجارب عديدة دلتنى على خطأ فكرتى .
فلهأوية موحودة بين اللغتين ، فإذا استعملناهما معا جنباً لجنب واحد للأوصاف
والأخرى للحوار وجدنا تناقرا فى الكتابة يكاد يكون ملموسا يصدم القارئ . عند
انتقاله من لغة إلى لغة . ولا يوجد هناك إلا واحد من أمرين ، وهو إما أن
نكتب كل القصة باللغة العربية أو كلها باللغة العامية لنقضى على هذا التباين الشاذ
ونحل محله الألفة والتناسب . وبما أن اللغة العربية هى لغة الكتابة وجب علينا
إذن أن نكتب القصة جميعها أوصافها وحوارها باللغة العربية . ويجب على الكاتب
أن يتوخى فى كتابه حوار السهولة ما أمكن . ولا حرج عليه إذا استعان ببعض
ألفاظ أو بعض جمل صغيرة عامية إذا اضطرته الحالة لذلك . وهذا ما اتبعه الآن فى
كتابأتى القصصية الجديدة ، وعلى هذا النمط أخرج طبعاتى الثانية ، وألغأتى^(٢)

وقد سألت محمود تيمور عن أسباب أخرى قد يكون لها أثر فى عدوله عن
العامية واتجاهه إلى الفصحى ، فأكد لى أنها التجربة وحدها . استخدم العامية
عندما كان كاتباً مبتدئاً يحاول أن يتعرف طريقة فى ميدان القصة ، ويجرى فى
حلقها مختلف التجارب باحثاً عن أسلوبه المكتتبى فيها وعن أصالح الأدوات اللازمة

(١) - الشيخ جمعه ص ٢ - ٤

(٢) - المرجع نفسه ص ١٤ - ١٥

له . وعُدل عن العامية إلى الفصحى بعد عدة تجارب دلته على قصور العامية عن التعبير الأدبي ، كان آخرها قصة كتب حوارها بالعامية وكان طويلا ، فلما راجعها وجدها عملا سخيلا مضحكا ، فأبى أن يقدمها إلى الجمهور ، وحرص منذ ذلك الحين على الكتابة بالفصحى .

فالتجربة وحدها كما صرح محمود تيمور هي التي وجهته نحو الفصحى ، وبالتجربة مرنت له الفصحى حتى وسعت كل المعاني التي طرقها في أقاصيصه المتنوعة بل وفي إنتاجه القصصي كله ، ولذلك فهو حريص على الكتابة بها حتى يومنا هذا .

ولقد بلغ من شدة حرصه على الكتابة بالفصحى أنه رجع إلى بعض أقاصيصه الأولى التي كتبها بالعامية فأعاد كتابتها بالفصحى ، مثل : أقصوصة الشيخ جمعه وعم متولى والأجرة ويحفظ في البوستان وسبب تعارف ، وأقصوصة « الشيخ سيد البيط » التي أعاد كتابتها تحت اسم « ضريح الأربعين » ^(١) وأقصوصة « أبو على عامل أرست » التي أعاد كتابتها تحت اسم « أبو على الفنان » ^(٢)

ومحمود تيمور إن كان قد صرح بعدوله عن العامية منذ وقت مبكر أى في (١٩٢٧) فإنه لم يستطع أن يتخلص منها دفعة واحدة وإنما كان ذلك تدريجيا فقد استخدمها بقدر ضئيل في مجموعته القصصية « الحاج شلبو » التي ظهرت سنة ١٩٣٠ وفي مجموعته « أبو على عامل أرست » التي ظهرت سنة ١٩٣٤

(١) - نشرت هذه الأقاصيص بعد تهذيبها وكتابة بعضها من جديد في مجموعته القصصية « الوثبة الأولى » طبع القاهرة سنة ١٩٣٧ .

(٢) نشرت هذه الأقصوصة في مجموعة تحمل اسمها « أبو على عامل أرست » سنة ١٩٣٤ ثم أعيد طبعها في مجموعة تحمل اسمها الجديد « أبو على الفنان » وقصص أخرى . طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ (سلسلة اقرأ) .

ثم استطاع بعد أن دانت له الفصحى وملك ناصيتها أن ينبذ العامية نبذا تاما سواء
في السرد أم في الحوار . يتضح ذلك من مقارنة نصوص من أقصوصته « أبو
على عامل ارتست » في طبعتها الأولى سنة ١٩٣٤ وبعد إعادة طبعها سنة ١٩٥٤
تحت اسم « أبو على الفنان »

ويتلخص موضوع « أبو على عامل ارتست » في أن يطلها حسن عبد الكريم
« أبو على » كان فتى يتيمًا كفله عمه منذ نعومه أظفاره ، وقام بتربيته وتعليمه
حتى وصل إلى السنة الرابعة الابتدائية ، ثم ألحقه معه للعمل في حانوت البدالة
الدى كان يملكه ، فاقبل الفتى على عمله الجديد يؤديه خير أداء ، ولكن الظروف
ساقته إلى التعرف بفتى يدعى عبد الواحد ممن لهم صلة بدور التمثيل ، فأخذ
يقص عليه أخبار المسارح والروايات والممثلين ، ويعيره الروايات المطبوعة أو
المنسوخة ومقالات الصحف التي تتعلق بالتمثيل فكان حسن يقرأها في لذة كبيرة
نم زين له هذا الصديق مشاهدة التمثيليات ودعاه إلى مشاهدة رواية « الممثل »
فلبى حسن دعوته بعد أن استأذن له صديق عمه ليسمع له بمشاهدتها . فكانت
مشاهدة حسن لهذه الرواية نقطة تحول في تاريخ حياته . خرج من مشاهدتها
وهو أشد ما يكون تعلقا بالتمثيل ، تعلقا بلغ به حد الهوس .

فأهمل عمله في حانوت عمه ، وصار يقضي نهاره في استذكار الروايات والتمرن
على إلقائها وتمثيلها ، ويقضي ليله في التردد على المسارح معتقدا أنه خلق للعمل
على المسرح لا للعمل في حانوت بدال . ضاق العم ذرعا بتصرفات ابن أخيه ،
فأخذ يعاتبه في لين تارة وفي عنف تارة أخرى ، ولكن ذلك لم يجد في صرف
حسن عن هوايته للتمثيل التي كانت تعتبر حتى ذلك الوقت بدعة يأنفها الناس
في مختلف طبقاتهم حتى الطبقات الدنيا . وتحول العتاب مرة بين حسن وعمه إلى

مشاجرة انتهت بخروج حسن من منزل عمه . النحى حسن بعد انفصاله عن عمه
بفرق تمثيلية متقلبة ، لم يستقر في واحدة منها بسبب غروره وتدخله في دوائر
اختصاص الآخرين ، وسرعان ما وجد نفسه متعطلا لا يجد قوت يومه . وفي
ذلك الوقت مرض عمه حتى أشرف على الموت ، فنصح حسن صديقه عبد الواحد
الذي حُبب إليه التمثيل بالرجوع إلى عمه المريض والاعتذار إليه لكي لا يحرمه
من ميراثه ، هذا الميراث الذي ربما ساعده على تحقيق مشاريعه في النهوض
بالتمثيل . صادقت هذه الفكرة قبولاً من حسن ، فرجع إلى عمه معتذراً وقبل
العم اعتذاره وغفر له ، وبعد أيام قليلة لبى العم نداء ربه

أصيب حسن بعد موت عمه بهوس جديد ، هوس التعبيد والاعتقاد بأن الله
اختاره لهداية الناس ، فأقام المساجد واعظا يدعو الناس إلى اتباعه . فلما قوبلت
دعوته بهجوم عنيف ، رجع إلى هوايته الأولى « التمثيل » وباع الخانوت والمنزل
الذين ورثهما عن عمه وشيد مسرحاً للتمثيل . وفي ليلة فتاح لمسرح احتك
بالمفرجين الذين قبلوه في تهكم وسخرية ، فشتمك معهم في عراك شديد انتهى
بحرق المسرح ، وباحتراق المسرح فقد حسن كل ثروته . طرق أبواب العمل المختلفة
فوجد موصداً لوجهه . فماش عالة على زوجة عمه في عزلة عن الناس سجين حجرة ضيقة
يحلم بمشاريعه العظيمة ساءت صحته بذلك بسبب مرض السل الذي أنهك جسمه .
وبسبب المشاريع الوهمية التي أرهقت ذهنه . هذه الملل الجسمية والنفسية
أفضت به إلى الموت ، فلفظ آخر أنفاسه وهو يفضي إلى صديقه عبد الواحد
بمشاريعه العظيمة التي يحلم بها لا نهض فن التمثيل .

هذا عن موضوع الأقصوصة . أما لغتها فيتضح من المقارنة بين طبعيها القديمة

والجديدة مدى ما قام به المؤلف من تهذيبها وتخليصها من العامية سواء في الوصف أم في الحوار .

ففي الوصف نجده يستعمل في الطبعة الثانية (حانوت يدال) بدل (دكان بقل) في الطبعة الأولى ، و (ترويجة الفصل الأول) بدل (استراحة الفصل الأول) ، و (ويشد جلدة وجهه ولا يزال يغضنها لكي تنكمش) بدل (ويشد جلد وجهه ويثنيه على بعضه ليعمل على كرمشته) .

أما الحوار فنقتبس منه موقفين لنرى كيف أداه تيمور في الطبعة الأولى ، وكيف عدله وهذبه في الطبعة الثانية .

في الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ يجري الحوار هكذا بين حسن عبد الكريم « أبو علي » وعمه عندما عاتبه هذا الأخير على إهماله عمله وانصرافه إلى التمثيل الذي لم يكن يراه جديرا بالاعتبار .

أنت لم تفهمني يا عمي ولا مؤاخذه

كيف لم أفهمك يا حسن . أنا فاهمك للغاية .

إذا كنت فاهمني فلماذا تحتقر أقوالى وأفعالى ؟

لأننى أقوال وأفعال مجازين .

يا عمى أنا أرتست والله أرتست .

وما هو الأرتست يا حسن ؟

ووجد حسن عمه في حالة تسمح له أن يتفهم معه فقال :

الارتست يا عمى هو الممثل الفنان . . . هو الشخص العبقرى .

فلم يكذب يتم جهلته حتى بصق الشيخ مبروك في وجهه محمدا وقال :

لعنة الله عليك وعلى أيامك... أتتجاسر أن تقول أمامي بأنتك (مخصاتي)
ثم نفت إلى زوجه وقال لها .

انظري ياستي واءجبي . هذا الذي كان ينقصنا على آخر الزمن . إن حسن
يتباهى بأنه مخصاتي

وسألت لزوجته زوجها قائلة :

وماهو المخصاتي يا أبو خليل ؟

المخصاتي ياستي^(١) لا أكثر ولا أقل

فأحمر وجه حسن وقال محتجاً

ما هذا الكلام يا عمي . هذه إهانة كبيرة .

إذا ما هو المخصاتي ياسي حسن ؟ أليس هو الشخص الذي يصبغ وجهه
بالأحمر والأبيض ويكحل عينيه ويلبس البنطالونات الضيقة ويمشي في التراترو^(٢)
بتموج ويرقص .

وضربت الزوجة بيدها على صدرها وقالت :

ما هذه الخيبة يا حسن أتقبل على نفسك أن تكون من هؤلاء الناس^(٣)

(١) كلمة غير مبنية .

(٢) أشار تيمور في أقاصيصه إلى كثير من مثل هذه الألفاظ الدخيلة التي حارفها العامة
مثل (المورانزم) (براوة)

(٣) أبو علي عامل امدست وأقاصيص خري (١٩٣٤) ص ١٢٨ - ١٢٩ - ونلاحظ
أن هذه الأقصوصة بالصورة التي هي عليها جاءت بعد تنقيح وتهذيب ، فقد أشار المؤلف في
مقدمتها إلى أنه كان قد نشر القسم الاول منها في البلاغ اليومي سنة ١٩٣٧ ، ونشرها بأكملها
في السياسة الأسبوعية سنة ١٩٣٠ ولكنه لما فكر في إعدادها مطبع في كتاب مستقل سنة ١٩٣٤
أخذ ينقحها حتى أصبحت في شكلها الحالي تختلف اختلافاً بينا عما كانت عليه من قبل .

وينجى هذا الحوار نفسه فى الطبعة الثانية (١٩٥٤) هكذا :

إنك يا عمى لا تعرف قدرى . . . إنك لا تفهمنى

كيف لا أقدرك ولا أفهمك ؟ . . . أنا مقدر وفاهم كل الفهم

ولما اذن تنكر على ما أعمل ؟

أنت فى ضلال . . . أنت مجنون

يا عمى أنا فنان . . . أنا «أرتست»

ففغر الرجل فاه يقول :

أى شىء هو «الأرتست» يا بنى ؟

فأخذ الفتى لنفسه سمى المعلم يشرح لطلابه مغمض من المسائل وأجاب بقوله :

الأرتست يا عمى هو الممثل . . . هو من أوتى موهبة الفن وعبقريته

التشخيص . . . فلم يؤكد يتم جماعته حق عاجله الشيخ « مبارك » ببصقة

توسط وجهه ، وقال له محمدا الفبرات

لعنة الله عليك وعلى فنك

وجنح إلى زوجته يقول :

انظرى واعجبى . . . ذلك ما كان ينتظرنا . . . هذا حسن يتباهى أمامنا بأنه

أحسن التمثيل وأصبح فى زمرة المشخصين

ورددت لزوجته قولها فى تساؤل

المشخصين ؟ . . . المشخصين ؟

فأجابها الزوج يقول

أجل . . . هؤلاء الرقماء الخلعاء الفاسدون

فغضب حسن للفن وقال يحتج

ماذا نقول يا عمى ؟ هذه إهانة . . .

وما الممثل إذن يا حسن ؟ أليس هو ذلك الذي يكحل عينيه ويصيح
بالأحمر والأبيض وجهه ويبدو في سراويل ضيقة يتهوج ويتراقص ؟
ضربت الزوجة صدرها بيدها تقول :

يا للعار يا حسن . . يالها من خيبة لم تكن لنا على بال . . أترضى لنفسك
أن تكون كذلك ؟ (١)

وفي موقف بين حسن وزوجة عمه تعقب عليه بطالته وإثارة للمزلة ، يجري
الحوار هكذا في الطبعة الأولى :

إلى متى هذه الحبسة ؟ كأنك استطعت لذة الكسل فتركت العمل لي
والنوم لك .

فحملق فيها وقال :

وهل تجرئين على القول بأنني استمتع بالنوم ، إنني أقض الليالي سهران بينما
أنت بجانبني تشخرين
وماذا أفادنا سهرك هذا ؟

إنني أفكر في مشاريع لا تفهمينها

يا أخي جك نيلة على مشاريعك . لم نرمها إلا الخسارة ووجع القلب .

الخسارة ووجع القلب سترين . إن لي آراء تفلق الصخر وتصهر الحديد (٢)

ويجري الحوار نفسه في الطبعة الثانية هكذا :

إلى متى تحبس نفسك ؟ كأنك استطبت الكسل . . العمل لي والنوم لك
فحملق فيها يقول :

أي نوم ؟ إنني أقضي الليل ساهرا وأنت بجانبني تغطين في منامك

(١) — أبو علي الفناني (سنة ١٩٥٤) ص ٢٦ ٢٨

(٢) — أبو علي عامر ارست (١٩٢٤) ص ١٧٥

وفيم سهرك يازين الشباب ؟

أفكر في خطط العمل . وأرسم برامج التنفيذ .

خيبة الله عليك وعلى خططك وبرامجك . . . ماذا أفادنا منها إلا ضياع
التجارة وخراب البيوت .

لا يأس مع الحياة . . . ستعثرين . . . إن لي إرادة تغلق الصخر وتصهر الحديد . (١)

ينضح من مقارنة الحوار الذي جاء في هذين الموقفين في طبقتي
الأقصوصة مدى ما بذله تيمور في تنقيحه وتخليصه من مظاهر العامية وتهذيبه
من فاحش أقوالها . وبذلك استطاع أن يثبت عمليا أن الحوار بالفصحى
أجل وأوقع في النفس منه بالعامية ، فلا لفظة نائية تصدم لأذن ولا أخرى
فاحشة تجرح الشعور .

هذا عن أقاصيص تيمور الأولى التي أعاد كتابتها بعد ما أجراه فيها من
تنقيح وتهذيب . فإذا شرفنا على نهاية العقد الرابع من هذا القرن وجدناه يلتزم
الكتابة بالفصحى الخالصة في الوصف وفي الحوار . ووجدنا الفصحى تسلسل له
القياد حتى في الأقاصيص التي استلهم مادتها من البيئة المحلية . ففي مجموعة « شفاء
غليظة » وقصص أخرى . التي ظهرت سنة ١٩٤٦ للمس مدى ما بلغته لغة
الكاتب من ارتقاء ونضوح : سهولة في التعبير مع دقة في الوصف وحفاوة
بالصور البيانية ، وعذوبة وطلاقة في الحوار .

ففي الأقصوصة الأولى من هذه المجموعة وهي « شفاء غليظة » التي ينلخص
موضوعها في أن بطلتها التي تتميز بشفتين غليظتين كانت فتاة محتالة . ادعت أنها

(١) - أبو هلى الفنان (١٩٥٤) ص ٧٥

طالبة بكلية الآداب وأوقعت في حبائلها محاميا شابا . فأحبها الشاب وكانت شفقتها
الغليظتان سر هيامه واقتتانه بها ، استغلت الفتاة حبه واعجابه فسرقته وخذعته
المرّة بعد المرّة وهي مطمئنة إلى سكوته .

يصف المؤلف شفق الفتاة الغليظتين وصفا دقيقا رائعا كأنه رسام يحاول أن
يبرز جميع خطوط صورته ، فيقول على لسان المحامي : « كانت سمراء على شيء
من الملاحاة ترثدي ثوبا متواضعا لا يدل مظهره على اليسر وإن احتفظ بظل من
الأناقة والذوق السليم ... لا يميزها عن مثيلاتها من بصاحبهن عابر الطريق وبمسيهين
الإسمة خاصة : شفقتها ... أجل شفقتها ، بيت القصيدة فيها ... كالقما
شفقتين غليظتين لا أراها منطبتين لحظة بل منفرجتين أبدا ، تسمحان لحط أبيض
من الأسنان أن يكشف عن نأله وتناصقه ... وإنك إذ تنظر إلى الشفة العليا
منهما تلاحظ على الفور كأنها تحاول دائما أن تنأى بنفسها عن رفيقتها إباء وترفع
ولقد ترك هذا الترفع والإباء في تنوء يتوسطهما ، تنوء يماثل من وجوه شتى حلما
الذي يجتذ بك بتكوينه الفني ويرغمك على أن تدمن النظر إليه ... » (١)

ويجعل المؤلف هاتين الشفتين محور الأقصوصة ، فيبرزهما في مناسبات
متعددة يختلف فيها مشعور البطل نحو فتاته ، عندما يكون راضيا عنها وعندما
يكون ساخطا عليها ، فيقول :

« فأرسلت ضحكة ضعيفة تهالت على أثرها شفقتها العليا في اختلاجة رشيقة ،
على حين أخذ التنوء الذي توسط هذه الشفة يتقلص وينبسط في جاذبية أخاذة ... » (٢)
« ونظر كل منا إلى الآخر ، ثم استرسلنا في قهقهة عالية وجددتني أثناءها

(١) - شفاة غليظة . تأليف محمود تيمور . طبع القاهرة . الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦ ص ٤

(٢) - المرجع نفسه ص ٥

أرنبو إل شففتها الغليظتين وهما نلنطمان وتندافمان ، وأرقب في شففت ذلك التبره
الجميل حتى وددت لو طات ضحككتها وقتا . . . »^(١)

وفي حوار عذب ينساب في طلاقة يدور بين الفتاة والمحامي بعد أن سرقة
وخدعته أكثر من مرة وهو باق على حبها راغب في إصلاحها ، تكشف الفتاة
عن سر تمسكها به وهو افتقانه بشفتيها ، ويحاول المحامي أن ينفي عن نفسه إعجابه
بها ساخطا على شففتها واصفا إياهما بأقبح النعوت .

«أما سبب اهتمامك بي فأمر لا يخفى عليك ، إنك تهواني ، أجل تهواني
فصمت وقد أقبلت عليها متممرا

أنا أهواك ؟ أنا ؟ وهل فيك شيء يحب ؟

أنت مدله بي . . . والكنني لن أنيلك مبتغك . . . حتى القبله الصغيره
سأمنعها عنك .

أنت أعجز من أن تمنى عنى شيئا . . . ما أشد افتقارك إلى ما يجتذب الرجل
إنك تذوب شوقا إلى لثم شفاهي

شفاهك ؟ . . . ها . ها . شفاهك الغليظة المترمة المدلاة كشفاه أقبح الزنوج . . .
لن أنيلك شرف لثمها أبدا . . . ستظل محروما إياها مهما يستمر هليب غرامك
وتتأجج نار شوقك .

غرايى ؟ . . . ؟ شوقى ؟ . . . سأريك كيف أنا مغرم بك ، شوق
إليك . . . سأريك»^(٢)

(١) شفاه غليظة . ص ٨

(٢) المرجع نفسه ص ١٩ — ٢٠ .

وتنتهي الأقصوصة بصدق حس الفتاة ، إذ عجز الشاب عن إبلاغ أمرها
للشرطة حتى تنال ما تستحقه من عقاب بسبب هيامه بها . فمأخذ الفتاة في معرفته
من جديد .

وفي خلال الأقصوصة آراء إصلاحية للمؤلف في المذهب الاشتراكي ، وفي
فلسفه العقوبة ، وأقوم الطرق إلى إصلاح المجرم .

أما لغة الأقصوصة فقد خلت تماماً من مظاهر الداءية ، لانكاد تجد فيها
إلا تشبيهاً محلياً حرص فيه على مراعاة الأصول اللغوية ، كقوله في وصف أحد
رواد المنتدى الذي قصده المحامي وذات الشفة الغليظة « أشارت بعينها إلى رجل
بدين له وجهه كالرغيف المقبب المتوهج » ^(١) أو كلمة عامية لها أصل صحيح في
الفصحى ، ترك استعمالها في الكتابة بسبب كثرة تداولها مثل كلمة « ورأيتها تكرر

في الضحك » ^(٢) أو كلمة مستحدثة شاع استعمالها مثل كلمة « التليفون » وهي
الكلمة الدخيلة الوحيدة التي تجدها في الأقصوصة . إذ أن تيمور قد استخدم
في هذه الأقصوصة نفسها الألفاظ العربية التي وضعت للأسماء المستحدثة ،
بعضها من وضعه وبعضها مما أقرته الهيئات العلمية . فاستعمل المصرف بدل (البنك)
والصك بدل (الشيك) وبطاقة بدل (كارت) وغلام المشرب بدل (الجرسون)
والمنكا بدل (الكنبة) إلى غير هذه الكلمات التي كان يستعملها الكتاب
من أصحاب التمهيد كما ينطق بها العامة .

وقد كانت هذه الجهود التي بذلها محمود تيمور في خدمة الفصحى ، بتطويع

(١) شفاء غليظة ص ٧

(٢) المرجع نفسه ص ١٢

أساليبها ودراسته لمشكلاتها^(١) هي شفيعة عند مجمع اللغة العربية حين اختاره عضوا فيه .

أقاصيص المازنى :

استخدم المازنى العامية في إنتاجه القصصى ، القصة الطويلة^(٢) والأقصوصة . وقد اقتصرت على دراسة مظاهر العامية في أقاصيصه لغزارة إنتاجه فيها من ناحية ولتعدد مظاهر العامية فيها من ناحية أخرى .

وللمازنى موقف من العامية يخالف موقف كتاب القصة والأقصوصة الذين أشرنا إليهم مثل هيكل وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور ، فهو لم يقدم على استخدام العامية في بدء تكوينه الأدبي مثلهم ولا كنهه استخدمها في سنيه الأخيرة . فقد استهل المازنى حياته الأدبية بالنزود من الثقافة الغربية والثقافة العربية القديمة ، وقد ظهر أثر الأولى في تفكيره وظهر أثر الثانية في أسلوبه ، يتضح هذا في مقالاته الأدبية الأولى التى كتبها فى مطلع القرن العشرين وجمعها فى كتابين « حصاد الحشيم » (١٩٢٤) و « قبض الريح » (١٩٢٧) ، ضمن المازنى هذه المقالات أبحاثا قيمة عميقة فى الأدب ونقده ، وكتبها بأسلوب عنى بتجويده تأمس فيه رصانة العبارة وجزالة الألفاظ وفخامتها وغرابة بعضها أحيانا ، حتى

(١) أ - ضبط الكتابة العربية - تأليف محمود تيمور طبع القاهرة سنة ١٩٥١

ب - مشكلات لغة العربية - تأليف محمود تيمور طبع القاهرة سنة ١٩٥٦

ج - فن القصص - تأليف محمود تيمور طبع القاهرة سنة ١٩٤٨

فيه بحث عن قضية اللغة العربية ص ٥ - ١٣

د - كلمات الحياة العامة - تأليف محمود تيمور - طبع القاهرة سنة ١٩٥٦

(٢) من قصصه التى وضحت فيها مظاهر العامية :

قصة ميدو وشركاه (١٩٤٣) وقصة عود على بدء (١٩٤٣)

ليعوزك تحديدها إلى الالتجاء إلى معاجم اللغة. وكان تأثيره كتاب العرب القدماء واضحاً في تلك الفترة حتى لقد بلغ من شدة تأثيره بهم أنه عارض لأسلوب الشائع في عصره الذي كان يحاول تقليد الأساليب العربية لأصالية، و مثل استعمال الكتابة، لجملة لدعائية والاعتراض بالدعاء أيضاً والتعقيب على الجملة الابتدائية بكلمة (وبعد)، كما فعل في المقدمة التي استهل بها بحثه عن ابن الرومي الذي نشره في مجلة البيان سنة ١٩١٣، وفيها يقول :

« نسأل الله يقينا يهمر القلب ويملاّ الصدر (وبعد) ، فهذا ما شهدت أعز على كماله وحضضت على تقديمه من النظار في شعر أبي الحسن علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور وتاريخه والموازنة بينه وبين نظرائه وأكفائه من فحول تسمراء العرب والفرنج ، بما يستدعي ذكر أعيان قصائده ومقطعاته ويستوجب انشرح والملاحظة وتفسير ما يقع من كلام غريب ومعنى مستغلق، حتى يكون المقال مكتفياً بنفسه ومستغنياً عن أن يرجع إلى أحد في تقريب بعيده أو بيان مستعجمه ، وهو عمل لعمري يفيد غير أنه وعز المراكب كؤود المطلب ، وما أظن بك إلا أنك عالم بصعوبته عارف باعتيابه وبعد مشقته ، وإلا أنك قد مهدت لي العذر من ذي نفسك في التقصير والضعف وسائر ما عساه يقع من لارتباك والخلل . وقد وجدت (أصلحك الله) أكثر من ترجم ابن الرومي من الكتاب المتقدمين لم يستنفذوا أخباره ولا توخوا الإحاطة بها أو ترتيب ما آثروا منها » .

هذه المقدمة حذفها المازني عندما ضمن بحثه عن ابن الرومي في كتابه حصاد الهشيم الذي ظهر سنة ١٩٢٤ ، لأنه كما تقول مترجمة حياته وآثاره ، السيدة نemat أحمد فؤاد قد أحس بأنها لا تلائم روح العصر الذي نعيش فيه ولم يعد

لها في النفوس الوقع الذي كان لها سنة ١٩١٣ .^(١)

وفي الحقيقة أخذ أسلوب المازني كلما توغلا في القرن العشرين يتدرج نحو السهولة ، مجازاة لروح العصر الذي آثر سهولة التعبير والتحرر من تقاليد الكتابة القديمة ، لاتساع مناحي الكتابة المصرية ، هذا من ناحية ، ولاشغاله بالصحافة التي آثرها على مهنة التدريس من ناحية أخرى .

ولقد كان لاشتغاله بالصحافة أثر كبير في تطور أسلوبه لا من ناحية سهولته ومرونته فحسب ، بل من ناحية عدم عنايته بتجويده وترخصه في استخدام العامية . وفائدة الصحافة في تطويع أسلوبه ومرونته يبينها المازني في مقال نشره في مجلة الكتاب ، حيث عقد مقارنة عن أسلوبه قبل اشتغاله بالصحافة وبعدها ، يقول :

« ... كان أدبي في ذلك العهد (يعني قبل اشتغاله بالصحافة) دراسات في الأغلب قوامها القراءة وحدها تقريبا ، وشعرا لا يصور النفس على حقيقتها ولا يعبر عنها تميرا صحيحا ، لأن الاقتباس فيه بالقديم — من شرقي وغربي — أكثر من الاستمداد من التجريب . وكنت بطيئا في الكتابة والنظم معنيا بالتجويد كما كنت أفهمه ، وكنت مع عنايتي بالمعنى لا أرضى إلا عما ترضى عنه أذنني حين أعرضه عليها ولم أكن راضيا عن الأسلوب الذي تكتب به الصحف ، ولكن عدم الرضى عن لغة الصحافة لا يستوجب أن أذهب إلى الطرف الآخر وفي الإمكان التوسط . وتبينت على الأيام أن لغتي القديمة فاترة أو خاملة وكأني قطعة متخلفة من زمان مضى ، وأن الحياة الجديدة لها لغتها

(١) أدب المازني . نعمات أحمد فؤاد . طبع القاهرة ١٩٥٤ ص ٢١٠

وأن اتسلى بحياة الناس بفضل الصحافة قد فجر في نفس ينابيع جديدة وأكسب أسلوبى نبضا ليس من الوجد بل من الحيوة ، وأعدت مرونة كانت تنقضى أنا وتنقص لفتى وأسلوبى ، وأصبحت قدرا بفضل الصحافة أن أكتب فى أى موضوع وفى أى وقت وفى خلوة أو بين الناس ، وأن أحصر ذهنى فيما أنه فيه فلا تشتت خواطرى الضجبات التى كانت حولى » (١) .

أما جناية الصحافة على أسلوبه فتبدو فى عـدم عناية به بتجويده . كان يسجل كل ما يرد إلى ذهنه من ألفاظ . ألفاظ فصيحة متداولة فى لغة الحياة اليومية يحسبها القارى عامية لألفته بها ، وألفاظ فصيحة غريبة تعترض مجرى أسلوبه السهل لتدقق ، وألفاظ عامية ، كما كان يحشو أسلوبه بألفاظ زائدة . وقد اعتذر المازنى عن عدم احتفائه بأسلوبه وترخصه فى الكتابة فى سنييه — الأخيرة فى قوله : « ستقول إن المازنى كان بالأمس خيرا منه اليوم ، ولم يترك زمرة الأدباء وانضم إلى زمرة الصحفيين ، وإنه يكتب فى كل مكان ويكتب فى كل شيء ، حتى أصبح ناجر مقالات همه ملاحنة السوق أكثر مما تهمة جودة البضاعة أليس كذلك ؟ ولكن لا تنس أن الأديب فى بلدكم مجبر على أن يسلك هذا السبيل ليكسب عيشه وعيش أولاده ، ولينقطع أن يحيا حياة كريهة تشعره بأنه إنسان » (٢) .

وأهم ما يعنى من مظاهر جناية الصحافة على أسلوبه ظاهرة العافية ، وقبل أن نستعرض هذه المظاهرة فى أقاصيصه ، هذا اللون من إنتاجه الذى خصصناه بالبحث فى هذا الفصل ، يجدر بنا أن نتعرف على رأى المازنى نفسه فيما يجب اقترضه من العامية وطريقة استخدامه .

(١) مجلة الكتاب ص ٦١٨ العدد خمس . من السنة الأولى (مارس سنة ١٩٤٦) .

(٢) مجلة الرسالة . العدد ٨٤٢ .

يقول المازني في نقده كتاب «لأمر حيدر» لأبراهيم جلال بعد أن أشار إلى ما تضمنه الكتاب من ألفاظ عامية مثل : (الشاش والفوانيس والزبادى والفسقية)

«حسنا فعل لأننى لأرى داعيا لاجتناب هذه الألفاظ وأكثرها مأنوس وكأها متداول والاعتياض منها ألفاظا أخرى نستخرجها من بطون الكتب القديمة أو نشقها أو ننحتها أو نفعل غير ذلك . فليس من الضروري أن تكون الكلمة جاهلية ليجوز لنا أن نستعملها ، فإن هذا جهود يؤذى اللغة . وكل لغة فى الدنيا تقتبس ألفاظا من اللغات الأخرى أو تصنع وتسلك ألفاظا جديدة تعبر بها عن حاجاتها الجديدة ولا يضيرها ذلك ولا يضرى بها أو يفسدها ، بل يزيدها سعة ومرونة وقدرة على الأداء . وليس المهم أن تكون الألفاظ جاهلية أو مستحدثة ، بل المهم المحافظة على أوضاع اللغة وأحكامها وطريقتها فى تأليف الكلام على «معانى النحو» كما يقول الجرجاني . وإلا فمن الذى يجروا أن يدعى أن الجاهلين وضعوا كل لفظ يمكن أن يحتاج إليه العربى فى كل بلد أو كل عصر ؟ ، بل من الذى يجروا أن يزعم أن لغة ما من اللغات لا تحتاج فى كل عصر من العصور التى تتعاقب عليها أن تهمل ألفاظا تستغنى عنها ، وأن تتخذ ألفاظا جديدة بحسب مقتضيه حياتها الجديدة ويطلب التعبير التى لم تكن لها وجود فما مضى ؟ . وأين فى هذه الدنيا لغة لم تدخل فيها ألفاظ ليست فى الأصل من معنئها ؟ وليس فى وسع المتخرجين والمتشددى أن يحولوا دون هذا ، وقد وجد فى كل عصر ناس منهم فما استطاعوا أن يعمروا اللغة العربية أن تستمد من اللغات الأخرى ، وأن يستحدث أبنائها ألفاظا لكل جديد لم يكن لأسلافهم به عهد . وسيظل الحال كذلك . — ينحدر تيار التجديد ويقف المتشددون والمنعرجون كالصخور لا تمنع أن يتدفق التيار الذى يسور حولها

غير عابىء بها وهي ءجزة حتى عن تمويقه» (١)

فأما نوس من الألفاظ العامية هو ما أباح المازنى استخدامه مع الحرص على أوضاع اللفظ وأحكامها وطريقته في تأليف الكلام . وسنرى في دراستنا لأقاصيصه مقدار ما اقترضه من العامية وطريقته في استخدامها .

والمازنى أقاصيص كثيرة ضمنها عدة كتب ، منها « خيوط المنكبوت » (١٩٣٥) و « فى الطريق » (١٩٣٦) و « ع المائى » (١٩٤٤) وكتاب « أقاصيص » (١٩٤٤ بالاشتراك مع آخرين) و « من النافذة » (١٩٤٩) . وقد استلهم مادتها من ذكريات طفولته وشبابه ومن تجاربه ومشاهداته فى حياته اليومية . فأورد كثيرا من طرائفه مع زوجته وأولاده وأصدقائه ، ووصف مشاهداته فى المتدربات العامة وفى رحلاته التى قام بها فى مصر وفى الشام . وكتبها بأسلوب فكاهى ساخر يتدفق فى سهولة وعذرية لا كلفة فيه ولا جهد . لكنه أقحم فيه قليلا من ألفاظ العامية وتعبيراتهم وأمثلهم .

ففى الوصف نجد من الألفاظ العامية التى استخدمها منها ما هو صحيح لا عجمة فيه

كقوله : « كنا نعرف أن الجو جميل والهواء عليل من خشخشة لأوراق لا من مصافحة الهواء لوجوهنا » (٢)

وقوله : « وارتدبت بذائى ثم أردت أن أصلح من شعري المنفوش » (٣)

وقوله : فى وصف مجنون صادفه فى الطريق : « والفاس يمصون القصب وهى يأكاه بقشره ويكسرون جوز الهند وهو يقرضه بأسنانه بلا عناء ولا جهد فماد يمنع أن يفرز أسنانه فى حلقى أو يستملح ذباعى فيماخه » (٤)

(١) - مجلة الكتب ص ٨٨ عدد - نوفمبر سنة ١٩٤٥

(٢) - خيوط المنكبوت تأليف برهيم عبد القادر المازنى . طبع القاهرة ١٩٣٥ ص ٦

(٣) - المرجع نفسه ص ٣٨٦

(٤) - المرجع نفسه ص ١١٧

ومنها ما هو محرف أو دخيل، كقوله: «وضحك الشرطي ضحكة مقرقة» (١)

وقوله: «وقلت بصوت فيه بعض البرجة» (٢)

وقوله في وصف رجل أنيق الثياب: «إن هذا الرجل الذي تراه فتخضع، ليس سوى سائق سيارة يسوقها براكيم» إلى حيث يريدون، ويمد يده إليهم ليقبض البتشيح، ومع ذلك ينقلب بعد أن يفرغ من عمله كما تراه الآن، أليس منظره خادعا؟ (٣)

هذا إلى جانب ما استخدمه من تعبيرات العامة وأمثالهم، فمن أمثلة ذلك قوله في وصف الهدوء الذي كان ينجم على «الحارة» التي يقع فيها منزله: «كانت حارة ترفع عن أن تكون ميدانا للعب الأطفال . . . وإذا أرغموا على الخروج في نهار الناس، مشوا على حذر وسايروا الخط وقلوبهم تجف ومفاصلهم تتخاضل وركبهم تصطك، حتى إذا بلغوا رأسها وضعوا ذيول أثوابهم بين أسيانهم وخرجوا منها كالمدفع» (٤)

وقوله: « . . . في مثل هذه الليلة السعيدة لا يجوز أن نخرج من المولد بلا حمص» (٥)

وقوله من ذكريات المدرسة واصفا عجز التلاميذ عن الإجابة على سؤال وجهه إليهم الناظر . . . وأخيرا وضعنا أصابعنا في الشق، واعترفنا بأن حمارنا غلب وقلنا له ذلك . . . أعني أنا لم نقله، بل أكتفينا بأن نظهر عجزنا عن رفع الأصابع ودسها في شقوق الأدراج» (٦)

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| (١) خطوط العنكبوت ص ١٢٨ | (٢) المرجع نفسه ص ١٨٣ |
| (٣) المرجع نفسه ص ٦ | (٤) المرجع نفسه ص ٥٠ |
| (٥) المرجع نفسه ص ٦٠ | (٦) المرجع نفسه ص ٨٥ |

وقوله في وصف حاته بعد أن امتنع عن التدخين : « أصبحت مكنتها كاسف
البال مطأطيء الرأس أجرجرجلى إذا أمشى » (١)

وقوله « . . . ثم مضيت إلى غرفة لزوجتي وقلت بأعلى صوت . . .
ذاتمة ؟ وسيدك وتاج رأسك وزينة حياتك بنضور جوعا » (٢)

وقوله : « إن النساء ككل شيء حظوظ وأرزاق ، وقد سمعت وحفظت
من أمثال عامتنا أن الله يشاء أحيانا أن يعطي الخلق لمن ليس له أذن » (٣)

أم في الحوار فقد بين لمازني طريقته في كتابته، والأسباب التي دفعته إليه
وذلك في مقدمة قصته « إبراهيم الكاتب » حيث يقول : « وقد تحررت في
الحوار أن أتقى العامية ما استطعت ما خلا مواضع قليلة رأيت أن العربية نجح
فيها زائبة قلقة ، وقد حماني على ذلك أن العامية هي لغة الحوار عندنا جميعا
يستري في ذلك المتعلم والأدعي ، وإن كانت لغة المتعلم بالعربية تشبه وإليه أقرب
في تحريرنا أواقع كان لابد من أن يكون كل حوار باللغة العامية مع تفوت
ضئيل فيما لمراكز المتكلمين وحظوظهم من التعليل أو الجهل . والحوار يشفر
جذبا ليس بالقليل . فكان العامية ستأخذ أداة للكتابة وهي في رأي لا تصالح
لهذا ، لكثرة ما ينقصها من عناصر التعبير أو حاجتها الشديدة إلى الضبط والإحكام
ولأنها لم تستوف بعد أوضاعها والملاحظ - والطبيعي أيضا - أن لغة الكلام
ترقى مع انتشار التعليم وتقترب شيئا فشيئا من اللغة العربية ، فأتخذ العامية أداة
الحوار عكس الآية ، ثم إن العربية أداة ثابتة على كثرة ما يطرأ عليها من
التطور ، وهي تسمع وتلين وتزداد صقلا على الأيام ، والعامية لا تثبات لها ، وهي
تندرج في العربية بعد أن اشتقت منها وانفصلت عنها . ثم إن محاكاة الواقع بالمعنى
الحرفي لا معنى لها لأن الأدب فن وليس مجرد نقل أو محاكاة ، ولا يصح

(١) خيوط العنكبوت ص ١١٣ (٢) المرجع نفسه ص ٢٨٤

(٣) ع الماشي - تأليف إبراهيم عبد القادر المازني طبع القاهرة ١٩٤٤ ص ٢٣

القياس على الروايات الغربية في هذا الباب ، لأن المتعلمين من أهل اللغات الغربية يتكلمون اللغة الصحيحة على العموم على خلاف العامة ، فللمميز هناك بين لغات الحوار محل ومسوغ معقول ، وليس الحال عندنا كذلك ، ثم إن الروايات التي تنقل من لغة إلى أخرى يستغنى فيها عن تقليد اللهجات العامية ، لأن التقيد بالأصل في سوق الحوار يكون تصفاً وتمملاً لا موجب له . ومن هنا آثرت للحوار أن يكون باللغة العربية في حينما بدى أن يثارها لا يستكره في السماع ، وقد قصرت العامية على مواقف قليلة رأيتها تكون فيها أقوى في التصوير وأضوأ في التعبير « (١) » .

وقد سار المازني على هذه الطريقة في كتابة الحوار في كتاباته القصصية كلها يكتب الحوار بالفصحى إلا في المواضع القليلة التي كان يرى أن الفصحى تحيى فيها نايبة قلقة . واعتقد أن مرجع شعوره بذو الفصحى وقلة في بعض المواضع كما صرح بذلك ، هو انغماسه في الواقعية التي كان يراها شرطاً أساسياً من شروط القصص الفني (٢) . ولهذا وجدنا في أقصيص المازني ألواناً مختلفة من الحوار ، كان يكتبها تارة بالعامية ، وتارة يمزج فيه بين الفصحى والعامية ، وأخرى يكتبها بالفصحى . وكان المازني يتوفى كتابة الحوار بالعامية الطالصة فيبرز فيه بينما نراه يسهب في الحوار ويطيل إذا كتبه بالفصحى .

فمن أمثله الحوار الذي كتبه بالعامية وصفه لما دار بينه وبين خفير صعيدي داخله الشك في أمره وهو عائداً إلى منزله في ساعة متأخرة من الليل يتلصق في

(١) إبراهيم الكاتب الطبعة الأولى ١٩٣١ . المقدمة في ١٢ - ١٣
(٢) انظر كتاب « إبراهيم المازني » تأليف محمد مندور . طبع القاهرة لم يذكر تاريخ

مشيته خوفا من الظلام .

قال الحفيظ « أنت مين »

فقلت في سرى « سىء الأدب » غير أنى ربأت بنفسى أن نزل إلى هذا
المستوى ، وقلت ببساطة « أنا »

فكاننى زدته بنفسى جهة فعاذ يقول

« أنت مين »

فقلت شارحا مستغرباً « ما قلت لك أنا »

ويظهر أن هذا الشرح أقنعه فقد انتقل إلى سؤال آخر

« واجف هنا ليه »

فقلت معترضا مفكراً

« مش واقف »

فعاذ يسأل ملحاً « أمال بتعمل إيه دلوقت ؟

فقلت « ولا حاجة »

فلم يقنعه هذا النفي الشامل ، قال « ولا حاجة إزاي بهنى . . . أنت مين ؟ »

قلت « من هنا »

قال « هنا مين ؟ »

فحمدت الله وقلت « تحب تشوف بيتنا ؟ تفضل إن كنت مش مصدق »

وظننت أنه لا محالة مجيبى إلى ما اقترحت ، ولكن السخيف اكتفى بأن يقول

« طيب روح روح . . . ولا تبجاش تناسك فى السكك بالليل » .

وأدار وجهه ومضى عنى كأنما كان كل بغيته أن يجود على بنصيحة (١)
ومن أمثلة حوارهِ الذي مزج فيه بين الفصحى والعامية ، وصفه لما دار بين
زوج وزوجته عندما قدم لها هديتين في يومين على غير عادته . فأدهشها
صنيعه وهي لا تدرى أن الهدية الأولى كانت لصاحبتها فلما لم تعجبه قدمها لـ «إليها» ،
وأن الثانية كان قد اشتراها مع هدية مماثلة لصاحبتها رغبة في أن يعدل بين
الزوجة والصديقة .

« ما هذا ؟ » ماذا جرى لك

فسألها « أو يسوؤك أنى أشرت هذه لك ؟ »

قالت « بالعكس . . . ولكنى مستغربة . . . ليس من عادتك أن

تشتري شيئاً . . أول ما شطح نطح »

قال « هي فلتة . . لا ظنها تتكرر »

قالت « لماذا ؟ لا تقل هذا إنه يسرنى أن تشتري لى ما يعجبك »

قال « اعلم ذلك ولكنى لأحسن هذا . . هذا الفن »

قالت « تعلم »

قل « بعد هذه السن ؟ لا يستنى هي فلتة . . وانتهى الأمر وأمسك . وفى

صدره معنى غير الذى فهمته زوجته » (٢) .

ومن أمثلة حوارهِ الذى كتبه بالفصحى . ما دار بينه وبين شابة حسناء التقى
بها فى منزل صديقه « المصور » جاءت تطاب صورتها ولم يكن المصور
موجودا بالمنزل .

(١) خيوط العنكبوت « الحارة اللينة » ص ٥٣ - ٥٤

(٢) خيوط العنكبوت ص ٤٥

قالت « تفضل . سيحضر حالا . أنا صديق قديم - أعني له - »
وقدمت لها كرسيًا فترددت قليلاً ثم قعدت وهي تقول « لقد ضرب
الساعة العاشرة »

قالت « أعرف ذلك »

قالت « هل أخبرك ؟ »

قالت « كلا . لعنة الله عليه . . لو فعل لبت هنا »

قالت « معذرة . ولكنني لا أعرفك »

قالت « عفوا ياسيدي . إن صورتك تعرف صورتني . . قليلاً ، وصورتني
تعرف صورتك عن ظهر قلب »

قالت بابتسامة « نعم ولكن . . . أليس اليوم الثلاثاء »

قالت « لا بد أن يكون . . لأنه يومى السعيد »

قالت « إنك فظيع »

قالت « وهل وشئ بي إليك »

قالت « قليلاً . حذرنى منك وهوى رغبى صورتك »

قالت « هل قرأ عليك السورة المحفوظة »

قالت « السورة »

قالت « نعم . احترس من النشازين الخ ، إن لوحها معنقة فى كل أرم .
ونكنى قاطع طريق لا نشل »

فضحكت وقالت « ليس معنى شئ . . فلا خوف منك »

قالت « وهذه الآلىء كلها »

قالت « أين ؟ »

قلت « في فمك »

قالت « لم يكذب ولم يبالغ »

قلت « في تحذيرك مني ؟ »

قلت « نعم »

قلت « ومع ذلك يضرب لنا موعدا واحدا »

قالت « صحيح » بغضب (١)

سبب اتجاه المازني الى استخدام العامية

بعد أن بينا رأى المازني في العامية وأوضحنا مظاهرها في أقاصيصه يجددنا أن نتساءل : هل كان المازني من دعاة العامية ؟ وهل خرج بعده مارسه لها مقتنعا بأنها أصح للتعبير الأدبي من الفصحى التي زود بها ووقف على دقائقها ، بل ومارس السكتابة بها متأثرا بكتابها القدماء في بدء تكوينه الأدبي ؟ وهل طغت هذه العامية على أسلوبه فغيرت مجراه ونزات به إلى أسلوب الموقه ؟

إن المتتبع لآراء المازني في اللغة والقومية ولآثاره الأدبية ، وخاصة أقاصيصه التي تعددت فيها مظاهر العامية ، يخرج منها بما يصح أن يكون إجابة وافية عن هذه الأسئلة .

فالقول بأنه من دعاة العامية قول لا يتفق وآراء المازني في القومية العربية وإيمانه بها ، فقد كان المازني من السابقين إلى الإيمان بفكرة جامعة الدول العربية . كتب في سنة ١٩٣٥ مقالا تحت عنوان « القومية العربية » دعا فيه إلى جمع كلمة العرب ، وأن تمتثلهم هيئة سياسية واحدة تؤلف بينهم ضد الاستعمار

() خطوط المنكبت . « صورة لها قصة » ص ٢٢٦ - ٢٢٨

والمستعمرين ، ومن قوله في هذا المقال .

.. انظر أخطأ قوميتنا بمثل سور الصين ، ولو أن هذه القومية العربية لم تكن إلا وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجب أن نخلفها خلقا ، فما للأمم الصغيرة أمل في حياة مأمونة ... وإن أية دولة تناح لها الفرصة تستطيع أن تثب عليهم وتكلمهم أكلا بلحمهم وعظامهم ، ولكن مليون فلسطين إذا أضيفت إليه مليون الشام وملايين مصر والعراق مثلا يصبحون شيئا له بأس يتقى : (١)

فليس من المعقول أن يدعو المازني هذه الدعوة الحارة إلى الوحدة العربية ووجوب خلقها خلقا حتى لو كانت وهما لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ . ثم يكون مع ذلك من دعاة العامية ، فيحط تلك الدعوة رابطة من أهم روابط الشعوب العربية وهي « الفصحى » .

والقول بأنه خرج من ممارسته للعامية بإثارة لها واعتقاده بملاحقتها ، قول يتعارض مع رأي المازني في تفاهة العامية وسخف التعبير بها ، يتضح هذا لرؤى في أقصوصته « في طلعة عيد » (٢) حيث ثار أثناء كتابتها على العامية وأعلن سخطه عليها ، وذلك في مقدمة حوار دار بينه وبين لص اعتقد أنه جزار .

ففي هذه الأقصوصة « في طلعة عيد » يصف المازني زيارته لمقابر الأسرة في يوم وقفة عيد الأضحى ، ويصف التقاليد المتبعة في زيارة المقابر في أيام الأعياد ، ويصف كيف كان أول من ذهب إلى المدفن حيث وجد خاليا إلا من بعض الأثاث وبعض المأون وخروف العيد ، ويصف نأه لأنه وما دار في

(١) - كتاب الأدب العربي المعاصر في مصر - تأليف الدكتور شوقي ضيف . طبع القاهرة

١٩٥٧ ص ٢٢٨ .

(٢) - كتاب خيوط العنكبوت « في طلعة عيد » ص ٩٧ إلى ١٠٧ .

ذهنه من أفكار وهو واقف أمام قبر أبيه ومقابر أخرى يجول سكانها، وكيف شعر وهو مستغرق في تأملاته وأفكاره بشخص يقف بجانبه يحمل بين أسنانه سكيناً ، وكيف اعتقد أنه جزار جاء يذبح الحروف ثم انضح له فيما بعد أنه لص جاء ليسرق الحروف .

وفي حوار بدور بين المازني واللص الذي اعتقد أنه جزار ، يعلن المازني سخطه على العامة وسخط النعير بها ، فيقول في مقدمة الحوار : « فالتفت إليه مستغرباً بقاءه ، فتناول السكين بيمنه وقال باغتي أنا لا بلغت العامة السخيفة » ثم ينطلق في كتابه الحوار بالفصحى متغلا فيه من الدعابة إلى النكتة إلى السخرية ، فيسوقه هكذا :

قال اللص « تنح . . تنح »

وكان يشير بذراعه التي في طرفها يده إلى كانت أصابعها مشنية على مقبض السكين ، فلا بدع إذا كنت قد تنحيت .

وقلت له وأنا أترجع

« ماذا تمنى ؟ ؟ لقد قلت لك إن هذا الحروف لا يذبح إلا غدا ، فهل

تريد أن تقصف عمره قبل الأوان » .

فقال وهو يمشي إلى حيث الحروف ويلوح بالسكين .

« ادخل هناك . . امض إلى هذا الركن »

فلم أفهم وقلت « ولكني لا أريد أن أذبحه اليوم . . . أما إن هذا العجيب ؟

ثم إنني لا أحب أن أرى أحدا يذبح أمانى ولو كان خروفا »

فقال « سأذبحك أنا إذا لم تفعل ما أمرك »

قلت : « تذبحني ؟ ؟ تذبحني أنا ؟ »

قال « نعم . فاطم ولا تجاهل »

قلت متشجعا : ولكن لماذا؟؟ هل أنا ... أشبه الحروف ؟

وارتفعت يدي إلى رأسي تتحسسها كأنها تبحث عن القرنين

وضحك هو وقال

« ادخل . ادخل ... هذا أحسن »

هذا لأنني شرعت أمشي إلى الركن الذي أشار إليه وكنت أقول لنفسي

إذا كان كل ما في الأمر أنه يريد أن يسرق الحروف فقد هانت

المسألة ... فأياخذه وليذهب به إلى جهنم ... وعسى أن ياهم الله الحروف أن

ينطحه بقرنيه العظامين نطحه ترديه . . .

وقطع اللعين خواطري بأمر جديد

« اخلع هذا »

فحسبته يشير إلى الخذائين ، فنظرت إليهما أسفا فقد كانا جديدين

مصنوعين للعبد خاصة ، ولكن ما حيلني وهذا الوحش الأحق يريد أن يسابنيهما؟

وخطر لي أن أصرفه عنهما فقلت

« اسمع يا صاحبي استأجل عليك بالخذائين فإني كريم ، ولكنهما لا

يصلحان لأحد سوى انظر إليهما؟ ألا ترى أحدهما على الكعب والثنائي

قصيره؟ ذلك لأن سقي متفاوتتا الطول ، والسبب في ذلك شمرحه يط — ول

لمنتجاوز عنه إذا سمحت ، فإذا أخذتهما لم تستطع أن تابسهما ولا أن تبيههما . .

أرأيت؟ من الواضح جدا أنهما لا خير فيهما لك ولا لغيرك ... »

فضحك الخنزير وقال

« لا أريدهما ... فقمهما ... وهنيئا مريئا لك .. إنما أشير إلى البهلولين . . »

فصحت « إيه »

قل « لا حول ولا قوة إلا بالله . . . لم أكن أظنك أصم . . . إذن لا فائدة
في الكلام . . . وعبثاً أبج صوتي معك . . . فلا أرحمك منه بيدي »
فعدت أصبح وأنا مذهول .

« إيه ؟؟ تقول البنطلون ؟؟ هيه ؟؟ »

فلم يعبأ بي وتناولني كما أتناول أنا فراشة ، وأقبل على البنطلون فصحت
به مرة أخرى ارفع يدك . . . دعني أنا أخلمه . . . يا . . .

وأمسكت فما من الحكمة أن أشتمه ، وإن كانت الحكمة كل الحكمة أن أقاها
لو أني أستطيع ، وأن أدفنه . . . أين ؟ مع أبي ؟ مع . . . هذا الدفين المجهول . . . أو
فليكن مع أبي فما عدت أبالي شيئاً . ومددت يدي بالبنطلون فطواه تحت إبطه
وفك حبل الخروف واقتاده وهو يقول :
« الآن أستطيع أن أثق أنك باق هنا »

فلم أفهم ولي العذر ، فإن هذا الضرب من أساليب التفكير - تفكير
السفاحين الذين يحملون على أجسادهم طوائف شتى من الأوجال والأقذار ،
ويبين أسنانهم سكاكين طويلة لو رآها قبل عظم لتضائل من لرعب حتى صار
دجاجة هوجاء .

وقال السفاح شارحا

« نعم . الآن لا تقدر أن تخرج ورأى لتشير الناس وترسلهم في إثري . . . »^(١)

وهكذا أثبت المازني قدرة الفصحى على الحوار ، وقدرتها على التعبير عن
النكتة دون أن تفقدها شيئاً من حلاوتها وبهجتها

أما ما استخدمه من العامية فهو أنواع ، يمكننا أن نعلل سبب استخدامه
لكل نوع منها .

فالصحيح من الألفاظ العامية وهو الغالب على أقاصيصه قد يكون بدافع من
رغبته في التقريب بين لغة القصة ولغة الكلام الجارى في الحياة اليومية

والخرف وهو قابل قد يكون بدافع من رغبته في أن يضمن عى أقاصيصه
لونا وقعبا ، فقد استخدم من العامية الشامية بعض ألفاظها وأكثرها مألوف
لديناى ، مصر مثل (العمى ، وشو ، وشو هاداً .) وذلك فى الأقاصيص التى
وقعت أحداثها فى لبنان ^(١)

والمستحدث الذى أباح استخدامه كما أشرت إلى ذلك من قبل ، فاعتقد
أنه لم يلجأ إليه بسبب عجزه عن الاتيان بما يقابله فى الفصحى ، فقد كان المازني
من الأدباء الذين أسهموا فى وضع كلمات فصيحة للأشياء المستحدثة مثل ، كلمة
(منامة) ^(٢) (لبيجة) ، وإنما يرجع السبب فى استخدامه للكلمات المستحدثة كما ينطق
بها العامة فيما أعتقد إلى المجلة فى الكتبة التى اضطره اشتغاله بالصحافة إليها ، بل
إننى أعتقد أن هذا السبب هو الذى دفعه إلى استخدام كل ما أباحه لنفسه من

(١) انظر مجموعته القصصية « ع الماشى » طبع القاهرة سنة ١٩٤٤
وذلك فى الأقصوصة التى تحت عنوان « من ذكريات لبنان » ص ٣ وفى الأقصوصة التى
تحت عنوان « الكلب » ص ١٦
(٢) انظر « خيوط المنكبوت » ص ٣٦٢

لغة العامة ، وأن هذه العامة التي تبدو في آثاره ليست سوى مظهرا من مظاهر جناية الصحافة على أسلوبه . فإرهاقه نفسه لتلبية مطالب الصحف رغبة في كسب عيشه لم تتح له وقفا لمراجعة كتابته والبحث عن ألفاظه ، وحرصه على إرضاء قارئها المادي دفعه إلى الترخص في الكتابة ، واتخاذ أقرب الطرق للوصول إليه .

ولكن لما زنى أيادي على الفصحى لا تنكر . فهذه التجربة التي مارس فيها الكتابة بالعامة لم تبعده عن الفصحى ولم تنسه واجبه نحوها . فكثيرا ما اتجه إلى الفصحى الخالصة وفي نفس المجموعات التي تضمنت هذه الأقاصيص التي أوضحنا تعدد مظاهر العامة فيها . فقد استخدمها في مواضع كثيرة من أقاصيصه في الحوار وفي الوصف ، فنجح في ذلك نجاحا كبيرا . استطاع أن يمررنا على أسلوب الحوار كما اتضح فيما عرضناه من نماذج لحواره الفصيح . واستطاع أن يجعلها قادرة على التعبير عن النكتة دون أن تفقد حلاوتها وبهجتها ، وتلك ميزة كان الناس يعتقدون بل ما زال كثير منهم يعتقد أنها من مميزات العامة . وهو لم يقتصر في استخدام النكتة في الحوار فحسب ، بل وفي الوصف أيضا وخاصة في وصف أشخاصه ، كقوله في وصف سيدة ضخمة الجسم : « فبرزت لي سيدة ضخمة - ضخمة جدا - أضخم شيء رأيته في حياتي حتى لقد احتجبت أن أدور بعيني في أنحاء جسمها المتباعدة لأحيط بها علما ، وأقبلت على تسدد الفضاء في وجهي وقالت . . . » (١)

كما أنه استطاع أن يمرن الفصحى على وصف مظاهر الحياة العصرية التي زعم دعاة العامة أن الفصحى لا تصلح للتعبير عنها ، فجاء وصف المزني للحياة

العصرية في طهرها وضجيجها في متدياتها وحفلاتها دليلا على بطلان زعمهم، فمن ذلك قوله في وصف رايصة شاهدها في إحدى الحفلات فأخذ يتبع حركاتها مدققا مداعبا كما هي عادته :

« . ونهضت فخرجت وغابت شيئا، ثم عادت في ثوب رقيق ههنا فشفاف من الحرير، ونظرت إلى الرجال فعزفوا لها صوتا رقصت على أنغامه رقصة أدار رؤوسنا وخطب أنفاسنا . وكات تلف وتآد من بعد أن تتأطر وتجوو بساق ثم تنهض كالمح ، وتدفع يديها البضتين وتجهل من معصمها نطاقا غير موجود كأنه تدعوه أن يهتصر . ويعوج تمرها على عطفها ويكاد - لولا ما يمسكه - أن يستط عنها الأزار . وكان يخيل إلينا وهي تجلو مغانتها أنها ذاتية من الرقة وبرية من الشجي ، فلما جثت على ركة في آخر دورة وكات يديها لنا كبر هذا وهم في نفوسنا فنهضنا إليها لنعيها ونرفعها فضحكنا . » (١)

هذا إلى جانب ما خلفه للفصحى مما ألفه في الشعر وفي النثر ، ومما يقه فيهم من ذخائر الآداب الغربية (٢) التي برهن فيها كما برهن في كتاباته على مرونة الفصحى واتساعها لكل المعاني الحديثة .

وتقديرا لهذه الجهود واعترافا بنضالها اختير عضوًا بمجمع اللغة العربية

(١) «ع الماشى» ص ٣٣

وانظر وصفه لجلس شراب في منتدى عام في كتاب خيوط المنكبوت ص ٣٤

(٢) منها قصة «ابن الطيبة» وممرحية «الشاردة» ومختارات من القصص الانجائري ، والكهف الأبيض

انظر «المازني المترجم» في كتاب «أدب المازني» للسيدة نemat أحمد قواد

ص ١٧٩-١٩٨

الفصل الرابع

في المسرحية

لما كان الحوار هو أداة المسرحية الذي يقيمها من مبدئها إلى ختامها وعليه تقع معظم أعبائها ، يكشف عن حوادثها ويعرف بأشخاصها ويخلق الجو الذي يلائمها ، كثر الخلاف حول لغته أتكون الفصحى أم العامية . فضل البعض العامية لأنهم نظروا إلى وجهة واحدة هي وجهة الفن لا غير . وفضل البعض الفصحى لأنهم أبوا أن نقيم في نهضتنا الحديثة ركنا على أنقاض ركن آخر . فتشيد مسرح التمثيل لا يجب أن يكون على أطلال اللغة ، فحاجتنا إلى المسرح حاجتنا إلى اللغة ، لذلك يجب أن يكون المسرح وهو مدرسة الشعب ، مدرسة جامعة لأوجه النفع غير ضارة بأي شكل كان .

وعلى ذلك استخدمت الفصحى والعامية في كتابة المسرحية ، وكان لموضوع المسرحية أثر كبير في تحديد أداتها اللغوية . فاستخدمت الفصحى في المسرحيات التي اتخذت مادتها من التاريخ العربي القديم ومن التاريخ العام ، كما استخدمت في المسرحيات التي ترجمت عن المسرحيات الأوربية ، وكانت الفصحى في هذه المسرحيات المؤلفة والمترجمة تتفاوت من ناحية تجويد الأسلوب تبعاً لطبيعة الكتاب وتكوينهم الأدبي ومبلغ استجابتهم لمطالب الجمهور ، وقد كان لجمهور أثركبير في تسكييف المسرحية في نهاية القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر . واستخدمت العامية في المسرحيات المحلية وخاصة النوع الهزلي منها ، وقد تكلمت في الباب السابق عن المسرحيات التي كتبت بالعامية ، وبينت الأسباب التي دفعت كتابها إلى استخدام العامية .

وقد انضح لى من تتبع آثارنا فى المسرحية منذ بدء نهضتنا الحديثة حتى ذلك الوقت أن المسرحية المحلية هي التي احتضنت العامة وآثرتها على الفصحى . ولذلك انحصر الخلاف فى لغة المسرحية حول لغة المسرحية المحلية ، ووقف كتاب المسرحية المحلية فى حيرة ، أستخدمون الفصحى لغة الثقافة أم العامة التي تساعد على محاكاة الواقع محاكاة حرفية ؟ فمرد هذه الحيرة إذن يرجع إلى المبالغة فى انباع المذهب الواقعى . وسوء الفهم لواقعية اللغة بالذات كما يقول الدكتور محمد مندور « فليس المقصود بواقعية اللغة أن تدع كل شخصية من شخصيات الرواية تتحدث بلغتها الخاصة (الصعيدى بلغة الصعيد والبحراوى بلغة بحرى مثلا) وإلا جاءت المسرحية خليطا غير مفهوم . . وإنما المقصود بواقعية اللغة ملائمتها لشخصيات الرواية ، فهى الواقعية النفسية والعقلية والعاطفية فلا يتحدث أسمى بأفكار الفلاسفة . وأما الواقعية اللفظية فليست بمقصودة فى التأليف المسرحى أو التأليف الأدبى الذى لا يخرج عن أن يكون فنا وكل فن صناعة . وليست الواقعية اللفظية بالتى تعطى الحوار قوة مشاكلته للحياة وإنما تأتى هذه القوة من الواقعية الإنسانية قبل كل شئ »^(١)

كما أن محاكاة الواقع محاكاة حرفية على المسرح أمر غير ميسور إذ لا يمكن إظهار جميع لوازم الناس فى أحاديثهم ومعيشتهم على المسرح . ومن أوضح الأدلة على عدم إمكان محاكاة الواقع محاكاة حرفية على المسرح مجيء الحوار مسلسلا ووقوع الحوادث مرتبة متوالية سريعة وباعداد تام على غير ما هو مألوف فى واقع الحياة . فالمسرحية مهما اجتهد الكاتب فى إظهارها طبيعية على المسرح

(١) — كتاب «فى الأدب والنقد» تأليف الدكتور محمد مندور طبع القاهرة — الطبعة

لا يمكن بأية حال أن تماثل واقع الحياة ، فليس هناك مبرر إذن لهذا الحرص على الواقعية اللفظية في اللغة .

ولقد دفع الحرص على محاكاة الطبيعة محاكاة حرفية على المسرح ، محمود تيمورالذى أشرنا إلى اتجاهه إلى استخدام الفصحى بعد عدة محاولات استخدم فيها العامية وخرج منها مقتنعا بهدم صلاحيتها - إلى تفضيل العامية لكتابة المسرحية المحلية إذا قدمت للتمثيل ، أما إذا قدمت للقراءة فيرى كتابتها بلغة القراءة أى بالفصحى ، والسبب فى ذلك كما يقول « إننا فى حياتنا العامة تنازعنا لغتان . فلامامية سماعنا متفهمين وتخطبنا متحدثين ، والفصحى أعيننا قراء وأقلامنا كتابا . فلو قدمنا المسرحية للقراءة مكتوبة بالعامية لأقذينا العين بما لا تألف ، ولو قدمنا المسرحية للتمثيل مكتوبة بالفصحى لآذينا الأسماع بما تنبوء عنه . ومادامت هاتان اللغتان تنازعاننا على هذا الوجه ، فلا بد لنا من الإذعان لما يقتضيه ذلك التنازع من مراعاة التفريق بين ما يقدم من المسرحيات للمشاهدة على المسرح وما يقدم منها للقراءة والاطلاع » (١) .

وتطبيقا لهذا رأى ألف محمود تيمور عدة مسرحيات محمية أخرج كل واحدة منها فى نسختين يضمهما كتاب واحد . إحداهما بالفصحى والأخرى بالعامية . منها مسرحية « المخبأ رقم ١٣ » ومسرحية « كذب فى كذب » . هذه المحاولة لم تضع حلا لمشكلة لغة المسرحية المحلية المقدمة للتمثيل ، لأن

(١) - انظر رأيه فى لغة المسرحية المحلية

فى مقدمة مسرحية « المخبأ رقم ١٣ » طبع القاهرة ١٩٤٤ ص ٩

وفى كتابه « فن القصص » طبع القاهرة سنة ١٩٤٨ ص ٦٧

وفى كتابه « دراسات فى القصة والمسرح » طبع القاهرة - لم يذكر تاريخ الطبع ص ٢٦٧ .

الكاتب إن كان قد أثبت فيها قدرة الفصحى على معالجة المسرحية المحلية ، فإنه لم يستغل المسرح لخدمة الفصحى مع أنه أداة فعالة لنشرها ، وما ذلك إلا حرصه على محاكاة الطبيعة محاكاة حرفية على المسرح ، بسياق الحوار بين أشخاص المسرحية بالأدب الذى يتكلمون به فى حياتهم العادية .

ولقد بذلت عدة محاولات لتطويع الفصحى فى كتابة المسرحية المحلية المقدمة للتمثيل بحيث لا تبعد عن حياها الواقعى . يتضح فيما سذكركه منها مدى التدرج فى التخلص من العامية

محاولة فرح أنطون فى مسرحيته « مصر الجديدة ومصر القديمة » .

أقدم هذه المحاولات تلك المحولة التى قام بها فرح أنطون فى مسرحيته « مصر الجديدة ومصر القديمة » (١٩١٣) ، والتى يدور موضوعها حول أفق أجنبى ، يحتال على ابتزاز أموال المصريين الأثرياء وصغار الفلاحين الجاهل بالخير واليسر والنساء . يتمكن من الإيقاع بفلاح أى ساذج وثرى مبذر مئاش . لكنه لم يستطع أن ينفذ على ثرى آخر متملم لا يخط بين جده وطفه ، فطن إلى أساليبه الخداعة فاستطاع بذلك أن ينجو منه . ولقد حاول المؤلف فى هذه المسرحية التى اعتمد موضوعها من الحياة المصرية المعاصرة ، ورمى فيها إلى غايت تهذيبية واجتماعية ، أن ينطق كل شخصية باللغة التى تناسب ثقافتها . جعل أشخاص الطبقة العليا يتكلمون بالفصحى ، وأشخاص الطبقة الدنيا يتكلمون بالعامية .

فيدور الحوار هكذا فى مشهد من مشاهد المسرحية بين « خريستو » المحتال الأجنبى وصاحب أعظم ملهى فى مصر وبين جماعة من المصريين الأثرياء .

خريستو : بونسوار بهرات . مسكتم الأوضة بتاعى ؟ أما فيه شغل ، المغفان

توعمكم عاوزين فلوس، دايمًا فلوس فلوس، الله يساعدهم خريستو.
هناك أودة كبير كثير.

رفعت بك : تعنى أنك تطردنا يا خريستو ؟

خريستو : أهلا من باي . ماشفتش سعادتك . سعادتك يساعدهم .

مصطفى بك : ونحن لسنا بشيء ؟

خريستو : كل كلام بهوات وكل كلام عزاس .

رفعت بك : عندك اليوم عصفورة جديدة فمن تكون ؟

خريستو : آه عصفور جديد، صحيح عصفور جديد . كل الناس يسأل
من العصفور الجديد ؟

رفعت بك : ليس في محلك طيور نظيفة يؤكل لحما ولا طائرا واحدا .

(فضحك الجميع لأنهم يعلمون أنه يشير إلى أُمز)

خريستو : ها مو باي . بلاش هزار في زى دى .

رفعت بك : طيب ولا كتنا نحن لم نسألك عن العصفور الجديد إلا أنه لم

من هي ؟

خريستو (مناديا) : حسن حسن (إلى رفعت بك بعد أن يسأل مرتين) العصفور

الجديد جاى من أوربا من ثلاثة يوم - قريب المسيو أرتين واخذ صاحبي، عملتها

سكرتير بتاعى خصوصى .

رفعت بك : (ضاحكا) وماذا قالت الست أُمز ؟

خريستو : ها مون باي . بلاش هزار في دى ^(١) .

(١) - مصر الجديدة ومصر القديمة . تأليف فرح أنطون طبع القاهرة سنة ١٩١٤ ص ٣٣

وقد بسط المؤلف في مقدمة المسرحية رأيه في هذه الطريقة التي كتب بها الحوار ، مبيّناً أنه لم يلجأ إليها على ما فيها من تناقض إلا بعد تردد بين الفصحى والعامية . الفصحى التي وجد في أطرافها في كل المسرحية مخالفة للواقع ، والعامية التي وجد في أطرافها في كل المسرحية أضاعاً للفصحى التي يعتز بها ، ثم يقول : « هذا هو المتكسر الذي وقعت فيه في تأليف (مصر الجديدة) وسبق مع فيه بهدى كل من يتصدى لتأليف لروايات التمثيلية الاجتماعية باللغة العربية . بقى على أن أذكر الوجه الذي اخترته لازالة هذه الصعوبة بأقل ما يمكن من التناقص في شأن (اللغة) وشأن (الطبيعة) ، لأنه من الواجب في رأي أن لا نضحي إحداها في سبيل لأخرى تضحية تامة .

اخترت وجهاً وسطاً ، وما أزعج أنه الحل النهائي ، ولكن رأيت أنه أفضل وجه حتى الآن . فقد اصطلمت على جعل أشخاص الطبقة العليا في رواية يتكلمون اللغة الفصحى ، لأن تربيتهم ومعارفهم وأحوالهم تبيح لهم هذا الحق . وجعلت أشخاص الطبقة الدنيا يتكلمون باللغة العامية . ولما كان للغة العامية إشارات واصطلاحات وكلمات هي في بعض المواقف المخصوصة من المذوبة والحلازة يمكن ، فقد بقيت لها هذه المراقف ، ولكنني اجتنبتهم أصولها اجتناباً في المواقف العالية والحوادث الفاجعة التي لا تكسبها إلا اللغة الفصحى جمالاً وجلالاً ، ولو وضعت العامية موضعها فيها لمسختها وقلبتها أضحوكة .

ثم نشعبت من هذه المشكلة مشكلة أخرى ، وهي أننا إذا اصطلمنا على جعل أشخاص الطبقات الدنيا في الرواية يتكلمون العامية وجب على مخاطبتهم أن يكلموهم بها ، أولاً ليفهم الفريقان ، وثانياً لكي لا يثقل في سمع السامع الانتقال

من العامية إلى الفصحى ومن الفصحى إلى العامية بين سؤال وجواب»^(١)

فالمحاولة لم تكن موفقة تماماً باعتراف المؤلف نفسه ، ولكنها على أى حال اجتهاد منه فى إدخال اللغة العربية فى المسرحية المحلية .

ثم جاء بعد فرح أنطون كتاب مسرحيون كانوا أكثر منه توفيقاً فى استخدام اللغة الفصحى فى كتابة المسرحية المحلية ، حتى فى النوع الفكاهى منها الذى اختصت به العامية ، بل واعتبرت هذه العامية أهم عنصر من عناصر الإيضاح فيه ، كما سبق لى أن وضحت ذلك فى الباب السابق ، من هذه المحاولات .

محاولة على أحمد با كثير فى مسرحيته « مسمار جحا »

وعلى أحمد با كثير شاعر أديب وكاتب مسرحى لم تستمع عليه الفصحى فى كتابة المسرحية شعراً ونثراً ، ولكنه فى مسرحيته الفكاهية « مسمار جحا » التى كتبها بلغة فصيحجة حاول أن يقلد فى مواضع منها منطق العامة فى حديثهم ، وأن يستخدم بعض الألفاظ الصحيحة فى لغتهم دون أن يخرج على أصول الفصحى أو يعيث بقانون من قوانينها النحوية أو الصرفية . ولم يكن ذلك بدافع من رغبة فى إشاعة العامية فى الأسلوب الفصيح ، لأنه عرف بهدائه للعامية كما صرح هو نفسه بذلك على صفحات المجلات الأسبوعية . وإنما كان ذلك بدافع من رغبته فى إرضاء ذوق الجمهور فى مختلف طبقاته والذى ألف مشاهدة المسرحيات المحلية المكتوبة بالعامية ، وذلك حتى يجذب به تدريجياً إلى قبول مشاهدة المسرحيات المحلية الفكاهية المدونة بالفصحى .

(١) مقدمة مصر الجديدة ص / ج - د
وقد لجأ ميخائيل نعيمة إلى هذه الطريقة فى كتابة مسرحيته « الآباء والبنون » التى صدرت فى نيويورك سنة ١٩١٧

ومسرحية « مسمار جحا » كتبها المؤلف بدافع من السخط على ما يلقاه الشرق العربي على أيدي المستعمرين . وما مسمار جحا سوى الدبيب الذي يتنذر به المستعمر في كل بلد ينزل فيه ليبرر بقاءه .

وقد لجأ المؤلف إلى التورية في تسمية أشخاص مسرحيته وفي تسمية بيئتهم ، ليستطيع أن ينفث سخطه على الاستعمار ورجاله واتباعهم ، وقد كنا لانزال نزرع تحت أعينهم حتى ذلك الوقت أي في ١٩٥١ .

وتسكون المسرحية من ستة مناظر ، رأيت أن استعرضها لنقف على أسلوب المؤلف ، ولنتبين مقدار ما اقترضه من العامية وطريقته في استخدامها .

المنظر الأول :

نرى فيه بطل المسرحية « جحا » يقوم بالإيماءة والوعظ في أحد جوامع الكوفة . وقد نعد أثناء وعظه أن يكشف للشعب عن الظلم الاجتماعي ، منددا بمجتمعات الأغنياء والدخلاء ، مبينا ما يعانيه الفقراء من جشعهم واستبدادهم ، بأسلوب فكاهي يعتمد فيه على التورية حيناً والتاميح حيناً آخر . ويعلم الوالي (الدخيل) بما يشيروه جحا أثناء وعظه ، فيبث جواميسه في المسجد ثم يفاجئ جحا ليسمع ما يقوله أثناء وعظه ، ويدور بينه وبين جحا الحوار الآتي :

جحا : يا ليتني علمت بأنك ستحضر لسماع وعظي ، إذن لاعددت خطبة بليغة تليق بمقامك .

الوالي : بل أريد أن تعظ أمامي كدأ بك كل يوم

جحا : أمرك يا سيدي الوالي مطاع

(يستوى في مقعده على المصطبة ويقبب بصره في وجوه الناس)

الحمد لله على نعمه وآلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وسيد أصفياه .

أما بعد . عباد الله أوصيكم بتقوى الله وبالاكثار من حمده وشكره على نعمه التي لا تحصى والطفائه التي لا تستقصى ، فكم لله من نعمة تمرون عليها وأنتم

غافلون ولقد رها جاهلون . تفكروا مثلاً في نعمة الوجود ، كيف خلقكم الله من
بنى آدم ولو شاء لجعلكم قردة وخنازير (يغالب الناس ضحككم خوفاً من
الوالى ويبتسم الوالى قليلاً ثم يكف)

انظروا إلى الشمس والقمر والنجوم كيف جعلها في السماء بعيداً عن متناول
أيدي الناس ، وإلا لاستأثر بها قوم دون قوم
(يبدو على وجه الوالى الامتعاض)

انظروا إلى هذه الجمال التي تجوس خلال شوارعكم موقرة بالفلال والشمار ،
كيف لطف الله بكم إذا لم يجعل لها أجنحة تطير وإلا لطارت فوق منازلكم
فهدمتها على رؤوسكم

(ينفجر الناس ضحكاً) انظروا

الوالى : (غاضباً) حسبك يا شبنخ (لرجاله) اصرفوا هؤلاء الناس (١)
ثم يأخذ الوالى بعد انصراف الناس في محاسبة جحا عن أقوال صدرت
عنه في خطب سابقة ، كاشفاً عما تهدف إليه هذه الأقوال في إثارة سخط الناس .
ويدافع جحا عن نفسه في لباقة ودهاء لا يتحفيان على الوالى الذي يصر على
عزله من منصبه .

المظهر الثاني :

نرى جحا بين أسرته ، زوجته وابنته « ميمونة » وابنه « الغصن » بعد
أن عزله الوالى من منصبه توؤب به زوجته على تفريطه في الوظيفة التي يتكسب
منها ، متشائمة من المستقبل المظلم الذي ينتظرهم ، محاولة أن تفلو في وجهه كل باب
من أبواب الرزق التي يفكر في الالتجاء إليها . يثور جحا عندما تعيره بفقره
فيحاول أن يثبت لها أن هذا الفقر لا يرجع إلا إلى إهمالها وإسرافها .

(١) - مسمار جحا . تأليف أحمد باكثير . طبع القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٢٠

جحا : يا هذه لا تكفري بنعمة الله

أم الفصن : (بالهجة أشد) متى وجدت نعمة الله عندك يا رجل !

جحا : (تبدأ لهجته في الملو) إن نعمته عندنا موفورة ولكنك تضيعونها
بإسرافك وإهمالك

أم الفصن : (تبلغ أوج العنف) ماشاء الله ، الآن أضفت الإهمال إلى الإسراف
جحا : (مهاجما بعنف) نعم لولا إهمالك ما أكل القط لخبثا مرة بعد مرة
أم الفصن : (تabin لهجتها) ما ذنبي ! فقد قلت لك مرارا اطرد هذا القط
من بيتنا فأنتم تفعل .

جحا : (ماضيا في عنفه) وما ذنب القط ؟ إذا ترك له اللحم فأكله ،
فالحق على الذي تركه لا على الذي أكله

أم الفصن : (في انكسارها) هذا القط الخبيث لا يعيبه شيء ، انه لينسل إلى
حيث الأحم بألف حيلة وحيلة

جحا : (في سخرية) ياله إذن من قط عبقرى ، لو كان لي بعض ذكائه
وكفايته لفتحت العالم

أم الفصن : ماذا تريد أن تقول ؟

جحا : اسمي يا أم الفصن . إن احتملت منك هذا فيما مضى فلن أحتمله
اليوم بعد أن انقطع عنا هذا المورد من الرزق . وإياك ثم إياك أن تسمعي
حكاية القط مرة أخرى

أم الفصن : (تتور من ألم الوحزة) هيه . . . كأي بك تريد أن تهمني . .
ما بقي إلا هذا

جحا : كلا لا أريد أن أتهم أحدا الآن . ولكن والله لئن فقدنا اللحم مرة أخرى لأهتدين إلى الجاني سواء أكان قطا خبيثا أم قطعة ماكرة (١)

ثم تأخذ زوجة جحا بعد ذلك في الكشف عن خوفها على مصير ابنتها « ميمونة » التي كانت تحلم في تزويجها من رجل ثري ذي مكانة مرموقة ، وأن هذا الحلم سوف لا يتحقق بعد عزله من منصبه ولكن جحا لا يشاركها هذا الرأي إذ أنه أزمع على تزويجها من ابن شقيقه « حماد » الذي تبادلته الفتاة حبا بحب . لم تكد الزوجة تسمع اسم حماد الذي تعارض في اختياره زوجها لا بنتها حتى تحتد ثورتها ، وخاصة عندما يأبى حماد ليقترح على عمه أن يديم داره ويستأجر أرضا يشتغل فيها بالزراعة . هذا الاقتراح لم يجد قبولا من الزوجة ، ولذلك تأخذ من جديد في الاشتباك مع زوجها الذي قبل الاقتراح وذلك في الحوار الآتي :

أم الفصن : كلا لن نبرح البلدة لنقيم في الريف . . . ان نعود فـلاحين في آخر العمر .

جحا : ويحك لأن نشبع في الريف خير من أن نجوع هنا في البلدة .
أم الفصن : لتجيعنا هناك كما اجعتنا هنا . . . أو تظن يا شيخ أنك ستفلاح في زراعتك ؟ والله إياي الجراد على زرعك ولتفلسن كما أفلس من قبل .

جحا : أعوذ بالله . . . فال الله لا فالاك (٢) .

وهكذا تستمر أم الفصن في تثبيط همّة جحا ، وينتهي هذا المنظر دون أن يستقر رأي جحا على القيام بعمل .

(١) - مسمار جحا ص ٣٠

(٢) - مسمار جحا ص ٣٥

المنظر الثالث :

ترى فيه جحا وقد تولى منصب قاضى قضاة الدولة ببغداد ، ذلك لأن الوالى (الحاكم الدخيل) أراد أن يثقى شعره فيأبىه بهذا المنصب وما يحيط به من ترف عن إثارة الشعب وإقلاق الأمن العام - لكن جحا يستغل هذا المنصب لتحقيق أهدافه ، فيشغل طوال هذا المنظر فى رسم خطة مع ابن أخيه حماد لرفع قضية تهيج الشعب وتنبهه إلى حقوقه المسلوبة وإلى مكائد الدخيل . بينما تشغل زوجته فى تعليم أبنائها كيف يظهرون بانظهم اللائق بمركز أديهم ، وذلك فى مشهد مضحك يتضح فى هذا الحوار .

أم الفصن : مهلا يا غصن . خبرنى أولا إذا سألك بن من أنت فماذا تقول لهم ؟
الفصن : سأقول لهم أنا ابن الدولة .

أم الفصن : قطع لسالك . قل ابن قاضى قضاة الدولة كما لقنتها مرارا لك .

الفصن : (فى انكسار) ابن قاضى قضاة الدولة

أم الفصن : فخمها قليلا

الفصن : ابن قاضى قضاة الدولة فخمها قليلا

(تفجر ميمونة ضاحكة بعدما غابت الضحك طويلا)

أم الفصن : خبرنى يا ابنة جحا ممن تضحكين ، من أخيك الأبله أم منى ؟

ميمونة : (مسترسلة فى الضحك) منكما مما

أم الفصن : آه يا فاجرة

ميمونة : ما حيلانى إذا كنت بعملك هذا تضحكين حتى الحجر ؟ والله

لئن تماديت فى هذا ليقالبن أخى مجنوننا .

أم الغصن : يا عاقه اقليلة الأصل إنما أنما كيف يخاطب الناس وألقه
آداب السوك من أجلك .

ميمونة : (متعجبة) من أجلى أنا ؟

أم الغصن : نعم من أجلك أنت ليكون غناؤنا حسنا لك ، فلا يستنكف أبناء
البيوتات من خطبة أخته التي هي أنت

ميمونة : (في سخرية) أشكرك يا أماء وأرجو أن تكفى نفسك كل
هذا لعناء من أجلى

أم الغصن : (تفجر ثائرة) راح قلباه سنكم . قتلتم الله جميعا من والد
وما ولد .. أقتل نفسي كذا وتعبا لأرثكم في عيون الناس
وتأبون إلا للصوق بأصلكم وضع غورى الآن من وجهي

المنظر الرابع :

نرى جحا يفصل في قضية التي دبرها مع ابن أخيه حماد لإثارة الشعب .
ونلاحظ في أن جحا قد أعطى داره لابن أخيه حماد ، فباع حماد الدار إلى
شخص يدعى غانم ، واشترط عليه أن يبقى في الدار مسمارا لأنه عزيز لديه وله
في نفسه ذكريات طيبة ، وقبل المشتري هذا الشرط لكنه لم يلبث أن ضاق
ذروعا بنصرات حماد الذي كان يحضر إليه كل يوم ليطلب من على المسمار ، فرفع
أمره إلى القضاء .

نصل إلى جحا للفصل ٣ . هذه القضية فرقت بين صف المشتري وقف الجمهور
كله في صفه أيضا ، وأخذ جحا يسوغ في البت في القضية حتى يتمكن من خلاها
في تنبيه الجمهور إلى « مسمار الدخيل » . ولما طال النزاع حول هذه القضية قبل
غانم أن ينزل عن الدار لصاحب المسمار حماد للنزاع ، ولكن جحا رفض أن

يقبل هذا التنازل حتى ضطر الحاكم الدخيل . وكان حاضرا يتتبع القضية - إلى التدخل حتى يرغم جمعا على صراحة البت في هذه القضية التي كادت تودي بأمن البلاد . وذلك في الحوار الآتي :

جمعا : أي صلح هذا ؟ أينزل رب الدار لرب المسمار ؟ أليس صاحب المسمار أحق أن ينزل لصاحب الدار عن مسماره أو ينزعه منها ويفرسه في مقر داره ؟

الحاكم : فهلا قممت بذلك ابن أخيك هذا العنيد المتعنت .

جمعا : الآن ياسيدي قلت الصواب « الحمد » سمع يا حماد . إن الحق أحق أن يتبع ، وقد ضرب هذا الرجل مثلا بالغا في التسامح ، فمن اللوم ألا تقابل إحسانه بإحسان . ماذا عليك لو تزعت مسمارك من د . . حتى يستمتع فيها بما للمالك من حرية وكرامة .

حماد : كلا والله لا أنزل عن حقي أبدا .

جمعا : لا ينبغي أن يظلم صاحب الدار من أجل صاحب المسمار . المسمار منقول والدار ثابتة . المسمار ينزع والدار باقية . صاحب الدار يملك لأرض التي تحتها إلى سبع أرضين . وصاحب المسمار لا يملك منها ولا حفنة طين .

الحاكم : (يخونه ثباته ووقاره) كفى يا شيخ المفسدين في الأرض .

جمعا : (معرضا عنه ومتوجها إلى الحاضرين) ماذا ترون يا معشر الحاضرين ؟ أليس على حماد أن ينزع مسماره ؟

الحاضرون : (بصوت واحد) بلى . . . انزع مسمارك يا حماد ؟ انزع مسمارك يا حماد .

حماد : (صائحا) ويلكم ترون المسمار الصغير ولا ترون المسمار الكبير . هذا صاحبه فيكم . مروه ينزعه أو فانهزعه بأيديكم .

الحاكم : (صائحاً) خذوه وخذوا هذا الشيخ اللعين

(يقفز حماد جهة الباب وينطلق هارباً والشرطة يعدون خلفه)

جحاح : (ثابتاً في مكانه يهتف فيردد الحاضرون هتافه)

يارب المسمار انزع مسمارك

من دار الأحرار إذ ليست دارك

المنظر الخامس :

نرى جحاح في السجن وقد حضر إليه الحاكم يأمره بأن يعمل على تهدئة ثورة الشعب الذي كان سبباً في إشعالها . فيرفض جحاح مصرحاً في شجاعة بأن الشعب لا تهدأ ثورته إلا بخروج الدخيل من أرضه ، وينتهي المنظر بتغلب إرادة الشعب وخروج الحاكم الدخيل وقواته المحملة .

المنظر السادس :

نرى زوجة جحاح وقد انتهزت فرصة غياب جحاح وابن أخيه حماد في السجن تسرع في عقد قران ابنتها ميمونة على أحد رجال القصر « عبد القوي » ، غير عابئة بمعارضة الفتاة فتحضر لها الماشطة لكي تقوم باعدادها لحفل القران والزفاف وفي حرار بين الماشطة والعروس وأمها ، يكثر المؤلف نوعاً ما من تقليد منطق العامة في كلامهم ، واستعمال عباراتهم دون أن يخرج على الأسلوب الفصيح . الماشطة : (تضرع شمرها) ارفعي رأسك قليلاً يا ابنتي حتى أتمكن من تضيف شمرك .

ميمونة : أوه . . لقد أرجعت عنقي

الماشطة : يا عروستي لا ينبغي أن تعبسي هكذا في يوم عرسك

ميمونة : يا لينة كان يوم جنازتي

الماشطة : لا حقا لك . أتكرهين أن تنزعي رجلا عظيما من قصر السلطان ؟

أي فتاة لا تتمنى هذا الشرف والفخر ؟ هيا ابقيني ودي عندك

هذا العريس والحزن

(تدخل أم الفصن)

أم الفصن : من أول الظهر في شعرها هذا ^(١) يا أم الخير . متى إذا تكلم بها ثم

متى تلبسينها الحلال والحلي ؟

الماشطة : كان عليكم أن تسعوني من أول النهار كما يفعل الناس لا عند أذن

الظهر .

أم الفصن : ماذا يعني يا أم الخير ؟ لم يخفنا يا عمدة القوي إلا اليوم بعد لزور وقد

في إلا أن تزف إليه عروسه اللبنة .

الماشطة : كان عليك أن نصري على تأجيل الزفاف إلى الغد

أم الفصن : لو كان صاحبنا هذا من سواد الناس لاستظفنا أن نرفض طلبه .

والكنه من رجال القصر . غال يا أم الخير والطاب رخيص

الماشطة : إذن لا تستعجلين ليس لي غير يدري شئتين .

ميمونة : لا أرده . . . لا أريد . جلاله زهراء وأولاد

أم الفصن : (تلبس لها عذرا) بحثك م السرور زوجته الأولى هي التي ينبغي

أن تأكلها الفيرة لا أنت (لمشاهدة) فهمها يا أم الخير فهي بعد

صغيرة لا تعرف الدنيا . عرفها أن الضرة الصغرى هي التي هـ

القلبة على لا خزن وهي التي تملك قلب لرحل .

ميمونة : لا أريد أن أملك قلب أحد

(١) نقول في الأسلوب النصيب آتشفين شعره من الظهر إلى الآن

أم الفصن : لماذا أتدبن رزقا ساقه الله إليك ؟ إنه ما خطبك وله زوجة إلا
لأنه وجد فيك بغيته متى يريد . ومن يدري ؟ لعله يطلقها أو تموت
فتنفردى به وحدك .

ميمونة : أعود بالله من سوء ما تضمرين للناس . . . ما ذنب تلك الزوجة
المسكينة ؟

أم الفصن : أوه انضجى يا بنت واستري ؟ إلى متى تظنين مكذابة
مالك وللناس أن ترى لو كان لك مل فخطب واحدة أخرى أنظننها
ترفضه رحمة بك وشفقة عليك ؟ يا حمقاء إنما الحياة كفاح ولا
عليك أن تخطفي اللقمة من فم غيرك إذا كانت مفسومة لك

ميمونة : (في إصرار) كلا لا أريده . . . لا أريده . . .

الماشطة : ارض بما قسمه الله لك يا بنتى ، فمضى أن تكوهوا شيئا وهو خير
لكم . خذيني أنا مثلاً أمامك . زوجنى أبى - رحمه الله - لغير
من أحبه وأعشقه . فبكيت وشكيت وعملت ما لا يعمل . ثم
استسلمت . ومرت الأيام فإذا زجرى من أكل الأزواج ، وإذا
قربى الذى كنت أهواه مزواج مطلق لا يستقر على واحدة ولا
تدبى قضاياه معن فى المحاكم .

ميمونة : (تنهد) بس ^(١) لو أنها صبرت حتى يخرج والدى من الحبس

(١) بس كلمة فصيحة . جاء فى لقاموس بسبس به : قال له بس بمعنى حسب

وأخيرا فختتم المسرحية بخروج جميعا وابن أخيه حماد من السجن ورجوعهما إلى المنزل قبل إتمام عقد قران ميمونة . فتصير ميمونة من نصيب حماد ويعتد لها عليه .

وهكذا استطاع باكثر أن يكتب مسرحية فكاهية بأسلوب فصيح لا تزيد مظاهر العامية فيه إذا أحصيناها عن صفحتين من صفحات المسرحية التي يربو عددها على المائة صفحة . ولم تخرج هذه العامية في مختلف مظاهرها على شروط الأسلوب الفصيح .

فكانت المسرحية محاولة موفقة في ترويض ذوق الجمهور على استساغة الحوار الفصيح في تمثيلية فكاهية . وقد لقيت المسرحية نجاحا كبيرا عندما مثلتها فرقة المسرح المصري الحديث (١٩٥١) .

محاولة توفيق الحكيم في مسرحيته «الصفقة»

أما توفيق الحكيم الذي يعتبر باجماع الآراء رائد المسرحية في الأدب العربي ، فله في ميدان المسرحية نجارب متنوعة في موضوعها وأهدافها وأسلوبها ، قد سعى خلالها للبحث عن أسلوب الحوار . وهو أسلوبه المفضل الذي كرس له جهوده ^(١) ، لأنه يرى أن التجربة وحدها هي التي ترشد الكاتب المسرحي إلى الأسلوب الأدبي الذي يجب أن تكتب به المسرحيات ، ولأن الكاتب المسرحي

(١) انظر أسباب اثارته لأسلوب الحوار في كتابه «فن الأدب» طبع القاهرة سنة ١٩٥٢

مضطر إلى القيام بمختلف التجارب لعدم وجود تجارب راسخة في معالجة الفن المسرحي في الأدب العربي^(١)

كتب الحكيم مسرحياته التي استلهم مادتها من المسرح الاغريقي مثل (أوديب - وبجماليون) ، ومن القرآن الكريم مثل (أهل الكهف - سليمان الحكيم) ومن ألف ليلة وليلة مثل (شهر زاد) بلغة فصيحة تفاوتت في أسلوبها تبعاً لدرج نضجه في الكتابة^(٢)

أما مسرحياته المحلية فقد طاف في كتابتها بمختلف الأساليب ، ولذلك سأقتصر هنا على ذكر محاولاته في كتابة المسرحية المحلية التي يدور الخلاف حول لغتها .

استخدم الحكيم في كتابة المسرحية المحلية العامية: عامية لريف في مسرحية « الزمار » عامية المدينة في مسرحية « رصاص في القلب » ، واستخدم الفصحى في مسرحية « أغنية الموت » ، واستخدم لغة الحياة اليومية التي لا تجافي قواعد الفصحى في مسرحية « الصفة »

فما هو الأسلوب الذي آثاره الكتابة لمسرحية المحلية بعد هذه التجارب . لقد صرح الحكيم برأيه في لغة المسرحية المحلية بعد تجارب ثلاثة خاضها في محيط واحد هو الريف المصري ، استخدم فيها ثلاثة أساليب مختلفة .

(١) انظر رأيه في أسلوب المسرحية . وهل تكون أدانة العامية أم العربية الفصحى .

في مجلة الحديث . السنة التاسعة . فبراير سنة ١٩٣٥ . ص ١٦٩

وفي مقدمة كتاب « المسرح المنوع » . طبع القاهرة . سنة ١٩٥٦

(٢) انظر المراحل التي تطور فيها أسلوب الحكيم ، وآثاره في كل مرحلة

في كتاب « توفيق الحكيم الفنان الخائر » بقلم اسماعيل أدهم . طبع حلب سنة ١٩٣٩

ص ٩٢ (آثاره وكتابات)

التجربة الأولى في مسرحية «الزمار»

وهي من تجاربه الأولى في التأليف المسرحي ، كتبها سنة ١٩٣٠ وهو حديث العهد بالالتحاق بوظيفة وكيل النائب العام في ريف مصر . وتدور حورده حول ممرض يعمل بمكتب صحة بالأرياف . أله حبه للموسيقى والغناء عن الالتفات إلى المرضى . هم يضجون بمطالبهم ، وهو إما مستغرق في النوم من طرب سهره في أفرح أهل البلدة التي كان يسبح في أحياضها . وإما مشغول بالعزف على مزماره يبحث عن لحن جديد . وأخيرا يقع في حب غبية مشهورة فيترك عمله يذهب في ركابها . وقد زدد أنواف خلال مسرحية بسوء العلاج في القرية وقلة وسائله .

مألفة المسرحية فهي العامية الريفية ، كما نرى في ذلك المشهد الذي يدور الحوار فيه بين سالم الممرض وبعض المرضى .

سالم : (يرفع رأسه) اكتمى نفس لواد يا حرمة إلا قوم قتلواك رقبتك . . .

الحرمة : الغيار امنى يا حضرة الصحة ؟

سالم : (يخط)

الحرمة : (بعد لحظة) الغيار . . .

سالم : (وهو منمض) هس

الحرمة : (تصيح) الغيار

سالم : (يفتح عينيه) يا وليه طيرت النوم الحلو من عيني

الحرمة : (في توسل) الغيار . .

سالم : إانت عليك عفريت اسمه الغيار ؟

الحرمة : أحب على ايدك تغير الولد . . .

سالم : لما يجيئ مزاحي

فلاح : باجور الضحافات من بدرى يا فدى

سالم : عجائب ! و حياة لذي قوم أكب عليك حمض فنيك . الخ (١)

التجربة الثانية : في مسرحيته « أغنية الموت »

تأول المؤلف في هذه المسرحية موضوعاً من أخطر المواضيع التي تمس الحياة الريفية وهو موضوع الأخذ بالثأر . وتدور حوادث المسرحية في قرية من قرى الصعيد ، حيث تزأ زوجة بنقل زوجها ووصول حثته محملة على ظهر حماره . لم تشغلها السكارثة بقدر ما شغلتها فكرة الانتقام لأنها كانت تعرف الجاني . فأخذت تعد طفلها وهو ابن عامين للأخذ بثأر أبيه . حماته ليلاً رافقت به إلى القاهرة حيث استودعته عند قريب لها ووضعت أن يالحقه عندما يصبح قادراً على العمل بمحل جزارة ليحسن استخدام السكين . ورجعت إلى القرية تنتظر ساعة الانتقام . أما الابن فلم ترق له مهنة الجزارة وفضل مواصلة الدراسة حتى استطاع أن يتحقق الأثر . فمضى السابعة عشرة من عمره استدعته والدته ليأخذ بثأر أبيه . فماد إلى القرية لا ليحقق رغبة والدته ، وإنما ليطلبها عن آرائه الإصلاحية التي ينوى أن يحسب في القرية . حاولت لأم أن تقنعه وجوب منحو ثأر الذي لحق بالأسرة والذي اضطرت إلى تحمله طوال هذه السنين ، لكنه رفض الاستماع إليه ، ولم يجد معه وسائلها ، حرضت ابن شقيقها على قتله لأنه لم يعد يظنها أهلاً للحياة . كتب الحكيم هذه المسرحية بالفصحى ، ويبدو أن خطورة الموضوع

(١) نشرت مسرحية « الزمار » في كتاب « أهل الفن » لتوفيق الحكيم . طبع القاهرة .

سنة ١٩٣٤ ص ٣٥ .

وفي كتاب « المسرح النوع » لتوفيق الحكيم . طبع القاهرة سنة ١٩٥٦ ص ٦٤٩ .

هي التي لجأت به إلى استخدام الفصحى . ولم تحمل الفصحى بيته وبين سياق حوار عذب ينساب طبيعيا في غير تكلف أو تصنع كما نرى في هذا المشهد الذي يدور لحوار فيه بين الأم « عما كر » وابنها « علوان » محاولة اقناعه بوجوب الأخذ بآراء أبيه ، مستدرة عطفه بوصف ما عانته من آلام .

عما كر : ما أتم أبوك في انتظارك يا علوان . وهذه الذبائح معدة للبحر وعريلى لدى حبسة في حافى طوال هذه الأعوام ينتظرك لينطق . . . وقميصى الذى أمسكت عن شقه كل هذا الزمن يترقبك ليشق . . كل شيء في وجودنا هامدا كما . . يتطلع إليك لتدب فيه الحياة .

علوان : (كالخاطب نفسه) أهكذا تدب فيكم الحياة ؟

عما كر : نعم يا علوان . عجل بالساعة الموعودة عجل لقد انتظرتنا طويلا . . . علوان : (فى عجب) الساعة لموعودة .

عما كر : ما من شيء نسيته . . . حتى الحجر الذى سيمس عليه السكين الصدى . أحضرته لك وأخفيته فى هذه الحجرة .

.....

وتستمر الأم فى توصلاتها حتى يفاجئها علوان برفضه

عما كر : ما بالملك يا علوان تكسر من لاطراق ؟ انهض ولا تضع الوقت انهض .

علوان : (يرفع رأسه متشجعا) أمى لن أقتل

عما كر : (تكتم ارتياحها) ماذا أسمع ؟

علوان : لن أقتل

عما كر : (بصوت أجش) دم أبوك .

علوان : أضعتموه أنتم بإخفائه عن الحكومة . . . القصاص لولى الأمر . (١)

خرج الحكيم من التجريبيين السابقين دون أن يستقر على رأى فى لغة المسرحية المحلية فلا العامة أرضته ولا الفصحى أرضته فقام يفتش عن أسلوب جديد فى تجربة ثالثة .

أما التجربة الثالثة ففى مسرحية «الصفقة» :

وتتلخص حوادث مسرحية «الصفقة» فى أن شركة بلجيكية تملك أرضا زراعية فى القرية التى تشور فيها حوادث المسرحية ، أعلنت عن رغبتها فى بيعها للفلاحين بالتقسيط . وشرعان مااجتمع أهل القرية للتشاور فى شراء الأرض ، ولم يسكد رأيهم يستقر على شرائها حتى عمت الأفراح وأعدت لدبائح احتفالا باتمام صفقة الشراء . وفى ذلك الوقت وصل إلى القرية «حامد بك أبو راجية» وهو ثرى عرف بكثرة ضياعه وحببه لتوسيع رقعتها . فاعتقد أهل القرية أنه حضر لمعاينة الأرض والسعى لدى الشركة لشرائها ، ولذلك اتفقوا على أن يقدموا له مبلغا من المال حتى يترك لهم شراء الأرض . أما «حامد بك» فلم يكن مجيئة إلى القرية إلا بمحض المصادفة ، إذ تعطلت سيارته فأراد أن يواصل سفره إلى القاهرة بالقطار من محطة القرية . فلما بوغت بحسن استقبال الفلاحين له وبما قدموه إليه من مال ووقف على حقيقة الموضوع أراد أن يستغل الظروف ، فبالغ فى مطالبه حتى ارتفع المبلغ المقدم إليه من مائة جنيه إلى مائتين . لكنه لم يكتف بهذا المبلغ بل أصر على اصطحاب الفتاة «مبروكة» التى لحبا وهو فى طريقه إلى محطة القطار لئلا تكون مربية لابنه الصغير . قبلت الفتاة السفر مع حامد بك مع أنها كانت مخطوبة وعلى وشك الزواج

(١) نشرت مسرحية «أغنية الموت» فى كتاب «مسرح المجتمع» لتوفيق الحكيم . طبع

رغبة في إنقاذ الأرض من هذا الثرى الجشع . وهناك في منزل حامد بك تقف
مبروكة على حقيقة زيارته للقرية . فلجأ إلى حيلة لمنع حامد بك من إفساد
الصفقة ولرجوع إلى قريتها حيث تخبر أهلها بالحقيقة

حاول الحكيم في هذه المسرحية أن يتوخى السهولة في التعبير لكي
يقرب من الفصحى والعمية . فكتبها بلغة سليمة انتقاها من لغة الحياة
اليومية . وحرص جهده على ألا يخرج على قواعد الفصحى ، فمثلا بدور
الحكيم هكنا بين مبروكة وأهلها بعد عودتها إلى القرية . اشرح لهم الحيلة
التي لجأت إليها لتعزل بين « حامد بك » وبين إفساد الصفقة . وتخلص
نفسها وأهل قريتها من شره .

مبروكة : قلت بشيء نافع . فكرت في قواكم لو ضمن سكوت « حامد
بك » ولو لمدة يومين . . قلت في نفسي لا بد أن أدبر تدبير يحجزه
في بيته لا يخرج ولا يدخل . وأبعد شره عنى وعن البلد وساعتها
ربنا فتح على ونور عفى بفكرة حلوة

عوضين : خير . . .

مبروكة : خطب إلى بالي يوم « قتلوا » الصحة عندما تتباه في طاعون
« الكوليرا » ناحية « عزبة المحامدة » بحري بادنا . . . وعسائر النقطة
حضرنا ونهجانة عملوا كركشون على العزبة باقى واحد يخرج ولا يدخل

عوضين : حكاية بقى لها خمس سنين . .

مبروكة : عمتها . .

محروس : عمتها فيهم « ياعم » عوضين « . . مبروكة دماغها كبير ياعم
« عوضين » دماغها كبير . .

مبروكة : بعد المشا رحمت مدخلة يدي في حافتي لأجل استفرغ . . واستفرغت كل مافي جوفى . وقلوا الى مالك ؟ قلت لهم قبل حضوري كنت في عزبه جنينة فيها اشتباه « كوليرة » ولا بد أن يكون عندي كوليرة . . أنا قلتها والبيت كله قام يصرخ ويقول « الكوليرة » . . « الكوليرة » . . والدكتور حصر وأمر بنقل « للمقنة » يعنى مستشفى الحميات . وبلغ الصحة والصحة قامت وقعدت وقالت لا بد من عزل البيت كله . . . والبوليس حضر وحاصر البيت وعملوا عليه الكردون . . و « حامد بك » حصل له وهم وبقي يستفرغ من خوفه ورعبه هو وأهل بيته من صغار الكبار . . والله ما بردلى قاب إلا عد ما شاهدت حاله بهي . . . وقلت ما حرى له يساوى أكثر من فلوسنا . . .

عوضين : ونقلوك المستشفى ؟

مبروكة : نقلوني . . . وقعدت هناك الليتين لخدمافه صوفى وطاعت الحالة سليم . . . والصحة استعالت من المديرية هنا ، أفدوا بعدم وجود حالة وباء ولا أى اشتباه . . . وعنها صرفوني . خرجت لقيت « محروس » في انتظارى على الباب .

محروس : نمت الليتين على باب المستشفى . . . بعد ما قالوا لي هالك في بيت « اليك » من ورا حصار الكردون إن « مبروكة » نقلوها « للمقنة »

سعدوى : والله حيلة طيبة يا « مبروكة »

تهامى : حقا طاعت واعية . عرفت تخلصنا ونحجز « البك » في بيته يومين

عوضين : ونخلص نفسها من شره

محروس : مخها كبير يا عم « عوضين » . . . مخها كبير

سعداوى : عشت يا « مبروكة » . . . عشت لما كنا يا « مبروكة » . . .
تهامى : أذ غاتها قبل سفرها . . . قت لكم انكلوا عليها . . . عيني كلها انظر
. . . راحت ونفقتا وبردت نارنا

عوضين : وبالشرف

مبروكة . الحمد لله . . . الخ (١)

هذه اللغة هي التي أثرها الحكيم لكتابة المسرحية المحلية ، كما صرح بذلك
في تم — اية مسرحية « الصفة » ، حيث بين أسباب اثاره لهذه اللغة ، وبين
خصائصها ، وما يترتب على نجاحها وذيوعها من نتائج ، يقول :

« كتبت مسرحية « لزامار » بالعامية وكتبت مسرحية « أغنية الموت »
بالفصحى فما هي النتيجة في نظري ؟ . . . أشك أن المشكلة قد دلت تماما ،
فاستخدام الفصحى يجعل المسرحية مقبولة في القراءة ولكنها عند التمثيل تستلزم
الترجمة إلى اللغة التي يمكن أن ينطقها الأشخاص . فالفصحى إذن ليست هنا
لغة نهائية في كل الأحوال . . . كما أن استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه
هو أن هذه اللغة ليست مفهومة في كل زمن ولا في كل قطر بل ولا في كل إقليم ،
فالعامية إذن ليست هي الأخرى لغة نهائية في كل مكان أو زمان .

كان لا بد لي من تجربة ثالثة لا إيجاد لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى ،
وهي — في نفس الوقت — مما يمكن أن ينطقه الأشخاص ولا ينافي طبائعهم ولا
جو حياتهم . لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل إقليم ويمكن أن تجري
على الألسنة في محيطها ، تلك هي لغة هذه المسرحية ، قد يبدو لأول وهلة لقارئها

(١) الصفة . تأليف توفيق الحكيم . طبع القاهرة سنة ١٩٥٦ . ص ١٣٦ - ١٣٩

أنها مكتوبة بالعامية ، ولكنه إذا أعاد قراءتها طبقاً لقواعد الفصحى فإنه يجدها منطبقة على قدر الامكان . بل إن القارىء يستطيع أن يقرأها قراءتين ، قراءة بحسب نطق الريفى فيقلب « القاف » إلى « جيم » أو إلى « همزة » تبعاً لهجة إقليمه فيجد الكلام طبيعياً مما يمكن أن يصدر عن ريفى ، ثم قراءة أخرى بحسب النطق العربى الصحيح فيجد العبارات مستقيمة مع الأوضاع اللغوية السليمة ... إذا نجحت فى هذه التجربة فقد يودى ذلك إلى نتيجتين : أولاها السير نحو لغة مسرحية موحدة — مدة فى أدبنا تقترب بنا من اللغة المسرحية الموحدة فى الآداب الأوربية . وثانيتهما — وهى الأهم — ، التقريب بين طبقات الشعب الواحد وبين شعوب اللغة العربية بتوحيد أداة التفاهم على قدر الإمكان دون المساس بضرورات الفن ^(١) »

فلغة المسرحية المحلية — كما رأينا — كانت وما زالت موضع خلاف ، وهذا الخلاف لا يرجع إلى عدم قدرة الفصحى على معالجة المسرحية المحلية ، وإنما مرجعه — كما أشرنا من قبل — إلى المبالغة فى التزام الواقعية الحرفية على المسرح . ولكن الرأى متجه الآن إلى كتابة المسرحية المحلية بالفصحى مع توخى السهولة فى التعبير حتى لا تبعد عن الواقع أو تخافيه كما رأينا فى محاولة الحكيم فى مسرحية « الصنفعة » وانتشار التعليم بين مختلف الطبقات سيشرح الكتاب على استخدام الفصحى وسيساعد الجمهور من ناحية أخرى على تذوق التمثيل المحلى الفصيح .

ونلاحظ من تتبعنا لمظاهر العامية فى القصة بأنواعها ، أن سبب رواج العامية فى فن القصة لا يرجع إلى عدم قدرة الفصحى على معالجة الفن القصصى وخاصة أسلوب الحوار ، وإنما مرجعه إلى الأسباب التالية :

١ - حدثتة الفر الصبي في أدبنا العربي وندم وجوده ثم ركب راحة لما
في هذا فن مستحدث. ولذلك كانت استجابة كتب النصة له دعوة إلى أهمية
تكوين من غيره .

٢ - أن رتبة جملة القصص لدى مستخدمت فيه العامية كان بمثابة اختبار
لأولى في تأليفنا القصص .

٣ - أن رواد القصة المعاصرين قد ثبت أنهم لم يستخدموا العامية إلا في
بدء تكوينهم الأدبي وقبل أن يتفرغوا من المثلث والخبرة ما يمكنهم من
الاقتدار في أساليب رواية والتصرف فيه . بل لما لمزجوا الذي اتجا إلى العامية
في سبيله لأخذ عبقرة ما ثبت أنه لم يكن من دعواتها . وبسبب ترخيصه في
استخدامها ، وطريقته في تناولها ، هي في الغالب لا يخرج عن تدويل كلمة عامية
في أصل في النصحي أو عبارة عامية يسبقها وفق أصول النصحي بقواندها .

٤ - أن رواد القصة هؤلاء قد خرجوا من تجاربهم الأولى التي استخدموا
فيها العامية . معترفين بهم صلاحية العامية كأداة للتعبير الأدبي ، مجمعين على
نبذها ولأجله إلى الفصحى . وانجأهم إلى الفصحى مرات في أيديهم وأسلمت
لهم القيد وأثبتت كفايتها في معالجة الحوار وتصوير الحياة العصرية بمختلف
معاييرها وغرضها . بل إن بعضهم أسهم في وضع أسماء جديدة للأشياء المستحدثة
مثل محمود تيمور ومازني . وقد فذرت جهودهم في خدمة اللغة العربية وأحراء
مكتبتها . فحتم بعضهم أنفسهم بجمع اللغة العربية : مثل المازني ومحمود تيمور
والحكيم . ولست أعني بذلك أن العامية قد نبذت تماما في إنتاجنا القصصى إذ
ما زال بعض كتب النصة المنشئين الذين مروا في دور التجربة يؤثر في العامية
في أسلوب الحوار . ولكني أريد أن أقول إن طلائع كتاب القصة وبرر دها

الذين تمرسوا في كتابة القصة ومروا في مختلف التجارب بأحزین عن أسرارهم .
قد نبذوا العامية ، وأثبتوا عملياً قدرة الفصحى على معالجة الفن القصصى
بمختلف أنواعه .

وقبل أن نختم هذا الباب الذى تتبعنا فيه مظاهر العامية فى فنين من
فنوننا الأدبية وهما : فن الشعر الذى لم تجد فيه العامية رواجاً لأن لنا فيه
أصالة . وفن القصة الذى راجت فيه العامية لأنه مستحدث فى أدبنا العربى .
يحدربنا أن نشير إلى اقتحام العامية لفن آخر من فنوننا الأدبية هو فن
المقالة ، وقد سبق أن تكلمت خلال البحث عن كتاب المقالة الذين استخدموا
العامية ، وبينت أسباب اتجاههم إلى استخدامها .

منهم من كانت لهم رسائل إصلاحية تهذيبية . فاستخدموا العامية مع
تمسكهم من الفصحى رغبة فى تثقيف العامة وإطلاعهم على أحوال البلاد
الاجتماعية والسياسية ، مثل : يعقوب صنوع فى مجلته «أبو نظارة» وعبد الله
النديم فى مجلتيه «الأستاذ» و «التكيت والتبكيت» . ومحمد النجار فى مجلته
«الأرغول» .

ومنهم من استخدموا العامية استجابة لدعاة العامية . كان بعضهم من
العامة (العمال وأصحاب الحرف المختلفة) الذين لم يحضوا من العربية إلا
بخط ضئيل . فشجعته الدعوة إلى العامية على اقتحام ميدان الكتابة بغير
أن يتزودوا بأدواتهم . رغبة فى طلب الشهرة ، فكان نتيجة ذلك ظهور المجلات
العامية بكثرة فى أوائل انتشار الدعوة إلى العامية كما أشرت إلى ذلك من
قبل . وكان بعضهم من المنقذين الذين تأثروا بفكرة المصرية فحاولوا تطبيقها فى
كتاباتهم مثل : محمد تيدور . وفكرى أبانخه ، وسلامة موسى .

لكننا اليوم بعد أن اختفت دواعي الكتابة بالعامية . وهي : الاستعمار .
الحركات القومية الانفصالية . الأمية ، وبعد أن أخذ التعليم في
الانتشار وارتفع مستوى الثقافة العربية . نرى أسلوب المقالة الصحفية
أخذاً في الارتقاء . حقيقة ما زالت العامية تحتل أنهاراً صغيرة في
بعض صحفنا اليومية وفي بعض مجلاتنا الأسبوعية ، بقصد نشر آراء
إصلاحية بين العامة . ولكن هذه الحجة التي ينزع بها الكتاب الذين
يستخدمون العامية إن كان لها ما يبررها في بدء نهضتنا الحديثة ، حيث كانت
معرفة العربية قاصرة على فئة ضئيلة ، وكانت العربية نفسها لا تزال تخطو
خطواتها الأولى نحو التحرر من القيود التي فرضتها عصور الضعف
والانحطاط على الكتابة ، فإنها ستبطل بتعميم التعليم بين العامة ورفع مستواهم
الثقافي . وعندئذ ستختفي العامية من المقالة الصحفية كما هي أخذت في الاختفاء
من مختلف الفنون الأدبية .

خاتمة

لسنا في حاجة إلى التنبؤ بمصير الدعوة إلى العامية ، فلدينا من الحقائق ما يمكننا من تقرير مصيرها . وهذه الحقائق تتضح في النتائج التي تكشف عنها دراستنا للدعوة ، والمثاهد التي نلصقها في موقف الرأي العربي العام منها . وتتلخص فيما يلي :

أولاً : إن العامية التي أثرت حولها كل هذه الضجة ، ظاهرة في كل اللغات وليست مشكلة اللغة العربية .

ثانياً : إن الأوروبيين وخاصة المستعمرين هم الذين جعلوا من وجود هذه الظاهرة في لغتنا مشكلة . اقترحوا حلها الاقتصار على العامية لتكون أداة للحديث والكتابة . وكان هدفهم من إثارة هذه المشكلة والاجتهاد في حلها ، القضاء على الوحدة العربية ، عن طريق تحطيم أهم رابطة من روابطها وهي اللغة العربية الفصحى .

ثالثاً : إن الحملة التي قاموا بها على اللغة العربية الفصحى التي هدفوا إلى القضاء عليها لم تستطع أن تنال منها . وإنما دفعت كثيراً من أبنائها إلى القيام بأبحاث قيمة للذود عنها . كان لها فضل كبير في الكشف عن أسرار العربية الفصحى ودقائقها ، وبيان عراقتها ، وقدرتها على مسايرة الحضارات في مختلف العصور .

رابعاً : إن الجهود الضخمة التي بذلوها في سبيل تدعيم العامية والترويج لها لم تستطع تدعيم العامية ، بل لقد كشفت عن كثير من نقائصها وعدم كفايتها في التعبير .

خامس : إن تأفف بعضنا من اللغة العربية الفصحى لم يكن نتيجة
نشعور بعجز الفصحى عن أنوفاء بحاجاتنا العلمية والأدبية . وإنما كان
نتيجة لشك الذي أثاره فينا الأوربيون نحو الفصحى في دعوتهم إلى العامية .

سادس : إن هذه الدعوة عندما بدأت تشق طريقها إلينا وجدت
استنكارا من الرأى العام . فلم يستجب لها إلا قلة ، ذهبت تناصرها بالأساليب
نفسها التي استخدمها الأوربيون ، سواء في حملتهم على اللغة العربية الفصحى
أو في دعوتهم إلى العامية . ثم أخذ عددها يتزايد تبعا لزيادة عدد دعاة العامية
من الأوربيين وخاصة المستعمرين ، واتساع جهودهم في ترويجها .

سابع : إن الذين استجابوا لهذا 'الدعوة الأجنبية' المفرضة لم يستطيعوا
إخفاء تحرجهم من الانتصار للعامية . فاستتر بعضهم تحت أسماء مستعارة
سواء في دعوتهم إلى العامية أو في محاولاتهم لتطبيقها في كتاباتهم ، واستتر
بعضهم وراء أهداف خادعة . اتخذوا لها شعار التجديد والإصلاح في اللغة
العربية الفصحى وأدائها .

ثامن : إن كل ما تركته هذه الدعوة من آثار في اللغة وفي الأدب فدرج
كفة الفصحى على العامية ، وأوضح نظريا وعمليا حقيقة كل منها .

تاسع : إن غلبة الفصحى على العامية لم يكن نتيجة لما للفصحى من
اعتبارات دينية وتاريخية وثقافية . بل لأن التجربة هي التي ردت إليهم اعتبارها
مباشرا : إن الرأى العام متجه إلى التمسك بالفصحى ، يقويه نمو الوعي
قومي . وازدياد عواطف 'التواصل بين البلاد العربية' . وانتشار 'التعليم'
والأدلة على تمسك الرأى العام بالفصحى لا حصر لها . فليس في جوارح
رجل 'شارع' إذا خاطب 'مثقفين' تهذيب عبارته والدنوبها من 'تصبح' .

وفي نزوع البيئات العربية إلى تسويد اللغة الفصحى وهذا واضح في المؤتمرات التي تعقد بينهما من حين لآخر، وفي مطاردة الكلمات العربية للكلمات الدخيلة لا في ميدان الكتابة وحده، بل في ميدان التعامل أيضا . فكلمة عجلة أو دراجة أصبحت تراحم كلمة « بسكيت » وكلمة عربة أو سياره تراحم كلمة « أوتوموبيل »، وكلمة برقية تراحم كلمة « تليفون »، وكلمة آلة التنبية تراحم كلمة « كلاكسون »، وسوف لا يمضي وقت طويل على هذه الكلمات الدخيلة وكثير غيرها حتى يتم جلاؤها عن الألسنة . وفي سوريا شاعت كلمتان لم يكن أحد يقدر لهما الشيوخ، وهما الهاتف « للتليفون » والحافه « الأتوبوس » . . . الخ (١) .

ومن أوضح الأدلة على تمسك الرأي العام بالفصحى أن الأدباء الذين نبعوا من العامة، ونشأوا في أوساط شعبية، وكانت نشأتهم في الأدب نشأة عصامية . لم يدرسوا العربية دراسة منظمة وإنما اعتمدوا في دراستها على مطالعاتهم الشخصية، صاروا يكتبون وينظمون باللغة العربية الفصحى .

أذكر منهم عبد المعطى المسيرى مؤلف كتاب « في القهوة والأدب »، وهو عامل في مقهى بدمهور . وأحمد محمد عرفة مؤلف ديوان « ظلال حزينة » ١٩٥٣، وهو حلاق بمدينة الاسكندرية . والشاعر عبد العليم القباني وقد كان يعمل طرزيا حتى سنة ١٩٥٦، وله مجموعة كبيرة من القصائد نشر بعضها بطريق المجلات والإذاعة، وتقدم ببعضها في مسابقات شعرية حظي فيها بجوائز مختلفة .

وعلى ضوء هذه الحقائق يمكننا أن نقرر فشل الدعوة إلى العامية، تلك الدعوة التي أثارت كثيرا من مشاكلنا اللغوية والأدبية طوال هذا القرن، والتي بدأت بثورة على الفصحى وانتهت بالثورة لها .

(١) انظر كتاب « مشكلات اللغة العربية » لمحمود تيمور ص ١٠٠ - ١٠١

الفهارس



المراجع العربية

فى اللغة :

- ١ إبراهيم مصطفى إحياء النحو طبع القاهرة ١٩٣٧ م
- ٢ إبراهيم اليازجى لغة الجرائد " ١٩٠١ هـ - ١٩٠١ م
- ٣ أحمد الاسكندرى فتراح فى تسمية مصطلحات كيميائية بأسماء عربية " ١٩٣٩ م
- ٤ أحمد عيسى ١ - المحكم فى أصول الكلمات العامة " ١٩٣٩ م
- ٢ - التهذيب فى أصول التعريب " ١٩٢٣ م
- ٥ أسعد داعر "غلطات اللغوية الدائرة على السنة الخطباء والكتاب " ١٩٢٣ م
- ٦ إسماعيل مظهر تجديد العربية بحيث تصبح وافية بمطالب العلوم والفنون " ١٩٥٥ م
- ٧ أنيس فريجة نحو عربية ميسرة " بيروت ١٩٥٥ م
- ٨ بشر فارس اصطلاحات عربية لفن التصوير طبع القاهرة ١٩٤٨ م
- ٩ حمية خريجي دار علوم مجموعة الخطب التى أقيمت فى نادى دار العلوم فى تسمية المسميات الحديثة " ١٩٠٨ م
- ١٠ جورجى شاهين عطية رد الشارد الى طريق القواعد طبع بيروت ١٩٢١ م

- ١١ حبيب غزالة خصائص اللغة العربية (بحث
في الفصحى والعامية) طبع القاهرة ١٩٣٥ م
- ١٢ حسن توفيق العدل أصول الكلمات العامية » » ١٣١٨ - ١٨٩٩ م
- ١٣ حسن السقا الكلمات التي أقرها المجمع في
شئون الحياة اليومية » » ١٩٣٧ م
- ١٤ ! حسن علي البدرى مرادف العامى والدخيل » » ١٩٠١ م
- ١٥ حسين فتوح ومحمد الدرر السنية في الألفاظ
العامية وما يقابلها من العربية » » ١٩٠١ م
- ١٦ حفنى ناصف ١ - ميزت لغت العرب وتخرىج
ما يمكن من اللغت العامية عليها
وفائدة علم لتاريخ في ذلك » » ١٣٠٤ - ١٨٨٦ م
- ٢ - الأسماء العربية لمحدثات
الحضارة والمدنية » » ١٩٥٦ م
- ١٧ سليمان محمد سليمان العامية في ثياب الفصحى مخطوط (مكتبة مجمع اللغة العربية - القاهرة)
- ١٨ شاكر شقير اللباني لسان غصن لبنان في انتقاد
العربية المعاصرة » لبنان ١٨٩١ م
- ١٩ صلاح الدين الزعبلوى أخطاؤنا في الصحف والموسم
دمشق ١٩٤٩ م
- ٢٠ عبد الرحمن (ابن خلدون) مقدمة ابن خلدون » القاهرة مهملة التاريخ
- ٢١ عبد الرؤوف ابراهيم الألى الخلاصة المرضية في الكلمات العامية
وما يرادفها من العربية » » ١٩٢٤ م
- ٢٢ عبد القادر المغربي ١ - عثرات اللسان في اللغة
دمشق ١٩٤٩ م
- ٢ - الاشتقاق والتعريب » القاهرة ١٩٠٨ م

- ٢٣ عطية الابراشي الآداب السامية (به بحث
مستفيض عن اللغة العربية) طبع القاهرة ١٩٤٦ م
- ٢٤ علي عبد الواحد وافي فقه اللغة ١٩٥٦ م
- ٢٥ مارون غصن درس ومطالعة » بيروت ١٩٢٥ م
- ٢٦ نجم اللغة العربية بالقاهرة تيسير الكتابة العربية » القاهرة ١٩٤٦ م
- ٢٧ محمد الحسنى نحو الألفاظ العامة » القاهرة ١٩٠٨ م
- ٢٨ محمد الخضر حسين حياة اللغة العربية (ضمن مجموعة) » تونس ١٩٠٩ م
- ٢٩ محمد دياب معجم الألفاظ الحديثة » القاهرة ١٩١٩ م
- ٣٠ محمد عرفه ١ - النحو والنحاة » » مهمل التاريخ
٢ - مشكلة اللغة العربية » » ١٩٤٧ م
- ٣١ محمد علي الدسوقي تهذيب الألفاظ العامة » » ١٩١٣ م
- ٣٢ محمد عياد الطنطاوى أحسن النخب في معرفة لسان العرب » ليبزج ١٨٤٨ م
- ٣٣ محمود تيمور ١ - ضبط الكتابة العربية » القاهرة ١٩٥١ م
٢ - مشكلات اللغة العربية » » ١٩٥٦ م
٣ - كلمات الحياة العامة » » ١٩٥٦ م
- ٣٤ مرتين هرتن رسالة في أهمية جمع خواص
الكلام الدارج مخطوط (المكتبة التيمورية
رقم ٣١٦ لفة)
- ٣٥ ميخائيل الصباغ الرسالة التامة في كلام العامة والمتاهج
في أحوال الكلام الدارج » ستراسبورج ١٨٨٦ م

٣٦ وف، محمد زفء القوفى

١ - التحفة الوفائية فى تسين

اللغة العامية المصرية خطوط (دار الكتب رقم ٢٥٣١٣ لغة)

٢ - مقدمة التحفة الوفائية فى

اللغة العامية المصرية طبع القاهرة ١٣١٠ هـ - ١٨٩٢ م

٣٧ يوسف بن فوك

عريبه (درسات فى لغة العرب)

والاساليب (عريب عبد الحليم النجار)

١٩٥١ م

فى الشعر :

٣٨ ربه عبد القادر الدرقى ديوان المازنى ج ١ طبع القاهرة مهمل التاريخ

٣٩ أحمد زكى أبو شادى ديوان الشعلة ، ، ، ١٩٣٣ م

٤٠ أحمد شوقى الشوقيات ج ١ ، ج ٢ ، ، ، ١٩٥٣ م

٤١ أحمد محمد عرفه ديوان ظلال حزينه ، ، ، ١٩٥٣ م

٤٢ خليل مطران ديوان الخليل ج ١ ، ، ، مهمل التاريخ

٤٣ زهير بن عبد الله بن علي (ابن زهير) ديوان البهائم زهير ، ، ، ١٨٩٦-١٣١٤ هـ

٤٤ عباس محمود العقاد ديوان وحي الأربعين ، ، ، ١٩٣٣ م

٤٥ عبد الرحمن شكرى ديوان عبد الرحمن شكرى ، ، ، ١٩١٤ م

ج ١ طبع الاسكندرية طبعة ثانية ١٩١٤ م

ج ٢ ، ، ، ١٩١٣ م

ج ٥ ، ، ، مهمل التاريخ

٤٦ محمد حافظ إبراهيم ديوان حافظ إبراهيم ج ١ طبع القاهرة ١٩٣٩ م

٤٧ محمود سامى البارودى ديوان البارودى ج ١ و ج ٢ ، ، ، ١٩٤٠ م

من قافية الميم الى الواو خطوط

٤٨ ميمون بن قيس (الأعشى) ديوان الأعشى الكبير

(شرح وتحقيق محمد حسين) طبع القاهرة ١٩٥٠ م

في الزجل والأوزان الشعبية :

- ٤٩ جاستون ماسبيرو مجموعة من الأغاني الشعبية (المتداولة في مصر العليا) طبع القاهرة ١٩١٤ م
- ٥٠ حسين مظلوم رياض رباعيات الخيام د د مهمل التاريخ ١٩٢٠ م
- ٥١ خليل نظير أزجال نظير د د ١٩٢٠ م
- ٥٢ رزق حسن رزق أزجال ابن مصر د الاسكندرية ١٩٢٥ م
- ٥٣ رشدي عبد الرحمن رباعيات الخيام د د مهمل التاريخ ١٩٢٧ م
- ٥٤ السيد متولى الخولى أزجال الخولى د د ١٩٢٧ م
- ٥٥ عزت صقر ديوان عزت صقر د القاهرة ١٩٢٣ م
- ٥٦ فرح السيد فرج (أبو فرح) ١ - أزجال أبو فرح د د ١٩٢٣ م
- ٢ - القصص الزجلية ج ١ د الاسكندرية ١٩٢٧ م
- ٥٧ كامل أيوب (أبو كمال) أزجال أبو كمال د د ١٩٣٥ م
- ٥٨ كامل الخلقى الأغاني المصرية د القاهرة ١٩٢٢ م
- ٥٩ م. بوريان مجموعة أزجال مصرية د باريس ١٨٦٣ م
- ٦٠ محمد عبد المنعم (أبو بئينه) أزجال أبو بئينه ج ٢ د مصر ١٩٢٩ م
- ج ٤ د د ١٩٣١ م
- ٦١ محمود بيرم التونسي ١ - أزجال بيرم التونسي د د مهمل التاريخ ١٩٢٣ م
- ٢ - دهن منتخبات الشباب ج ٢ د د ١٩٢٣ م
- ٦٢ محمود حمدي أبو لاقى المغنى المصرى د د ١٩٢٧ م
- ٦٣ محمود رزقي طبع (أبو توف) ١ - أزجال نظيم د د ١٩٢٣ م
- ٢ - موشحات نظيم د د ١٩٢١ م
- ٣ - عبيد الوادي (كتاب الأراجيز) د د ١٩٤٧ م

٧٤	١٩٣٣ هـ	ضبع الاسكندرية	١ - أزجال مصر	٦٤ ميلاد واصف
٧٥	١٩٣٦ هـ	»	٢ - وحي الوطن	
٧٦		مهمل التاريخ	الاحان (مجموعة الحان كشمكس بك وعلى الكسار)	٦٥ مجهول الناشر
٧٧				في القصة والافصوصة :
٧٨	١٩٢٥ هـ	ضبع القاهرة	١ - خيوط العنكبوت	٦٦ ابراهيم عبد نقادر المرنى
٧٩	١٩٤٤ هـ	»	٢ - ع الماشى	
٨٠	١٩٤٣ هـ	»	٣ - ميدو وشركاء	
	١٩٤٣ هـ	»	٤ - عود على بدء	
	١٩٣١ هـ	»	٥ - ابراهيم الكاتب	
	١٩٣٧ هـ	الاسكندرية	مذكرات خاتى أم سيد	٦٧ أحمد عبد الحميد على
	١٩٠٨ هـ	ستراسبورج	قصص عن أخبار العرب (بالعامية)	٦٨ أنوليتمان
	١٩٥٥ هـ	القاهرة	١ - دودة الروح (جزآن)	٦٩ توفيق الحكيم
	١٩٣٤ هـ	»	٢ - أهل الفن (نشرت فيه أقصوصة العوالم)	
	١٩٣٨ هـ	»	٣ - عصفور من الشرق	
	١٩٢٦ هـ	»	أحاديث وقصص	٧٠ حسين سعودى
	١٩٢٩ هـ	»	الخج درويش رؤى اسمايين	٧١ حسين شفيق المصرى
٨١	١٩٢٢ هـ	»	مذكرات عرجى	٧٢ حنفى أبو محمود
	١٩٢٧ هـ	»	مذكرات وصيفة مصرية	٧٣ زينب محمد

- ٧٤ عبد العزيز النص مذكرات نشال طبع القاهرة ١٩٢٧ م
- ٧٥ عيسى عبيد حسان هاشم (مجموعة أقاصيص عصرية) » » ١٩٢١ م
- ٧٦ فكتور هييجو البؤساء . ١٩٠٣ م
- ٧٧ كارلو دي لندبرج (تمريب حافظ ابراهيم) طبع مصر ١٩٠٣ م
- ٧٨ محمد تيمور له مع هارون الرشيد لندن ١٨٨٩ م
- ٧٩ محمد حسين هيكل ومينس لروح (نشرت به مجموعته القصصية « ما تراه العيون ») القاهرة ١٩٢٢ م
- ٨٠ محمود تيمور زينب . الطبعة الثالثة . » » ١٩٥٣ م
- ١ - الشيخ سيد البسيط وأقاصيص أخرى » » ١٩٢٥ م
- ٢ - الشيخ جمعه الطبعة الثانية وأقاصيص أخرى » » ١٩٢٧ م
- ٣ - الوثبة الاولى » » ١٩٣٧ م
- ٤ - أبو علي عامل ارتيست وأقاصيص أخرى » » ١٩٣٤ م
- ٥ - أبو علي الفنان وأقاصيص أخرى » » ١٩٥٤ م
- ٦ - شفاة غليظة وأقاصيص أخرى » » ١٩٤٦ م
- ٨١ يوسف أبو حجاج مذكرات فتوة الطبعة الثانية » » ١٩٢٧ م

في المسرحية :

- ٨٢ أنطون يزبك
٨٣ توفيق الحكيم
٨٤ علي أحمد باكثير
٨٥ فرح أنطون
٨٦ محمد تيمور
٨٧ محمد عثمان حلال
٨٨ محمود تيمور
٨٩ سليم شكري
٩٠ يعقوب صنوع (أبو نظارة) مولير مصر وما يقاسيه
- ٩١ ١٩٢٣ م طبع القاهرة انذباح
٩٢ ١٩٥٦ م " " ١ - المسرح المتنوع
٩٣ ١٩٥٠ م " " ٢ - مسرح المجتمع
٩٤ ١٩٣٥ م " " ٣ - أهل الفن
(نشرت فيه مسرحية " زمار)
١٩٥٦ م " " ٤ - الصنفقة
١٩٥٠ م " " مسمار جحا
٩٥ ١٩١٤ م " " مصر الجديدة ومصر القديمة
٩٦ ١٩٢٢ م " " ١ - المسرح المصري
(نشرت فيه مسرحية العصفور في قفص وعبد السنان أفندي
والعشرة الطيبة)
٩٧ ١٩٢٢ م طبع القاهرة ٢ - حياتنا التمثيلية
(نشرت فيه مسرحية الهاوية)
٩٨ ١٨٨١ - ١٩٠٧ م ضبع مصر ١ - الأربع روايات
من نخب التياترات
١٠٠ ١٨٩٣ - ١٩١١ م " " ٢ - "روايات المفيدة في علم
تراجيدية
١٠١ ١٩٠٤ - ١٩٣٣ م " " ٣ - رواية الخدمين
١٠٢ ١٩٤٥ م طبع القاهرة ١ - انخبأ رقم ١٣
(نخب من النسخة)
١٠٣ ١٩٥٣ م " " ٢ - كذب في كذب
(نخب من النسخة)
١٠٤ مهمل التاريخ مصر عطيل (تعريب خليل مهران)
١٩٠٣ م بروت

في النقد والتراجم والدراسات الأدبية :

٩١	إبراهيم عبده	أبو نظارة	طبع مصر	١٩٥٣ م
٩٢	إبراهيم عبد القادر المازني	حصاد المشيم (الطبعة الرابعة)	» »	١٩٥٤ م
٩٣	أحمد الشبراوي	روضة أهل الفكاهة	» »	١٨٩٥ م
٩٤	أحمد لطفى السيد	١ - قبائل العرب في مصر	» »	١٩٣٥ م
		٢ - المنتخبات	» »	١٩٣٧ م
		٣ - المنتخبات	» »	١٩٤٥ م
		٤ - تأملات	» »	١٩٤٦ م
٩٥	أحمد محمد الحوفي	الفكاهة في الأدب ج ١	» »	١٩٥٦ م
٩٦	إسماعيل أدهم	توفيق الحكيم (الفنان الحائر)	» حلب	١٩٣٩ م
٩٧	أمين الخولى	فن القول	» القاهرة	١٩٤٧ م
٩٨	توفيق الحكيم	فن الأدب	» »	١٩٥٢ م
٩٩	حسن الآلاتى	ترويح النفوس ومضحك العبوس		
		ج ١ و ٢	» »	١٨٨٩ م
		ج ٣	» »	١٨٩١ م
١٠٠	حسن صالح الجداوى	نظرات نقدية في شعر أبي شادى	» »	١٩٢٥ م
١٠١	حسين مروة	قضايا أدبية	» »	١٩٥٦ م
١٠٢	حسين مظلوم رياض ومصطفى محمد الصباحى	تاريخ أدب الشعب	» »	١٩٣٦ م
١٠٣	رفاعة رافع الطهطاوى	أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بنى إسماعيل	» »	١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م
١٠٤	سلامة موسى	١ - البلاغة العصرية واللغة العربية	» »	١٩٤٥ م
		٢ - الأدب للشعب	» »	١٩٥٦ م

- ١٠٥ شوقي ضيف الأدب العربي المعاصر في مصر طبع القاهرة ١٩٥٧ م
- ١٠٦ طه حسين حافظ وشوقي (الطبعة الثالثة) " " ١٩٥٣ م
- ١٠٧ عباس محمود العقاد شعراء مصر وبناتهم في الجين الماضي " " ١٩٣٧ م
- ١٠٨ عبد المعطى المسيرى في القهوة والأدب " دمنهور ١٩٣٦ م
- ١٠٩ عمر المدسوقي ١ - مسرحية. نشأتها وتاريخها وأصولها " القاهرة ١٩٥٤ م
- ٢ - في الأدب الحديث ج ١ (طبعة ثانية) " " ١٩٥١ م
- ١١٠ محمد تيمور وميض الروح " " ١٩٣٢ م
- ١١١ محمد عبد الغنى حسن الشعر العربي في المهجر " " ١٩٥٥ م
- ١١٢ محمد عبد المنعم أبو (بنية) أبو نواس الجديد " " مهمل التاريخ
- ١١٣ محمد محمد حسين الاتجاهات الوطنية في أدب المعاصر ج ٢ " " ١٩٥٦ م
- ١١٤ محمد مندور في الأدب والنقد (طبعة ثالثة) " " ١٩٥٦ م
- ١١٥ محمد يوسف نجم مسرحية في الأدب العربي الحديث " بيروت ١٩٥٦ م
- ١١٦ محمود تيمور ١ - نشوء القصة وتطورها " القاهرة ١٩٣٦ م
- ٢ - دراسات في القصة والمسرح " " مهمل التاريخ
- ٣ - فن القصص " " ١٩٤٨ م
- ١١٧ محمود حامد شوكت الفن القصصى في الأدب الحديث " " ١٩٥٦ م
- ١١٨ محي الدين رضا بلاغة العرب في القرن العشرين " " ١٩٣٤ م
- ١١٩ مصطفى صادق الرافعى المعركة بين القديم والجديد " " ١٩٥٣ م
- ١٢٠ ميخائيل نعيمة الغربال " " ١٩٥١ م
- ١٢١ نعمات أحمد فؤاد أدب المازنى " " ١٩٥٤ م

- ١٢٢ نفوسة زكريا
البارودي . حياته وشعره (رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة
كلية الآداب بجامعة الاسكندرية)
- ١٢٣ هلال فرحى
التسالى فى سهرات الليالى طبع القاهرة ١٩٢٧ م
- ١٢٤ ولیم وبلسكوكس
١- الأكل والإيمان (طبعة ثالثة) . . . ١٩٢١ م
٢- انجيل متى (باللغة المصرية العامة) . مصر ١٩٤٠ م
٣- سفر المزامير (باللغة المصرية العامة) . . . ١٩٤٠ م
- انجيل متى (باللغة العربية الفصحى) . . . ١٩٥٥ م
سفر المزامير (باللغة العربية الفصحى) . . . مهمل التاريخ
طبع جمعية التوراة بمصر
- ١٢٥ يوسف محمد بن عبد الجواد الشرينى هز القحوف فى شرح قصيد طبع القاهرة ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧ م
أبى شادوف

الدوريات

باللغة الفصحى :

السيدات والرجال - المشرق - الأزهري (لؤلؤ وكوكس) - المقنطرات
الهلال - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الجريدة - الفتح الإسلامية -
الآداب البيروتية - الشؤون الاجتماعية - أبولو - الكتاب - الرسالة - الحديث

بالعامية :

الغزالة - الأرغول - حمارة منية - تي - الفكاهة - الأستاذ -
التنكيث والتبكيث - التياترو - المسامير - السيف - الكشكول - أبو قردان -
المغبغان - ألف صنف - أبو شادوف - ابن البلد .

المراجع الأجنبية

- 1 — Caussin de Perceval: Grammaire Arabe Vulgaire
Paris. 1858.
- 2 — D.C. Phillott and: Manual of Egyptian Arabic
A. Powell Cairo - 1926
- 3 — Georges S. Colin : Le parler Arabe du nord
de region de Taza-Le Caire 1920
- 4 - Georges Steevens : The plays of William Sha-
kspere Vol.v London 1826
vol. viii. 1826
- 5 — Henri Bauche . Le langage populaire
Paris 1951.
- 6 - H. Dulac . Quatre contes Arabes en
dialecte Cairote (dans les
memoires de mission Arch-
eologiques Française au
Caire) Paris 1881 = 1884
- 7 — J. Seldon Willmore: The spoken Arabic of Egypt
London 1901
- 8 — K. Vollers : The Modern Egyptian
Dialect (Translated by F C.
Burkitt) Cambridge .1895
- 9 — M. Emile Caltier : Une forme verbale de l'Ar-
abe d'Egypte. Le Caire 1904
- 10 — Wilhelm Spitta : Grammatik des Arabischen
vulgardialectes von Aegypten
Leipzig 1880.
- 11 -- William Willcocks : Syria, Egypt, North Africa
and Malta Speak Punic, not
Arabic. 1926.

أنطون صالحاني اليسوعي : ١١٧

أنطون يزبك : ٢٩٤

أنولينيان : ٥٣

أنيس فريخة : ٢٠١ . ٢٠٥ . ٢٢٠

أنيس المقدسي : ٢٢٦

أيوب عون : ٣٥٥

ب

البارودي : (راجع محمود سامي)

بول (أ) : ٣٠ . ٢٣٩ . ٢١٧

بديع خيرى : ٢٥٨ . ٢٩٤

برجيتراسير : ١١

البستاني : ٣٣٩

بشر فارس : ٢٢٧

بقطر الأسيوطى : ١٥

بلال بن أبى بردة : ٦

بن سميل : ١١

البهاء زهير : ٣٥١ . ٣٧٥

بوركييت (ف-س) : ٢٤

بوريان (م) : ٤٣

أحمد الشبراوى : ٢٥٧

أحمد شوقي : ٣٤٤ . ٣٥٩ . ٣٦٠ . ٣٦٠

٣٦٢ . ٣٦٤ . ٣٧٨

أحمد عبد الحميد على : ٢٩٨

أحمد عيسى : ١٧٢ . ٢٧٧

أحمد فارس الشدياق : ١٠ . ١١

أحمد لطفي السيد : ٣٨ . ١١٩ . ١٢٤

٢٨٦ . ٢٢٠ . ١٢٤

أحمد محمد الخوفى : ٣٦١

أحمد محمد عرفه : ٤٦٩

أحمد المسيرى : ٢٩٦

أحمد والى : ١٠

أدهون مانون : ٥٦

أديب معوار : ١٩٤

اسعد داغر : ٢٣٦

إسكندر المعنوف : ١١٤ . ١١٦

إسماعيل أدهم : ٤٥٥

إسماعيل صبرى : ٣٤٤

إسماعيل مظهر : ٢٢٧

امانويل مانسون : ١١

إميل كالتيه : ٣١

أمين الخولى : ١٩٤

أمين صدقي : ٢٩٤

أمين معربس : ١٠

ت

حبيب أنطون السلا موني : ١٠

حبيب غزالة : ١٧٥ ، ١٧٨

الحجاج : ٥

حسن الآلاتي : ٢٤٩ ، ٣٢١

حسن البدرى : ١٧٢

حسن توفيق العدل : ١٧١

حسن رفقى : ٣٢

حسن السقا : ٢٢٧

حسن الشريف : ٢٠٢

حسن صالح الجداوى : ١٤١

حسن المصرى : ٩

حسنى يوسف : ٣٠٠

حسين رمزى : ٢٩٤

حسين سعودى : ٢٩٩

حسين شفيق المصرى : ٢٩٨ ، ٣٢٧ ،

٣٣٨ ، ٣٧٩

حسين فتوح : ١٧١

حسين مروة : ١٩٤

حسين مظلوم رياض : ٣٢١ ، ٣٣٨ ،

٣٢٩ ، ٣٤٠

حفى ناصف : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٠ ،

٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤

توفيق بواس : ٤٧

توفيق الحكيم : ٢٢٧ ، ٢٩٧

٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩

٤٠٠

ج

جاستون ماسبيرو : ٤٥ ، ٤٧

جبر ضومط : ٣

جبران خليل جبران : ٣٦٧

جورج ستيفنس : ٥٦

جورج كولان : ٥٠

جورجى زنايرى : ٧٨ ، ٨٣

جورجى شاهين عطية : ٢٣٦

ح

حافظ إبراهيم : ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١

٣٦٢ ، ٣٦٣

حنفی أبو محمود : ۳۰۸ ، ۳۰۹

خ

خالد بن عبد الله القسری : ۶

خلیل مطران : ۵۹ ، ۳۵۹ ، ۳۶۱ ،

۳۶۲ ، ۳۶۴ ، ۳۶۶ ، ۳۷۸

خلیل نظیر : ۳۲۷

خلیل الیازجی : ۹۵

د

داتی : ۳۳۸ ، ۳۳۷

دولاک (ه) : ۵۲

ر

رؤبة : ۶

راسین : ۲۶۷ ، ۲۶۸ ، ۲۷۲

رزق حسن رزق : ۳۲۷

رشدی عبد الرحمن : ۳۴۰

رفاعة رافع الطمطاوی : ۷۵ ، ۷۷

روزشتین : ۴۹

رینان : ۱۱۴

ز

زکریا الحجاوی : ۱۹۴

زینب محمد : ۲۹۸

س

السباعی : ۳۳۹

سبیتا : (راجع وللم سبیتا)

سعد زغلول : ۳۱۰ ، ۳۳۴

سعید علی الألفی : ۱۷۲

سلامة موسى : ۱۱۸ ، ۱۱۹

۱۲۰ ، ۱۲۱ ، ۱۴۶

۱۴۷ ، ۱۴۹ ، ۲۰۱

۲۴۰ ، ۲۶۵

سادن وناور : ۱۷ ، ۲۵

۱۰۹ ، ۱۳۱ ، ۲۳۵

۲۳۹ ، ۳۶۲

سلطان باشا الأطرش : ۲۳۵

سلفستردی سامی : ۱۰ ، ۱۳ ، ۱۶

سلمه بن عبد الملك : ۵

سلیمان فوزی : ۲۵۸ ، ۳۶۰

ط

- طنطاوى جوهري : ١٩٤
طنبوس عبده : ٥٩
طه حسين : ٢٧٥ - ٣٢٨

ع

- عباس علام : ٢٩٤
عباس محمود العقاد : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٦٦ ،
٣٧٢

- عبد الحليم النجار : ٦
عبد الرؤوف إبراهيم : ١٧٢
عبد الرحمن شكرى : ٣٦٦ ، ٣٦٩
٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٨٠
عبد الرحيم أحمد : ١٩٤
عبد العزيز الأهوانى : ١٩٤
عبد العزيز عبد الحق : ١٤١
عبد العزيز فهمى : ١١٤ ، ١٤٤

- ٢١٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٩
عبد العزيز النص : ٢٩٨
عبد المليم القبانى : ٤٦٩
عبد القادر المغربى : ٢٢٧
٢٢٨ ، ٢٣٦

- سليمان محمد سليمان : ١٨٩ ، ١٩٣
سيد بيومى سلامة : ٢٥٨
السيد الزمزمى : ١٠٠
السيد عارف : ٢٥٨
السيد على الدرويش : ٣٥٤
السيد متولى الحولى : ٣٢٧

ش

- شاكر شقير اللبنانى : ٢٣٦
شكسبير : ٥٥ ، ٥٩ ، ٣٦٦
شوبنهور : ١١٤
شوقى : (راجع أحمد شوقى)
شوقى ضيف : ٤٣٠

ص

- الصراف : ٢٣٩
صفى الدين الحلى : ٢٣٢
صلاح الدين سعد الزعبلوى : ٢٣٦
صلاح عبد الصبور : ٣٧٧

فرح أنطون : ٤٤٠ ، ٤٤٣
فكرى أباطة : ٣٠٨ ، ٣١٩
٤٦٥
فوزى الجزايرلى : ٢٩٦
فوزى منيب : ٢٩٦
فيكتور هيجو : ٣٦٤
فياوت (د - س) : ٣٠

ق

قاسم أمين : ٢٠١

ك

كارل فولرس : ١٧ ، ٢٤ ، ١٦٢
١٦٥ ، ٢٣٩
كارلو دى لندبرج : ٥١ ، ٥٢
كامل أيوب (أبو كان) : ٣٢٧
كامل الخلقى : ٣٢٧
كثير بن أبى كثير البصرى : ٥
كرومر : ٢٩
الكسانى : ٦
كوسان دى برسفال : ١١

عبد الله أبو السعود : ٣٥٥
عبد الله الفحام : ٣٢٠
عبد الله محمد الشبراوى : ٣٥٣
عبد الله النديم : ٢٥٩ ، ٤٦٥
عبد المعطى المسيرى : ٤٦٩
عبد الملك بن مروان : ٥
عدلى باشا : ٣١٠
عزت صقر : ٣٢٧
عزيز أباطة : ٣٧٧
عطيه الابراشى : ٢٢٦
على أحمد باكثير : ٣٧٧ ، ٤٤٣ ، ٤٥٤
على الجارم : ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٢١
على عبد الواحد وافي : ٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٦
على الكسار : ٢٩٥
عمر بن هبيرة : ٥
عمر الدسوقي : ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
عيسى اسكندر المعلوف : ٧ ، ١١٠
عيسى عبيد : ٢٩٩

ف

فرج السيد فرج (أبو فراج) : ٣٢٧ ،
٣٢٩ ، ٣٣١

ل

لافوتتين : ٣٥٩ ، ٣٧٩

لويس شيخو : ١١٨

لويس ماسنيون : ١١

لويس مرسييه : ١١

م

مارون غصن : ١١٧

المازني : (راجع إبراهيم عبد القادر)

محب الدين الخطيب : ١٨٥ ، ١٩٣ ، ٢٢٠

محبوب ثابت : ٣٦٠

محمد أحمد عرفة : ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠

محمد توفيق : ٣٢٢ ، ٣٧٨

محمد تيمور : ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١

٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٤٠١

محمد الحسني : ١٧٢

محمد حسين : ١٩٤ ، ١٢٣ ، ٥ ، ٤

محمد حسين هيكل : ١٤٠ ، ٢٩٧ ، ٣٨١ ، ٣٩١

محمد الخضر حسين : ٢٣٣ ، ٢٣٦

محمد دياب : ٢٢٧

محمد رشدي : ٤٧

محمد شرف : ٢٥٨

محمد شكري : ٢٩٤ ، ٢٩٥

محمد عبد الغني حسن : ٣٦٧

محمد عبد المنعم (أبو بنية) : ٣٢٥ ، ٣٢٧

٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨

محمد عبده : ٣٥٢

محمد عثمان جلال : ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٤٣١

محمد علي الدسوقي : ١٧٢

محمد علي عبد الرحمن : ١٧١

محمد عوض إبراهيم : ٥٩

محمد عياد الطنطاوي : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢

١٦٥

محمد فريد أبو حديد : ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٦

١٩٣

محمد مندور : ٤٢٥ ، ٤٣٨

محمد النجار : ٧٨ ، ٨٥ ، ٢٥٩ ، ٣٢٩

محمد يوسف : ٣٢٨

محمد يوسف نجم : ٢٦٠ ، ٢٦٢

محمود بيرم التونسي : ٣٢٧ ، ٣٣١

محمود تيمور : ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٩٤ ، ٢٢٢

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢

٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥

٤٠٦ ، ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤٣٩ ، ٤٦٩

نفوسة زكريا : ٣٥٥

هـ

هلال فارحى : ٢٥٧

هنرى بوش : ٣

و

وفاء محمد وفاء القونى : ١٦٢ ، ١٦٥

واور : (راجع سلدن واور)

وللم سينا : ١٧ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٩٤٠

٢٠٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٦

وليم وليكوكس : ٣١ ، ٣٥ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧١ ، ١٠٠ ، ١٠٧

١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩

١٢٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ٢٣٥ ، ٢٧٧

ي

يحيى بن زياد الديلمى (الفراء) : ٦

يحيى بن نوفل الحميرى : ٦

يعقوب صنوع (أبو نظارة) : ٧٨

٨١ ، ٨٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣

٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٤٦٥

يوسف أبو حجاج : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠

يوسف بن محمد بن عبد الجواد الشريفي : ٢٤٠

يوهان فوك : ٩

محمود حامد شوكت : ٢٧٥

محمود حسنى : ٢٥٨

محمود حمدى البولاقي الآلاتى : ٣٢٧

محمود رمزى نظيم (أبو الوفا) : ٢٥٨

٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢

محمود سامى البارودى : ٢٢٠ ، ٢٥٢ ، ٣٥٥

٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧٨

محيى الدين رضا : ٣٦٧

مرتین هرتمن : ١٥٤ ، ١٥٥

مصطفى أمين : ١٩٦

مصطفى سلامة النجارى : ٣٥٤

مصطفى الشهابى : ٢٣٦

مصطفى صادق الرافعى : ٦٦ ، ١٣٦ ، ١٩٤

مصطفى فهمى : ٢٩

مصطفى محمد الصباحى : ٣٢١ ، ٣٣٨

موسولينى : ٣٢٥

مولير : ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨

ميخائيل الصباغ : ١٠ ، ١١٠ ، ١٢٠

١٤ ، ١٦٥

ميخائيل نعيمة : ٣٦٦

ميلاد واصف : ٣٢٧

ن

نصرة سعيد : ٢٠١

نصرى نصر : ٤٦

نعمات أحمد فؤاد : ٤١٩

فهرس الموضوعات

صفحة	
١ — م	مقدمة : سبب اختيار الدعوة إلى العامية موضوعا للبحث — منهج البحث
٨ — ٣	تقديم : التعريف بالفصحى والعامية — وجودهما في كل اللغات — وجودهما في اللغة العربية منذ أقدم عصورها — اتساع الخلاف بينهما في العربية وسببه — مؤلفات علماء العربية القدامى في العامية — هدفهم من دراسة العامية — الميدان الذي اختصت به كل من العربية الفصحى والعامية — مزاحمة العامية للعربية الفصحى في ميدانها عقب الدعوة إلى اتخاذها أداة للتعبير الأدبي في أواخر القرن التاسع عشر .

الباب الأول

٧١ — ٩	الدعوة إلى العامية في أصولها الأولى من مصادرها الأجنبية
٤٢ — ٩	الفصل الأول : المؤلفات الأجنبية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية — اهتمام الأجانب بدراسة اللهجات العربية المحلية : ادخالهم تدريسها في مدارسهم وجامعاتهم . اهتمامهم بالتأليف فيها . هدفهم من دراستها — مؤلفات العربية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية باعتبارها من الأجانب وطبعت في بلادهم :

صنعة

كتاب : أحسن النخب في معرفة لسان العرب (١٨٤٨) ١٣
لمحمد عياد الطنطاوى

كتاب : الرسالة الثامنة في كلام العامة والمناهج في أحوال ١٤
الكلام الدارج (١٨٨٦) لميخائيل الصباغ

- المؤلفات الأجنبية التى تناولت دراسة اللهجة المصرية
وانبثقت منها الدعوة إلى العامية :

كتاب : قواعد العربية العامية فى مصر - - - - - ١٨
للككتور ولهم سبيتا

كتاب . اللهجة العربية الحديثة فى مصر (١٨٩٠) ٢٤
للككتور كارل فونزس .

كتاب . كتاب العربية المحكية فى مصر (١٩٠١) ٢٥
لسادن ولمور .

كتاب : المقضب فى عربية مصر (١٩٢٦) لنيلوت وباول ٣٠

محاضرة : لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ٣٢
(١٨٩٣) لوليم والسكوكس

رسالة : سوريا ومصر وشمال افريقية ومالطة تتكلم البونية ٣٧
لا العربية (١٩٢٦) لوليم والسكوكس .

الفصل الثامن : الآثار العامية التى قوم الأجانب بتسجيلها ونشرها ٤٣ - ٥٤

شكوى الأجانب من افتقار العامية إلى أدب مدون -

٤٣

قيامهم بجمع أدب العامة ونشره - كتبهم التي نصبت
هذا الأدب العامي :

٤٣

مجموعة أزجال مصرية (١٨٩٣) ل - م. بوريز

٤٤

مجموعة من الأغاني الشعبية المتداولة في مصر العامية
(١٩١٤) لجاستون ماسبيرو

٥٠

مجموعة أزجال مصرية (١٩٢٠) لجورج كولان .

٥١

حكاية بسم الحداد وه. جرى له مع هارون الرشيد
(١٨٨٨) للكونت كارلو دي لندبرج

٥٢

أربع حكايات باللهجة القاهرية (١٨٠١ - ١٨٠٤) ل - ه. دولاك

٥٣

قصص عن أخبار العرب (١٩٠٨) لأنطوانيتان

الفصل الثالث: المحاولات التي قام بها الأجانب لادخال العامية دد - ٧٧

في نماذج أدبية رفيعة وعامية

محاولات والكوكس

د د

مترجمه إلى العامية : قطع من روايات شكسبير ١٨٩٣

الانجيل (١٩٢٦)

٦٧

ما ألفه بالعامية : « كتاب الأكل والابتلاع » (١٩٢٦)

الباب الثاني

الدعوة إلى العامية في مرحلتها الثانية على ألسن العرب في مصر ٧٥ - ٤٤ :

٧٥ - ٩٣

الفصل الأول : العامية بعيدا عن الدعوة

المصريون الذين فكروا في ضبط العامية واستخدامها قبل

صدحة

الدعوة الأجنبية - اختلاف وجهة نظرهم عن وجهة نظر
الأوروبيين الذين قاموا بضبط العامية ودعوا إلى الكتابة بها.
— فكرة رفاعة رافع الطوطاوى فى ضبط العامية والكتابة
بها . هدفها ٧٥

— اتجاه يعقوب صنوع إلى الكتابة بالعامية ٧٨

— اتجاه جورجى زنانيرى إلى الكتابة بالعامية ٨٣

— اتجاه محمد لنجار إلى الكتابة بالعامية ٨٥

الفصل الثانى : صدى الدعوة الأجنبية فى صحف مصر . ٩٤ - ١٢٢

بدء الصراع بين الفصحى والعامية فى مصر بظهور دراسات
الأوروبيين فى اللجة المصرية - دور الصحف المصرية
فى تسجيل هذا الصراع .

— سجلته مجلة المقتطف وأثارته (١٨٨١) عقب ظهور
كتاب سبيتا ٩٤

— سجلته مجلة الأزهر (١٨٩٣) عقب محاضرة ولكوكس
« لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن » ١٠

— سجلته مجلة المقتطف والهلال (١٩٠٢) عقب ظهور
كتاب ولمور . ١٠٩

— سجلته مجلة الهلال (١٩٢٦) عقب ظهور رسالة
ولكوكس « سوريا ومصر وشمال افريقية ومالطة
تحدث البونية لا العربية » ١٠٨

صحة

الفصل الثالث : فترن الدعوة بحركات التجديد والاصلاح ١٢٨ - ١٤٩

١٢٨ — فترن الدعوة بحركة التصير : اقتراح أحمد لطفى
السيد فى تمصير اللغة العربية . معارضة مصطفى صادق
زرقاعى للاقتراح . تأييد محمد تيمور وعبد العزيز عبد
الحق للاقتراح .

١٤٤ — فترن الدعوة بحركة تيسير نحو العربية وكتابتها ومادتها :
الاستشهاد بما جاء فى مقدمه اقتراح عبد العزيز فهمى
فى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية .

١٤٦ — قران الدعوة بحركة تجديد الأدب العربى : رأى
سلامه موسى فى موضوع الأدب الجديد ونقته .

الباب الثالث

أثر الدعوة فى الدراسات اللغوية ١٥٢ - ٢٢٦

الفصل الاول : أثر الدعوة فى الدراسات التى تناولت العامية ١٥٣ - ١٩٤

— المؤلفات التى تناولت دراسة العامية استجابة لرغبة
أجنبية :

١٥٤ كتب مميزات لغت العرب لحنى ناصف . متجابه
لاقتراح مرتين هرتن

١٩٢ كتب التحفة الوفائية فى تبين اللغة العامية المصرية لوفاء
محمد وهاء القونى . استجابة لرغبة كارل فولرس

١٦٥ خرج وفاء القونى من اشتغاله بالعامية ومحاولته فى تبير
شغلها بها فى كتابه « مقدمة التحفة الوفائية »

صفحة

- ١٧١ — المؤلفات التي تناولت البحث في أصول الكلمات
العامة ونهذيب : مثله من . دراسة كتب
« نهذيب لألفاظ العامة » لمحمد علي الدسوقي
- ١٧٥ — المؤلفات التي تناولت البحث في خصائص العامة
ألفاظ . قواعده . بلاغة
- ١٧٥ « اللغة العربية العامة » بحث الحبيب غزالة (١٩٣٥)
- ١٧٩ « موقف لغة العربية العامة من اللغة العربية الفصحى »
بحث محمد فريد أبو حديد (١٩٤١) - رد محب الدين
الخطيب على هذا البحث
- ١٨٩ « العامية في تيب الفصحى كتب مخطوط حسين محمد
سليمان (١٩٥١)
- ١٩٠ — مذقشة المسائل التي أثيرت مؤلفات التي تناولت دراسة
خصائص عامة .
- ١٩٢ — أمثلة من الدراسات التي أثيرها موضوع الصراع بين
الفصحى والعامية سوء في الكتب في مجلات
- الفصل الثاني : أثر الدعوة في الدراسات التي تناولت العربية الفصحى ١٩٥ - ٣٩٦

شاكوي دعة العامة من الأجانب ومن زمرهم من أبناء
العربية من صعوبة الفصحى : نحوه . كتابتها . مدتها .
جمودها - قيام الباحثين عند تفسير هذه الصعوبات -
محاورة بعضها حدود التيسير - نماذج من محاولات في

تيسير صعوبات الفصحى عبي خلاف معروهم في
الهدوء والنمو .

— تيسير النحو : تقسام الباحثين إلى فريقين

١١.٥ - الفريق الذى لم يمس جوهر النحو . نماذج من
محاولاته .

١١.٦ - إصلاح طرق تدريسه ، حفى ، صف . . . على الجارم)

بعدة تيسيره على أساس جديد (بهيم مصطفى)

١١.٧ - إصلاح طرقنا التربوية فى تعليم اللغة العربية بعامة والنحو
بخاصة (محمد عرفة)

٢٠.١ - الفريق الذى لمس جوهر النحو . نماذج من محاولاته :

إلغاء الأعراب وتسكين أواخر الكلمات . قاسم

أمين ، سلامة موسى ، أنيس فريجة)

إيثارة كل لهجة عربية توفيق نعمة ، سلامة موسى ،

نصرة سعيد)

حذف بعض القواعد أو تعديلها (حسن لشريف)

٢٠.٢ - مناقشة الآراء الهدامة فى تيسير النحو والرد عليها

٢٠.٣ - تيسير الكتابة : اهتمام مجمع اللغة العربية بالقاهرة

٢٠.٤ - بموضوع تيسير الكتابة العربية نماذج من

اقتراحات أعضائه فى تيسير الكتابة العربية

٢٠.٥ - استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية : عدد

العزير فهمي)

سبعة

٢ - إبقاء حروف العربية مع استعمال حروف الدلالة على الحركات (أحمد لطفى السيد)

٣ - إبقاء الحروف العربية مع استعمال تشكيلات جديدة للدلالة على حركات تكون متصلة بحروف الكلمة
دنيا (على الجازم)

٤ - إبقاء حروف العربية وشكلاتها على أن يكتفى بصورة واحدة من صور الحروف وهي التي تقبل الاتصال من بدء الكلمات (محمود تيمور)

٣٣٣ نقد هذه الاقتراحات وبين ما كشفت عنه .

٣٣٣ - إصلاح متن اللغة عن طريق التوسيع والتبسيط .

٣٣٤ - توسيع اللغة : يساهم هيئات العلمية والأفراد في إمداد اللغة : تتطلبه من الأسماء والمصطلحات المستحدثة -
- لاختلاف في التعريب وترجمة - أمثلة من مؤولاتهم النظرية والعملية التي قاموا بها لاثبت قدرة العربية على التجدد والتواء .

٣ - تبسيط اللغة : رأى أحمد أمين في وجوب تبسيط

اللغة حتى تتسع للجديد من الأسماء والمصطلحات :
ماتة بعض كتبه توضيحية لبعض قواعده - رد بحر
الحضر حسين و إبراهيم حمروش على هذا رأى .

٣٣٥ - أمثلة من الدراسات التي تصدت للدفع عن العربية
العصبي : تجدها . كثرتها . تنوعها .

الباب الرابع

أثر الدعوة في انتشار المؤلفات المدونة بالعامية ٢٣٩ - ٢٤٧

الفصل الأول العامية في كتب الفلكية والمسامرة ٢٣٩ - ٢٥٩

قلة مؤلفي الأدبية المدونة بالعامية قبل الدعوة . أول
م وصلنا من هذه المؤلفات :

٢٤٠ كتاب : هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف
(١٨٥٧) موضوعه . لغته . هدف مؤلفه

٢٤٩ كتاب : ترويح النفوس ومضحك العيوس (١٨٨٩)
موضوعه . لغته . هدف مؤلفه

٢٥٧ - أثر الدعوة في ازدياد المؤلفات المدونة بالعامية وتنوعها -
روح المجالات العامية أبرز مظهر من آثارها - أمثله من
هذه المجالات - اختلافها عما سبقه من المجالات العامية التي
ظهرت في أواخر القرن الماضي .

الفصل الثاني : العامية في المسرحية ٢٦ - ٢٩٦

٢٦٠ - مسرحيات يعقوب صنوع : صنوع أول من كتب

مسرحيات بالعامية - اندثار هذه المسرحيات -
المسرحية لوحيدة الباقية منها « مولير مصر وما
يقاسيه » - أسباب اتجاه صنوع إلى الكتابة بالعامية .

٢٦٣ - مسرحيات محمد عثمان جلال : الأربع روايات من
نخب امتيازات . الروايات المفيدة في علم التراجيد .

روية المخدمين - مدى صلاحية العامية في معالجة
لمواضيع التي عرقتها هذه المسرحيات - أسباب
نجاح محمد عثمان جلال إلى الكتابة بالعامية .

- ٢٧٧ - مسرحيات محمد تيمور: المصنفون في قفص ، عبد الستار
نفدي ، الهاوية ، المشرقة الطيبة - اختلاف مستوى
لعامية باختلاف المواضيع التي تناولتها هذه المسرحيات
سبب اتجاه محمد تيمور إلى الكتابة بالعامية .
- ٢٩٣ - لأديب الدين نهجوا نهج محمد تيمور في تأليف
مسرحيات محلية وكتابتها بالعامية .

٢٩٧ - ٣١٩

الفصل الثالث : العامية في القصة

- أثر الدعوة في تشجيع العامة على كتابة قصص بالعامية
- راج هذه القصص - أسباب هذا الراج - كساد
سوقها في الوقت الحاضر - أنواع هذه القصص :
مذكرات . أحاديث . أقاصيص عصرية - لغتها :
عامية السوفية . العامية الممتزجة بالفصحى .
- دراسة قصتين منها للوقوف على طابع العامية في
طائفتين من العامة :

- ٢٩٩ مذكرات فتوة (١٩٢٧)
- ٣٠٨ مذكرات عربجي (١٩٢٢)

٣٢٠ - ٣٤٧

الفصل الرابع : العامية في الزجل

- ٣٢٠ - تطور الزجل في مصر قبل الدعوة . موضوعه . لغته
- ٣٢٦ - تطوره بعد انتشار الدعوة إلى العامية والدعوة إلى

ص ٥٠٤

- تمصير عربية. روجها. تساع موضوعه. نخطاطاته.
- ٣٣٦ - دخول الرجائين في معركة الفصحى العامة. انقسامهم إلى فريقين : رأى الفريق الذى شاع العامة وآثاره . رأى الفريق الذى شاع الفصحى وآثاره .
- ٣٤٤ - ارتفاع النزجل في نهاية الثلث الأول من لقرون العشرين والعوامل التى ساعدت على ارتفاعها :
- ١ - النزجلون المتقفون ٢ - خروج نزجل من الحيز المحلى إلى طرف مواضيع أدبية رفيعة ٣ - شعراء العربية الذين عالجوا فن النزجل .

الباب الخامس

٣٥١ - ٤٦٦ التجربة ترد للفصحى اعتبارها

٣٥١ - ٣٨٠ الفصل الأول : في شعر

تأثر لأدباء القدماء بالأصايب الشائعة على ألسن العامة . قلة هذه الأصايب فى آثارهم . طريقتهم فى استخدامها - طبعان العامة على الأدب فى مستهل نهضتنا الحديثة سبب ضعف اللغة العربية - لغامية تسفر كلفة مقصودة لذاتها وتفتح مختلف فنون الأدبية عقب الدعوة إلى العامة إلى تمصير العربية - كسادها فى الشعر - روجها فى قصة بأنواعها .

تضاح موقف شعر من قضية الفصحى ولغامية من دراسة التطورات التى مر بها فى نهضتنا الحديثة .

— المرحلة التي مر بها الشعر قبل البارودي :

الضعف الذي خلفه لحكم العثماني وأثره في انحطاط الشعر لغة وموضوع — اموضوعات التي طرقها . لامة التي صيغ بها .

— المرحلة التي وجه فيها البارودي الشعر :

مقومات البارودي الأدبية — منهجة الشعرى — أثره بأساليب الامة — قلة هذه الأساليب في شعره وقصره في بعض أبيات الغزل والديعة — قوة الصياغة وجزالة اللغة الطابع المميز لشعره — تمكنه من إثبات قدرة الفصحى على التعبير عن مشاعرنا وحاجتنا .

— المرحلة التي سار فيها الشعر بعد البارودي

— شعراء البعث (تتوي وحفظ ومطران : هو صيته

للجهود التي بذلها البارودي — معجنتهم للفنون المستحدثة في الشعر العربي — احتفائهم بمجودة الصياغة — استخدمهم بعض ألفاظ العامة وعباراتهم في شعرهم الفكاهي — معاصرتهم للدعوة إلى العامية — وقوفهم بجانب الفصحى ودفاعهم عنها في قصائدهم وكتبهم .

— مدرسة عبد الرحمن شكري والعهدة ومارني :

مدرسة من مدرس التجديد في الشعر — مخالفتها لمدرسة السابقة في بناء القصيدة وموضوعها ووحدة قافيتها — نفقها معها في الحرص على فصيح اللغة وتمسكهم بمرءه قلوبهم .

- للفوية - عدم احتمالها بأصيلة - مضائيتها - سهولة التعبير
 رأيها في لغة الشعر - عدم قدرتها على ملاحظة أداة اللغوية القديمة .
 ~٧٦ - جماعة أبولو : عدد تميزها بطابع معين لا في موضوع الشعر
 ولا في لغته - رغبة زعيمها (أحمد زكي أبو شادي) في
 تنصير لغة الشعر - عدم قدرته على تحقيق هذه الرغبة -
 تكلفه الفجولة في بعض قصائده - توجه شعر ثلثا اليوم في
 الطريق غير المستقر الذي سنكته جماعة أبولو .
 ~٧٨ - زوهر العامية في الشعر ورد كل ظاهرة إلى سبب .
 ~٧٩ - أسباب عدم رواج الدعوة إلى انعامية في الشعر .

٤٠ - ٣٨١

الفصل الثاني : في القصة

- العامية تشق طريقها إلى القصة بأنواعها - تدقق كتب القصة
 على أن تكون لغة السرد هي الفصحى - اختلافهم في لغة
 الحوار - التجربة وحدها هي التي حسنت هذا الخلاف -
 نماذج من روايات كبريات القاصص الذي كتب حوارهم العامية :
 ~٨ - قصة « زينب » لهيكل : أول محاولة جددة في تأليف
 قصة - ثمة إيمانه بمنصرية ووعده بفقراسية - موضوع
 مستمد من لريف مصرى - لغته : لغة السرد الفصحى
 المطعمة بالعامية - لغة الحوار : العامية نرفية - موقف المؤلف
 من العامية في هذه التجربة : تخرجهم من استخدامها العامية .
 مظهر هذا التحرج : قصر فقرات حوارهم - عدم التصريح
 باسمه في الطبعة الأولى - النتيجة التي كشفت عنها التجربة :

جوعه إلى الأسلوب الفصيح في كل . أمه بعد « يب »

- ٣٨٩ - قصة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم : من تجاربه الأولى في التأليف القصصي ثمرة تأثره بالوعي القومي لمستحدث في عصره . واصل فيها تقاليد الفن القصصي الذي بدأه هيكل - موضوعها : يروي حياة الحكم في لريف والمدينة في سى طفولته وشبابه - لغتها : لغة السرد الفصحى مطعمة بالعامية . لغة حوار عامية . عمية لريف وعمية لمدينة - موقف الحكيم من العامية في هذه التجربة . توسعه في استخدامها سواء في السرد أو في الحوار - النتيجة التي كشفت عنها التجربة : تعبر العامية في الحى الواحد ، في الأسرة الواحدة ، تغيرها . خلاف المهن ، عدم قدرتها على التعبير في القضايا المهمة ، اضطرت لمؤان إلى استخدام الفصحى في بعض مواقف الحوار في القصة نفسها ، استخدامها الفصحى في قصة عصفور من الشرق التي تعتبر تكملة لقصة عودة الروح .

الفصل الثالث : في الأقصوصة

٤٠١ - ٤٣٦

- كتاب الأقصوصة مواقف من الفصحى والعامية - لاقتصار على موقف اثنين من كبارهم : محمود تيمور والمازنى .
- ٤٠١ - أقاصيص محمود تيمور . استخدام العامية في محاولاته الأولى في تأليف الأقصوصة - تأثره بأخيه محمد - يمانه المصرية والواقعية ودعوته إليهما - مجموعات أقاصيصه التي

استخدم فيها العامية . الشيخ جمعة . عم متولى . الشيخ سيد العبيط .
رجب أفندى - التعريف بهذه الأقاصيص : مادتها .
لغتها - النتائج التي كشفت عنها تجاربه في استخدام العامية
اعترافه بعدم صلاحية العامية . عدوله عنها إلى الفصحى .
إعادة كتابة أقاصيصه الأولى بالفصحى - تدرجه في التخاص
من العامية : مقارن : نصوص من أقصوصه « أبو على عامل
ارتست » في ضبعها الأولى سنة ١٩٣٤ وفي مطبعها الثانية
سنة ١٩٥٤ - تلخيصه من العامية في نهاية العقد الرابع من
هذا القرن - اتخذ « شفاء غليظة » نموذجاً للجهود التي
بذلها في تطويع الفصحى سواء في السرد أم الحوار .

- ٤١٧ - أقاصيص المازنى : اختلاف موقف المازنى من العامية
عن موقف هيكل والحكيم وتيمور - استخدام العامية في
سنيه الأخيرة - أسلوبه في بدء حياته الأدبية : اعتناؤه
بتجويد أسلوبه . تقليده للأساليب العربية الأصلية . تطور
أسلوبه : جنوحه نحو سهولة التعبير . ترخصه في استعمال
العامية - اشتغاله بالمصحافة في هذا التطور - رأيه فيما
يجب اقتراضه من العامية وطريقته في استخدامها - الكتب
التي ضمنها أقاصيصه : خيوط العنكبوت . في الطريق .
غ الماشى . أقصيص . من النافذة - التعريف به - هذه
الأقاصيص : مادتها لغتها - سبب اتجاه المازنى إلى الكتابة
بالعامية على ضوء ما عرف من أهدافه الوطنية ومن دراسة
آثاره الأدبية - النتيجة التي كشفت عنها تجاربه في
استخدام العامية : لم تباعد بينه وبين التصحى - نماذج من

صفحة

فأصيصه ندين مدرته على تطويع الفصحى في توصف
وفي الحوار .

٤٣٧ — ٤٦٠

الفصل الرابع : في مسرحية

— استخدم الفصحى والعامية في كتابة مسرحية — موضوع
مسرحية وأثره في تحديد ذاتها اللغوية — انحصار الخلاف
في لغة المسرحية حول لغة المسرحية المحمية — لمبالغة في
تباع المذهب الواقعي وسوء الفهم لواقعية اللغة هو مرد
هذا الخلاف — التعريف بواقعية اللغة — التزام الواقعية
نحرفية وأثره في رأي محمود تيمور في لغة مسرحية المحلية .
— محاولات التي بذلت في تطويع الفصحى في كتابة
مسرحية محلية :

٤٤٠ محاولة فرح أنطون في مسرحية « مصر الجديدة
ومصر القديمة »

٤٤٣ محاولة علي أحمد بك كثير في مسرحية « مسراجحا »

٤٥٤ محاولة توفيق الحكيم في مسرحيته « الصفة »

٤٦٣ — أسباب روج العامية في القصة بأنواعها .

٤٦٦ — بدء اختفاء العامية من مختلف فنوننا الأدبية .

٤٦٧ — ٤٦٩

خاتمة : نتائج البحث

٤٧٣ — ٥١٠

الفهارس

٤٧٣ — ٤٨٥

مراجع البحث

٤٨٧ — ٤٩٤

فهرس الاعلام

٤٩٦ — ٥١٠

فهرس الموضوعات

تصويب الخطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٣	٥	الأجيال	الأجيال
٣	٩	Bauche Henri	Henri Bauche
٦	١١	الدينفوري	الدينوري
١٤	٥	مهمما	منها
١٦	١١	فتحفصناه	فتصفحناه
١٤	الهمش	وللفن	والفن
٢١	٥	بالإشارة	بالإشادة
٢٤	١٣	إلى اختلاف	إلى اختلافها
٢٥	٩	فلم يكن شاعر	فلم يكن لها شاعر
٢٤	١٠	الثورة	الثروة
٢٠	٦	كمبودج	كمبودج
٢٢	١٤	باولالى	بالأولى
٤٥	١	فان البها	فاق البها
٥٣	١٤	تمثل الوانا البطولة	تمثل الوانا من البطولة
٦٠	٢	وهم ينتظروك	وهم ينتظرونك
٦٣	١	النص العربى	النص العامى
٦٨	٣	ما بفيغدش	ما بيفدش
٧٧	٩	الزيبه	الزينة
٨٥	١٢	الدراجة	الندارجة
٨٨	٢	الأحول	الأحوال

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٨٨	١١	الشعول	الشمول
٩٢	١٢	طغوى	طغرى
٩٨	١١	المنصفات	المصنفات
١٠١	٩	كلماتها	كلماتها
١٠٢	١٣	لمدينة	لمدينة
١١٢	١٣	بالاقصار	بالاقتصار
١١٩	الهامش	يزم	يزعم
١٢١	الهامش	الفحصى	الفصحى
١٢٢	١٠	النزاعات	النزعات
١٢٥	١٢	العوية	العربية
١٢٢	٢٣	وصل	واصل
١٤١	٢	محمود تيمور	محمد تيمور
١٤٣	٦	يقاصيها	يقاسيها
١٤٩	١	إنها تكفى للتعبير	إنها لا تكفى للتعبير
١٦٢	الهامش	{ دار الكنت دار السكنت }	دار الكتب
١٦٣	٢٠	اللوبق	التلوبق
١٦٩	٢	وعاه شديد	وعناه شديد
١٨٦	٣	النماء الدائم	النماء الدائم
١٩٢	٣	فعد	فقد
١٩٤	٢	تتقارب المدا	تتقارب المدارك
١٩٤	الهامش	عربية الفصحى	العربية الفصحى
٢٠٢	٢٠	يعتذر معها	يتعذر معها

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٢٠٦	٨	الرغبة في تحقيق	الرغبة في تحقيق
٢٠٩	٦	جمع تكثير	جمع تكسير
٢١١	٨	فاستعمل حرف t	فاستعمل للتاء حرف t
٢١٨	٢٠	لأن اللبس	لأمن اللبس
٢٤٢	١٦	واطب	واطلب
٢٦٠	١	الدعوة المغروضة	الدعوة المغرضة
٢٦٠	١٣	Limpromptu	'impromptu
٢٧٣	١٦	يحق	وبحق
٢٧٤	٥	الطيبة والحكمة	الطيبة والحكمة
٢٩٦	١٦	هذا الرواج	هذا الرواج
٣٠٨	الهامش	فكرق	فكرى
٣١٦	١	الحكومة تسمع	الحكومة تسمع
٣١٦	٨	فلا تسمع	فلا تسمع
٣٢١	١٢	إخوانى	إخوان
٣٢٤	٢	du cop à l'âne	du Coq à l'âne
٣٢٩	١٠	تعالج مراضيع	تعالج مواضيع
٣٣٣	١	السروج	السوج
٣٣٩	٦	الصواف	العصراف
٣٥٣	١٣	لم تختلف عنها	لم تختلف عما كانت عليه
٣٥٦	١٨	وكفاك بى جلا	وكفاك بى رجلا
٣٥٩	٨	جزلة اللغة	جزالة اللغة

الصفحة	السطر	الخطأ	صوابه
٣٧٣	١٠	دراساتهم القديمة	دراساتهم النقدية
٣٨٧	١٢	غطت الشمس	غطست الشمس
٣٨٧	١٦	حوادث القصة	حوادث القصة
٤٠٤	١٨	الآن	الآن
٤٠٥	١٩	حلقها	حلقها
٤١٤	١٥	مشعور البطل	شعور البطل
٤٢٥	١٥		يتوقى
٤٣٠	٢	أخطأ قوميتنا	أخطأ قوميتنا
٤٣٣	٨	أقله	أقله
٤٣٦	٢	رايحه	راقصة
٤٤٥	١٨	توؤنيه	تؤنبه
٤٤٦	١١	لا يعيبه	لا يعيبه
٤٥٤	الحامش	اينارته	ايناره

